رواسخ

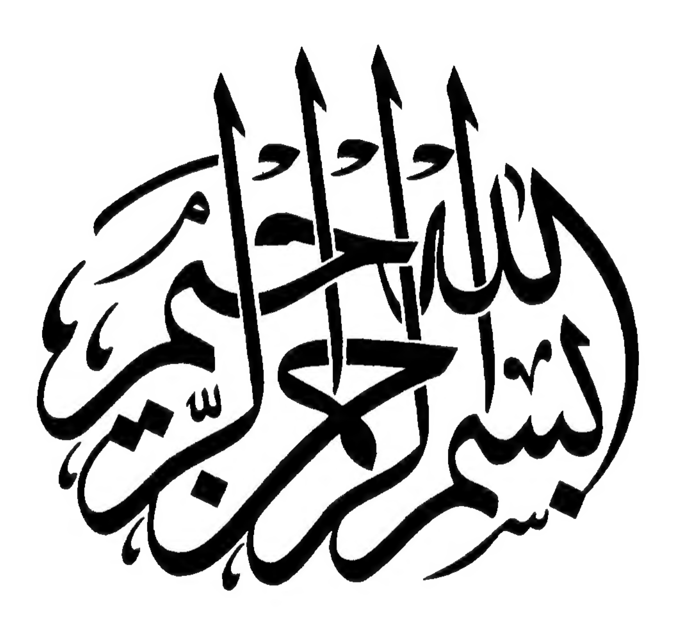
شبهات تاريخية حول القرآن الكريم

(عرض ونقد)

تأليف

د. سامي عامري

شبهات تاريخية
حول
القرآن الكريم
(عرض ونقد)


بسم الله الرحمن الرحيم

الانتصار للقرآن (4)

شبهات تاريخية حول القرآن الكريم

(عرض ونقد)

تأليف

د. سامي عامري



شبهات تاريخية حول القرآن الكريم عرض ونقد
د. سامي عامري
رواسخ 2022
316 ص ؛ 23.5 سم.
الترقيم الدولي: 9 - 7 - 9729 - 9921 - 978

الطبعة الأولى

1443 هـ - 2022 م



الكويت - شرق - شارع أحمد الجابر - برج الجاز
هاتف: 0096522408686 - 0096522408787
0096590963369



- مركز غير ربحي مختص في معالجة القضايا الفكرية المعاصرة وفق أسس عقلية وعلمية منهجية.
- يسعى لإيجاد خطاب علمي مؤصل من خلال تأليف وترجمة الكتب والبحوث التأصيلية والحوارية.
- يُعنى بإقامة الدورات والندوات، وإنتاج المواد المرئية النوعية.
- يستهدف بخطابه المهتمين بالمعرفة من مختلف شرائح المجتمع.

الإهداء

إلى الجيل اليافع في فلسطين، المرابط حبًّا للدين، وغيرة على المحارم..
أهدي هذا الكتاب.

الفهرس

المقدمة

الحمدُ للهِ وَحْدَهُ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على مَنْ لا نَبِيَّ بَعْدَهُ..

أمّا بعدُ؛ فإنّه مع صدور هذا الكتاب الجديد من سلسلة «الانتصارِ للقرآن»، يَكْتَمِلُ الردُّ على أهمِّ الشُّبهاتِ المثارةِ اليومَ حولَ نصِّ القرآنِ؛ أي اقتباسِ القرآنِ من كُتُبِ اليهودِ والنَّصارى، وهي الشُّبهةُ الأبرزُ، وقد تناوَلْتُها بالنَّظرِ التفصيليِّ في كتابِ «هل القرآنُ الكريمُ مُقْتَبَسٌ من كُتُبِ اليهودِ والنَّصارى»، وشُبهة الأخطاءِ العِلميّةِ في القرآنِ، وقد بَحَثْتُها في كتابِ «العلم وحقائقه: بين سلامةِ القرآنِ الكريمِ وأخطاءِ التّوراةِ والإنجيلِ». ولم يَبْقَ من الشُّبهاتِ الكُبرى بعد ذلك غيرُ دَعاوى الخطأِ التاريخيِّ في كتابِ اللهِ. وقد تناولتُ بعضَها بالدّراسةِ والنّقضِ في كتاب: «الوجود التاريخيّ للأنبياءِ وجَدَل البحثِ الأركيولوجيّ؛ شبهات ورُدُود»، وتتمّة الحديثِ في الشّبهاتِ التّاريخيّةِ، تَجِدُهُ في هذا الكتابِ الذي بين يديك. وما بعد ذلك من الشّبهاتِ، دونَ ما سبقَ مُناقَشَتُهُ في هذه الكُتُبِ أهميّةً.

والطَّعْنُ في الخَبَرِ التّاريخيِّ للقرآنِ قديمٌ جِدًّا، يعود إلى العصرِ النبويِّ، فقد قال مُشرِكُو مكّةَ: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥﴾ (الفرقان/ 5). قال الزَّجّاجُ: واحِدُ الأَساطِيرِ أُسْطُوْرةٌ؛ مثل أُحْدُوْثةٌ وأَحادِيث. وقال غيره: أَساطِيرُ جَمْعُ أَسْطار؛ مثل أَقْوالٍ وأَقاوِيل. اكْتَتَبَها يعني محمّدًا -ﷺ-. فهي تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرةً وأَصِيلًا؛ أَيْ تُلْقى عليه وتُقْرأ حتى تُحْفَظَ.[1] واستَمَرَّ الأمرُ كذلك في العُصورِ التاليةِ؛ فذهب أهلُ الكِتابِ إلى أنّ ما في القرآنِ من خَبَرٍ تاريخيٍّ مُخالِفٍ لما في كُتُبِهِم، مَحْضُ اختلاقٍ لا أصلَ له في التّاريخِ، وعَمَّمَ غيرُ أهلِ الكتاب التُّهمةَ في مجموعِ الخبرِ التاريخيّ القرآنيّ.

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ - 1964 م، 13/ 4.

وقد اعتنى المستشرقون في القرونِ الأخيرة بصورةٍ بالغةٍ بأخبارِ القرآنِ التاريخيّةِ؛ فَسَعَوْا جهدَهم إلى رَدِّها إلى التُّراثِ اليهوديِّ خاصّةً، وجعلُوا الكتبَ التراثيّةَ اليهوديّةَ غيرَ الرسميةِ (التلمود، والمدراشات، والترجومات...) مَرْجِعها في جُلِّ الأحيانِ. وقد أكثر المستشرقون في هذا البحث التَّدْلِيسَ، رُكونًا إلى جَهالةِ تاريخ الوثائق القديمة، أو غُموضِ معانِيها. كما حاولوا اقتناصَ أدنى التّشابهات؛ لإثبات النَّقلِ عنها. وهو ما مارَسَهُ عددٌ من الكُتَّاب الغربيّين في حقّ الكتابِ المقدَّسِ النصرانيِّ في الأخبار المشتركة مع القرآنِ.

وقد تمّ الردُّ على الشّبهاتِ التّاريخيّةِ في القرآنِ منذ عصر النبوّةِ، كما هو الشأنُ في شُبهةِ أُخُوَّةِ مريمَ لهارونَ -عليهما السلام-. وكانت عامّةُ الرُّدودِ اللّاحقة إمّا في كتبِ التّفسيرِ - خاصّةً تفسيرَ الرازيّ (ت 605هـ) والتحرير والتّنوير لابن عاشور (ت 1393هـ)- أو الكتبِ الخاصّةِ بمجادلةِ أهلِ الكتابِ كرسالةِ «المختارِ في الردِّ على النَّصارى» للجاحظِ (ت 255هـ)، و«تثبيتِ دلائلِ النبوّةِ» للقاضي عبد الجبار (ت 415هـ). وكان تطوُّرُ معرفةِ المسلمينِ بمعارضات أهلِ الكتابِ سببًا لِتَعاظُمِ اهتمامِ علماءِ الإسلامِ بدفعِ هذه الشُّبهاتِ.

وللأسفِ، لم تنصرِفْ عنايةُ الجماعةِ العِلميّةِ في العالمِ الإسلاميِّ لِجَمْعِ هذه الشُّبهاتِ بين دَفَّتَيْ كتابٍ واحدٍ -في حدودِ عِلْمِي[1]-؛ فجاءت الرُّدود متفرّقةً. كما تفاوتَتْ هذه الرُّدودُ في قيمَتِها العِلْميّةِ، فَهْمًا للشُّبهةِ، ونقضًا لها. وخاضَ في هذا البابِ مَنْ له وَلَعٌ بالغَرائبِ والشَّطَحات؛ كالقولِ إنّ قصّةَ أهلِ الكهفِ قد وقعتْ في الأُردنِّ، أو إنّ يأجوجَ ومأجوجَ يعيشون في الفضاءِ أو قَعْرِ الأرضِ. ولعلّ أهمَّ ما كانت تحتاجُه هذه الرُّدودُ، الإفادةُ من الدِّراسات العِلميّةِ التوراتيّةِ والإنجيليّةِ والأركيولوجيّةِ، لأنّها بوّابةُ البحثِ في هذه المواضيع؛ وبِالعِلمِ بها تَنْفَتِحُ كثيرٌ من المغاليقِ.

(1) من الكتب التي جمعت الشبهات التاريخية (في أحد فصولها) دون استيعاب: محمد عبد السميع بدير سيد، شبهات المشككين حول القرآن الكريم وعلومه. ردٌ علي كتاب: هل القرآن معصوم، القاهرة: دار المعرفة، 2019. وفيه جهد طيّب.

وقبل البدءِ في تناول الشّبهاتِ التاريخيّةِ في القرآن، لا بُدَّ من لَفْتِ نَظَرِ القارئِ الكريم إلى مجموعةٍ من الأمورِ:

- هذا الكتابُ قد استفادَ ممّا جاء عن علماءِ الإسلامِ منذُ عصرِ الصّحابةِ وإلى اليومِ. وهو مَدِينٌ لهذا التُّراثِ العظيم بالفضلِ، وإن اجتهدَ مؤلِّفُه أن يَزِنَ ما قيل بمعاييرَ علميّةٍ صارمةٍ، مُستبعِدًا ما خالَفَ دلالاتِ القرآنِ أو حقائقَ التّاريخِ.
- هذا الكتابُ ليس في بيانِ ربّانيّةِ القرآنِ وإنّما هو في دفعِ الشُّبهاتِ عنه؛ فليست الغايةُ منه إقامةُ الأدلّةِ على ربّانيّتِهِ، فقد فَعَلْنا ذلك في كتاب «براهين النُّبُوَّةِ» بتفصيلٍ، وإنَّما الغايةُ دفعُ الشُّبهاتِ عن هذه الربانيّةِ.
- هذا الكتابُ مُوَجَّهٌ إلى المتخصّصِ في الدِّراساتِ الاستشراقيّةِ أو علومِ القرآنِ، أو الدُّعاةِ الذين أوقفوا أنفسَهم للجواب عن أسئلةِ المتشكِّكين أو دعوةِ غيرِ المسلمين، كما أنّه موجّهٌ إلى العامّيِّ الذي له شُبهةٌ تاريخيّةٌ يبحث عن جوابها. وليس هو كتابًا للقراءة العامّةِ.
- هذه الشبهات مجموعة من مصادرَ متعدّدةٍ، وربما لا توجد بين دفتي كتابٍ واحدٍ طاعنٍ في الإسلامِ. وقد طَلَبْتُ بِجَمْعِها في هذا الإصدار المطبوعِ، توفيرَ مصدرٍ عِلْميٍّ يُرْجَعُ إليه في البابِ، خاصّةً مع كثرةِ ترديدِ هذه الشُّبهاتِ على الشّبكة العنكبوتيّةِ التي تَصِلُ إلى العامّيِّ من أكثرَ من طريقٍ، ممزوجةً بوثوقيّةٍ كاذبةٍ.
- كتابُ «الوجود التاريخيّ للأنبياء» ضَمَّ بعضَ الشُّبهات التّاريخيّةِ الواردةِ في قَصَصِ الأنبياءِ التي لم تَرِدْ هنا. وقد كان كتابُ «الوجود التاريخيِّ للأنبياء» فَصْلًا ضمن كتابنا هذا، قبل أن يُفْرَدَ بكتابٍ خاصٍّ للحاجةِ إلى تفصيلٍ كثيرٍ من مباحثِهِ.
- قد يستغربُ القارئُ التّعريجَ على شُبهاتٍ لم يَسمعْ بها من قبلُ، أو التّفصيلَ في الردِّ على شُبهةٍ من أكثرَ من وجهٍ، رغم أنّ الذِّهنَ لا ينصرِفُ إليها عند قراءةِ الآياتِ المعترَضِ عليها. وليس ذلك من بابِ التَّرَفِ الذِّهنيِّ، وإنّما تمَّ عرضُ الشُّبهاتِ وأَوْجُه معارضاتها للقرآنِ، لأنّه قد تمَّ طرحُها في الخِطابِ

الاستشراقيِّ أو التّنصيريِّ أو الإلحاديِّ سابقًا؛ ولن تجدَ في هذا الكتابِ شُبهةً من كيسِ المؤلِّفِ للتّكَثُّرِ من الكلام.

- تمّ عرضُ الشُّبهاتِ **كما تَرِدُ عادةً على أَلْسِنةِ أَهْلِها**، مع ما فيها من **جَزْمٍ ووُثوقيّةٍ** في صِحّةِ دعاوى تاريخيّةٍ أو فُهومٍ لِنُصوصٍ قرآنيّةٍ، قبل الردِّ عليها بنقضِ صِحّةِ الدَّعْوى التاريخيّةِ أو الفهمِ المنكرِ أو المرجوحِ للآياتِ القرآنيّةِ.
- قد نعرض في ردّ الاستشكالات أوجهًا تفسيرية مختلفة للآيات **كلّها سائغة من الناحيتين اللغوية والتاريخيّة، ونترك الإشارة إلى ما نراه الأرجح من بينها؛ لأنّ** مقام دفع الشبهة، غير مقام الترجيح بين الاجتهادات السائغة.
- جاء الردُّ على الشُّبهاتِ مُخْتَصَرَ العِبارةِ، ومُتَنَوِّعَ الأَوْجُهِ، مع توثيقِ كُلِّ معلومةٍ من مظانّها العِلميّةِ المعتبَرَةِ. ولم أَخْتَرِ الإسهابَ؛ حتّى يكون الكتابُ دانيًا لطالبِ المعرفةِ.
- أرجو أن يساهمَ هذا الكتابُ في بيانِ أهميّةِ الاعتناءِ بالدِّراساتِ التوراتيّةِ والإنجيليّةِ والأركيولوجيا الكتابيةِ للمُعْتَنين بعلوم القرآنِ، خاصّةً علمَ التّفسيرِ، وكذلك للمعتنين بدراسةِ الاستشراقِ؛ فإنّ عامّةَ الشُّبهاتِ الاستشراقيّةِ تقومُ على استنباطِ المعارضاتِ بعد تَتبُّعِ التُّراثَيْنِ اليهوديِّ والنصرانيِّ، وتخطئةِ القرآنِ من ذاك الوجهِ، تسليمًا بما في ذاك التُّراثِ أو تكذيبًا له ولمن تابَعَهُ.

ربِّ اشْرَحْ لي صَدْرِي، ويَسِّرْ لي أَمْرِي، واحْلُلْ عُقْدةً من لِساني يَفْقَهُوا قَوْلِي!

اللهمَّ لا سَهْلَ إلا ما جعَلْتَهُ سَهْلاً؛ فاجْعَلْ الإبانةَ عن الحقِّ سَهْلةً..!

ربِّ اغْفِرْ لي حَظَّ النَّفْسِ من هذا الكتابِ!

الباب الأول:

شُبهاتٌ عَقَدِيَّةٌ

القرآنُ الكريمُ، كتابُ هدايةٍ، يَدُلُّ على صحيحِ العقائدِ التي ينجو بها المرء يوم الحساب، وينقضُ باطِلَها بدلائل العقل وهواتف الفطرة؛ ولذلك تكَرَّرَ فيه خَبَرُ التّوحيدِ، وأنّه دعوة جميع النبيين. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ (الأنبياء/ 2). وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ (النحل/ 36). كما تكرّر في القرآن ذمّ الشرك، وبيان شناعته. قال جلّ وعلا: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ (الحج/ 31)، وقال سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ (مريم/ 88-92). وجاء في الآيات ما يُبطل بحجّة العقل ربوبيّة الأوثان والأجرام وكلّ معبود من دون الله؛ فقال سبحانه: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ (سبأ/ 22-23). وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾ (المؤمنون/ 91).

وفي سياق الإنكار على المشركين، بإجمال يوافق السياق القصصي، أو بتفصيل وتكرار يراعي الحاجة إلى هزّ النفوس حتّى تترك العقائد المنكرة، تظهرُ الصُّورة التاريخيّةُ للعقائدِ القديمةِ التي جاء النَّكيرُ على أهلِها في القرآنِ. وهو ما يظهر بصورة خاصة في عقائد النصارى والوثنيين، وبصورة أقلّ تفصيلًا عقائد اليهود، رغم أنّ خبر بني إسرائيل قبل المسيح عليه السلام هو الأوسع حضورًا في الخبر القصصي، وذلك لأنّ مفارقة بني إسرائيل للتوحيد الحقّ أدنى فحشًا من مفارقة النصارى المثلّثة والوثنيين المشركين له.

ونظرًا لِضخامةِ المادّةِ العَقَدِيَّةِ في القرآنِ، وارتباطِ ذلك بصورة كبيرة بسرد خبر الأنبياء وأقوامهم المشركين؛ فقد وجد المستشرقون والمنصّرون -والملاحدةُ تَبَعًا لهم- مجالًا لإثارةِ الشُّبهةِ حولَ بعضِ التقريراتِ القرآنيّةِ في سَوْقِ الخَبَرِ العَقَدِيِّ عند الأَوَّلِينَ. وهاهنا ما جاء في طرحِهم، وجواب دَعْواهم.

اقتصارُ النُّبُوَّةِ على الرِّجالِ

الاعتراض:

جاء في القرآن: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ (النحل/ 43). والآية تشهد أنّ النبوّةَ محصورةٌ في الرّجالِ. والقرآنُ هنا يُحيلُ إلى أهل الكتاب تأكيدًا على صِدقِ هذا الخَبَرِ، في حين أنَّ أهلَ الكتابِ يؤمنون بالنبوَّةِ في النِّساءِ؛ فقد جاء في التُّراثِ اليهوديِّ الحاخاميِّ وجودُ «سَبْعِ نساءٍ تَنَبَّأْنَ لإسرائيلَ» «שֶׁבַע נְבִיאוֹת שֶׁנִּתְנַבְּאוּ לָהֶן לְיִשְׂרָאֵל» (B. Megillah 14a).

الجواب:

لم تنزل الآيةُ 43 من سورة النحل لِنَفْيِ نُبُوَّةِ النِّساءِ، وإنّما نزلَتْ لِبيانِ بَشَرِيَّةِ الأنبياءِ. قال ابنُ عبّاسٍ -رضي الله عنه-: «لَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا رَسُولًا، أَنْكَرَتِ الْعَرَبُ ذَلِكَ، أَوْ مَنْ أَنْكَرَ مِنْهُمْ، وَقَالُوا: اللَّهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ بَشَرًا مِثْلَ مُحَمَّدٍ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ﴾ [يونس: 2]، وَقَالَ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ [النحل: ٤٤] فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ: يَعْنِي أَهْلَ الْكُتُبِ الْمَاضِيَةِ، **أَبَشَرًا كَانَتِ الرُّسُلُ الَّتِي أَتَتْكُمْ أَمْ مَلَائِكَةً؟** فَإِنْ كَانُوا مَلَائِكَةً أَنْكَرْتُمْ، وَإِنْ كَانُوا بَشَرًا فَلَا تُنْكِرُوا أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ رَسُولًا، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ [يوسف/ 109]، أَيْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا قُلْتُمْ».[1]

وقال ابنُ عاشور: «...فعاد هنا إلى إبطالِ شُبْهَتِهم في إنكارِ نُبوءَتِهِ من أنّهُ بَشَرٌ لا يَلِيقُ بأنْ يكون سفيرًا بين اللهِ والنّاسِ، إبطالًا بقياسِ التّمثيلِ بالرُّسُلِ الأسْبَقِين الذين لا تُنْكِرُ قريشٌ رسالتهم مثل نوحٍ وإبراهيمَ -عليهما السّلام-».[2]

---

(1) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر، 1422هـ/ 2001م، 14/ 228.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م، 14/ 160.

فالآية ليست في بيانِ أَنَّ الأنبياءَ رجالٌ لا نساءَ بينهم، وأَنَّ أهلَ الكتاب يشهدون بذلك؛ وإنّما هي في أَنَّ الأنبياءَ بَشَرٌ، وليسوا من جِنسِ الملائكة، وأنّ ظهورَ النبوّة على محمّد -ﷺ- القرشيِّ بين قومه، ليس بدعًا من الأمر؛ فإنّ أهلَ الكتاب يشهدون أنّ النبوّةَ كانت بينهم في بَشَرٍ لا في ملائكةٍ. والقولُ بنبوَّةِ النِّساءِ بحثٌ آخرُ، لا تَعَلُّقَ لهذه الآية به على الصَّحيحِ.

مَعبُودُ مملكةِ سَبَأ

الاعتراض:

جاء في القرآن أنّ أهلَ سبأ كانوا يعبدون الشَّمسَ؛ فقد جاء في سورة النَّمْلِ أنّ الهُدْهُدَ قال للنبيّ سليمان -عليه السَّلام-: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (النمل/ 22-24)، في حين يُخبرنا التَّاريخُ أَنَّ أهلَ سبأ كانوا يعبدون الإِلهَ القَمَرَ «إلمقه»[1] «𐩱𐩡𐩣𐩤𐩠»، لا الشَّمسَ.

الجواب[2]:

القولُ إنّ أهل سبأ كانوا يعبدون القمر لا الشمس، مذهبٌ كان شائعًا بين الباحثين، غير أَنَّ الدِّراساتِ الأَحدثَ تقول إنّ أهلَ سبأ كانوا يعبدون الشَّمسَ بعبادة «إلمقه». وهو ما شَرَحَتْهُ الموسوعةُ البريطانية، بقولها: «كان الإلهُ الوطنيُّ في سبأ هو إلمقه، وهو حامي الريِّ الصّناعيِّ، وسيِّدُ مَعْبَدِ اتّحاد قبائلِ السَّبَئِيِّين، بالقربِ من العاصمة مأرب. حتى وقت قريب، كان يُنظر إلى إلمقة على أنه الإله القمر، تحت تأثير المفهوم المرفوض عامّةً الآنَ عن آلهةٍ عربيّةٍ جنوبيّةٍ تتكوّنُ من ثالوثٍ حَضْرِيٍّ: الأَبُ القَمَرُ، والأُمُّ الشَّمْسُ (كلمة «شمس» مؤنّثةٌ في اللُّغة العربيّةِ)، والابنُ كوكَبُ الزُّهَرَةِ. **تُؤَكِّدُ الدّراساتُ الحديثةُ أنّ رُموزَ رأسِ الثَّورِ وشَكْلَ الكرمةِ المرتبطَيْنِ به هي سماتٌ شمسيّةٌ ... وهي أكثر اتّساقًا مع إلهِ الشَّمسِ**».[3]

---

(1) الألف واللام ليست للتعريف هنا. ويكتبها المعاصرون بكسر الهمزة وأحيانا بفتحها.

(2) تمت الإفادة هنا من الدراسة التالية:

Islamic Awareness, The Queen of Sheba and Sun Worship, 10th March 2008 < https://www.islamic-awareness.org/quran/contrad/external/sheba.html>.

(3) "Pre-Islamic Deities (From Arabian Religion)", *Encyclopaedia Britannica Ultimate Reference Suite 2004 DVD*, Encyclopaedia Britannica, Inc.1994 - 2004

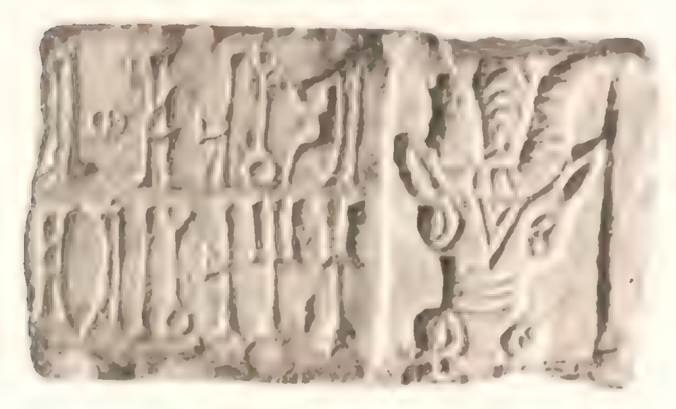
وهو ما أيّدهُ الأركيولوجيُّ جون فرنسوا برتون Jean-Francois Breton، بقوله: «كان ألمقة إلهَ الزّراعةِ والريِّ، وربما في أغلبِ الأحيان إلهَ الريِّ الصناعيِّ الذي كان أساسَ الزراعة الناجحة في واحةِ مأربَ. كانت صفاتُ الإلهِ الحيوانيّةُ هي الثَّوْرُ، وفي العصورِ اللّاحقةِ، الكَرْمَةُ. **كان ألمقه إلهَ الشَّمْسِ المُذَكَّر.** الإلهُ «شمس» (الشَّمس)، الذي تمَّ استدعاؤه حاميًا لِسُلالةِ سبأ، كان نظيرَهُ الأُنثويَّ».[1]

وهو القول الذي قرّره أيضًا المستشرقُ الإنجليزيُّ المتخصّصُ في نقوشِ اليمن القديم بيستون Beeston، بقوله: «**لا يوجد ما يشير إلى صفات القَمَرِ في حالةِ إلمقة وعم وداد.** قدَّمَ غاربيني نقدًا مدمّرًا لمثل هذه النَّظْرةِ فيما يتعلق بـ[أُنثويّةِ] إلمقه، مُقرّرًا (بشكلٍ أكثرَ معقوليّة) أنّه إلهٌ يحمل صفاتِ إلهٍ مُحارِبٍ وإلهٍ نَبَاتِيٍّ، مع ارتباطاتٍ بالشَّمسِ لا القَمَرِ».[2]

(1) . F. Breton, *Arabia Felix From the Time of the Queen of Sheba, Eighth Century B.C. to First Century A.D.*, University of Notre Dame Press: Notre Dame, 1998, pp. 119-120.

(2) A. F. L. Beeston, "The Religions of Pre-Islamic Yemen" in J. Chelhod, ed. *L'Arabie du Sud Histoire et Civilisation (Le Peuple Yemenite Et Ses Racines)*, 1984, Volume I, Islam D'Hier et D'Aujourd'Hui: 21, editions G. -P. Maisonneuve et Larose: Paris, p. 263.

جزء من تمثال من الحجر الجيري
فيه رأس ثور وكتابة مهداة إلى إلمقه
القرن 5-3 ق.م، المتحف البريطاني[1]



لوحة برونزية مخصصة للإله إلمقه
القرن الأول، المتحف البريطاني[2]



(1) رابط الموقع الإلكتروني للمتحف البريطاني:
< https://www.britishmuseum.org/collection/object/W_1991-1214-1>.

(2) رابط الموقع الإلكتروني للمتحف البريطاني للصور:
< https://www.bmimages.com/preview.asp?image=00030830001 >.

أصنام قوم نوح -عليه السّلام-

الاعتراض:

جاء في القرآن: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾﴾ (نوح/ 21-24). وما في الآية دالٌّ أنّ قومَ نوحٍ في العراق القديمة كانوا يعبدون الأصنامَ نفسَها التي كان يعبدها مشركو العربِ زمنَ البعثةِ في القرنِ السّابعِ؛ فإنّ التّاريخَ يُخبرنا أنّ وَدًّا وَسُوَاعًا وَيَغُوثَ وَيَعُوقَ كانت أصنامًا تُعبد في تلك الحقبةِ. وذاك خطأٌ ناتج عن الخلطِ بين آلهةِ العربِ وآلهةِ عصرِ نوح في بلاد الرافدين قبل قرون، خاصّةً أنّ الطوفان قد أفنى قومَ نوحٍ إلّا مَنْ رَكِبَ معه السَّفينة.

الجواب:

تعجَّلَ صاحب هذه الشبهة عرض معارضته؛ ذلك أنّ عَجَبَه ممّا جاء في القرآن، هو محلّ العجب حقًّا؛ إذ إنّه قفز إلى النكير على القرآن قبل أن يستوعب طبائع التاريخ في معرفة حركة العقائد الوثنية وتلاقحها. والتعليق على استنكاره ما جاء في آيات سورة نوح، يأتي في النقاط التالية:

أولًا: تَصَوُّرُ أن يُخْطِئَ نبيُّ الإسلام -ﷺ- فيَتَوَهَّمَ أنّ نوحًا -عليه السَّلام- قد عاش في بلادِ العرب، بعيدٌ؛ إذ إنّ العربَ لم تزعُمْ ذلك، ولا زَعَمَهُ أهلُ الكتابِ.

ثانيًا: لا يلزم من وجود طوفانٍ في بلدٍ ما أن تَهْلَكَ الأصنامُ التي فيه؛ فإنّ الأصنامَ تكون عادةً من حجارةٍ أو طينٍ أو خشبٍ.

ثالثًا: الآية تحتمل توجيهين:

(أ) أنّها تتحدّث عن أصنام قوم نوح -عليه السَّلام- عينِها.

(ب) أنّها لا تتحدَّثُ عن أصنامِ قومِ نُوحٍ -عليه السَّلام-، وإنّما الكلامُ في أصنامِ العَرَبِ. قال الماورديُّ عن هذه الأَصنامِ في تفسيرِهِ، بيانًا للقولِ الثّاني: «كانت للعربِ

لم يَعْبُدْها غيرُهم ويكونُ معنى الكلام: كما قال قوم نوحُ لأتباعِهِمْ لا تَذَرُنَّ آلهتَكُمْ، قالت العَرَبُ مثلَهم لأولادِهم وقومِهم لا تَذَرُنَّ وَدًّا ولا سُواعًا ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْرًا، ثم عاد الذِّكْرُ بعد ذلك إلى قومِ نوح».[1] وعلى هذا التّوجيهِ يرتفعُ الاستِشكالُ ابتداء.

رابعًا: القولُ إنّ في الآيةِ حديثًا عن أصنامِ قومِ نُوحٍ -عليه السَّلام-، غيرُ مُستَنْكَرٍ تاريخيًّا؛ إذ يحتمِلُ معنيَيْنِ يوافقان ظاهرتَيْنِ معلومتَيْنِ عند الأُممِ الوثنيّةِ القديمةِ:

أ. انتقالُ معبودٍ ما من منطقةٍ إلى أُخرى، أو من حضارةٍ إلى أُخرى، باسمٍ جديدٍ: من أمثلةِ هذه الظّاهرةِ أنّ أفرديت اليونانيّةَ أَصلُها عشتروت الفينيقيَّةُ. كما عُبِدَتْ إنانّا - إلهةُ الحُبِّ والجَمَال والجِنْسِ- في سومر تحتَ اسمِ عشتار عند الأكاديّين والبابليّين والآشوريّين. وقول ابنُ عبّاسٍ -رضي الله عنهما-: «صارت الأوثانُ التي كانت في قومِ نوحٍ في العربِ بعدُ»[2] غيرُ بعيدٍ في عرف التاريخ؛ لمحاذاةِ بلادِ الرّافدين جزيرةَ العربِ؛ فالمعبوداتُ نفسُها، مع اختلافِ الاسمِ.

ودخول آلهة الأمم المجاورة للحجاز، أرض الحجاز، يقبله عامة الباحثين؛ فإنّ «اللات» -مثلًا-، قد وردت مكّة من بلاد بعيدة. فقد قال المؤرّخ هيروديت في القرن الخامس قبل الميلاد: «يُسمّي الآشوريون أفروديت باسم ميليتا، والعرب أليلات (Ἀλιλάτ)، والفرس ميثرا».[3] **واللات مشهود لوجودها عند الأنباط، وفي تدمر (في سوريا)، وفي مملكة الحضر** Kingdom of Hatra **(في العراق).** كما شهد المؤرّخون لعبادة العزّى في بلاد الرافدين، ومنهم إسحاق الأنطاكي في القرن الخامس الميلادي.[4] وممّا يجعل انتقال آلهة العراق إلى الحجاز يسيرًا وجود العرب في بلاد الرافدين قبل قرابة ألف سنة من البعثة النبوية؛ ومن هؤلاء العرب مملكة الحضر.

---

(1) الماوردي، النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت: دار الكتب العلمية، 2012، 6/ 104.

(2) رواه البخاري، باب ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق (ح/ 4636).

(3) Herodotus, *Histories* I.131

(4) Jan Retso, *The Arabs in Antiquity: Their History from the Assyrians to the Umayyads*, New York: Routledge, 2002, pp.601-602.

ب. وجودُ إلهِ ظاهرةٍ طبيعيّةٍ ما بأسماء مختلفةٍ عند الوثنيّين: من نماذجِ هذه الصُّورةِ، أنّ القمرَ معبودٌ في الأممِ القديمةِ تحت أكثرَ من اسمٍ واحدٍ، فهو سين في بلاد الرافدين، وخنسو في مصرَ، وماني في القبائلِ الجرمانيّةِ، وتسوكيومي في اليابان، وشاندرا عند الهندوسِ... كما عُبد الرَّعْدُ في الأُممِ السَّالفةِ تحت أسماء مختلفةٍ؛ فهو إندرا عند الهندوسِ، وشانجو في نيجيريا، وممرغان في أستراليا، وديانمو عند الصينيّين، ورايجنِن عند اليابانيّين. ففي الآيةِ -على هذا الوجه- ذِكْرُ أصنامِ بلاد الرافدين بأسمائِها التي يعرفُها العربُ؛ حتّى يكون وَقْعُ الخَبَرِ في السّامعين مُؤثّرًا؛ وشرطُ ذلك الاتّفاقُ في الطّبيعةِ المدّعاةِ لهذه المعبوداتِ أو صُورتِها.

وقد بحث هذا الأمرَ الدكتورُ عادل هاشم علي، أستاذُ علمِ الآثارِ العراقيّةِ القديمةِ في جامعةِ البصرةِ. وردَّ أسماء الآلهة المذكورة في سورة نوحٍ إلى آلهةِ بلاد الرافدين القديمة[1]:

وَدّ: إلهُ الحُبِّ عند العربِ. وعادةُ كثيرٍ من الأديانِ الوثنيّةِ أنّها تجعل للحُبِّ آلهةً خاصّةً، مثل إيروس Ἔρως عند اليونانِ، وقادش عند المصريّين والكنعانيّين، وكام عند الهندوسِ. ووَدٌّ بذلك يُقابِلُ إنانّا التي تبدو في المنحوتاتِ في شكلِ أُنثى، وتُمثِّلُ في المناسباتِ الفتاةَ العروسَ، وقد جاء في التّراتيلِ القديمةِ: «هي التي كُلُّها فَرَحٌ. إنّها مُفْعَمةٌ بالحبِّ، مليئةٌ بالإغراءِ والمفاتنِ والمتعةِ».

سُواع: لم يَصِلِ الباحثُ إلى رأيٍ فيه، وإن كان نَقَلَ عن غيرِه أنّه المعبودُ البابليُّ مردوخ؛ من خلالِ التّصريفِ اللُّغويِّ لأحدِ ألقابِ مردوخ «سيراخ».

يَغُوث: هو المعبودُ أيا (بالأكدية إنكي)، إلهُ الأَرضِ والمياهِ العميقةِ. وهو عند قومِهِ، الإلهُ الشافِي والمُعافِي من الأمراضِ والنّوائبِ؛ وهي المعاني التي تجعلُهُ إلهَ «الغَوْثِ» الذي «يُغِيْثُ». ومن أعظمِ مآثرِهِ أنّه صاحبُ فكرةِ إنقاذ البشريّةِ من الهلاكِ، بفكرةِ السّفينةِ عند الطُّوفانِ كما في قِصّة الطُّوفانِ المسماريّةِ.

---

(1) عادل هاشم علي، آلهة قوم نوح في القرآن الكريم: قراءة في الأصل اللغوي في التاريخ السومري. نسخة إلكترونية.

يَعُوق: يُعَدُّ المعبودُ إنليل في الميثولوجيا السومريّة من أهمِّ المعبوداتِ وأقدمِها، ومعنى اسمِه: «سيد الهَوَاء». واسمه مرتبطٌ بالعواصفِ والأعاصيرِ التي تُفسِدُ زرعَ النّاسِ في بيئة فلّاحِيّةٍ. وقد وَصَفَتْهُ بعضُ النُّصوصِ السُّومريّة أنّه «العاصفةُ الهَوْجاء». كما يبدو في كثيرٍ من النُّصوصِ الدينيّةِ أنه مَنْ يَتَوَلّى تنفيذَ أوامرِ الآلهةِ بإنزالِ العِقابِ بالبَشَرِ؛ بالعواصفِ والأعاصيرِ.

ومن النُّصوصِ التي تُشير إلى طبيعةِ إنليل، ما جاء في مَرْثِيَةُ أُور؛ ففيها يُصرِّحُ إنليل أنّه «جَلَبَ العاصفةَ الهوجاءَ لِتدميرِ البلادِ وإخراسِ المدينةِ. وجعل النّاس ترتجف حتى انْقَلَبُوا بالصُّراخ والبكاءِ بعد أن أصبحتْ جُثَثُهم ككسراتِ الفَخّارِ تملأُ الطُّرقاتِ».

وهذه المعاني السلبيّة المرتبطة بشخصِ إنليل ووظائِفِه؛ تُظهر أنّه كان «يُعِيقُ» النّاس أن يعيشوا حياةً هانئةً؛ بإفسادِه حياتَهُم الاقتصاديّةَ وإتلافِ ثرواتهم، وتنغيصِ فَرَحِهِم. ولمّا كانت كلمة «إنليل» بلا معنًى في اللِّسان العربيّ، كان الأَلْيَقُ استعمالَ اسمٍ يعرفُه العربُ، يُعَبِّرُ عن حقيقةِ هذا المعبودِ في الذهنيّةِ الجاهليّةِ.

نَسْرا: ورد ذِكْرُ الإلهِ نَسْرا في التّلمودِ الذي تحدَّث عن وُجودِ خمسةِ معابدَ وثنيّةٍ مستقرّةٍ، أَحَدُها مَعْبدُ «نَسْرا في البلد العربية» «נשרא שבערביא».[1] وكما هو واضحٌ؛ فهذا المعبودُ على صُورةِ نَسْرٍ كما هو مُتَّفَقٌ عليه. وهذا المعبودُ هو آشورُ، وهو من أقدمِ المعبوداتِ البشريّةِ المعروفةِ، وقد عُبِدَ في بلادِ الرافدين والبلادِ العربيّة. وأصبح النَّسْرُ الرّمزَ الخاصَّ بآشورَ قبلَ أن يُصبحَ دينُ آشورَ مهيمنًا في بيئتِهِ.[2]

(1) *Babylonian Talmud*, Avodah Zarah 11b

(2) Morris Jastrow, *The Religion of Babylonia and Assyria*, Boston: Ginn, 1898, p.632.

آلهةُ مصر

الاعتراض:

جاء في القرآنِ أنّ فرعونَ قال: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ (النازعات/ 15-24). وجاء في القرآن عن فرعون قوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ (القصص/ 38). ولم تَعْرِفْ مصرُ القديمةُ زمنَ رمسيس الثاني أو غيرِه تأليهَ الفرعونِ وحدَهُ.

الجواب:

القرآنُ مُصرِّحٌ بوجودِ أكثرَ من إلهٍ معبودٍ في مصرَ زمن موسى -عليه السَّلام-. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ (الأعراف/ 127). فالآيةُ مُخْبِرةٌ أَنَّ عِلْيَةَ القومِ في مصرَ قد قالوا لفرعونَ؛ إنّك إنْ تَرَكْتَ موسى وبني إسرائيل يفعلون ما شاؤوا؛ فسيُبَدّلُ الدِّين في مصر؛ وسيتركُ النَّاسُ عبادَتَكَ وعبادةَ آلهتِكَ.

والجَمْعُ بين قولِ فرعونَ لقومِهِ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ وقولِ قومِهِ له: ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾، من وجهين:

الوجه الأول: كانت هناك في مصر آلهة كثيرة، يقارب عددها الألفين، جلّها محليّ، وتظهر عبادتها وتزدهر ثم تأفل تبعًا لاختيارات رأس الدولة؛ فقد كان الفراعنةُ يختارون الآلهةَ الرسميّةَ للدَّولةِ. ولذلك نُسِبَتْ هذه الآلهةُ إلى فرعون في الآية. وهو معنى نبّه إليه فريق من المفسّرين منذ قرون، قبل أن تكشف الآثار المصريّة القديمة

عن أخبار أديان الفراعنة. فقد قال أبو حيّان (توفي 754هـ): «وقيل: **الإضافة هي على معنى أنه شرع لهم عبادة آلهة من بقر وأصنام**[1] وغير ذلك».[2]

وأَمَّا أنّ فرعونَ قد جعلَ نفسَهُ الربَّ الأعلى والإلهَ الأَوحدَ؛ فَذاك مِنْ جِهَةِ أَنَّه مسكون بروح الآلهة. قال الشيخ ابن عاشور: «وَكَانَ أَعْظَم هَذِهِ الْأَصْنَام هُوَ الَّذِي يَنْتَسِبُ فِرْعَوْنُ إِلَى بُنُوَّتِهِ وَخِدْمَتِهِ، وَكَانَ فِرْعَوْنُ مَعْدُودًا ابْنَ الْآلِهَةِ، وَقَدْ حَلَّتْ فِيهِ الْإِلَهِيَّةُ عَلَى نَحْوِ عَقِيدَةِ الْحُلُولِ، فَفِرْعَوْنُ هُوَ الْمُنَفِّذُ لِلدِّينِ، وَكَانَ يُعَدُّ إِلَهَ مِصْرَ، وَكَانَت طَاعَتُهُ طاعةً لِلْآلِهَةِ، كَمَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤﴾ (النازعات/ 24) ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ (الْقَصَص/ 38).»[3]

ويُؤيّد ذلك ما جاء عن فرعون في نقش السيرة الذاتية لرخميرع -الوزير إبّان حكم تحوتمس الثالث وأمنحتب الثاني-: «لقد [رأيتُ] شخصه في شكله (الحقيقي)، رع سيّد السماء، ملك الأرضين عندما يرتفع، قرص الشمس عندما يظهر نفسه...القادة يركعون له، كلّ المصريين، كلّ رجال العائلة، كلّ العامّة».[4]

لقد كان رع أحد الآلهة القومية الرئيسة في مصر، وكان خالقًا، كما أنّه كان يُعتبر أبًا لرمسيس الثاني، وكان لقب «ابن رع» أحد الألقاب الملكيّة، وقد بنى له رمسيس

---

(1) لم يكن هؤلاء المفسّرين يعرفون أعيان آلهة مصر القديمة.

(2) أبو حيان، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر، 1420هـ، 5/ 144.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 9/ 59.

(4) نص النقش:

K. Sethe, Urkunden Der 18. Dynastie: Historisch-Biographische Urkunden, 1909, Volume IV, J. C. Hinrichs'sche Buchhandlung: Leipzig, IV 1077, 13-14.

ترجمة النقش:

A. H. Gardiner, "The Autobiography of Rekhmerē'", Zeitschrift Für Ägyptische Sprache Und Altertumskunde, 1925, Volume 60, p. 68.

الثاني «معبد أبو سنبل». والمطابقة بين الفرعون والإله رع، تفسّر أن يكون الفرعون هو الإله الأعلى على المستوى الإيماني الصرف.

ومن المظاهرِ العجيبةِ لِعُلُوِّ قَدْرِ رمسيس الثاني -المرجَّح أنّه الفرعونُ الذي أَذَلَّ بني إسرائيل- ما جاء في نقشٍ في المعبدِ الكبيرِ في أبي سُنْبل؛ حيث يَعْبُدُ رمسيسُ الثاني رمسيسَ الثاني. والمعبودُ عليه قرصُ الشَّمسِ؛ بما يُشِيرُ إلى طابعِ رمسيس الثّاني الإِلهيِّ.


نقش عبادة رمسيس الثاني لرمسيس الثاني[1]



ومن النقوش التي تُفسّر دعوى الفرعون أنّه الإله الأوحد على الحقيقة، ما جاء في نقش السيرة الذاتية للوزير رخميرع. فقد جاء في أحد جدران قبر هذا الوزير: «ما هو مِلك مصر العليا؟ ما هو ملِك مصر السفلى؟ إنّه إله نعيش بمعاملاته. [هو] أبو [كل الناس] وأمّهم؛ وحده بنفسه، لا مثيل له...»[2]

(1) L. Habachi, *Features of The Deification of Ramesses II*, 1969, op. cit., Plate II(a)

(2) نص النقش:

K. Sethe, *Urkunden Der 18. Dynastie: Historisch-Biographische Urkunden*, 17-18.

ترجمة النقش:

"What is the king of Upper Egypt? What is the king of Lower Egypt? He is a god by whose dealings one lives. [He is] the father and mother [of all men]; alone by himself, without an equal ...".

A. H. Gardiner, "The Autobiography of Rekhmerē", *Zeitschrift Für Ägyptische Sprache Und Altertumskunde*, p. 69.

والنقش السالف في قبر هذا الوزير مطابق لما في القرآن من خبرٍ عن أنّ فرعون قال للملأ من قومه (الأشراف والسادة) إنّه واحد لا شريك له، ولا أحد فوقه. فالفرعون هو من الناحية العملية -في ثقافة رعيته- مَن بيده أمر دنيا الناس.

الوجه الثاني: خاطب الفرعون قومه أنّه الإله الأوحد لهم؛ بمعنى أنّ الأمر ينتهي إليه عمليًا، من جهة السلطان؛ فلا سلطان فوقه. ويشرحُ عالم المصريّات د. محمد بيومي مهران طبيعةَ أُلوهيّةِ فرعونَ؛ بما يُظْهِرُ وجهَ اعتبارِهِ الإلهَ الأَوحدَ على الوجهِ الواقعيّ العَمَلِيّ، بقوله: «استطاع مُؤَسِّسُ الأُسرةِ الأُولى أن يكون لمصر، حوالي 3200 قبل الميلاد، حكومةٌ مركزيّةٌ قويّةٌ على رأسِها الملكُ المؤلَّهُ، الذي كُتِبَ له نجاحٌ بعيدُ المدى في أن يجمعَ بين يديهِ كُلَّ السُّلطات، حكومةٌ كان الملكُ فيها هو المحور، بل الرُّوحَ التي تبعثُ الحياةَ في الدّولةِ، وكلُّ ما يحدث فيها وحيٌ منه، قامتْ على أُسسٍ دينيّةٍ عميقةِ الأَثَرِ، فهو الإِلهُ العظيم، وهو الإِلهُ حُور، الذي تَجَسَّدَ في هيئةٍ بشريّةٍ، ومن ثمّ فهو، في نَظَرِ رعاياهُ، إلهٌ حيٌّ على شكلِ إنسانٍ، يتساوى مع غيرِهِ من الآلهةِ الأُخرى فيما لها من حقوقٍ، وبالتَّالي فله حقُّ الاتّصالِ بهم، وله على شَعْبِهِ، ما لغيرِهِ من الآلهةِ، من المهابةِ والتّقديسِ.

ومن هنا كان الأساسُ السياسيُّ والاجتماعيُّ الذي قامت عليه الحضارةُ المصريّةُ هو التأكيدُ بأنّ مصر يحكُمُها إِلهٌ، وأنّ هذا الإلهَ الجالسَ على عرشِ الكنانة غيرُ محدودِ المعرفةِ والمقدرةِ، وأنّه على علم بكل ما يدور في البلاد، ومن هنا كان من الصعب أن تُفرّق بين المَلِكِ والدّولةِ، إذ كانت كلمتُه قانونًا، ورغبتُه أَمْرًا، ورعيَّتُه ملك يمينِه، يتصرَّفُ فيها متى شاء، وهكذا كانت الضَّرائِبُ تُؤَدَّى لِتَمْلأَ خزائِنَهُ، والحروبُ تقوم من أَجلِ شُهرتِهِ وإعلاءِ ذِكْرِهِ، والعَمَائِرُ تُقامُ تكريمًا له، وتشريفًا لِقَدْرِهِ، وكلُّ أملاكِ

البلادِ خالصةٌ له، وهي حقُّه، فإذا سَمَحَ لمخلوقٍ ما أن يكون له فيها نَصِيبٌ، فإنّ هذا لا يعدو أن يكون عاريةً يَسْتَرِدُّها عندما يشاء».[1]

باختصار، كانت توجد في مصر آلهة معبودة مختلفة، اعتُبرَت «آلهة الفرعون»؛ لأنّ صعودها لتكون آلهة قومية، **يحتاج موافقة الفرعون ومباركته**. وكان الفرعون، الإله الأوحد في مصر؛ **من جهة إيمانيّةٍ؛ باعتباره تجسّدًا لآلهة السماء، وعمليًا؛ باعتباره مالك مصر، بما فيها ومن فيها**، فهو المالك والملِك، والحاكم الذي لا كلمة تعلو كلمته.

(1) محمد بيومي مهران، الثورة الاجتماعية الأولى في مصر الفراعنة، دار المعرفة الجامعية، 1419هـ/ 1999، ص 157.

المسيح عند الكنيسة، ابن الله أم الله؟

الاعتراض:

جاء في القرآن: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ (المائدة/ 72). والنَّصارى لا يقولون إنّ المسيحَ هو الله، وإنّما هم يقولون هو ابنُ اللهِ، ويَرَوْنَ اللهَ ثلاثةَ أَقانيم، أَحَدُها المسيحُ.

الجواب:

الآيةُ 72 من سورةِ المائدةِ إمّا أن تكون في عقيدةِ فرقةٍ نصرانيّةٍ هرطقيّةٍ، أو هي في مذهبِ جُمهورِ النَّصارى، ولا يوجد خيار ثالث. عِلْمًا أنّه ليس في القرآنِ نِسبةُ فريقٍ من النَّصارى غيرِ المؤمنين بوحدانيّةِ اللهِ ونُبوّةِ المسيحِ قصرًا، إلى الهدايةِ؛ فجماهيرُ الهراطقةِ ومن انتصروا في مَجْمَعِ نيقية سَواءٌ في الضَّلالِ.

القولُ الأوّلُ: الآيةُ في الهراطقةِ

جاء في القرآنِ تكفيرُ من قال إنّ اللهَ -الآبَ باصطلاحِ النّصارى؛ وهو إلهُ التّوراة- أحدُ الأقانيمِ الثّلاثةِ، في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ (المائدة 73). كما جاء تكفير القائلين إنّ اللهَ هو المسيحُ ابنُ مريمَ في الآية السّابقة لها: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ (المائدة/ 72). ولمّا كانت الآيتان متجاورتين، مع اختلافٍ في وَصْفِ المُكَفَّرِ، جازَ حملُ الآيةِ 72 على غيرِ المذهبِ المذكور في الآية 73، أي على غيرِ قولِ جمهورِ متأخّري النَّصارى.

ومن المذاهبِ النصرانيّةِ الكبيرةِ قبلَ الإسلام، والتي كان تُصَرِّحُ بوضوحٍ أنّ المسيحَ هو اللهُ، مَذهبُ Modalism **القائلُ إنّ اللهَ له ثلاثةُ أقانيمَ لا على التّمايُزِ وإنما على التَّحَوُّلِ**؛ أي إنّ اللهَ يكون آبًا، ثمّ يكون ابنًا، ثم يكون رُوحَ قُدُسٍ؛ فكلُّ أُقْنُومٍ هو حالةٌ mode للإِلهِ.[1] وقد شَهِدَ إبيفانيوس سنة 375م أنّ هذا المذهبَ له أتباعٌ كثرٌ

(1) Alister E. McGrath, *Historical Theology: An Introduction to the History of Christian Thought*, John Wiley & Sons, 2012, pp.56-67.

في زمانِه، في بلادِ الرافدين وروما.[1] ولا يَبعُدُ أن يكون لهم حضورٌ بعدَهُ في الشَّام؛ خاصَّةً إذا عَلِمْنا العبارةَ الشهيرةَ المنسوبةَ إلى ثيودوريطس (ت. 457) -أُسْقُفِ كورشَ في سوريا- إنّ البلادَ العربيّةَ[2] «أُمُّ الهرطقاتِ» «haeresium ferax».

القول الثاني: الآيةُ في جماهيرِ نصارى القرنِ السَّابعِ الميلاديِّ

حَمْلُ الآيةِ 72 من سورةِ المائدةِ على النَّصارى القائلين بِتَمَايُزِ الأَقانيم، ممكنٌ أيضًا من جهتين:

الجهة الأولى: هذا هو صريحُ عبارتهم؛ إذ إِنَّهم يؤمنون بما جاء في إنجيلِ يوحنّا 1/ 1: «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، **وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ**»، على التّرجمةِ الأشهرِ للأصلِ اليونانيِّ. فالكلمةُ، هي أُقنومُ الابنِ، المسيحِ، بلا نِزاعٍ. والآيةُ القرآنيّةُ بذلك ليس فيها ما يُخالِفُ هذه الترجمةَ في شيءٍ.

القرآن	إنجيل يوحنّا
1.إِنَّ اللَّهَ	2.اللهَ
2.هُوَ الْمَسِيحُ	1.وَكَانَ الْكَلِمَةُ

كما جاء في نصِّ 1تيموثاوس 3/ 16: «اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ» «θεὸς ἐφανερώθη ἐν σαρκι»-(القراءة المعروفة في مخطوطات القرن السابع، والأَشهر لاحقًا[3]). والنصُّ لا يقول «أُقنومُ الابنِ ظهرَ في الجَسَدِ»؛ وإِنَّما جعلَ اللهَ ذاتَهُ ظاهرًا في جَسَدِ المسيحِ. علمًا أنّ النَّصارى في اضطرابٍ يائسٍ لتفسيرِ أنّ الأقانيمَ متمايزةٌ مع أَنَّ اللهَ واحِدٌ.

الجهه الثانية: إنّ قولَ النَّصارى إنّهم على التَّوحيدِ؛ أي إنّ اللهَ واحِدٌ لا ثانيَ له، يَلْزَمُ منه أن يكون اللهُ هو المسيحُ، وإن كان في الآن نفسِه هو الآبُ وروحُ القُدُسِ. ومصطلح «أُقنوم» -من السّريانيّةِ قنوما ܩܢܘܡܐ- مجرّدُ اختراعٍ كَنَسِيٍّ لا معنى له؛

---

(1) Epiphanius, *Haeres* 62

(2) الأظهر أنّ المقصود بها «العربية البتراء» «Arabia Petraea» في الشام، المتاخمة لشمال الحجاز.

(3) هناك قراءة أخرى أقدم فيها «الذي» مكان «الله». وقد ذهبت عامة الترجمات المتأخرة إلى اعتماد قراءة: «الله».

للجَمْع بين القولِ إنَّ الله واحدٌ وأنّه في الآن نفسه ثلاثُ ذواتٍ. فالقولُ إنّ الله هو المسيحُ ابنُ مريمَ، هو قولُ النَّصارى -من هذا الوجهِ- على اللُّزومِ لا على المطابقة؛ فهو يلزمهم حتى لو قلنا إنّهم لم يَنْطِقوا به.

وقد ذهب المستشرقُ الكاثوليكيُّ الشّهيرُ سيدني غريفث -أشهرُ المتخصّصين في النصرانيّةِ المعاصرةِ لصدرِ الإسلام- إلى أنّ هذه الآيةَ متعلِّقةٌ بعقيدةِ جماهيرِ النَّصارى العربِ عصرَ النبوَّةِ (الملكيّةِ واليعقوبيّةِ والنُّسْطُوريّة).[1] وأنّ القرآنَ لم يُخطئ في هذه التُّهمةِ التي قد تبدو للنَّصارى غيرَ دقيقةٍ؛ لأنّ القرآن مُخْبِرٌ عن واقعِ العقيدةِ النصرانيّةِ؛ ببيانِ ما فيها من خطأٍ، من زاويةٍ نقديّةٍ إسلاميّةٍ، أي من جهة الإلزام.[2]

---

(1) Sidney H. Griffith, *The Bible in Arabic: The Scriptures of the "People of the Book" in the Language of Islam*, New Jersey: Princeton University Press, 2015, p.87.

(2) "The Qur'an's seeming misstatement, rhetorically speaking, should therefore not be thought to be a mistake, but rather a polemically inspired caricature, the purpose of which is to highlight in Islamic terms the absurdity, and therefore the wrongness, of the Christian belief, from an Islamic perspective." Sidney Griffith, 'Al-Nasara in the Qur'an, a hermeneutical reflection', in *New Perspectives on the Qur'an: The Qur'an in its Historical Context 2*, ed. Gabriel Said Reynolds, London: Routledge, 2011, pp.311-312.

اتّخاذ المسيحِ وأمّهُ إلهَيْنِ

الاعتراض:

جاء في القرآن: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ (المائدة/ 116). والقرآن بذلك يُثبت أنّ النَّصارى يعبدون مريم. وهو ما لا يَصِحُّ. والآيةُ القرآنيّةُ بذلك تُوحِي أَنَّ الثّالوث النصرانيَّ هو: الآبُ والمسيحُ (الابنُ) وأُمّه، لا الابن والآب وروح القدس.

الجواب:

الآيةُ تحتمِلُ ثلاثةَ توجيهاتٍ ترفعُ الشُّبهةَ. قال الألوسيُّ في تفسيرِهِ: «واستَشْكَلَتِ الآيةُ بأنّه لا يُعْلَمُ أنَّ أحدًا من النّصارى اتَّخذَ مريمَ -عليها السَّلام- إلَهًا. وأُجيب عنه بأجوبة ثلاثةٍ:

الأوّل: أنّهم لمّا جعلوا عيسى -عليه الصّلاة والسّلام- إلهًا؛ لَزِمَهُمْ أنْ يجعلوا والِدَتَهُ أيضًا كذلك؛ لأنّ الولدَ من جِنسِ من يَلِدُهُ؛ فَذَكَرَ ﴿إِلَٰهَيْنِ﴾ على طريق الإلزام لهم.

والثاني: أنهم لما عظَّمُوها تعظيمَ الإلٰه، أُطْلِقَ عليها اسمُ الإلٰه،كما أُطْلِقَ اسمُ الربِّ على الأحبارِ والرُّهبانِ في قولِهِ تعالى: ﴿اتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ سورة التوبة/ الآية (31) لمّا أنّهم عَظَّمُوهم تعظيمَ الرَّبِّ...

والثالث: أنه يُحتَمَلُ أن يكون فيهم مَنْ قال بذلك. ويَعْضُدُ هذا القولَ ما حكاهُ أبو جعفر الإماميُّ عن بعض النّصارى أنه قد كان فيما مضى قومٌ يقال لهم: المريميَّةُ يعتقدون في مريمَ أنّها إلهٌ. وهذا كما كان في اليهودِ قومٌ يعتقدون أنَّ عُزَيْرًا ابنُ اللهِ عزَّ اسمُهُ».[1]

---

(1) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ، 4/ 62.

والأوجهُ الثّلاثةُ السّابقةُ، لها ما يَدْعَمُها:

الوجه الأوّل حُجَّتُهُ عَقْلِيّةٌ؛ فإنّ ميلادَ المسيحِ باعتباره إلهًا، يقتضي أَنَّ مَنْ حَمَلَتْ به من جِنْسِهِ؛ فالشّيءُ من جِنْسِ أَصْلِهِ.

الوجه الثاني يشهد له اتّهامُ كثيرٍ من النقّادِ والمفكّرين النّصارى الكاثوليك ومَنْ ذَهَبَ مذهَبَهُمْ قديمًا وحديثًا بعبادةِ مريم؛ بصرفِ أَوْجُهُ العبادةِ إليها، كما تُصْرَفُ إلى الإلهِ الحقّ. وهي تُهمةٌ وَجَّهَتْها الكنيسةُ المصريّةُ الأرثودكسيّةُ إلى الكنيسةِ الكاثوليكيّةِ. فقد جاء في «موسوعةِ الخادمِ القِبطيِّ»: «**الكنيسةُ الكاثوليكيّةُ تُؤَلِّهُ العَذْراءَ مَرْيَمَ** وتقولُ إنّها صَعدَتْ حَيَّةً إلى السَّماءِ وتَصْنَعُ لها التَّماثيلَ في كنيستهم، كما يُصَلُّون لِلعَذْراءِ مريمَ، ويعتقدون في الثّالوث المريميِّ والحَبَلِ بلا دَنَسٍ مثل المسيحِ له المجدُ.»[1]

وقال الأنبا غريغوريوس -أحدُ أكبرِ أعلامِ الكنيسةِ المصريّةِ الأرثودكسيّةِ-، في كتابِهِ: «العذراءُ مريم: حياتُها، رُموزُها وأَلقابُها، فضائِلُها، تكريمُها»: «وكما أخطأ الكاثوليكُ فَرَفَعُوها إلى مقامِ الأُلوهيَّةِ والعِصْمةِ كذلك ضَلَّ البروتستانتُ ضلالًا شنيعًا حين احتَقَرُوها...»[2]

وقد اتَّهَمَ البروتستانتُ أيضًا الكاثوليكَ بعبادةِ مريمَ؛ فقد قال القِسُّ صموئيل بندكت في كتابِهِ: «العقائد الكاثوليكيّة في الكتاب المقدس»: «تُصَلِّي الكنيسةُ الكاثوليكيّةُ للهِ، ولكنَّها تُصَلِّي لمريمَ أكثرَ ممَّا للهِ.»[3]

وقال القِسُّ صموئيلُ المشرقيُّ: «وهكذا ظهر في وقتِ الجدالِ مع النَّساطرةِ ولأَجْلِ الردِّ عليهم لَقَبُ «أُمّ اللهِ» لمريمَ. وهذا اللَّقَبُ كان سببًا كبيرًا لإنشاءِ عبادتها وإثباتها؛ فإنَّ كيرلس أُسقُفُ الإسكندريةِ الذي تُوفّي سنة 444م وبروكلس أُسْقُفُ القسطنطينيّةِ الذي تُوفّي سنة 446م هما أَوَّلُ من أَعْطَيَاها عبادةً دينيّةً (كولمان وجه

(1) «موسوعة الخادم القبطي» الجزء الثاني (أ) لاهوت مقارن، ص 89-90 (نقله معاذ عليّان، عبادة مريم في المسيحيّة والظهورات المريميّة، القاهرة: مكتبة النافذة، 2009م، ص 5).

(2) غريغوريوس، العذراء مريم: حياتها، رموزها وألقابها، فضائلها، تكريمها، ص 129 (نقله معاذ عليان، عبادة مريم، ص 7).

(3) نقله معاذ عليان، عبادة مريم في المسيحيّة والظهورات المريميّة، ص11.

440 وسيجل مجلد 2 وجه 319)، وكان أَوَّلُ من حَكَمَ بصحّةِ استخدامِ هذه العبارة المَجْمَع السَّابع العامّ الملتَئِم في القسطنطينيّةِ سنة 692م المسمّى مَجْمَعَ تروللو... **وهكذا بدأَتْ عبادةُ مريمَ بالتّحقيق أثناءَ القرنِ الخامسِ** ولكنَّها لم تُعَمَّمْ وتَمْتَدَّ أكثرَ إلَّا في أواخرِ القرنِ السّابعِ وأَوَّل القرن الثامن».[1]

واعترفَتِ الرَّاهِبةُ ماري آن كولنز بهذه الحقيقةِ في كتابها «عبادةُ مريمَ، دراسةٌ خاصّةٌ بالمُمَارَسَاتِ والمذاهِبِ والعقيدة الكاثوليكيّة» بقولها: «**كمؤمنةٍ كاثوليكيّةٍ**، وبعد ذلك كراهِيةٍ، مارَسْتُ **عبادةَ العَذْراءِ** لأعوامٍ عديدةٍ دون أن أكونَ مُدْرِكَةً لذلك.»[2]

وشَهِدَ المؤرِّخُ أندرو ملر في كتابه «مختصرُ تاريخ الكنيسةِ» أنَّ عبادةَ مريمَ معروفةٌ في الكنيسةِ **في قرونها الأُولى**، بقوله: «نشَأَتْ عبادةُ مريَمَ أَصلًا من الرُّوحِ التَّقَشُّفِيَّةِ التي سادَتْ **في القرنِ الرّابع** ... أصبح من المعتاد أن يُطْلَقَ على العذراءِ مريم اسم والدةِ الإلهِ الأمر الذي تَسَبَّبَتْ عنه المجادَلَةُ النّسطوريّةُ غيرَ أنّه رغمًا عن كلّ مُعارضةٍ انتشرَتِ العِبادةُ المريميَّةُ. وفي القرنِ الخامسِ وُضِعَتْ في جميعِ الكنائسِ تماثيلُ وصورٌ جميلةٌ للعَذْراءِ وهي تحمِلُ بين ذراعَيْها الطِّفلَ يَسُوع. وبهذه الصُّورِ تطَوَّرت الأُمورُ بصورةٍ غريبةٍ؛ حتّى صارت العذراءُ غَرَضًا مُباشِرًا للتعبُّدِ، وأصبحت المريميَّةُ **من ذلك الحين** شهوةَ كنيسةِ اللهِ المتحكِّمةَ فيها.»[3]

ولذلك قال المستشرق دافيد توماس إنّ الآية 116 من سورة المائدة متعلّقة بـ «إنكارِ أَنَّ يسوعَ ومريمَ متساويان مع اللهِ، وهي تحذيرٌ من تقديم ادِّعاءاتٍ مُفرِطةٍ بشأنهما. وبالتالي، يمكن فَهْمُها على أنّها مِثالٌ على التّحذيرِ من تَأْلِيهِ يسوعَ الذي ورد في مكانٍ آخرَ في القرآنِ، ومن تَأْلِيهِ مريمَ في إعلاناتِ المجامِعِ الكَنَسِيَّةِ في القرنِ الخامِسِ بأنّها «Θεοτόκος» «وَالِدَةُ الإلهِ». قد تكون المعارضةُ الشّديدةُ لِنُسْطُورَ (المتوفّى 451)

(1) صموئيل المشرقي، هل تتساوى مريم العذراء بالمسيح، ص25.
(2) نقله معاذ عليان، عبادة مريم في المسيحيّة والظهورات المريميّة، ص20.
(3) أندرو ملر، مختصر تاريخ الكنيسة، ص 292 (عليان، ص12).

وأتباعِه لهذا العنوان [والدة الإله] باعتبارِه غيرَ مُتوافِقٍ مع إنسانيّةِ المسيحِ الكاملةِ، جزءًا من السّياقِ التّاريخيِّ الذي نَشأَ فيه الجَدَلُ في هذه الآيةِ». [1]

والوجه الثالث له مؤيّدون من بعضِ المستشرقين الذين ذهبُوا إلى أَنَّ الخبرَ القرآنيَّ متعلّقٌ بتَأْلِيهِ فرقةِ المريميِّين الهراطقةِ لمريمَ. ومن هؤلاءِ المستشرقُ منتجمري وات.[2] وقد تحدَّثَ إيبيفانيوس في القرنِ الرابع عن نِحْلةٍ هرطقيّةٍ وُجِدَتْ في البلاد العربيّة وغيرها تَعْبُدُ مريمَ، وكانت تُقَدِّمُ الكَعْكَ والخُبْزَ في عباداتها. [3] وكان الكعكُ اسمُهُ «كولّريس» «κολλυρις»؛ ولذلك سُمّي من يَتَّبِعها: «**كولّريون**» «**Collyridians**». [4]

كما ذهب بعضُ المستشرقين والمنصِّرين إلى أنّ الأُمَّ في الآية 116 من سورة المائدة هي الرُّوحُ القُدُسُ لا مريم؛ واستدلُّوا لذلك بنصوصٍ عن الآباء والأبوكريفا، ومنها، قولُ أفراهات -أحدُ أشهرِ الآباءِ السّريان في القرنِ الرّابع- إنّ النّصرانيّ قبل أن يتزوَّجَ، يكون عادة «**يُحِبُّ** اللهَ أَباهُ **والرُّوحَ القُدُسَ أُمَّهُ** ويُعَظِّمْهُما».[5] كما جاء في إنجيلِ العبرانيّين -في نقل أوريجانوس عنه-: «قال المخلِّصُ: تُوجد لحظةٌ، رَفَعَتْنِي فيها **أُمّي الرُّوحُ القُدُسُ** من إحدى شَعراتي ونَقَلَتْنِي إلى جبل طابور.»[6] وعلّقَ أوريجانوس على النصِّ السالف بقوله: «هذا حُجّةٌ في مُعتقَدِهم أَنَّ الرُّوحَ القُدُسَ هو أُمُّ المسيحِ».[7] ويقول إدوارد ماري غاليز: «تَذْكُرُ النُّصوصُ الغُنُوصِيَّةُ المتأخِّرةُ اللاَّحقةُ المكتشفةُ في نجع حمّادي هي أيضًا «ثالوثًا» له طبيعة يهوديّة-غنوصيّة: أَبٌ-أُمٌ-ابْنٌ». [8]

---

(1) David Thomas, "Trinity", Jane Dammen McAuliffe, ed. *Encyclopedia of the Qur'an*, Leiden - Boston: Brill, 2006, 5/370.
(2) W. Montgomery Watt, "Christianity Criticized in the Qur'ān," *The Muslim World* 57.3 (1967), pp. 197-201
(3) *Panarion*, LXXIX
(4) Michael P. Carroll, *The Cult of the Virgin Mary: Psychological Origins*, Princeton University Press, 1992, p. 43.
(5) Jean Baptiste Chabot, et al. *Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium*, 1958, 184/175.
(6) *Comm. John*, Hom. 2.12
(7) Jer. 15.4
(8) Édouard-Marie Gallez, *Le Messie et son Prophète: aux origines de l'islam. Tome II, Du Muhammad des califes au Muhammad de l'histoire*, Versailles: Éditions de Paris, 2010, p.83.

الإيمانُ بصاحبةٍ للإلهِ

الاعتراض:

جاء في القرآن أنّ النصارى يؤمنون أنّ مريمَ زوجةٌ للربِّ؛ إذ يقول: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ (الأنعام/ 101)، وليس ذلك بصحيحٍ؛ فإنّه لا يَصِفُ أحدٌ من أتباع الكنيسةِ مريمَ بهذا الوصفِ.

الجواب:

الحديث القرآنيُّ ليس خاصًّا بتصوير صريحِ اعتقادِ الكنيسة؛ وإنّما ببيان أنّ نسبة الولد للربّ المعبود، تقتضي أنْ تكون هناك ولادةٌ، وأن تكون هناك بالتالي والدةٌ؛ هي صاحبةُ الإلهِ.

وقد أَقَرَّ كُتَّابٌ نصارى عبر تاريخ النصرانيّة وصفَ «الصّاحبة» لمريم -عليها السَّلام-؛ لأنّها وَلَدَت ابنَ الله؛ ومن ذلك قول قِدِّيسِ الكنيسةِ أوغسطين: «Haec est quae sola meruit Mater et Spousa vocari» أي: «كانت مريمُ هي الوحيدةُ التي تَستحِقُّ أَنْ تُدعى والدةَ اللهِ وزوجَتَهُ».[1]

وقال ثيؤدوسيوس أسقف أنقرة: «التحَفَت بالنعمة الألهية كثوب. وامتلأت نفسها بالحكمة الإلهية. في القلب تنعّمت بالزيجة مع الله. وتسلّمت الله فى أحشائها».[2]

ومن صلوات الكاثوليكِ، ما يُعرف بـ«تحيّات إلى مريم». وقد كتبَها قِدِّيسُ الكنيسةِ جون أوديس (1601-1680)، ورَوَّجَ لها الأَبُ بولس المولي (1824-1896). وهي تبدأ هكذا:[3]

(1) Augustine, Sermon 208 (Cited in: Alfonso Maria de' Liguori, *The Glories of Mary*, London, 1852, p.259).

(2) Hymna on Blessed Mary 18:27..

نقله القمص تادرس يعقوب ملطي، القديسة مريم في المفهوم الأرثوذكسي، القاهرة: دار العالم العربي، 1978م

(نسخة إلكترونية: https: / /st-takla.org /books /fr-tadros-malaty /mary-1-orthodox-faith /holiness.html)

(3) Thomas A. Nelson, *Catholic Prayers*, North Carolina: TAN Books, 2006, p.46.

السَّلامُ عليكِ يا مريمُ! إبنةَ الله الآب.	Hail Mary! Daughter of God the Father.
السَّلامُ عليكِ يا مريمُ! أمَّ الله الابن.	Hail Mary! Mother of God the Son!
السَّلامُ عليكِ يا مريمُ! عروسَ الله الروح القدس.	Hail Mary! Spouse of God the Holy Ghost.

ويقول الدّاعيةُ النّصرانيُّ دايف أرمستروتج -في بيان حقيقةِ التصوُّرِ النصرانيِّ لعلاقة مريمَ بالآبِ، وكأنّهُ يشرحُ الآيةَ القرآنيّةَ!-: «إذا سَألْنَا: «من هو والِدُ يسوعَ؟» (من جهةِ أصْلِ الحَبَلِ بِهِ). [نقول:] إنّه ليس يوسف، بل هو الرُّوحُ القُدُسُ بمعنًى ما، واللهُ الآبُ من ناحيةٍ أُخرى. ... وإذنْ، باعتمادِ القِياسِ؛ إذا كان والِدَا يسوعَ هما مريمُ والرُّوحُ القُدُسِ، فإنّه من خلالِ قياسٍ بسيطٍ، تكون مريمُ (بهذا المعنى الخاصِّ، وهذا وحْدَهُ) «زوجةَ اللهِ» تمامًا كما كانت والدةَ اللهِ».[1]

(1) Dave Armstrong , Mary the "Spouse of the Holy Spirit": Blasphemy or Biblical?, Mary the "Spouse of the Holy Spirit": Blasphemy or Biblical? <http://www.setonmagazine.com/latest-articles/mary-the-spouse-of-the-holy-spirit-blasphemy-or-biblical#.V1C4H_oeaPs.twitter>

صورتان عن موقعين إلكترونيين نصرانيين شهيرين

البابا ليو ١٦: العذراء حقا عروس الروح القدس



موقع الفاتيكان
https://www.vatican.va

خطاب البابا ليو الثالث عشر

DIVINUM ILLUD MUNUS
ENCYCLICAL OF POPE LEO XIII
ON THE HOLY SPIRIT

14. And now Our mind and heart turn back to those hopes with which We began, andfc
of which We earnestly pray, and will continue to pray, tothe Holy Ghost. Unite, then, Venerable Brethren, your prayers with Ours, and atyour exhortation let all Christian peoples add their prayers also, invoking thepowerful and ever-acceptable intercession of the Blessed Virgin. You know well the intimate and wonderful relations existing between her and the Holy Ghost, sothat she is justly called His Spouse. The intercession of the Blessed Virgin wasof great avail both in the mystery of the Incarnation and in the coming of theHoly Ghost upon the Apostles. May she continue to strengthen our prayers withher suffrages, that, in the midst of all the

مستغيثين بشفاعة العذراء القديرة والمقبولة دائما
أنت تعلم جيدا العلاقات الحميمة والرائعة القائمة بينها وبين الروح القدس ، حتى يطلق عليها حقا عروسه



COPTIC ORTHODOX CHURCH OF
ARCHANGEL MICHAEL & ST. TEKLA
BRAMPTON - ONTARIO - CANADA

عروس الله ام البشرية

القس [illegible] داود / TUESDAY AUGUST 22ND, 2017 / ARABIC ARTICLES

تحتل القديسة العذراء مريم مكانة كبيرة عند الله وفى ذات الوقت عند البشر بمختلف جنسهم واعمارهم وانتمائهم الدينى. فهى لله عروس وهى للبشر أم

عروس الله

فانه يرى فيه العروس التي معها يحقق الوعد على رأس الحية سيسحقه نسل المرأة العروس ، فهي ليست فقط ام الله التي إستحقت أن تطوب لأنها حملته وأرضعته " طوبى للبطن الذى حملك والثديين اللذين رضعتهما " (لو ١١ : ٢٧) . انما هى التى حرك داود نبيه فبشرنه حيثما قال " جعلت الملكة عن يمينك " (مز ٤٥ : ٩) . وايضا قال " اسمعي يا ابنتي وانظري واميلي اذنك وانسي شعبك وبيت ابيك فيشتهي الملك حسنك لانه هو سيدك فاسجدي له " (مز ٤٥ : ١٠) . وفى سفر نشيد الانشاد يخاطب العروس " ما احسن حبك يا اختي العروس " (نش ٤ : ١٠) وتوجت بالمعنى الجميل " كل مجد ابنة الملك من داخل " (مز ٤٥ : ١٣) .

الميلادُ العُذرِيُّ للمسيحِ

الاعتراض:

حديث القرآن عن ميلادِ المسيح دون أَبٍ، خُرافةٌ جاءت بها النصرانيَّةُ، أَصلُها خرافاتُ الوثنيّين التي تُخْبِرُ عن ميلادِ أبطالِهِمْ من امرأةٍ عَذْراءَ.

الجواب:

مع تسليمنا أَنَّ الكنيسةَ النصرانيّةَ قد تَأَثَّرَتْ بعقائدِ عَصْرِها، كالتَّثليثِ، وتعظيم رمزِ الصَّليبِ الذي يعود إلى الإله الشَّمسِ في الإمبراطوريّةِ الرومانيّةِ؛ إلّا أَنَّ مسائلَ كثيرةً في النصرانيّةِ، نُسِبَتْ إلى العقائدِ الوثنيّةِ القديمة دون دليل، كالقول بتأثيرِ المثرائيّةِ على النّصرانيّة، رغم أنّ كلّ ما نعرفُه عن المثرائيّةِ هو متأخِّرٌ جدًّا، أو المطابقة بين البوذيّةِ والنصرانيّةِ، رغم أنّ المسائلَ المنسوبةَ إلى البوذيّةِ غيرُ موجودةٍ في التراثِ البوذيِّ القديم..

ومن المسائلِ التي لا يَصِحُّ فيها أثرُ الحضارات الوثنيّةِ القديمةِ على النصرانيّةِ، دعوى أنَّ النصرانيَّةَ قد اقْتَبَسَتْ عقيدةَ ميلادِ المسيحِ من عَذْراءَ لم يَمَسَّها رَجُلٌ. وقد ردَّ النّاقِدُ بارت إيرمان على هذه الدَّعوى، رغم أنّه من أشهرِ **خُصوم النصرانيّة**؛ فقال: «إنَّ أَوْجُهَ التَّشابُهِ المزعومةِ بين قَصَصِ يسوعَ وقصصِ الآلهةِ الوثنيّةِ أو البَشَرِ الإلهيِّين divine men **ليست مُتقاربةً في الواقع**. عندما قال المسيحيون إنَّ يسوعَ وُلِدَ من عَذْراءَ، على سبيل المثالِ، كانوا يقصدون أَنَّ والِدَةَ يسوعَ لم تمارِسِ الجِنْسَ مُطْلَقًا. في معظم الأحيانِ المتعلّقةِ بِبَشَرٍ إلهيٍّ، كان الأَبُ إلهًا والأُمُّ بَشَرًا، وكان للجِنْسِ مكانٌ في العلاقة بالتأكيد. فالطِّفْلُ حرفيًّا له جزءٌ بَشَرِيٌّ وآخَرُ إلهيٌّ. والمرأةُ الفانيةُ ليست عَذْراءَ؛ لقد مارَسَتِ الجِنْسَ الإلهيَّ».[1]

كما استبعد ريموند براون في كتابهِ الشّهيرِ «ميلاد المسيح» دعوى الأَثَرِ الوثنيِّ في الميلاد العُذْرِيِّ المسيحيِّ، من الوجهِ الذي ذكره إيرمان نفسُه تقريبًا؛ فمسيحُ الكنيسةِ

(1) Bart Ehrman, *Did Jesus Exist?*, New York: HarperOne, 2013, p,214.

لم يولَدْ عن جِماعٍ بين إلهٍ وامرأةٍ من البَشَرِ، وإنّما حَمَلَتْ به أُمُّهُ من «القوّة الخلّاقةِ للرُّوحِ القُدُسِ». وأَضافَ براون قائلًا: «باختصارٍ، لا يوجدُ مِثالٌ لميلادٍ عُذْرِيٍّ في العالم أو الأديانِ الوثنيّةِ من الممكن أن يكون قد قدَّم للمسيحيّين اليهود في القرن الأوَّلِ فكرةَ الميلادِ العُذْرِيِّ لِيسوعَ».[1]

(1) Raymond Brown, *The Birth of the Messiah*, Garden City, N.Y.: Doubleday, 1933, p. 523

إنجيل المسيح

الاعتراض:

جاء في القرآن: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٦﴾ (المائدة/ 46). ونسبةُ إنجيلٍ إلى المسيحِ، أَمْرٌ لا تَدَّعِيهِ الكنيسةُ؛ فأَنَاجِيْلُها لم تَنْزِلْ على المسيحِ، وإنّما كُتِبَتْ بعد رَفْعِهِ، كما أنّنا لا نجدُ ذِكْرًا في التَّاريخِ لإنجيلٍ كَتَبَهُ المسيحُ.

الجواب:

تقوم هذه الشُّبهة على أَمْرَيْنِ:

- كلمة «إنجيل» هي الاسمُ الرسميُّ لما كُتِبَ بعد المسيحِ؛ فلا يَصِحُّ إطلاقُها على شيءٍ آخَرَ.
- امتناعُ أَنْ توجدَ وثيقةٌ من الممكن أَنْ تَجْمَعَ مضمونَ ما أَخْبَرَ به المسيحُ قومَهُ من الوَحْيِ، دون أن نجدَ لها ذِكْرًا في العهدِ الجديدِ.

وجوابُنا من أَوْجُهٍ:

أَوّلًا: الكتبُ الأربعةُ للكنيسةِ (إنجيلُ متّى، وإنجيلُ مرقسَ، وإنجيلُ لوقا، وإنجيلُ يوحنا) ليست أَنَاجِيلَ بالمعنى الدَّقيقِ للكلمةِ، فمن الخطأ أن يُقال: «إنجيلُ متّى» -إذا طَلَبْنا الدِّقَّةَ، ورَضِيْنا مخالفةَ ما صار عُرْفًا اليومَ-؛ إذ الاسمُ في اليونانيَّةِ هو «Κατά Ματθαίον Ευαγγέλιον» أي: «الإنجيلُ طِبْقَ متّى». وكذلك الأمرُ في شأنِ بقيَّةِ الأناجيلِ: «الإنجيل طبق مرقسَ»، «الإنجيل طبق لوقا»؛ أي «البِشارةُ» طبق روايةِ فلانٍ؛ فنحن هنا لسنا إزاءَ «البشارةِ/ الإنجيلِ» نفسِه، وإنّما هي روايةٌ للبشارةِ/ الإنجيلِ.

لقد كانت الأجيالُ الأُولى تَكْتُبُ قِصَّةَ المسيحِ كونها «بِشارةً». وسبب ذيوعِ اصطلاحِ «أونجليون» تعبيرًا عن رسالةِ المسيحِ أنّ كتابَهُ -عليه السَّلام- كان يحمِلُ هذا

الاسمَ؛ لأنّ جَوْهَرَهُ بِشارةٌ بالخَيْرِ القادِمِ، كما أَنَّ كتاب موسى -عليه السَّلام- قد سُمِّيَ «توراةً» «תּוֹרָה»، مِنْ فِعْلِ «يارا» «ירה» الذي يعني في وزن «הפעיל» العِبريِّ: عَلَّم؛ لأنَّ أَبْرَزَ صِفةٍ في هذا الكتاب تعليمُ بني إسرائيلَ شريعةً جديدةً كاملةَ التَّفاصيلِ، سَيَتَّبِعُها لاحقًا كُلُّ أنبياءِ بني إسرائيلَ. وفي المصادرِ اليهوديّةِ والحاخاميّةِ المبكرةِ استُعْمِلَ فِعْلُ «بسر» «בשׂר» و«بسورا» «בְּשׂוֹרָה» بمعنى الإعلانِ والرِّسالةِ. وقد استُعْمِلَتْ عبارةُ «بسورا» في التّرجُومات الأقدمِ والمتأخِّرةِ في وصفِ رسالةِ الأنبياءِ.[1] فما جاء به المسيحُ، «بسورا»؛ أي رسالةٌ نبويَّةٌ وبشارةُ خَيْرٍ.

وقد كانت رسالةُ المسيحِ -من بين رسالات الأنبياءِ- بشارةً بأَمْرَيْنِ، الأَوَّل، تخفيفُ أحكامِ التوراةِ؛ فقد قال المسيحُ -عليه السَّلام- لقومه: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ (آل عمران/ 50). والثّاني، الإخبار عن «مَلَكُوت اللهِ» «βασιλεία τοῦ θεοῦ» القريبِ ظهوره كما هو مُتكَرِّرٌ في الأناجيلِ، ومنه ما جاء في متّى 4/ 17: «مِنْ ذلِكَ الزَّمَانِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَكْرِزُ وَيَقُولُ: «تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ». والملكوتُ، كما بَيَّنَهُ من كَتَبُوا في البِشاراتِ بنبيِّ الإِسلامِ -ﷺ- في الكِتابِ المقدَّسِ من المسلمين، دولةُ المؤمنين آخِرَ الزَّمانِ.[2] ومن ضِمْنِ خَبَرِ دولة الملكوتِ، الإخبارُ عن صاحِبِها، نبيِّ آخرِ الزَّمانِ. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦﴾ (الصف/ 6). وكلمةُ «مُبَشِّرًا» في الآيةِ، دالَّةٌ على حقيقةِ الإنجيلِ.[3]

ثانيًا: لا يُمَثِّلُ التُّراثُ الذي حَفِظَتْهُ لنا الكنيسةُ المنتصِرةُ في مَجْمَعِ نيقية سوى قراءةٍ مَذْهَبِيَّةٍ للمسيحِ ورسالتِهِ؛ ولذلك فليس من الصَّوابِ الاكتفاءُ بموروثها لمعرفةِ حقيقةِ النصرانيَّةِ. وقد اتَّفَقَ النقَّادُ على قراءةِ هذا التُّراثِ قراءةً نقديَّةً انتقائيَّةً في بحثهم

(1) Peter Stuhlmacher, art. "Gospel", E.Fahlbusch & G. W. Bromiley, *The Encyclopedia of Christianity,* Grand Rapids, Mich.; Leiden, Netherlands: Wm. B. Eerdmans, 2/446.

(2) Voir David Benjamin Keldani, *Muhammad in the Bible*, Dammam: Esbah, 2012, pp.111-119.

(3) انظر في دلالة السياق القرآني على معاني الأسماء التي قيل إن أصلها أعجمي: رؤوف أبو سعدة، من إعجاز القرآن: العلم الأعجمي في القرآن مفسرا بالقرآن، القاهرة: دار الهلال، 1994.

عن الصُّورة الأُولى التاريخيَّةِ للمسيحِ -عليه السَّلام-، ضمن ما يُعرف «بالبحث عن يسوعَ التاريخيِّ» «The Quest for the historical Jesus». وهو بابٌ من النَّظَرِ واسِعٌ، كُتِبَتْ فيه مُطَوَّلاتٌ.

ولا سبيل للجزم أَنَّ التُّراثَ النّيقويَّ و«الهرطَقِيِّ» قد حوى كُلَّ خَبَرِ المسيحِ -عليه السَّلام-؛ فإنّ أمر النَّقْصَ والغَلَطَ ثابِتٌ في هذين التُّراثَيْنِ. فأَمَّا النَّقْصُ فيظهرُ مثلًا في الأَناجيلِ الرسميّةِ في خَبَرِ المسيحِ قبل أن يبلُغَ الثّلاثينَ؛ إذْ لا تُخْبِرُ الأَناجيلُ الرسميّةُ عن تلك السِّنينِ إلَّا القليلَ، كما أَنَّ الأقوالَ المنسوبةَ في هذه الأناجيل إلى المسيح قليلةٌ، ولا تتناولُ تفصيلَ أصولِ العقيدةِ، أو تُهمِلها كُلِّيَّةً؛ ولذلك فالموقِفُ الكَنَسِيُّ العَقَدِيُّ والتَّشريعيُّ يعتمد أساسًا على بولسَ لا المسيح، لوضوحِ عامّةِ كلامِ بولسَ في عددٍ مُهِمٍّ من هذه المسائلِ، ولأنّ كلماتِ بولسَ في العهدِ الجديدِ تفوق كلمات المسيحِ كثرةً. وأمّا التُّراثُ الأبوكريفيُّ؛ فعامَّتُهُ مُتأَخِّرٌ، ومُضطربٌ، ومُبْهَمُ الدّلالةِ، ومُتَأَثِّرٌ بعقائدِ العَصْرِ.

ثالثًا: معرفَتُنا المباشرةُ بالنُّصوصِ الدينيّةِ المبكِّرةِ التي لها علاقةٌ بالمسيحِ، ضعيفةٌ جدًّا، ولا أَدَلَّ على ذلك من قولِ مُؤَلِّفِ إنجيلِ لوقا في افتتاحِ إنجيلِهِ أَنَّ سِيَرًا للمسيحِ قد كُتِبَتْ قبلَ كتابَتِهِ هو سيرةً لِلْمسيحِ: «إِذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيفِ قِصَّةٍ فِي الأُمُورِ الْمُتَيَقَّنَةِ عِنْدَنَا، كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّامًا لِلْكَلِمَةِ، رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ تَتَبَّعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الأَوَّلِ بِتَدْقِيق، أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ، لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلاَمِ الَّذِي عُلِّمْتَ بِهِ.» (لوقا 1/ 1-4). **ونحن لا نعرف من هذه السِّيَرِ الكثيرة اليومَ سوى إنجيلِ مرقس**، وربّما أيضًا إنجيل متّى إنْ كان قد كُتِبَ قبلَ إنجيلِ لوقا. وهذا دليلٌ قاطِعٌ على ضياعِ كُتُبٍ كثيرةٍ أَرَّخَتْ سيرةَ المسيحِ، لا نعرف اليومَ اسْمَهَا فَضْلًا عن مضمونها، رغم أنّه يبدو أَنَّها كانت واسعةَ الانتشارِ بين المنسوبيْنَ إلى دعوةِ المسيحِ قبل العقدِ الثّامنِ من القرنِ الأَوَّلِ.

رابعًا: غيابُ ذِكْرِ وثيقةٍ سابقةٍ للأناجيلِ، تَحفَظُ ما أُوحِيَ إلى المسيحِ، دون أَنْ يَرِدَ ذِكْرُها في العهدِ الجديدِ، ليس حُجّةً عند النّقّادِ المتخصِّصين في خَبَرِ المسيحِ في

الغرب لإنكار وُجُودها؛ فإنَّ جمهورَ هؤلاء النقّاد يؤمنون اليومَ بوجودِ وثيقةٍ تُمَثِّلُ أَقْدمَ نَصٍّ لرسالةِ المَسيحِ، اتَّفَقُوا على تسمِيَتِها: «Quelle»؛ أي «مصدر» بالألمانيَّةِ، ويُرْمَزُ إليها بالحرفِ «Q». وهي مكتوبةٌ باليونانيَّةِ، وقد اعتمد عليها كلٌّ من مُؤلِّفِ إنجيلِ متّى ومُؤلِّفِ إنجيلِ لوقا. وقد افترضَ النقَّادُ وجودَ هذه الوثيقةِ بسبب وجودِ مادّةٍ مشترَكةٍ بين متّى ولوقا لا وجود لها في إنجيلِ مرقس، **رغم أنّه لا يوجد أيّ ذِكْرٍ لهذه الوثيقةِ في التّاريخِ، ولا يوجدُ أثَرٌ ماديٌّ لها اليومَ.**[1]

وقد عرّف الناقدُ الشهير جون س. كلوبنبورج John S. Kloppenborg «Quelle»، بقوله: «Q ليست برديّةً غامضة ولا مخطوطةً على جِلْدٍ من أكوامِ المخطوطاتِ غيرِ المفهرسةِ في مكتبةٍ أوروبيّةٍ قديمةٍ. إنّها وثيقةٌ يجب أن نفترض وجودَها حتى نفهمَ السِّماتِ الأُخرى للأناجيلِ. [...] لم يخترع العلماءُ Q بدافعِ افْتِتَانهم بوثائقَ غامضةٍ أو مفقودةٍ. افْتُرِضَ وجودُ Q لضرورةٍ منطقيّةٍ».[2]

وقد سمّى بعضُ النقّاد هذا «المصدرَ» باسم «الإنجيلِ المجهولِ»،[3] وإنْ كان لا أحدَ يَنْسبُهُ إلى المسيحِ، وإنّما هو أقربُ تراثٍ إلى المسيحِ من الممكن تركيبُهُ. وهو يَضُمُّ أقوالَ المسيح حصرًا. وعامّةُ من ردَّ من النقّادِ تاريخيَّةَ هذه الوثيقةِ، لم يفعلْ ذلك لامتناعِ وجودِها تاريخيًّا، وإنَّما لاعتباراتٍ أُخرى.

خامسًا: ظهرت أكثرُ من نظرية -بالإضافة إلى «Quelle»- في شأن وجودِ وثيقةٍ أُولى فيها أقوالُ المسيح، ذكرَ الكثيرَ منها توماس هورن في كتابِهِ: «مدخل للنقد النصيِّ للعهد الجديدِ».[4] وظهرتْ بعد هورن نظرياتٌ مختلفة تُقرِّرُ أيضًا وجود وثيقةٍ أُولى مكتوبةٍ لا نعرف عنها من التاريخ الماديِّ شيئًا، وكان لو كليرك Le Clerk وكوب Koppe أوّلَ المدافعين عن هذه الرؤية في حلّ مشكلةِ علاقة الأناجيلِ الثلاثِ الأُولى

(1) Andreas Dettwiler, Daniel Marguerat, *La Source des Paroles de Jésus (Q): aux origines du christianisme*, Labor et Fides, 2008

(2) John S. Kloppenborg, *Q, the Earliest Gospel, an Introduction to the Original Stories and Sayings of Jesus*, Louisville, London: Westminster John Knox Press. 2008, p.4

(3) Frédéric Amsler, *L'Évangile Inconnu: la source des paroles de Jésus (Q)*, Labor et Fides, 2006

(4) Thomas Hartwell Horne, *An Introduction to the textual Criticism of the New Testament*, London: Longman, 1856, pp.645-649.

بعضها ببعض، أو ما يُعرف اصطلاحًا «بالمشكلة السينوبتية» «synoptic problem».

وسأكتفي هنا ببعض النظريّاتِ:

- اقترحَ غوتهولد لسينج Gotthold Lessing سنة 1778 قيام الأناجيل الثلاثة الأُولى على إنجيلٍ أَبْكَرَ آراميٍّ كُتِبَ سنة 35م. [1]
- طوَّرَ الناقدُ الكتابيُّ الألمانيُّ ج.غ. إكهورن J. G. Eichhorn نظريّةَ لسينج، مفترضًا وجود نصٍّ مختصرٍ فيه سيرةُ المسيح، كانَ مصدرًا لأناجيلِ الكنيسةِ الأُولى. [2]
- اقترح سملر Semler سنة 1783 وجود وثيقةٍ أو وثائقَ أُولى عبريّةٍ أو سريانيّةٍ قَدَّمَتْ أَصلَ مادّةِ الأناجيلِ الثّلاثةِ الأُولى. [3]
- عرضَ الأُسقفُ هربرت مارش Herbert Marsh النظرياتِ المعروفةَ في عصرِهِ حول أَصْلِ الأناجيلِ الرسميّةِ، وردَّها كُلَّها، ثم اقترح وجودَ وثيقةٍ عبريّةٍ أُولى، رَمَزَ إليها بحرفِ الأَلِفِ العبريِّ א. ورأى أنّ متّى استفاد منها في أَصْلِها العِبريِّ، وأمّا مرقسُ ولوقا فقد استفادا من الأصل العِبريّ وترجمةٍ يونانيّةٍ له. [4]
- ذهب غراتز Gratz إلى أنّه وُجِدَ في بداية الأمرِ إنجيلٌ كِلدانيٌّ استعمَلَهُ الدُّعاةُ إلى النصرانيّةِ في فلسطين. [5]
- تُقَرِّرُ فرضيّةُ مدرسةِ القدس Jerusalem school hypothesis التي دافع عنها روبرت لندسي Robert Lindsey -أحدُ مُؤسِّسي «Jerusalem School of Synoptic Research»- أَسْبَقِيَّةَ إنجيلِ لوقا، وأنّه كانت هناك سيرةٌ للمسيحِ باللغة العِبريّةِ، تُرجِمَتْ لاحقًا إلى اليونانيّةِ. [6]

---

(1) Karl Gotthelf Lessing, ed. *Gotthold Ephraim Lessings Theologischer Nachlass, Christian Friedrich Voß und Sohn*, Berlin 1784, pp 45-73.

(2) See Andrews Norton, *The Evidences of the Genuineness of the Gospels*, Boston: J. B. Russell, 1837, 1/9

(3) Thomas Hartwell Horne, *An Introduction to the Textual Criticism*, p.646.

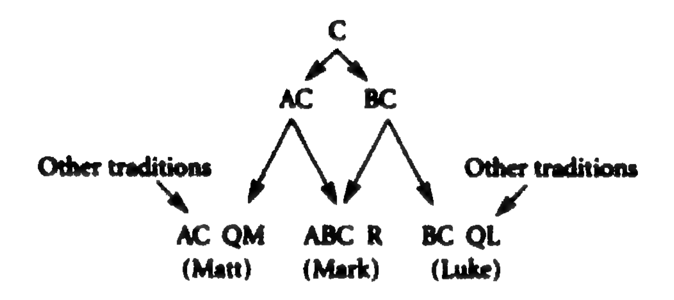
(4) Herbert Marsh, *An Illustration of the Hypothesis proposed in the Dissertation on the Origin and Composition of our Three First Canonical Gospels*, F & C Rivington, London; J. Deighton, Cambridge, 1803

(5) Peter Alois Gratz, *Neuer Versuch die Entstehung der drei ersten Evangelien zu erklären*, Tübingen: L.F. Fues., 1812.

(6) See Robert Lindsey, "A Modified Two-Document Theory of the Synoptic Dependence and Interdependence," in *Novum Testamentum* 6 (1963), pp.239-63.

• أقام القِسّيسُ والمفسّرُ الفرنسيُّ فيليب رولون Philippe Rolland نظريَّتَهُ في أصلِ أناجيلِ الكنيسة على أربعةِ مصادرَ، منها إنجيلٌ مبكِّرٌ سامِيُّ اللُّغةِ، والمصدرِ Q.[1]

نظرية رولون والإنجيل الأوّلي (C)



• اقترح اللّاهوتيُّ والنّاقِدُ الكتابيُّ المعروفُ بيير بِنوا Pierre Benoit وجود أصلٍ آراميٍّ فيه أقوالُ المسيحِ، وروايةٌ آراميّةٌ مُبكِّرةٌ لإنجيل متّى.[2]

ولم يَستنكِر -في العالمِ العربي- القِسُّ حبيب سعيد، نظرية الوثيقة المبكّرةِ المندثرةِ؛ فقال: «وما مِنْ شَكٍّ أنه كانت هناك مجموعةٌ شفويّةٌ أو مكتوبةٌ لأقوالِ يسوعَ المعلّم الأكبرِ. وحسبَ العُرْفِ الذي ساد ذلك العصر، ربما جَمَعَ تلاميذُ المسيح هذه الأقوالَ واستظهروها وردَّدُوها، وهم يجوبون طُرُقاتِ الجليلِ واليهوديّةِ. ولسنا نعرف متى كُتِبَتْ هذه المجموعةُ الشفويّةُ، ولكن بابياس يقول: وَضَعَ متّى هذه الأقوالَ في اللُّغةِ العِبريّةِ، وتَرْجَمَها عنه المترجمون إلى اللُّغاتِ الأُخرى. ولا شك أنّ هذه كانت المصادرَ التي أَخَذَ عنها متّى ولوقا، وهي تُعَلِّلُ هذا التَّشابُهَ بين المتي آيةٍ».[3]

---

(1) See Philippe Roland, *Les Premiers Évangiles, Un Nouveau Regard sur le Problème Synoptique*, Paris: Éditions du Cerf, 1984

(2) See P. Benoit, "Les Évangiles Synoptiques," in La Bible de Jérusalem, Paris, pp.1407-413.

(3) حبيب سعيد، المدخل إلى الكتاب المقدس، القاهرة: دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، ص260.

سادسًا: لا يَبْعُدُ أن يكون إنجيلُ المسيحِ مجموعةَ أحكامٍ ومواعظَ قليلة الكلمات؛ فيه الأَمرُ باتِّباعِ التَّوراةِ وتخفيفُ أحكامِها والبِشارةُ بنبيِّ الإسلامِ -ﷺ- وبعضُ المواعظِ؛ فذاكَ جوهرُ ما جاء به المسيحُ في الخَبَرِ القُرآنيِّ.

ولا يُشتَرَطُ للإنجيلِ الموحى به إلى المسيح أن يحفظه تلاميذُه كلّه[1] كتابةً؛ فقد كان للتّداولِ الشَّفهيِّ السّلطانُ الأعلى في حِفظِ خَبَرِ المسيح ورسالَتِهِ في القرنِ الأَوَّلِ؛ حتّى قال الأبُ بولس إلياس اليسوعيّ: «لا مُشاحَّةَ في أنّ الإنجيل[2] انتشر أوّلًا شِفاهًا، ثم كُتِبَ بعد سنين».[3] وهو ما أَكّدَهُ الدِّفاعيُّ النصرانيُّ الشهير دانيال والس، بقوله: «من الممتنع كُليّةً الدِّفاعُ عن أنّ الأناجيلَ الثلاثة كانت مستقلّةً تمامًا بعضها عن بعض. في أدنى الأحوال، لا بُدَّ أَنّها اشتركت في تُراثٍ شَفَهِيٍّ مُشتَرَكٍ.»[4]

وحِفظُ إنجيلِ المسيحِ كتابةً؛ لا يلزم منه تداوُلُ نُسَخِهِ على مدى أجيالٍ؛ لِقِلَّةِ أَتْباعِ المسيحِ في حياتِهِ، وشيوعِ الأُمِّيَّةِ بينهم، وظهور الانقسامِ والانحرافِ بين المنسوبين إلى المسيح في وقتٍ مُبَكّرٍ بعد رَفْعِهِ باعترافِ النقّادِ. كما أنّ الأحداثَ التراجيديّةَ في قصّةِ المسيحِ قبل مغادرةِ عالَمِنا (التفتيش عنه، ومحاولة صَلْبِه، وارتفاعه إلى السماء) سببٌ لإِضْعافِ سَعْيِ مَنْ أَرادَ حِفْظَ موروثِ المسيحِ بعنايةٍ.

---

(1) المتبادر من قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (الأعراف/ 175) أنّ خبر البشارة بالرسول ﷺ قد كان مكتوبًا زمن الحواريين. والآية لا تمنع أن يكون هذا الخبر وحده أو بعض نصوص الوحي الإنجيلي قد كُتبت زمن المسيح، دون الإنجيل الشفهي كلّه، خاصة أنّه من عادة يهود القرن الأول نسخ بعض أسفار التناخ أو بعض نصوصه، دون الكل.

(2) يقصد بذلك رسالة المسيح لا الكتاب الذي أوحي إليه.

(3) بولس إلياس، يسوع المسيح، شخصيته- تعاليمه، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1963، ط2، ص 14.

(4) Daniel B. Wallace, The Synoptic Problem
<http://bible.org/article/synoptic-problem>

الباب الثاني:

أسماء وشخصيات

جاء الخبر القرآني في شأن شخصياتِ قصصه، بين تصريح بأسماء فريق منها، وترك التصريح بالأسماء الأخرى. فأمّا التصريح؛ فسببه حاجة السامعين إلى معرفة الإطار التاريخي للقصّة، وارتباط الحكمة من الخبر بأعيان أبطالها، وإظهار إعجاز القرآن في سرد القصص التي جاء خبرها في أسفار أهل الكتاب؛ إذ تُخبر الآيات عن تفاصيل لا يعرفها إلّا علماء أهل الكتاب، وتصحّح أخطاء وردت في تلك الأسفار. وأمّا غياب التصريح بأسماء شخصياتٍ في قصص القرآن (كابن نوح عليه السلام، وزوجة العزيز، وزوجة فرعون، وأخت موسى عليه السلام...)؛ فلأنّ الخبر التاريخي في القرآن لم ينزل لإشباع نهمة محبّي تتبّع التفاصيل لمحض الإمتاع؛ وإنّما الغاية منه دلالة السامعين إلى الحقّ، بالتزام التوحيد، ونبذ الشرك والتنديد؛ فلا إله يُعبد بحقّ إلّا الله سبحانه، ولا ندّ للخالق جلّ وعلا.

وتُعَدُّ الاعتراضاتُ التّاريخيّةُ المتعلّقةُ بأسماء الأنبياء أو الشخصيّاتِ الواردة في القصص القرآنيِّ أو الفِرَقِ الدّائِرةِ، أَهَمَّ المعارضات التاريخيّةِ في خطابات الأَوَّلِين والآخِرين، وهي مُتكرِّرةٌ بكثافةٍ في الخطاب الإلحاديِّ المعاصِرِ. وكثيرًا ما تُساق بعبارةٍ مختصَرَةٍ، ووُثُوقيّةٍ صَلفةٍ، دون تفصيلٍ، ولا مناقشةٍ للرُّدُودِ. وغايةُ مَنْ يَعْرِضُها أن يُحْدِثَ صَدْمةً للسَّامعِ؛ تَهْدِمُ قَناعَتَهُ بِرَبَّانِيّةِ القرآنِ، قبل أن يستردَّ وَعْيَهُ؛ لِيَبْحثَ ويُراجِعَ ويَنْقُدَ، خاصة أنّ الأمر يقتضي فهم المساحات الدلاليّة الممكنة للآيات، ومراجعة أخبار السالفين في مظانها، وتتبّع الأسماء -أحيانًا- في اللغات القديمة.

ولأنّ السَّامع المستهدَف من الشبهة، قد يكون بعيدًا عن الثّقافةِ التاريخيةِ والدينيّةِ المطلوبةِ لمعرفة حظِّ هذه الدَّعاوى من الصَّوابِ؛ فمن حَقّه -لذلك- أن يسمعَ الجوابَ الكاشِفَ لما في هذه الاعتراضات من سُوءِ قراءةٍ للقرآنِ، أو غَفْلةٍ عن حقائقِ التّاريخِ. وللوفاء بذلك تمَّ جَمْعُ كُلِّ ما شاع من شُبهاتٍ تاريخيّةٍ في أمرِ الأسماءِ والشخصيّاتِ والفِرَقِ في الخِطابَيْنِ الاستشراقيِّ والتنصيريِّ منذ قرونٍ وإلى اليوم؛ لنفتح لها بابَ إعلانِ المعارضةِ، ولنكتشفَ طرائقَ الردّ عليها، بعيدًا عن الإجمالِ

المُخِلِّ، والعَجَلةِ المتهوّرةِ؛ فإنّ باب بحث الأسماء والشخصيات والفِرق في القرآن، يحتاج في عامّةِ أَمْرِهِ النَّظرَ في أبوابٍ معرفيّةٍ مختلِفةٍ؛ لِفهمِ الخطابِ القرآنيِّ، ومعرفةِ شَطَطِ المعارضين.

أراراط أم الجودي؟

الاعتراض:

جاء في القرآن خَبَرُ رُسُوِّ سفينةِ نوح بعد الطُّوفانِ على جَبَلِ الجُودِيِّ: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ (هود/ 44). وما في الآية مخالِفٌ لِلحقِّ من ثلاثة أَوْجُهٍ:

الوجه الأَوَّلُ: ذلك يُخالِفُ التَّوراة التي ذَكَرَتْ أَنَّ السّفينةَ قد رَسَتْ على جبلِ أَراراط: «وَاسْتَقَرَّ الْفُلْكُ فِي الشَّهْرِ السَّابعِ، فِي الْيَوْمِ السَّابعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ، عَلَى جِبَالِ أَرَارَاطَ.» (تكوين 8/ 4). وقد كشفَ البحثُ في جبل أراراط مُؤخَّرًا عن هذه السّفينةِ، وخَبَرُها مُنْتَشِرٌ في وسائلِ التَّواصُلِ الاجتماعيِّ.

الوجه الثاني: لم يكشِفِ البحثُ التّاريخيُّ شيئًا عن سفينةِ نُوحٍ على جبل الجُودِيِّ.

الوجه الثّالثُ: نَقَلَ القرآنُ عن الترجمةِ السّريانيّةِ للتّوراة اسم الجوديِّ كما بيَّنَهُ الباحِثُ ألفونس منغنا.

الجواب:

أَوَّلًا: التَّوراةُ ليست حُجّةً قاطعةً في باب البحث التّاريخيِّ. ولا حرجَ في مُخالَفَتِها في قصصِ المتقدِّمين.

ثانيًا: الاتّفاقُ حاصِلٌ بين الجماعة العِلْميّةِ أنّ قصّةَ الطُّوفانِ التوراتيّةَ مُتأثِّرةٌ بقصّةِ الطُّوفانِ البابِليّةِ؛ فرغم اشتراكهما في نقلِ القصّة نفسِها، إلّا أنّ تَأَخُّرَ تدوين التّوراة الحاليّةِ؛ فتح باب تشرُّبِ ثقافةِ البابليِّين أثناء السَّبْيِ البابِليِّ.[1]

ثالثًا: لم يُثْبِتِ البحثُ الأركيولوجيُّ شيئًا عن العثور على سفينةٍ على جبلِ أراراطَ. وكُلُّ ما يَتِمُّ تناقُلُهُ لا يعدو أن يكون دَعاوى بعضِ هُواةِ النَّصارى المتعصّبين للنصرانيّةِ؛ ولذلك لا أَثَرَ لهذه «الاكتشافات» في الكتابات العِلْميَّةِ الأكاديميّة، سواءٌ

(1) انظر سامي عامري، العلم وحقائقه: بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل، الكويت: مركز رواسخ، 2019، ص 113-117.

المتعلّقةُ بالبحثِ الأركيولوجيِّ أو التفاسير النقديّةِ الجادّةِ للكتابِ المقدَّسِ. ودعوى العثورِ على بقايا السّفينةِ، قديمةٌ ولا تنتهي؛ إذ نَجِدُها عند يوسيفوس (ت 100م)،[1] وثاوفيلوس الأنطاكيّ (ت 185م)،[2] وإبيفانيوس (ت 403م).[3] ومن أَوْجُهِ كَذِبِ ما تَدَّعِيهِ المواقعُ الإلكترونيّة اليومَ، اختلافُ المواضِعِ التي قيل إنّ هذه السّفينة قد وُجِدَتْ فيها.

ولم يُقدِّمْ أحدٌ إلى اليوم حُجّةً علميّةً على كشفٍ لسفينةِ نوح -عليه السَّلام- على جبل أراراط؛ ولذلك قال لاري إسكريدج عن شواهدِ القصصِ المختلفةِ للعثور على السّفينةِ على جبال أراراط، إنّها قائمةٌ على «قصص شهودِ عيانٍ غَامِضِين، وحكاياتٍ عن صُورٍ غامضةٍ مفقودةٍ، وشائعاتٍ عن مؤامرةٍ إلحاديّةٍ، وقِطَعٍ مِنْ «فُلك خَشَبِيٍّ» مَشْكُوكٍ فيه».[4]

رابعًا: لا يُعرف مكانُ «الجوديّ» على سبيلِ الجزمِ؛ فقد اخْتَلَفَ فيه السَّلَفُ. قال الطَّبريُّ: «وهو جبلٌ، فيما ذُكِرَ بناحيةِ الموصلِ أو الجزيرةِ».[5] وقال ابنُ كثيرٍ: «قال مجاهد: وهو جبَلٌ بالجزيرةِ... وقال الضّحّاكُ: الجوديُّ، جَبَلٌ بالموصل. وقال بعضهم: هو الطُّوْرُ».[6]

خامسًا: جاء في ترجمة الكتابِ المقدَّسِ السريانيّ البشيطا أنّ فُلْكَ نُوحٍ قد استقرَّ على جبالِ قردو لا جبال أراراط كما في الأصل العِبريّ:

التوراة العِبريّة	البشيطا السريانية
וַתָּנַח הַתֵּבָה בַּחֹדֶשׁ הַשְּׁבִיעִי בְּשִׁבְעָה־עָשָׂר יוֹם לַחֹדֶשׁ עַל הָרֵי אֲרָרָט	ܘܐܬܬܢܝܚܬ ܩܒܘܬܐ ܒܝܪܚܐ ܫܒܝܥܝܐ ܒܫܒܥܣܪܐ ܒܗ ܒܝܪܚܐ ܥܠ ܛܘܪ̈ܝ ܩܪܕܘ

(1) *Antiquities of the Jews*, XX, ii, 2
(2) *Ad Autolycum*, 3. 19
(3) *Panarion*, I, i, 18
(4) Larry Eskridge, "A Sign for an Unbelieving Age: Evangelicals and the Search for Noah's Ark", in Livingstone, *et al*. eds. *Evangelicals and Science in Historical Perspective*. Oxford UP, 1999, p. 244
(5) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 12/ 419.
(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، 1420 هـ / 1999م، 4/ 323-324.

واسم «ܩܪܕܘ» «قردو» بعيدٌ بلا شكّ عن اسم «الجوديّ»؛ فإنّ الاسمَيْنِ لا يشتركان إلّا في حرفِ الدّالِ، ولا يشتركان في شيءٍ في الحَرَكات. وقد أدركَ منغنا ذلك؛ فزعم أنّ نبيّ الإسلام (ﷺ) قد نقلَ الاسمَ السريانيّ على الصُّورةِ التي في القرآن بسببِ عَدَمِ فَهْمِهِ له؛ فقد سَمِعَ القافَ من بَدَوِيٍّ نَطَقَها جِيْمًا غيرَ مُعَطَّشةٍ، وأنَّ الرَّاءَ قد صارت واوًا بعد كتابةِ الاسمِ السريانيِّ بالعربيّةِ واختلاط الحروفِ بسبب تَشَابُهُ الرَّاءِ والواو في العربية. **وهذا تَكَلُّفٌ مَحْضٌ، لا حُجّةَ له فيه سوى التَّشَهِّي والرّغبة في إثباتِ أَثَرِ التّراثِ السّريانيِّ على القرآنِ من كُلِّ وَجْهٍ**، خاصّةً أنّ كلمةَ «جودي» لا أَثَرَ لها في التُّراثَيْنِ اليهوديّ والنصرانيّ. فقد استعان منغنا بخيالِهِ لتغيير كلمةِ الجوديّ إلى قردو، ثم إنّه تجاهل الفارق بين الياء والواو آخِرَ الكلمةِ. والأعجبُ أنّ منغنا قد خَتَمَ بحثَهُ بقوله: «لا يبدو لي أنّ هناك تفسيرًا آخرَ لكلمةِ جُوديٍّ يستحِقُّ الذِّكْرَ»![1] فجعل القولَ بالاقتباسِ مقدّمةً لا انفكاكَ عنها لِفَهْمِ القرآنِ.

وذهبَ المستشرقُ نولدكه إلى أَنَّ القرآنَ نقلَ الحَدَثَ من أرمينية كما في التوراةِ إلى جزيرةِ العربِ؛ مُستدِلًّا بِبَيْتٍ لأبي صَعْتَرَةَ البُولانيّ في ديوانِ الحماسةِ لأبي تمّام، فيه أَنَّ جبلَ الجُودِيِّ في طَيِّءٍ. وأشار إلى أنّ ياقوت الحمويَّ -بعد أنْ عَرَّفَ «الجُوديَّ» في مُعْجَمِهِ أنّه في الموصلِ بالعراق- ذكر أَنَّ الجُوديّ أيضًا «جبلٌ بِأَجإٍ أَحَدِ جَبَلَيّ طَيِّءٍ. وإيّاهُ أراد أبو صعترةِ البولانيّ...» .[2]

وأبيات البولانيِّ ثلاثةٌ، نقَلَها صاحبُ ديوانِ الحمَاسةِ، في الجزء الخاصِّ بأبياتِ النَّسِيبِ (الغَزَلِ):

فَمَا نُطْفَةٌ مِن حَبِّ مُزْنٍ تَقَاذَفَتْ ... بِهِ جَنْبَتَا الجُودِيِّ وَاللَّيْلُ دامِسُ

فَلَمَّا أَقَرَّتْهُ اللِّصابُ تَنَفَّسَتْ ... شمال لأعلى مَائه فَهُوَ قَارِسُ

بأطيب من فِيهَا وَمَا ذقت طعمه ... ولكنَّنِي فِيمَا ترى الْعينُ فَارِسُ[3]

(1) Alphonse Mingana, "Syriac Influence on the Style of the Kur'ān," in *BJRL* 2, 1927,, p.97.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت: دار صادر، ، 2/ 180.

(3) أبو تمام الطائي، ديوان الحماسة (حماسة أبي تمام) برواية الجواليقي، شرح أحمد حسن بسج، بيروت: دار الكتب العلمية، 2009، ص243.

وليس في الأبيات وصفٌ للجوديِّ أنّه في أرضِ طَيِّءٍ، ولا أنّه جَبَلٌ؛ فإنّ البيتَ يَذْكُرُ جنبتي الجُوديّ أي ناحِيَتِهِ، في سياقِ التَّغَزُّلِ بامرأةٍ. وقد قال صاحب «تاج العروس»: «والجوديّ: وادٍ، وأَعْلاهُ بأجأٍ في شَوَاهِقِها، وأَسْفَلُهُ أَبَاطِحُ سَهْلَةٌ. وقال نصرٌ: الجُوويّ بِوَاوَيْنِ، وأمّا الجوديّ بالكُوفة».[1] فالجودِيُّ إذا أُطْلِقَ؛ يُقصَدُ به وادٍ. كما أَنَّ هذا البيتَ قد رُوِيَ أيضًا بلفظِ «الجووي» لا «الجُودِيِّ».

ولم يذكُرْ ياقوتُ الحمويُّ -المتوفّى في القرنِ السَّابعِ الهجريِّ- دليلًا على أنّ الجوديَّ جبلٌ بأرضِ طَيِّءٍ. واكتفى بالقولِ إنّه الذي أشار إليه الشّاعِرُ البولانيّ في الأبيات السّابقةِ. وكُتُبُ البلدانِ في التراث العربيّ فيها نسبةُ أسماء لبلادٍ بالظَّنِّ أو الاجتهادِ لا النَّقْلِ المحرَّرِ. وقد نَبَّهَ إلى ذلك ابن بليهد بقولِهِ عن أصحابِ هذه الكُتُبِ: «وقد تَعَجَّبْتُ ممّا رأيتُ من ذِكْرِ أصحابِ المعاجمِ للمواضعِ حين بدأتُ أُراجِعُ ما دَبَّجَتْهُ يَرَاعاتُهم؛ فقد رأيتُ أنّهم يقولون عن تحديدِ الأماكنِ بالظَّنِّ، يَرَوْنَ اسمَ المكانِ في شعرِ شاعرٍ أَسَدِيٍّ؛ فيتوهَّمُون أنّه من أماكنِ قومِهِ فيقولون: «هو مَوْضِعٌ في بلاد بني أَسَدٍ»... ومن أمثلةِ ذلك ما ذكره ياقوتُ في معجم البلدان ج7 ص 242 في الكلام على «النَّائِع» فَذَكَرَ أنّه في موضعٍ في بلاد نجدٍ من مواطن بني أَسَدٍ، وقد استنَدَ في ذلك إلى قول الرَّاجِزِ:

أَرَّقَــنِــي الـلَّـيـلـةَ بَـــرْقٌ لامِــعُ ... مِـنْ دُونـــهِ التِّـيـنـانِ والـرَّبَـائِـعُ

فَـــــوَارداتٌ فـقـنـا فـالـنَّـائِـعُ ... ومـن ذُرى رمّـان هـضـبٌ فـارِعُ

ووَجْهُ ما استندَ إليه ياقوتُ في ذلك أنّه رأى هذا الرَّاجز قد ذكر «النَّائع» مع أماكن كلّها في بلاد بني أَسَدٍ، فتوهّم أنّ «النَّائعَ» من بلادِ بني أَسَدٍ مثل ما ذكر معه من الأماكن، وحقيقةُ الأمرِ أنّ «النائع» واقع في بلاد بني عبد الله بن غطفان».[2]

---

(1) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي الهلالي وآخرين، الكويت، 1421هـ/ 2001، 34/ 426.
(2) محمد بن عبد الله بن بليهد، صحيح الأخبار عمّا في بلاد العرب من الآثار، د.ن.، 1418هـ، ط3، 3/ 2-3.

ثم إنّ أعلى قِمَمِ أَجَا لا تتجاوز 1350م، وفي جزيرة العرب من الجبالِ ما بلغ ارتفاعُه ثلاثة آلاف مترٍ (جبل فِرواع وجبل السّودة، وكلاهما في منطقة عَسِير)، وتُوجَدُ جبالٌ أُخرى كثيرةٌ يتجاوز طولها الألْفَي مترٍ، كجبل الأَدِيم وجبل بَثَرة وجبل كُرًّا، في مكة، وجبل وَرقان وجبل رَضْوى وجبل أُدْقُس وجبل الورد في المدينة. وخبرُ القصّةِ التوراتيّةِ دالٌّ أنّ السفينة قد رست فوق قمّةٍ عالية لم تُدْركها المياه؛ بما يدلُّ على أنّها قِمّة عاليةٌ جدًّا، أعلى من قمم الجبالِ الأُخرى، أو من عامَّتِها.

ثم إنّ نولدكه من المشكّكين في أصالةِ كثيرٍ من الشِّعْرِ العربيّ؛ فكيف استقام له هنا أنْ يحتجَّ ببيتٍ لا إسنادَ له، من كتابِ جَمَعَهُ أبو تمّام في القرن الثالث الهجريّ؟! وقد اعترضَ المستشرقُ غبريال رينولدز على قولِ نولدكه في شأنِ مكانِ جبلِ الجوديّ، واتَّهَمَهُ بالتَّناقُضِ؛ لأنّه رفضَ لاحقًا شِعْرًا لأُميّةَ بن أبي الصَّلْتِ ذَكَرَ فيه جبلَ الجُودِيّ، وقال إنّه شِعرٌ مَنْحُولٌ[1]؛ فكيف يقبلُ ويرفض دون ضابطٍ؟![2] كما ذكر أنّه لم يَرِد البتّةَ **في التُّراثِ الإسلاميِّ رَبْطُ سفينةِ نوحٍ بجبلِ طَيِّءٍ، وإنّما أشار التراث الإسلاميُّ منذ زمن مُبكّرٍ إلى أنّ الجوديَّ في بلاد الرَّافدَيْن.**[3]

والتّسليمُ أنّ بأرضِ العربِ جبلًا اسمُهُ «الجوديُّ» ليس بحجّةٍ لشيء هنا؛ لكثرةِ الأسماء المكرَّرةِ في الزَّمنِ القديم. وقد ذهب غبريال رينولدز إلى أَنَّ بني طَيّءٍ قد سَمَّوْا -لاحقًا- جَبَلَهُم على اسمِ جبلِ سفينةِ نوحٍ -عليه السَّلام-، لا العكس.[4] والأمرُ كُلُّه ظُنونٌ.

(1) T. Niildeke, "Umaija b. AbisSalt," in *Zeitschriftfiir Assyriologie und verwandte Gebiete* 27 (1912): 165.
(2) Gabriel Said Reynolds, "A Reflection on Two Qur'ānic Words (Iblīs and Jūdī), with Attention to the Theories of A. Mingana", in *Journal of the American Oriental Society* Vol. 124, No. 4 (Oct. - Dec., 2004), p.685.
(3) Ibid. 686.
(4) Ibid.

آزر والد إبراهيم

الاعتراض:

جاء في القرآن: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ (الأنعام/ 74). والقول إنّ اسمَ والدِ إبراهيمَ آزر، لا يَصِحُّ؛ فإنّ الصَّوابَ هو أنّ اسمَ والدِ إبراهيمَ، تارح תֶּרַח، كما هو مذكورٌ في سِفرِ التّكوينِ 11/ 26 في الكتاب المقدَّسِ.

وسببُ خطأ القرآنِ النّقلُ عن مؤرِّخِ الكنيسةِ يوسابيوس أنَّ اسمَ والدِ إبراهيمَ آثر Ἀθαρ كما بيّنَهُ من قبلُ المستشرقُ مراتشي Marracci.[1]

الجواب:

أوّلًا: التّوراةُ ليست حُجّةً نهائيّةً في التّاريخ؛ فهي بلا إسنادٍ، وكُتِبَتْ بعد عصرِ إبراهيمَ -عليه السَّلام- بقرونٍ. كما أنّ التوراةَ قد تتناقَضُ أحيانًا في الأسماءِ. ومنها ضَبْطُ اسمِ حمي مُوسى -مثلًا-؛ فهو في سِفْرِ الخروج 3/ 1: يثرون יִתְרוֹ، وفي الفصلِ السابقِ له مباشرةً (2/ 18) رعوئيل רְעוּאֵל، دون ضرورةٍ تاريخيّةٍ لتغيير اسمِهِ. وقد يضطرب المؤلِّفُ في أسماءِ الرِّجالِ بصورةٍ عجيبةٍ؛ كما في أَمْرِ أسماءِ الأولادِ الخمسةِ لبنيامين:

سفر العدد 26/ 38-39:	سفر أخبار الأيام الأول 8/ 1-2:
بالع وأشبيل وأحيرام وشفوفام وحوفام.	بالع وأشبيل وأخرخ ونوحة ورافا.

ثانيًا: التّوراةُ نفسُها تُشيرُ إلى بعضِ الأسماء بأكثرَ من اسمٍ، مثل أبرام אַבְרָם الذي صار أبراهام אַבְרָהָם (تكوين 17/ 5)، واسم ساراي שָׂרַי الذي صار سارة שָׂרָה (تكوين 17/ 15)، ويعقوب יַעֲקֹב الذي صار إسرائيل יִשְׂרָאֵל (تكوين 32/ 28). ومما جاء في العهد الجديدِ، تغييرُ المسيحِ اسمَ سمعان Σίμων إلى كيفا Κηφᾶς (يوحنا 1/ 42)؛ فلا

(1) Marracci, *Prodromus*, iv, 90

حَرَجَ أن يكون لوالدِ إبراهيمَ -عليه السَّلام-أكثر من اسمٍ. وهو ما اختارَهُ محمّدُ بن إسحاق والكَلْبِيّ والضّحّاكُ.[1]

ثالثًا: يغلبُ على القرآنِ عدمُ ذِكْرِ أسماءِ الشّخصيّاتِ في قَصَصِهِ؛ ولا يكاد يُغادِرُ عادةَ الاكتفاءِ بأسماءِ الأنبياء دون غيرهم. ولذلك فلا يَبْعُدُ تَصَوُّرُ أنْ يكون «آزرُ» لَقَبًا لِسَدَنَةِ أصنام أو غير ذلك من المعاني، دون أن يكون اسمَ عَلَم.

رابعًا: الأبوّة في قوله تعالى: ﴿ **أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ** ﴿١٣٣﴾ ﴾ (البقرة/ 133). فقد جعل أبناءُ يعقوب عليه السلام إسماعيلَ عليه السلام أبًا لأبيهم، رغم أنّه عمّه؛ فإنّه أخو إسحاق عليه السلام والد يعقوب عليه السلام. وهو وجه سائغ لغة، وإن لم يكن الأظهر.

خامسا: لم يَنْقُل القرآنُ اسمَ آزرَ من كتاباتِ يوسابيوس، وإن اشْتُهِرَ ذلك عند بعض المنصّرين؛ لأنّ يوسابيوس **-على الصحيح- لم يَذْكُرْ اسم والد إبراهيم -عليه السَّلام-، أصلًا، والخطأ ممّن قَرَأَ كتاب يوسابيوس على غير ما فيه؛** فهذا هو نصُّ يوسابيوس في أَصْلِهِ اليونانيِّ، وترجمتِهِ العربيّةِ الأَشْهَرِ:

وغيرهم من أبناء وذريّة نوح عاشوا بعد الطوفان، من ضمنهم إبراهيم الذي يعترف به العبرانيون بأنّه مُؤَسِّسهم وجَدُّهُم.[2]	μετὰ δὲ καὶ τοῦτον ἑτέρους, τῶν δὲ τοῦ Νῶε παίδων καὶ ἀπογόνων ἀτὰρ καὶ τὸν ᾿Αβραάμ, ὃν ἀρχηγὸν καὶ προπάτορασφῶν ἀυτῶν παῖδες ῾Εβραίων ἀυχοῦσι [3]

وقد رفضَ آرثر جفري ومَنْ بَعْدَهُ من المستشرقين دعوى مراتشي؛ إذ الكلمة التي ادّعى مراتشي وجودها عند يوسابيوس، لا أثر لها عنده.

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 7/ 22.

(2) يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، تعريب القمص مرقس داود، الكتاب الأول، الفصل الرابع، 5، القاهرة: مكتبة المحبة، 1979م، ص 21.

(3) *Hist. Eccl* ., ed. Schwartz, i, iv, p. 14 (Cited in, Arthur Jeffery, *The Foreign Vocabulary of the Qur'an*, Oriental Institute Baroda, 1938, p.54)

وقال كثيرٌ من المستشرقين إنّ القرآن قد خلطَ بين اسمِ عبد إبراهيم -عليه السَّلام- إليعازر אליעזר واسمِ والدِ إبراهيمَ -عليه السَّلام-.[1] وهو اعتراضٌ مُتهافِتٌ بصورةٍ بالغةٍ؛ لأنّه يقتضي تركَ الاسمِ المشهورِ في التَّوراةِ؛ بحثًا عن اسمِ آخرَ، ثم الخلط بين اسمَيْنِ لِشخصَيْنِ مختلفَيْنِ، ليس التَّشابُهُ بينهما بالقويِّ. ما فَعَلَهُ جفري ومن معه، هو باختصارٍ؛ أنّهم بَحَثُوا عن أَقْرَبِ صورةٍ لاسمِ آزر في التُّراثِ اليهوديِّ، بعدما فَشِلُوا في العُثُورِ على اسم «آزر»، وطابقوا بينهما بِتَكَلُّفٍ.

(1) Ibid., p.55.

هامان صاحب فرعون

الاعتراض:

ذَكَرَ سِفْرُ إستير في الكتاب المقدَّسِ أنّ شخصيةً عاشَتْ في فارسَ بعد قرونٍ من عَصْرِ موسى -عليه السَّلام-، شَغَلَتْ منصبَ الوزارةِ، كان اسمُها هامان. وقد نَسَبَ القرآنُ هامان إلى زمنِ موسى بصورةٍ غير مفهومةٍ.

الجواب:

أولًا: شَغَلَ هذا الخلافُ بين القرآنِ وسِفرِ إستير عقولَ المستشرقين، وحارُوا فيه كلَّ حَيْرةٍ؛ حتّى قال المستشرقُ الشهير تيودور نولدكه[1]: «لا يمكن لأكثرِ اليهودِ جَهْلًا البتّةَ أن يجعل هامان وزيرَ أحشويروش وزيرًا لفرعون».[2] وشاركَهُ دهشَتَهُ المنصِّرُ ألفونص منغنا[3] بقولِهِ: «مَنْ -إذن- لن يندهشَ عند العِلْمِ أنّه في القرآن... جُعِلَ هامانُ وزيرًا لِفِرْعونَ مكانَ أحشويروش».[4]. وما هذهِ الحَيْرَةُ من نولدكه ومنغنا؛ إلّا لأنّهما قد قرّرا في مؤلَّفاتهما مرارًا أَنَّ نبيَّ الإسلام -ﷺ- كان له اطِّلاعٌ واسعٌ جِدًّا على التُّراثَيْنِ اليهوديّ والنصرانيِّ. والعِلمُ أنّ هامان لم يَرِدْ ذِكْرُهُ إلَّا في سِفرِ إستير، لا يخفى على اليهوديِّ العامِّيِّ؛ لارتباطِ اسمِ هامانَ الإستيريِّ بالعيدِ السَّنَويِّ الفوريم פורים ؛ فإنّ اليهود يحتفلون في هذا العيدِ بنجاةِ سلَفهم في فارس من مؤامرةِ هامان؛ فكيف بمن كانت معرفَتُهُ بثقافةِ اليهودِ كبيرةً -كما يقولون-. **وهذه الدَّهشةُ ترفع الشُّبهةَ عن القرآن؛ لأنّ هذا الاختلافَ في شأن هامان لا يُمكِنُ أن يُرَدَّ إلى غلطِ**

---

(1) تيودور نولدكه Theodor Nöldeke 1836–1930: من أعلام الاستشراق الألماني. له عناية خاصة باللغات الشرقية. من مؤلفاته: «Geschichte des Qorâns».

(2) Th. Noldeke, art. "The Koran", *Encyclopædia Britannica*, Volume 16, Adam and Charles Black: Edinburgh, 1893, p. 600.

(3) ألفونص منغنا Alphonse Mingana 1878–1937: لاهوتيٌّ سريانيٌّ. كان له اهتمامٌ بجمع المخطوطات العربية والسريانية.

(4) A. Mingana and A. S. Lewis, eds. *Leaves From Three Ancient Qur'âns Possibly Pre-'Othmânic With A List Of Their Variants* Cambridge: At The University Press, 1914, p. xiv.

مَنْ جاء بالقرآنِ، أيًّا كان أَصلُ القرآن. ولذلك فالواجبُ البحثُ عن سببٍ آخرَ لهذا الاختلافِ العظيم.

ولا يُمكِنُ ترجيحُ خطأِ القرآنِ **إلّا بإثباتِ أَنَّ قِصّةَ سفرِ إستير عن هامانَ صحيحةٌ.** وبغير ذلك لا يمكن نَفْيُ شرعيّةِ القولِ إنّ اليهودَ قد صاغُوا قصّةَ سِفرِ إستير من خَيَالِهِمْ، مع الإفادةِ من تُراثٍ قديم، كان فيه هامانُ رمزًا لِلشَّرِّ إبّانَ حُكم فرعون لِمصرَ. ولذلك فيكفي المسلمَ أن يُبْطِلَ تاريخيّةَ قصّةِ إستيرَ ويثبت وجودَ هامانَ في الآثارِ المصريّةِ أو إمكانَ ذلك أو عدمَ امتناعِه لترتفعَ الشّبهةُ؛ **فإنَّ ردَّ الشّبهةِ يكفي فيه إثباتُ سَوَاغِ الأمرِ تاريخيًّا، ولو لم يَتِمَّ إثباتُهُ عَمَليًّا.**

ثانيًا: **قصّةُ** إستير بأكمَلِها ليست سوى خُرافةٍ اختَرَعَها يهودُ السَّبْيِ البابِلِيِّ، ولا يوجدُ دليلٌ تاريخيٌّ واحِدٌ على صِدْقِها؛ حتى قالت «الموسوعةُ اليهوديّةُ» لسنة 1910م إنّ **قِلّةً قليلةً فقط من النقّادِ المعاصرين ترى أنّ هذه القصّةَ تعتمدُ على أُسسٍ تاريخيّة**[1]، فـالأغلبيّةُ الواسعة من المفسّرين المعاصرين ترى أنّ هذا السِّفْرَ بأكملِهِ ليس سوى «قطعةٍ من الخيال المحضِ»[2] أو بعبارة تعليق «The New Oxford Annotated Bible» فإنّ سِفْرَ إستيرَ **«ليس تاريخًا وإنّما خُرافةٌ** ... أُرِيْدَ منها تفسير أَصْلِ عيد الفوريم[3] ومعناه».[4] وبالصِّياغةِ المهذَّبةِ للآباءِ اليسوعيّين: «من الممكنِ أن يكونَ اليهودُ قد تَعَرَّضُوا لِتَعْنِيْفاتٍ من هذا النَّوعِ في أثناءِ الحُكْمِ الفارسيِّ. وقد حاك المؤلِّفُ حول ذكرها **قصّةً خياليّةً.**»[5]

ومن أهمّ ما يُعتَرَضُ به على قِصّةِ سِفرِ إستيرَ:

---

(1) هذا إثبات لأصل القصّة لا تفاصيلها!

(2) "Comparatively few modern scholars of note consider the narrative of Esther to rest on an historical foundation. ... The vast majority of modern expositors have reached the conclusion that the book is a piece of pure fiction" *The Jewish Encyclopedia*, ktav, 1925, 5/236

(3) عيد الفوريم: هو العيد الذي يحتفل فيه اليهود بهلاك الوزير الفارسي هامان الذي دبّر مؤامرة لإبادة اليهود في الإمبراطورية.

(4) Herbert G. May and Bruce M. Metzger, eds. *The New Oxford Annotated Bible with Apocrypha* New York: Oxford University, 1973, p.603

(5) محمد علي البار، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم دمشق: دار القلم، 1990م، ص 302

1. هذه القصّةُ لم تُذْكَرْ في غير التَّوراةِ. وهذا المؤرِّخُ الإغريقيُّ هيروديت الذي عاصر الملكَ الفارسيَّ المقصودَ إكزركزيس Ξέρξης ودوَّنَ سيرَتَهُ، لم يُشِرْ إلى إستيرَ ولا ما كان من أمرها.[1]
2. النَّبيَّانِ عَزْرا ونِحِمْيا اللَّذانِ كانا من أوائِلِ العائدين من بابل، واللَّذان قَصَّا قِصّةَ السَّبْيِ البابِلِيِّ، لم يُشِيرَا إلى إستيرَ ولا إلى أيِّ شيءٍ ممّا جاء في السِّفْرِ المسمّى باسمِها.
3. لم يُعْثَرْ على هذا السِّفْرِ ضمن مخطوطاتِ البحر الميّتِ.
4. يَزْعُمُ سِفْرُ إستيرَ أنّ الملك الفارسيَّ لمَّا غَضِبَ مِنْ زَوْجَتِهِ عندما رفَضَتْ أن تُظْهِرَ جَمَالها لِنُدَمائِهِ قَرَّرَ أن يعاقِبَها بأَنْ يبحثَ عن فتاةٍ جميلةٍ في بلادِهِ ليجعلَها مَلِكةً، ومن هذه البداية السّاذجةِ بدأَتِ القِصّةُ.. وهذا أشبهُ بقصص أَلْفِ ليلةٍ وليلةٍ الخرافيّة.
5. من غير المقبولِ تاريخيًّا أَنْ يَتَّخِذَ الملكُ الفارسيُّ إستيرَ زوجةً ومردخاي وزيرًا رغم أنّهما على دِيْنِ اليهوديّةِ. فهذا يتعارَضُ مع اعتزازِ الفُرْسِ بقوميّتِهِمْ، خاصّةً في ظلّ القوّةِ الهائلةِ والتفوُّقِ الكبيرِ للإمبراطوريّةِ الفارسيّةِ. وقد ذكر المؤرِّخُ هيروديت أنّ الملكَ الفارسيَّ لا يجوز له أنْ يَتَزَوَّجَ إلَّا من سبعِ عائلاتٍ نَبِيْلةٍ حَصْرًا.[2]
6. الزَّوجةُ الوحيدة المعروفة عند المؤرخ هيروديت أنّها اقْتَرَنَتْ بهذا الملكِ الفارسيِّ هي Amestris. ولا صلةَ بين اسمِها واسمِ إستير، كما أنّها كانت ابنةَ قائدٍ فارسيٍّ ولم تكن عِبْرانيّةً.[3]
7. أشارت الموسوعةُ اليهوديّةُ إلى أَنَّ من أهمِّ المطاعنِ في هذا السِّفرِ، القرارُ المزعوم بإهدارِ دمِ أعداءِ اليهودِ والذي نُفِّذَ بعد ذلك، وهو زَعْمٌ لا دعامةَ

(1) عبد الجليل شلبي، مفتريات المبشرين على الإسلام الرياض: مكتبة المعارف، 1406هـ، 1985م، ط2، ص159
(2) Jon D. Levenson, *Esther, a Commentary,* London: Westminster John Knox, 2004, p.24
(3) Geoffrey W. Bromiley, *International Standard Bible Encyclopedia* Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 1982, 2/159

تاريخيّة له، بالإضافة إلى أَنَّهُ يُخالِفُ ما يُتصوَّرُ من التحدّي المسلح الذي لا بد أن يبدر من الأرستقراطيّين. كما أنه لا يوجدُ دليلٌ تاريخيٌّ على قرارِ إبادةِ اليهودِ الذي نُسِبَ لهامان ضِدَّ اليهودِ.(1)

8. أشارت الموسوعةُ اليهوديّةُ إلى مخالفةِ كثيرٍ من الأعرافِ المذكورة في سِفرِ إستيرَ لأعرافِ الفُرسِ القديمةِ في ذاك الزّمانِ؛ كالسَّماحِ للأجانبِ أن يَتَّصِلُوا بنساءِ الملكِ في الحريمِ، وعدمِ إمكانِ أَنْ تُرْسِلَ الملكةُ رسالةً إلى زوجِها، وتقسيمِ الإمبراطوريةِ إلى 127 مقاطعة، وعدم مُعاقبةِ هامانَ الوزيرِ لمردخايَ اليهوديِّ الذي رفضَ السُّجودَ له.(2)

9. جاء في وصف اليهودِ زمنَ الملكِ الفارسيِّ الحاكم إبّان القصّةِ المزعومةِ: «يوجَدُ شَعبٌ مُنتَشِرٌ فَريدٌ بَينَ الشُّعوبِ في جَميعِ أقاليمِ مَملَكَتِكَ، سُنَنُهم تُخالِفُ سُنَنَ جَميعِ الشُّعوب، ولا يَحفَظون سُنَنَ المَلِك» (إستير 3/ 8). وهذا الوصفُ ينطبقُ على اليهود بين اليونان لا بين الفرس.(3)

10. بَطَلُ القصّةِ مردخاي كان من سَبْيِ عام 587 ق م (إستير 2/ 6)، ومن ثمّ فإنّه في العام الثالث من حكم الملك الفارسي إكزركزيس الأوَّلِ أي حوالي عام 482 ق.م يكون قد بلغ المئة والعشرين عامًا، كما أَنَّ إستير يجب أن تكون في هذه الفترةِ عَجُوزًا.

11. اضطرابُ ترجماتِ سِفرِ إستير في نَسَبِ هامان؛ ففي حين يَذْكُرُ النصُّ السبعينيُّ اليونانيُّ أنَّ هامان رجلٌ مقدونيٌّ (إستير 16/ 10)، يذهب النصُّ العِبريُّ إلى أنّ هامان رجلٌ «أجاجيّ» «האגגי» (إستير 3/ 1).

دفعت المعضلات التاريخيّةَ المتراكمةَ في سِفرِ إستير النّاقدَ جون د. لفنسون(4) أن يقول في تعليقِهِ على هذا السِّفر: الإشكالاتُ التاريخيّةُ في سِفرِ إستير على قدرِ

(1) *The Jewish Encyclopedia*, 5/236
(2) Ibid.
(3) Ibid., 5/236
(4) جون د. لفنسون Jon D. Levenson: أستاذ الدراسات اليهوديّة. درّس في هارفارد وجامعة شيكاغو. حصل على عدد من الجوائز العلميّة الكبرى.

عظيم من الضَّخامةِ بما يُقْنِعُ كُلَّ مُصدِّقٍ بالكتابِ المقدَّسِ، أَنْ يَشُكَّ في صِحَّةِ هذه الرّوايةِ.[1] ويرفَعُ البروفسور إسرائيل ب. لوكن - وهو أكاديميٌّ من المحافظين- سَقْفَ مِحْنةِ هذا السِّفرِ اليومَ؛ بإقرارِهِ أَنَّ «**كُلَّ النقّادِ المعاصرين تقريبًا يُنْكِرُون تاريخيَّةَ هذا الكتابِ**».[2]

ثالثًا: ليس من سُنَّةِ القرآنِ ذِكْرُ أسماءِ أعيانِ النّاسِ إلَّا الأنبياء، ولا تُذْكَرُ أسماءُ غيرهم إلَّا في النّادرِ، وليست قصّةُ موسى في ذلك باستثناءٍ؛ إذ لم يَرِدْ في القرآن اسمُ فرعون ولا اسمُ أُمِّ موسى -عليه السَّلام-، ولا اسمُ أُختِهِ، ولا اسمُ زَوْجِهِ، ولا اسمُ والِدِ زَوْجِهِ. ولذلك فالرَّاجِحُ أَنَّ هامان ليس اسمَ عَلَمٍ، وإنّما هو اسمُ مَنْصِبٍ، مِثْلُهُ مثلُ لَقَبِ «فرعون» الذي يعني: «البيت الكبير». ولذلك قال ابن عاشور: «وأحسبُ أن هامان ليس باسم علم، ولكنّه لقب خطة مثل فرعون وكسرى وقيصر ونجاشي... وجاء في كتاب «إستير» من كتب اليهود الملحقة بالتوراة تسمية وزير «أحشويروش» ملك الفرس «هامان» فظنّوه علمًا؛ فزعموا أنّه لم يكن لفرعون وزير اسمه هامان، واتّخذوا هذا الظن مطعنًا في هذه الآية. وهذا اشتباه منهم فإنّ الأعلام لا تنحصر وكذلك ألقاب الولايات قد تشترك بين أمم وخاصة الأمم المتجاورة...؛ فإنّ الأعلام تتكرر في الأمم والعصور، **ويجوز أن يكون لقب خطة في مصر فنقل اليهود هذا اللقب إلى بلاد الفرس في مدة أسرهم**».[3]

رابعًا: العِلْمُ بشخصيَّةِ هامان في القرآنِ يقتضي النَّظَرَ في الآياتِ التي تَذْكُرُهُ:

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ [القصص/ 6]

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ۝٨﴾ [القصص/ 8]

(1) Jon D. Levenson, *Esther, A Commentary*, p.23
(2) Israel P. Loken, *Esther, Loken Expositional Commentary* Xulon Press, 2007, p.20
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 20/ 72.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [القصص/ 38]

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [العنكبوت/ 39]

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾ [غافر/ 23-24]

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر/ 36-37]

الآيات السّابقةُ دالّةٌ أنّ هامان رجلٌ قريبٌ من فرعون، وله سُلطانٌ خاصٌّ في مصرَ؛ فقد ذُكِر مع صاحبِ السُّلطانِ السّياسيِّ (فرعون)، وصاحبِ السُّلطانِ الماليِّ (قارون)، ووُكلَ بصناعة الصُّروحِ الكُبرى، وله جُنودٌ. وأَوْلَى مَنْ تجتمِعُ فيه هذه الصِّفاتُ زمنَ رمسيس الثاني، زعيمُ كَهَنةِ الإلهِ آمون، واسمُهُ بكنخنسو Bakenkhonsu ؛ فهو:

- مُقرَّبٌ إلى رمسيس الثاني: كان بكنخنسو من أعظمِ شخصياتِ مصرَ في زمانه؛ فإنّ آمون الذي يخدِمُ مَعَابِدَهُ، أعظمُ آلهةِ مصرَ القديمة.[1]
- صاحبُ سلطانٍ دينيٍّ، وله جُنودُه: السّلطان الدينيّ، هو السُّلطانُ الثّالثُ الأكبرُ في مصر مع سلطان السّاسةِ وأصحابِ المال. وقد احتلَّ بكنخنسو منصبَ الكاهنِ الأكبرِ لآمون، وهو أكبرُ منصبٍ دينيٍّ، لمدّةٍ قريبةٍ من سبعٍ وعشرين سنةً، في آخرِ حُكمِ رمسيس الثاني الذي استمرَّ 67 سنةً. ويبدو أنّه قدْ تُوفّي قبل سنةٍ واحدةٍ من وفاة رمسيس الثاني؛ إذ قد نُصِّبَ كاهنٌ أكبرُ جديدٌ اسمُهُ Roma-Roy في السنةِ الأخيرةِ من حُكمِ رمسيس الثاني.[2]

(1) K. A. Kitchen, *Pharaoh Triumphant: The Life and Times of Ramesses II, King of Egypt*, Aris & Phillips Ltd.: 1982, p. 159.

(2) Lanny Bell, "In the Tombs of the High Priests of Amun", in *Expedition Magazine*, Volume 15/ Issue 2/ January 1973, p.18

ويخبرنا صاحبا كتاب «Dictionnaire des Pharaons» -وهو مُعجَمٌ تاريخيٌّ عن شخصيّاتِ الحضارةِ الفرعونيّةِ وما ارتبط بها، تحت مادّة «الكاهن الأكبر لآمون»- أنّ الكاهنَ الأكبرَ يقوم على مؤسّسةٍ دينيّةٍ كبيرةٍ لها سلطانٌ روحيٌّ وزَمَنِيٌّ على السّواء، وأنّ الفرعونَ نفسه هو من كان يُنَصِّبُ هذا الكاهنَ، ومثّلَ لذلك ببكنخنسو، واصفًا إيّاه بأنّه مُوظّفٌ عسكريٌّ سابق.[1] ويبدو أنّ المنصبَ العسكريَّ الذي تولّاهُ بكنخنسو في بداية شبابه لم يكنْ ذا شأن كبير.[2] وبكنخنسو من الكَهَنَةِ الذين كانوا على استعدادٍ لخوضِ حربٍ شَرِسةٍ ضدَّ دينِ التّوحيدِ الذي جاء به موسى -عليه السّلام-.

- بناءُ المعابد الكُبرى: تَصِفُ الآثارُ بكنخنسو أنّه المشرِفُ على بناءِ البنايات الدينيّةِ عند رمسيس الثاني، ومن ذلك أَنَّهُ أَشْرفَ على بناء الهيكلِ ضمن معبدِ الكرنكِ. وتتحدَّثُ الآثارُ عن بنائِهِ للمسلّاتِ. كما وُصِفَ بأنّه القائمُ على كُلِّ الحِرَفِ اليدويّةِ المتعلّقةِ بآثارِ رمسيس الثاني التي أَهْداها إلى آمون.[3]

ومن النُّصوصِ الأثريّةِ التي جاءت في ذلك، على لسانِ بكنخنسو: «أَنْجزْتُ أُمورًا نافعةً في مجالِ خِدْمةِ آمون، كَوْني مُشرِفًا على أعمالِ سيّدي. صَنَعْتُ له معبدًا (يُدعى) «رمسيس-مري آمون-الذي-يسمع-الصّلاة» في البوابةِ العُلويّةِ لمُلك آمون. ورفَعْتُ فيها مِسلّاتٍ من الجرانيت **اقتربَتْ قِمَمُها من السَّماءِ**».[4] ووصفُ هذا البناء أنّه يقترب من السّماء، يُفسّر قول فرعون لهامان: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ**﴾ (غافر/ 36-37).

وقد لخّص أحدُ الكُتّابِ حال الكاهنِ الأكبرِ لآمون، بقولِهِ: «لقد عَلِمْنا من تاريخِ مصرَ أنّ الكاهنَ الأعظم لآمون تَقَلَّدَ بَدْءًا من الأُسرةِ التّاسعة عشرةَ سُلطةً كبيرةً من الفرعونِ انتهَتْ بأنّهُ سَيْطَرَ على النِّيلِ الأَعلى وأصبح قائدَ الجيوشِ ونائبَ مَلِكِ كُوش والخازنَ الأعظمَ للإمبراطوريةِ والمسؤولَ الأعلى عن أَبْنِيةِ الآلهةِ (انظر أ.ه. برشتد،

(1) Pascal Vernus and Jean Yoyotte, *The Book of the Pharaohs*, tr. David Lorton Ithaca, N.Y.: Cornell University Press, 2003, p.82.
(2) Jansen-Winkeln, "The Career of the Egyptian High Priest Bakenkhons," in *Journal of Near Eastern Studies*, 52 1993, 221-225.
(3) Elizabeth Frood, *Biographical Texts from Ramessid Egypt* , Leiden: Brill, 2007, pp.39-46.
(4) E. Frood, *Biographical Texts from Ramessid Egypt, 2007*, pp. 41-42.

تاريخ مصر، ص 520). في الواقع أصبح وزيرَ فرعونَ في كُلِّ الأَعمالِ العامَّةِ والأَموالِ (دوما، حضارة مصر الفرعونية، ص158)».[1]

تمثال بكنخنسو



ولم يبق لنا الآن إلَّا أنْ ننظرَ إن كان هناك سببٌ داعٍ لتسميةِ الكاهنِ الأكبرِ لآمون باسم «هامان». وسيكون النِّقاشُ في ثلاثةِ أُمورٍ:

أ. نُطْقُ حَرَكةِ المدِّ الطويلة بعد الميم،[2] أيْ: هل الاسم آمون أم آمان؟

ب. وجودُ اسمِ الإلهِ آمونَ في ألقابِ الكَهَنةِ.

ت. أَصْلُ الهاءَ في «هامان».

---

(1) عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن ضد منتقديه، تعريب: كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب والنشر، القاهرة: دار الجليل، 1417هـ/ 1997م، ص 196-197.

(2) اسم هذا الإله في الهيروغليفية، يتكون فقط من ثلاثة أحرف من الصوامت: أ - م - ن.

أ- «آمون» أم «آمان»؟:

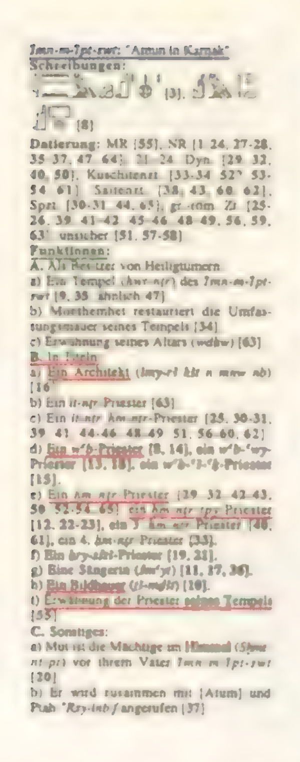
يقول الأستاذُ رؤوف سعدة: «اسمُ هذا الإله «آمون» الذي يُنْطَقُ بالواو بعد الميم في اصطلاحنا اليومَ ليس هو كذلك في المصرية القديمة، التي يُرسَمُ فيها بأحرفٍ هيروغليفيّةٍ ثلاثةٍ في الهمزة والميم والنُّون، على ما مرَّ بك من أنَّ الخطَّ الهيروغليفيَّ لا يعبأُ بإثباتِ حركاتِ المدِّ. وإنّما اصطَلَحَ عُلماءُ تلك اللُّغةِ أوَّلَ الأَمْرِ على نُطْقِهِ «آمون» بالواو لا بالألفِ بعد الميم استئناسًا بِرَسْمِهِ اليونانيِّ والقِبْطِيِّ المُطابِقِ لِرَسْمِهِ في التَّوراةِ «آمون»... الحُجَّةُ على صحّةِ النُّطْقِ المصريِّ القديم هم معاصرو «فرعون موسى» في القرن الثّالث عشرَ قبلَ الميلادِ، الذين خَلَّفُوا لنا في النصِّ البابليِّ لمعاهدةٍ أُبْرِمَتْ حوالي عام 1280 ق. م. بين خاتوسيلاس مَلِكِ خاتي الحيثيين وبين رمسيس الثاني ملكِ مصرَ. النُّطق الصَّحيحُ لِلَفْظِ «آمون» الذي في لَقَبِ رمسيس الثاني «مي-آمون» أي الذي هو كآمون، فلم يَكْتُبُوها: «مي-آمون» وإنَّما كَتَبُوها: «مي-آمان» مَدًّا بالأَلِفِ، لا بالواو، على ما سَمِعُوهُ بآذانهم من سُفراءِ رمسيس الثاني إلى بلادِ خاتي».[1]

ب-اسمُ آمون في أَلْقابِ الكَهَنةِ:

جاء في مُعجمِ أَسماءِ الآلهةِ المصريّةِ، في مدخل «أ-م-ن» الخاصِّ بالإلهِ آمون، ذِكْرُ نماذجَ لمراتبَ دينيّةٍ لِكَهَنةِ آمون، وفي اسمِ الوظيفةِ لَقَبُ آمون. بل دَخَلَ اسمُ آمون حتّى في أسماءِ المُغَنِّين والمهندِسين الذين لهم علاقة بمعابدِ آمون؛ بما يُظْهِرُ أَنَّنا أمامَ عادةٍ دينيّةٍ شائعةٍ:[2]

(1) رؤوف أبو سعدة، من إعجاز القرآن، القاهرة: دار الهلال، 2/ 58-59.

(2) "'IMN" in D. Budde, P. Dils, *et al.*, eds. Lexikon Der Ägyptischen Götter Und Götterbezeichnungen, 2002, Volume I, Orientalia Lovaniensia Analecta - 110, Peeters: Leuven, p. 312, 332 and 335 (Cited in: Islamic Awareness, Biblical Haman, Qur'ānic Hāmān: A Case of Straightforward Literary Transition?).



Imn-m-Ipt-swt: "Amun in Karnak"
Schreibungen: [3], [8]
Datierung: MR [55], NR [1 24, 27-28, 35 37, 47 64], 21 24 Dyn [29 32, 40, 50], Kuschitenzt [33-34 52? 53-54 61] Saitenzt [38, 43, 60 62], Spzt [30-31 44, 65], gr.-röm. Zt [25-26, 39 41-42 45-46 48-49, 56, 59, 63] unsicher [51, 57-58]
Funktionen:
A. Als Besitzer von Heiligtümern
a) Ein Tempel (*hwt-nṯr*) des *Imn-m-Ipt-swt* [9, 35 ähnlich 47]
b) Montemhet restauriert die Umfassungsmauer seines Tempels [34]
c) Erwähnung seines Altars (*wdḥw*) [63]
B. In Titeln
a) Ein Architekt (*imy-r kꜣt n mnw nb*) [16]
b) Ein *it-nṯr* Priester [63]
c) Ein *it-nṯr ḥm-nṯr*-Priester [25, 30-31, 39 41 44-46 48 49 51, 56-60, 62]
d) Ein *wꜥb*-Priester [8, 14], ein *wꜥb-ꜥꜣy*-Priester [13, 18], ein *wꜥb-ꜥꜣ-ꜥḳ*-Priester [15].
e) Ein *ḥm-nṯr*-Priester [29 32 42-43, 50 52-54 65], ein *ḥm-nṯr-tpy*-Priester [12, 22-23], ein 3. *ḥm-nṯr*-Priester [40, 61], ein 4. *ḥm-nṯr*-Priester [33].
f) Ein *ḥry-sštꜣ*-Priester [19, 21].
g) Eine Sängerin (*šmꜥyt*) [11, 17, 36].
h) Ein Bildhauer (*ṯꜣy-mḏꜣt*) [10].
i) Erwähnung der Priester seines Tempels [55]
C. Sonstiges:
a) Mut ist die Mächtige im Himmel (*Sḫmt nt pt*) vor ihrem Vater *Imn m Ipt-swt* [20]
b) Er wird zusammen mit [Atum] und Ptah *"Rsy-inb.f"* angerufen [37]

Imn-Ḥnmt-Wꜣst: "Amun vom Ramesseum", in [2] *Imn-m-Ḥnmt-Wꜣst*, in [4] *Imn-r Ḥnmt-Wꜣst*
Schreibungen: [1], [2], [5]
Datierung: NR [1-6]
Funktionen: a) Ein Hausvorsteher (*imy-r pr*) [4]
b) Ein *it-nṯr*-Priester [1, 6]
c) Eine *wrt-ḫnrt*-Priesterin [2]
d) Ein *ḥm-nṯr-tpy*-Priester [3]
Belegstellen: [1] Pyramidion Wien, KRI III, 158, 13 und 15, 159, 1; [2] TT 148, KRI VI, 92, 8; [3] Statue CG 42158, KRI VI, 526, 2; [4] Statue CG 42158, KRI VI, 526, 4; [5] Berlin P 10664, KRI VII, 165, 2; [6] Uschebtikasten Leiden AH 2 Aston, in OMRO 74, 1994, 51, Nr. 6

Imn-m-Ḥwt-Wsr-Mꜣꜥt-Rꜥ-stp-n-Rꜥ: "Amun im Haus Ramses II." Mit Artikel *Imn-m-pꜣ-ḥwt-Wsr-Mꜣꜥt-Rꜥ-stp-n-Rꜥ*
Schreibungen: [1]
Datierung: NR [1]
Belegstellen: [1] Marciniak, Deir el-Bahari I, 89, Nr. 32.

Imn-m-Ḥwt-ꜥꜣ-ḫpr-kꜣ-Rꜥ-ḥnmt-ꜥnḫ: "Amun im Totentempel Thutmosis I."
Schreibungen: [1, #]
Datierung: NR [1]
Funktionen: Ein *ḥm-nṯr-tpy*-Priester [1]
Belegstellen: [1] Statue Strasbourg 1599 Clère, Chaoves d'Hathor, 96

Imn-m-Ḥwt-ꜥꜣ-ḫprw-Rꜥ-m-Wꜣst: "Amun im Hause des Amenophis II."
Schreibungen: [1, #]
Datierung: NR [1]
Funktionen: Ein *wꜥb*-Priester [1]
Belegstellen: [1] Stele Berlin 19777, AIB II, 393 = Urk. IV, 1503, 9.

ومن أَشهرِ الأسماءِ التي تنتهي بآمون (آمان)، اسمُ ابنةِ رمسيس الثاني وزوجته «مريت آمون». والاسمُ يعني: محبوبةَ آمون. واسمُ رمسيس الثاني نفسُه فيه «آمون»؛ فهو «رمسيس مري آمون» أي «رمسيسُ محبوبُ آمون». وما سبق يجعلُ القولَ إنّ الاسمَ الرسميَّ لوظيفةِ الكاهنِ الأكبرِ مُتضمِّن لاسمِ آمان، راجحًا جدًّا؛ فهو الأقرب إلى هذا المعبود.

وقد عُثِرَ سنة 2020م على مجموعةِ آثارٍ في سقارة في مصر. ومنها تمثالٌ للإلهِ نفرتوم مكتوبٌ على قاعدتِهِ اسمُ صاحب التّمثالِ، وهو كاهنٌ اسمُهُ «بادي آموان/ آمان» من الأُسرة 26.[1] فظهر أنَّ إلصاقَ اسم الكاهنِ باسم أو لَقَبِ آمون، تسمية لِكَهَنةِ آمون، ظاهرةٌ معروفةٌ في عُصورِ الفراعنةِ.

---

(1) Samy Magdy, Egypt reveals 59 ancient coffins found near Saqqara pyramids, Washington Post, Oct 3, 2020
<https://www.washingtonpost.com/world/middle_east/egypt-reveals-59-ancient-coffins-found-near-saqqara-pyramids/2020/10/03/7252c016-0582-11eb-b92e-029676f9ebec_story.html>.

ت-فمن أين الهاء؟

هناك احتمالان لمعنى الهاء في اسم هامان:

الاحتمالُ الأوَّلُ: بالنَّظرِ في اللُّغةِ الهيروغليفيّةِ نَجِدُ أنَّ حرفَ الهاء يُشكِّلُ بذاتِهِ كلمةً واحدةً، وذلك إذا أُلحِقَتْ به علامةٌ تصوريّةٌ على هذا الشكل تُقرأُ ولا تُنطَقُ logogram لِتَمْييزِ هذهِ الكلمةِ عن الكلماتِ التي تُكْتَبُ بالطَّريقةِ نفسِها، ويُقْصَدُ بها الدّلالةُ على أنَّ هذه الكلمةَ لها معنًى مخصوصٌ.

يُخْبِرُنَا عالِمُ المصريّاتِ إ. أ. واليس بادج في مُعْجَمِهِ الهيروغليفيِّ الشّهيرِ أنَّ من معاني كلمة «هـ» : «بناية: قَصْرٍ أو مَعْبَدٍ»،[1] فقد جاءَتْ في الآثارِ الهيروغليفيّةِ عبارةُ «مَعْبَد أبي الهول» على الصُّورةِ التّاليةِ ، وتُنْطَقُ «بر حو»،[2] وقد سُبِقَت الكلمةُ بعلامةِ .

وبذلك يكون معنى كلمةِ هـ+آمان= مَعْبَد آمان، أي القائِمُ على مَعْبَدِ آمون، وهو لَقَبٌ لا يُجاوِزُ حقيقةَ الكاهنِ الأكبرِ لآمون، ويَنْفَعُ لِتَمْييزِهِ عنْ كَهَنةِ معابدِ الآلهةِ المصريّةِ الأُخرى.

الهاء في معجم بادج

ḥ-[t] , , , hall, habitation, a building (temple or palace), courtyard, road, see .

(1) E. A. Wallis Budge, *An Egyptian Hieroglyphic Dictionary: With an Index of English Words, King List and Geographical List with Index, List of Hieroglyphic Characters, Coptic and Semitic Alphabets, etc.* London: John Murray, 1920, 1/438.

(2) E. A. Wallis Budge, *An Egyptian Hieroglyphic Dictionary*, p.239.

كما أنَ حرفَ الهاءِ الهيروغليفيِّ إذا وُضِعَ بجانبه رَمْزان لا يُنْطَقان logograms على صُورةِ طائرٍ ورَجُلٍ جالسٍ، فمِنْ مَعَانِيهِ، التَّمجيدُ[1]؛ فيكون بذلك معنى هـ+آمان= مُمَجِّدُ آمان.

الهاء في معجم بادج

hȧ, Leyd. Pap. 105, to cry out, to praise, to shout "Oh!" "Hail!"

الاحتمالُ الثاني: قد تكونُ أداةُ التَّعريفِ العِبريّةِ هـ ה هي الملحقةُ باسمِ الكاهنِ الأكبرِ للإلهِ آمان، بأن يكون اليهودُ يُسمُّونَهُ الآمان=هامان האמאן -بتسهيل همزةِ أمان عند النُّطقِ-، كما يَفعَلُه العربُ بإضافةِ ألف لامِ التَّعريفِ إلى كلمةِ «فرعون» الأعجميّةِ الأَصْلِ؛ فتكونُ هذه الكلمةُ بمعنى الحاكِمِ زمنَ موسى -عليه السَّلام-. ونَقَلَ القرآنُ الاسمَ الذي تداوَلَهُ اليهودُ.

ومن نماذجِ دُخولِ هاء التَّعريفِ العِبريّةِ على أسماءِ الأعلامِ في التَّوراةِ:

يشوع 9/ 1: لبنان הַלְּבָנוֹן (هَلِبانون)

وَلَمَّا سَمِعَ جَمِيعُ الْمُلُوكِ الَّذِينَ فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ فِي الْجَبَلِ وَفِي السَّهْلِ وَفِي كُلِّ سَاحِلِ الْبَحْرِ الْكَبِيرِ إِلَى جِهَةِ لُبْنَانَ.

וַיְהִי כִשְׁמֹעַ כָּל־הַמְּלָכִים אֲשֶׁר בְּעֵבֶר הַיַּרְדֵּן בָּהָר וּבַשְּׁפֵלָה וּבְכֹל חוֹף הַיָּם הַגָּדוֹל אֶל־מוּל הַלְּבָנוֹן

تكوين 13/ 10: الأردن הַיַּרְדֵּן (هَيَردِين)

فَرَفَعَ لُوطٌ عَيْنَيْهِ وَرَأَى كُلَّ دَائِرَةِ الأُرْدُنِّ.

וַיִּשָּׂא־לוֹט אֶת־עֵינָיו וַיַּרְא אֶת־כָּל־כִּכַּר הַיַּרְדֵּן

(1) Ibid.

القضاة 19/ 14: جبعة הַגִּבְעָה (هَجبعا)

فَعَبَرُوا وَذَهَبُوا. وَغَابَتْ لَهُمُ الشَّمْسُ عِنْدَ جِبْعَةَ الَّتِي لِبَنْيَامِينَ.	וַיַּעַבְרוּ וַיֵּלֵכוּ וַתָּבֹא לָהֶם הַשֶּׁמֶשׁ אֵצֶל הַגִּבְעָה אֲשֶׁר לְבִנְיָמִן

ووجه تسمية القائم على معابد آمان، باسم «الآمان»، مطابق لوجه تسمية القائم على بيت المُلك باسم «فرعون»؛ فإنّ كلمة «فرعون» من المصريّة القديمة: «برعا» «𓉐»؛ أي «قصر» (والتي قد تترجم: البيت الكبير)[1]؛ ويُقصد بها صاحب السلطان على القصر الملكي. فهاهنا «آمان» صاحب السلطان على معابد آمان، وفرعون (القصر) صاحب السلطان على القصر الملكي.

خامسًا: الخَلْطُ الزّمنيُّ لأسماءِ الشخصيّاتِ في الكُتُبِ اليهوديّةِ؛ ليس بمستَغْرَبٍ؛ فإنَّ بلعام بن بعور בלעם בן בעור (بلعام بن باعوراء في التُّراثِ الإسلاميِّ) الذي تَزْعُمُ التَّوراةُ أنّهُ قد عاشَ زمنَ موسى -عليه السَّلام- وفُصِّلَ أَمْرُهُ في سِفرِ العَدَد، قد عاشَ في الحقيقةِ بعد ذلك بِقُرونٍ؛ فقد اكتُشِفَ نصٌّ قديمٌ في دير العلا، شرقيَّ الأُردنّ، سنة 1967، فيه ذِكْرُ اسمِهِ: «هذه كلماتُ بلعام بن بعور عَرَّاف الآلهةِ». ويعود هذا الأَثَرُ التاريخيُّ إلى القرن التّاسعِ أو الثّامنِ قبلَ الميلادِ.[2]

(1) Marie Vandenbeusch, Aude Semat, Margaret St. Claire Maitland, Margaret Todd Maitland, *Pharaoh: King of Ancient Egypt*, Yale University Press, 2016, p.89.
(2) J. A. Hackett, art. "Balaam (Person)," in D. N. Freedman, ed. *The Anchor Yale Bible Dictionary*, New York: Doubleday, 1996, 1/571-572.

نقش دير العَلا



ولذلك بعد أَنْ أشارَ المستشرقُ أنطوني جونز في مقالة «هامان» في موسوعةِ القرآنِ الاستشراقيةِ إلى أنّ هناك آراءً مختلفةً حول هامانَ واسمِهِ في القرآنِ، وأشارَ إلى الرأيِ القائلِ إنّ هامانَ القرآنَ هو هامانُ سِفرِ إستير، أضاف أنّه لا يوجد أيُّ داعٍ للرَّبطِ بينهما سوى معاداةِ اليهودِ. وزاد قائلًا: «أَحَدُ الاقتراحاتِ هو أنّ هامانَ صدى معرّب أمين لِلَقبِ كبيرِ الكَهَنةِ، الثاني في الرُّتبةِ بعد فرعون. ومع ذلك، ربما أصبحَ الاسمُ رمزًا دائمًا لكلِّ شخصيةٍ رسميّةٍ معاديةٍ لليهودِ والإيمانِ باللهِ الواحدِ».[1]

واحتفاظُ اليهودِ وغيرهم بأخبار رمسيس الثاني وقومِهِ لِقُرونٍ، ليس بالشَّيءِ المستنْكَرِ تاريخيًّا؛ فإنّنا نَجِدُ مثلًا أَنَّ تَرْنِيمةَ Uraeus (الآلهة الأفعى) التي عَلِمْنا خَبَرَها أَوَّل مَرَّةٍ عصرَ رمسيس الثاني (القرن الثالث عشر قبل الميلاد)، قد اختفى ذِكْرُها من الآثار قُرُونًا، ثم ظهرَتْ بعد ذلك بألفِ سنةٍ تحت حُكمِ البَطالمة.[2] والأَمرُ نفسُه لِنَصِّ

---

(1) Anthony Hearle Johns, art. "Haman", Jane Dammen McAuliffe, ed. *Encyclopaedia of the Qur'an*, Leiden: Brill, 2004, 2/399.

(2) K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament* Grand Rapids, Mich.: W.B. Eerdmans, 2006, p.302

عيدِ الإلهِ سوكر؛ فقد عُرِفَ عصرَ رمسيس الثاني ورمسيس الثالث، ثم ظهرَ هذا النصُّ (مع تغييرٍ طفيفٍ) عَصْرَ البَطَالمة[1]، كما عُثِرَ على بَرْدِيَّةِ سِحرٍ/ طِبٍّ في المملكة الحديثة (القرن 14-12 ق.م)، وظهر هذا النصُّ مرَّةً تاليةً سنة 330 ق.م.[2]

(1) Ibid.
(2) Ibid., 303.

فرعون الظالم

الاعتراض:

يُخْبِرُ القرآنُ عن فرعون موسى أنّه كان طاغيةً. ولا تُخبرنا الآثارُ عن رمسيس أو ابنِهِ أو غيرهما أنّهم طُغاةٌ؛ فقد بَنَوْا أَعْظَمَ دولةٍ في زمانهم.

الجواب:

هذه شُبهةٌ حديثةٌ، فيها عَجَلةٌ، وسُوءُ فَهْم للقرآنِ، وجَهْل بالآثارِ.

أَوّلًا: من المتّفقِ عليه بين المؤرّخين أنّنا لا نَعرِفُ سيرةَ الفراعنةِ الّذين قيل إنّ موسى -عليه السَّلام- قد عاش في عصرهم، إلّا مما تركَهُ لنا هؤلاء الفراعنةُ من الآثارِ التي كُتِبَتْ لِتَمْجِيدِهِمْ؛ ولذلك فهذه الآثارُ ليست حُجّةً لتبرئةِ هؤلاء الفراعنةِ من تُهمةِ الظُّلم.

ثانيًا: ليس في القرآنِ اتّهامٌ لفرعون موسى أنّه أساءَ إلى المصريّين بالقتلِ أو السَّجنِ أو التَّعذيبِ، وإنّما جاء في القرآنِ وَصْفُ هذا الفرعون بصفاتٍ تُظْهِرُ أنَّهُ كان يسعى لاحتواءِ قومِهِ بالدَّهاءِ واللِّيْنِ عند الاقتضاءِ؛ فإنّه رَضِيَ مُناظرةَ موسى -عليه السَّلام- أَمامَ قومِهِ: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ (طه/ 49-55). ورَضِيَ أَنْ تُعْقَدَ مُبارزةٌ بالخَوارقِ بين سَحَرَتِهِ وموسى -عليه السَّلام-: ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾﴾ (طه/ 58). ولمّا أراد أن يبطِشَ بموسى -عليه السَّلام- وقومِهِ، تَوَجَّهَ بالخطابِ الذي ظاهِرُهُ الشَّفَقةُ إلى قومِهِ، وقال: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ

﴿٣٦﴾ (غافر/ 26)؛ فما قال الفرعونُ لقومِهِ اقتُلُوا هؤلاء لأنّهم خُصُومي؛ وإنّما ادّعى استئذانهم لِيَبْطِشَ بمن يرى أَنَّهُ سَيُظْهِرُ الفَسادَ في الأرضِ.

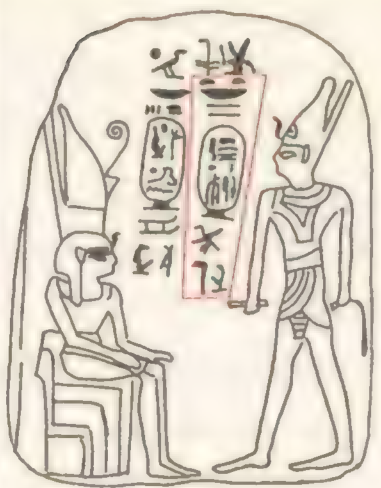
وقد جاء أيضًا الخَبَرُ في القرآنِ أَنَّ فرعونَ قد زَعَمَ لنفسِه الأُلُوهيّةَ، وأنّه صاحِبُ السُّلطانِ الأَعْلى على مصرَ، وأَنَّهُ قَتَلَ ذُرِّيَّةَ بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ (البقرة/ 49)، و﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ (القصص/ 4)، وأنّه سخَّرَ بني إسرائيلَ خِدْمةً لِمَصالِحِهِ؛ فقد قال موسى -عليه السَّلام- لفرعون: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ (الشعراء/ 22).. وليس في هذه الأخبارِ القرآنيّةِ ما يُستنكَرُ تاريخيًّا.

ادّعاءُ فرعونَ الأُلوهيّةَ: ادّعى الفراعنةُ الأُلوهيّةَ، خاصّةً رمسيس الثاني، المرشَّح الأكبرَ ليكون فرعون الذي سَخَّرَ بني إسرائيل. وقد ظَهَرَتْ علاماتُ دعواهُ الأُلُوهيّةَ في آثارِ عَصْرِهِ كما بَيَّنَهُ عالِمُ الآثارِ المصريِّ النصرانيِّ المعروف لبيب الحبشيِّ في كتابِهِ: «ملامحُ تَأْلِيهِ رمسيس الثاني».[1]

ومن الآثارِ التي تشهد لادِّعاءِ فرعونَ الألوهيّةَ كما جاءت في القرآن، النُّصْبُ رقم 410 في متحف «Hildesheim Museum». وفيه نُقِشَ النَّصُّ التّالي: «مَلِكُ مصرَ العُليا والسُّفلى، ربُّ الأرضين رمسيس مري آمون، الإله».[2]

(1) Labib Habachi, *Features of the Deification of Rameses II*, Glückstadt: J.J. Augustin, 1969.
(2) Habachi, *Features of the Deification of Ramesses II*, p. 31





وهو نصٌّ يُصَدِّقُ ما في القرآن من الإخبارِ عن تألِيهِ فرعونَ نفسَهُ، كما يُصدِّق قولَ فرعون: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ (الزخرف/ 51).

إذلال بني إسرائيل: الغالبُ على الآثارِ المصريّةِ زمنَ رمسيس الثاني تصويرُ عامّةِ الأجانبِ باسمٍ واحدٍ، وهو «الآسيويُّون»[1]؛ إذا كانوا من آسيا. وقد كانت بلادُ كنعانَ التي هاجَرَ منها يعقوبُ -عليه السَّلام-وبَنِيهِ (الذين تَشَكَّلَ منهم قومُ بني إسرائيل) من بلاد الآسيويِّين. وتحتفِظُ لنا جدرانُ الآثارِ المصريّة بصورٍ مختلفةٍ من عصرِ رمسيس الثاني، وفيها آسيويُّون وَهُمْ في حالِ ذُلٍّ، وقد استُخْدِمُوا للأعمالِ الشّاقّةِ، في صُنْعِ قوالِبِ الطُّوبِ أو أعمالِ الفِلاحةِ. وهو ما فَصَّلَ في بيانِهِ عالِمَا المصريّاتِ كنث كتشن في أكثر من بحث،[2] وجيمس هوفماير في كتابه «إسرائيل في مصر»، مع تنبيهِ هوفماير أنّ التوراة رغم اهتمامها بصورةٍ بالغةٍ بحالِ بني إسرائيلَ في مصرَ، إلّا أنّها أشارَتْ أيضًا إلى أنَّ بني إسرائيلَ لمّا خَرَجُوا من مصرَ، خرج معهم «لفيفٌ كثيرٌ»

---

(1) كتشن، مصداقية العهد القديم، تعريب: باسم الله فوزي وأمير سامي، مصر الجديدة: معربون، 2019، ص277.
(2) See Kenneth Anderson Kitchen, "From the Brickfields of Egypt", in *Tyndale bulletin* 27 (1976) 137-147.

(خروج 12/ 38)؛ بما يُظْهِرُ أَنَّ الإذلالَ الَّذي شَمِلَ الأَجانبَ من غيرِ بني إسرائيلَ أو لعددٍ كبيرٍ منهم؛ قد دفع جماعةً كبيرةً من غير بني إسرائيلَ أن تخرُجَ هاربةً من الفرعونِ في مشهدٍ عظيم.[1]

كما قال عالم المصريات ألان غاردنر Alan Gardiner–أحدُ أشهرِ علماءِ المصريّاتِ في القرنِ الماضي، المعروف بتكذيبِهِ لكثيرٍ ممّا جاء في التوراةِ– إنّه لا يستطيعُ أَحَدٌ أن يُكذِّبَ بحقٍّ وجودَ بني إسرائيل في مصر بصورةٍ ما أو بأُخرى، وأَنَّ المذكورَ من سوءِ المعاملةِ التي لَقُوها يبعد أن يكون من جِنْسِ الأخبارِ المفتراة.[2]

قتلُ بني إسرائيل: جاء في لوحةِ مرنبتاح بن رمسيس الثاني (والذي رَشَّحَهُ كثيرٌ من الباحثين ليكون فرعونَ الذي غرقَ في البحرِ)، والتي تعودُ إلى حدود سنة 1210 ق.م ذِكْرُ قَتْلِ بني إسرائيلَ. فالنصُّ يقولُ:

يقولُ الرُّؤَساء منطرحين أرضًا: السّلام

ولم يعد يرفع واحدٌ من بين قبائل البدو «تسعة الأقواس»[3] رأسه.

والتحنو قد خَرِبَتْ.

وبلاد خاتي أصبحت مسالمة.

وكنعان أُسِرَتْ مع كُلِّ خبيثٍ.

وأُزيلَتْ عسقلان.

وجيزر قُبِضَ عليها.

وبنوام أصبحت لا شيء.

وإسرائيل خربت وليس لها بذر.

وخارو[4] أصبحت أرملةً لمصر.

---

(1) James K. Hoffmeier, *Israel in Egypt: The Evidence for the Authenticity of the Exodus Tradition*, Oxford: Oxford University Press, 1999, pp.112-116.

(2) Alan H. Gardiner, "The Geography of the Exodus," in *Recueil D'etudes Egyptologiques Dediees a La Memoire De Jean-Francois Champollion*, Paris: Bibliothèque De L'école Des Hautes Études, 1922, pp.204-205.

(3) اسم قديم لأعداء مصر المجاورين لها.

(4) فلسطين.

وكلُّ الأراضي قد وَجَدَت السِّلْمَ.

وكلُّ من ذَهَبَ جائلًا أَخْضَعَهُ مَلِكُ الوَجْهِ القِبليِّ والبحريِّ بنرع -محبوب- آمون.

ابن الشمس مرنبتاح مُنشرِحٌ بالصِّدقِ.

مُعطي الحياةِ مثل رع كل يوم».[1]

وقد كتب الأركيولوجيُّ الشهيرُ ويليام ديفر في تلخيصِ موقفِ النقّادِ من نصِّ اللّوحةِ: «يتّفِقُ جميعُ العلماءِ على أنَّ التاريخ محدَّدٌ في هامشٍ أَقَلّ من خمسِ سنواتٍ بحسابٍ فَلَكِيٍّ، وأَنَّ قراءةَ «إسرائيل» مؤكّدةٌ؛ وأنّ «إسرائيلَ» متبوعةٌ بعلامةٍ مصريّةٍ للأممِ أو علامةٍ محددةٍ لـ «شعوب»، بدلًا من علامةِ مملكةٍ أو دولةٍ-مدينةٍ أو ما شابه ذلك؛ وبالتالي فلا بدّ أنّ هذه العلامة متعلّقةٌ بتَعْيين مجموعةٍ عِرقيّةٍ خاصّةٍ؛ وأَنَّ هذا الكيان -أيًّا كان- كان متميّزًا في أذهان المصريّين عن الكنعانيّين والحوريّين والشّاسو البدو أو غيرهم من الجماعات في كنعان المعروفة لدى المصريّين والمذكورة في هذا النصِّ وغيرِهِ من النُّصوصِ المصريّةِ».[2]

---

(1) سليم حسن، الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1940م، 2/ 218-219.

(2) William G. Dever, *What Did the Biblical Writers Know and When Did They Know It?*, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 2001, p.118.

عزير ابن الله

الاعتراض:

جاء في القرآن: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾(التوبة/ 30). ولم يعرف اليهود يومًا رجلًا باسم «عُزَيْرٍ». وإذا قيل إنّ عُزَيْرًا هو عِزْرا الكاهِنُ؛ فاليهودُ ما قالوا إنّ عزرا ابنُ الله، ولا عَبَدُوهُ.

الجواب:

تزعم هذه الشُّبهةُ أنّ عُزَيْرًا شخصٌ لم يَعْرِفْهُ اليهودُ، وأنّ وَصْفَ عِزْرا أنّه ابنُ اللهِ، وأنّ اليهودَ عَبَدُوه، خَطَأٌ تاريخيٌّ. والقراءةُ التاريخيّةُ العاقِلةُ للآيةِ، تنتهي إلى واحدٍ من تفسيرَيْنِ لحقيقةِ عبادةِ عِزْرا، بين القولِ إنّ هذا المذهبَ كان عليه بعضُ يهودِ الجزيرةِ العربيّةِ، أو إنَّ عبادةَ عِزْرا ترجعُ إلى تأسيسِ اليهوديّةَ المتأخّرةَ، المحرِّفةَ لِلوَحْيِ. وهو ما سَنَتَنَاوَلُهُ بتفصيلٍ في النقاط التالية.

أَوّلًا: أقربُ اسمٍ لِعُزَيْرٍ في تُراثِ اليهودِ هو «عِزْرا الكاتب» «עֶזְרָא הַסּוֹפֵר». وقد أَقَرَّ فيلسوفُ اليهودِ ابن كمونة أَنَّ عِزْرا اليهوديَّ هو عَيْنُ «عُزَيْرٍ» القرآنيِّ.[1] إذ ليس عند اليهودِ شخصيةٌ كبيرةٌ مؤثّرةٌ في تاريخها الدينيّ غيره ممّا تُطابِقُ حُروفُ صَوَامِتِهِ صوامتَ «عُزَيْر»، العَينُ والزَّايُ والرَّاءُ.[2]

والسِّياقُ القرآنيُّ دالٌّ على أنّ «عُزَيْر» هو نفسُه عِزْرا، فالآيةُ في سِياقِها تقولُ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ

---

(1) ابن كمونة، تنقيح الأبحاث للمِلَلِ الثّلاث، القاهرة: دار الأنصار، 1380هـ/ 1960م، ص32.

(2) عُزَيْرٌ اسمُ تصغيرِ لِعِزْرا، إمّا لعادَةِ يهودِ الجزيرةِ، أو للتَّقليلِ مِنْ شَأْنِهِ. قال ابنُ عاشور في تفسيره: «قد ذَكَرَ اسمَ عِزْرا في الآيةِ بصيغةِ التّصغيرِ، فيحتمل أنّه لما عُرِّبَ عُرِّبَ بصيغةٍ تُشبهُ صيغةَ التّصغيرِ، فيكونُ كذلك اسمُهُ عند يهودِ المدينةِ ،ويحتمل أن تصغيرَهُ جرى على لسانِ يهودِ المدينةِ تحبيبًا فيه» (التحرير والتنوير، 10/ 168).

يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ (التوبة/ 30-31).

الآيةُ 31 من سُورةِ التَّوبةِ تُشير إلى اتّخاذ الأَحبارِ والرُّهبانِ والمسيحِ أَرْبابًا؛ وهو ما يدلُّ على أنّ عُزَيْرًا من الأحبارِ لحديثِ هذه الآية والتي قَبْلَها عن المسيحِ. ولم يُشْتَهَرْ عند أهلِ الكِتابِ حَبْرٌ باسمِ قريبٍ من عُزَيْرٍ غيرُ عِزْرا الكاتبِ.

المسيحُ	شريكٌ لله	ربٌّ بتأليهِهِ
عُزَيْر	شريكٌ لله	ربٌّ بطاعَتِهِ في التّحليلِ والتَّحريمِ.
الأحبارُ والرُّهبان	شركاءُ لله	أربابٌ بطاعَتِهِمْ في التَّحليلِ والتَّحريمِ

ثانيًا: لم يُسارِعْ كثيرٌ من المستشرقين إلى تَخْطِئةِ القرآنِ؛ لأنّ معنى عبادة عِزْرا؛ بمعنى الظَّنِّ أنّهُ الخالِقُ: يَهْوه؛ لم يَشْتَهِرْ عند عموم اليهودِ زَمَنَ البعثةِ؛ ولذلك قال المستشرقُ بول كزانوفا: «من الممكنِ أن يكون محمّدٌ قد أَخْطَأَ في تفسيرِ هذا المقطعِ أو ذاك من الكتابِ المقدَّسِ أو الإنجيلِ، ولكن يبدو لي أنّ هذا الخَطَأَ العَقَدِيَّ يَتَعارَضُ مع ما نعرِفُه عن العلاقات بين محمّدٍ والحاخامات مثل عبد السّلام[1]، ووَهْبِ بن مُنَبِّه، وكَعْبِ الأَحبارِ».[2] وبعيدًا عن أَنَّ وهبَ بنَ مُنَبِّهٍ وكَعْبَ الأَحبارِ لم يَلْقَيا الرَّسُولَ -ﷺ-، يبقى أَنَّ كلام كزانوفا وجيهٌ مِنْ وَجْهٍ؛ فهو وإِنْ أَنْكَرَ نُبوّةَ محمّد -ﷺ-، إلّا أنّهُ أَقَرَّ أَنَّ وجودَ يهودٍ يعرفُونَ دِينَهُم، أَسْلَمُوا، مانعٌ من الوقوعِ في خطأٍ بهذه الصُّورةِ المتصوَّرةِ. وذاك ما دَفَعَ عامّةَ المستشرقين إلى البحثِ عن المَصداقِ الواقعيِّ للآيةِ؛ حتّى قيل إنّ عُزَيْرًا هو أَخْنُوخ. وأَخْنُوخ قد قِيْلَ فيهِ ما يرقى إلى التَّأْلِيهِ.[3]

---

(1) يقصدُ عبدَ الله بنَ سَلَام.

(2)" Mohammed a pu se tromper dans l'interprétation de tel ou tel passage de la Bible ou de l'Évangile. Mais une telle erreur dogmatique me paraît incompatible avec ce que nous savons des rapports entre Mohammed et des rabbins comme ' Abd asSalâm , Wahb ibn Mounabbih , Ka'b al - Aḥbâr ." Paul Casanova , 'Idris et ' Ouzair' , *Journal Asiatique* , CCV (1924), 358.

(3) Gordon Newby, art. "Uzayr", A *Concise Encyclopedia of Islam*, New York: Oneworld Publications, 2013.

وقد نزلَتْ في اليهودِ مئاتُ الآياتِ في إدانتهم، بكشفِ فسادِ دِينهِمْ ومَكْرِهِم بالإسلامِ، ومع ذلك لم تَرِدْ تُهمةُ عبادةِ العُزَيْرِ إلَّا في آيةٍ واحدةٍ، في حين أَنَّهُ نَزَلَتْ في إدانةِ عقيدةِ النَّصارى آياتٌ أَقَلّ من ذلك مع تكرارِ النكير على دعوى بُنُوَّةِ المسيحِ لله مَرَّاتٍ. ولو أَنَّ عبادةَ عُزَيْرٍ كانت شاملةً لجميع اليهودِ على المعنى المفهوم من عبادةِ المسيحِ بالقول بأزليّته وأنّه به خُلِقَ العالم؛ لَتَكَرَّرَ هذا الوصفُ لعقيدتهم، وتكرَّرَ معه نَقْضُهُ عَقْلًا.

ولو كان القرآنُ كتابًا مفترًى؛ لنسَبَ هذه البُنُوَّة إلى داود -عليه السَّلام-؛ فهو أَشْهَرُ مَنْ وُصِفَ بالبُنُوَّةِ في الكتابِ المقدَّسِ، خاصَّةً في المزاميرِ، على خِلافِ عِزْرا الذي لم يُوْصَفْ صراحةً بهذه البُنُوَّةِ في العهدِ القديمِ العِبريِّ.

ثالثًا: من الممكن أنْ يُفهمَ حديثُ الآية 30 من سورة التَّوبةِ على أنّه متعلّقٌ ببعضِ يهودِ الجزيرةِ العربيّةِ لا كلِّ اليهودِ. قال ابنُ إسحاقَ: أَتَى رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- سَلَّامُ بْنُ مِشْكَم، وَنُعْمَانُ بْنُ أَوْفَى، وَشَاسُ بْنُ قَيْسٍ، وَمَالِكُ بْنُ الصَّيْفِ، فَقَالُوا: كَيْفَ نَتَّبِعُكَ وَقَدْ تَرَكْتَ قِبْلَتَنَا، وَأَنْتَ لَا تَزْعُمُ أَنَّ عُزَيْرًا ابْنُ اللَّهِ؟ فَأُنْزِلَ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة/ 30] إِلَى: ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠﴾ [التوبة/ 30]».[1]

قال ابنُ العربيِّ: «تبَرَّأَتِ اليهودُ في هذه الأزمانِ من القولِ بأَنَّ العُزَيْرَ ابنُ اللهِ. وهذا لا يَمْنَعُ كونه كان موجودًا في زمنِ النبيِّ -ﷺ-؛ لأنّ ذلك نزل في زَمَنِهِ، واليهودُ معه بالمدينةِ وغيرِها؛ فلم يُنْقَلْ عن أَحَدٍ منهم أنه رَدَّ ذلك ولا تَعَقَّبَهُ. والظَّاهرُ أَنَّ القائلَ بذلك طائفةٌ منهم لا جميعُهم؛ بدليلِ أَنَّ القائلَ من النَّصارى إنّ المسيحَ ابنُ اللهِ طائفةٌ منهم لا جميعُهم؛ فيجوزُ أن تكون تلك الطّائفةُ انْقَرَضَتْ في هذهِ الأزْمان».[2]

وقال الرازيُّ: «فالقائلون بهذا المذهب بعضُ اليهودِ، إلّا أَنَّ اللهَ نسبَ ذلك القولَ إلى اليهودِ بناءً على عادةِ العربِ في إيقاعِ اسمِ الجماعةِ على الواحدِ. يقُال فلانٌ

---

(1) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 11/ 409.

(2) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة، 1379هـ، 3/ 359.

يركبُ الخيولَ ولعلّهُ لم يركبْ إِلّا واحدًا منها، وفلانٌ يُجالِسُ السّلاطين ولعلَّهُ لا يُجالِسُ إِلّا واحدًا».[1]

وقد جاءَ في القرآنِ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:64]. والظَّاهِرُ أَنَّ هذه الآيةَ في فريقٍ من يهودِ المدينةِ، وأَنَّ هذا القولَ ليس صريحَ لَفْظِهم، وإنّما هو لازمُ مَذْهَبِهم في حصرِ رحمةِ الله وجُودِه على فريقٍ من النَّاسِ دون غيرِهم؛ إذ لا يوجد تصريحٌ بهذا الأمر في التَّوراةِ أو التّلمودِ. قال ابنُ عبّاس: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾. قال: لَيْسَ يَعْنُونَ بِذَلِكَ أَنَّ يَدَ اللَّهِ مُوثَقَةٌ، وَلَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّهُ بَخِيلٌ أَمْسَكَ مَا عِنْدَهُ. تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.»[2]

وقال ابنُ كثيرٍ في قولِ اليهودِ لموسى -عليه السَّلام-: ﴿يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ (الأعراف/ 138): «وليس كُلُّ بني إسرائيلَ سألَ هذا السُّؤالَ. بل هذا الضَّميرُ عائِدٌ على الجِنْسِ».[3]

وفي القرآنِ أيضًا تَعَقُّبٌ لقولِ اليهودِ في المدينةِ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ [آل عمران/ 181-184]

ولا يُستغربُ أن يكون يهودُ الجزيرةِ قد تأَثَّرُوا باعتقادِ العربِ أنّ الملائكةَ بناتُ الله؛ فجعلوا معظَّمهم من أبناءِ الله: قال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا

(1) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ، 16/ 28.
(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 8/ 553.
(3) ابن كثير، البداية والنهاية، القاهرة: مطبعة السعادة، 1/ 276.

يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾ (النحل/ 57)، وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ (الصافات/ 149-150)؛ خاصة أنّ القول إنّ الملائكةَ أبناءُ اللهِ مشهورٌ بين اليهود كما سيأتي خَبَرُهُ لاحقًا.

ولذلك قال المستشرق غوردون نوباي -المتخصّصُ في تاريخ اليهودِ في الجزيرة العربيّةِ[1]- عن المطابقة بين «عُزَيْر» القرآنِ وعِزْرا: «... رغم أَنَّ هذا الرأيَ لا يمثّلُ التيّارَ اليهوديَّ الحاخاميَّ في أيِّ فترةٍ من التّاريخ، **إلّا أنّه يبدو أنّه كان هناك بعضُ اليهودِ في شِبهِ الجزيرةِ العربيّةِ قبل الإسلام يَرَوْنَ أَنَّ عِزْرا هو أَخْنُوخُ**، ويقولون إنّ أَخْنُوخَ قد أُصْعِدَ إلى السَّماءِ، وقد جُرِّدَ من بَشَرِيَّتِهِ وتَحَوَّلَ إلى ميطاطرون، والذي هو في بعضِ الرُّؤى الكونيّةِ رأسُ المخلوقاتِ السَّماويَّةِ المعروفة باسم «بني إلوهيم»، والتي تعني ترجَمَتُها الحَرْفِيَّةُ «أَبناءَ اللهِ»».[2] وقد أَثْبتَ ستيفن واسرستورم أنّ اليهودَ القَرَّائين في العصرِ الإسلاميِّ قد اتَّهَمُوا اليهودَ الحاخاميَّةَ أنّهم يَعْبُدون مَلَكًا يعمل كبديلٍ عن اللهِ، أو يَهْوه الأَصْغرَ יהוה הקטן، وهو يُعرّف عادة أنّه ميطاطرون.[3] وهو اللَّقَبُ الذي جاء في سِفْرِ أَخْنُوخَ الثّالثَ.[4] وهو مذهبُ عددٍ آخرَ من المستشرقين مثل فايرستون Firestone الذي أشار إلى ما في سِفْرِ عِزْرا الرابعِ وأخنوخ الثاني من إسنادِ صفاتِ شِبهِ إلهيّةٍ إلى عِزْرا وأخنوخ، وقال: «يبدو أَنَّ بعض أعضاءِ الطّائفةِ اليهوديّةِ المعتَنِقِين لهذه المعتقداتِ كانوا يعيشون في المدينةِ في زمن النبيِّ، وقد تمَّ رَفْضُها والردُّ عليها بهذه الآية القرآنيّةِ». [5]

وليس بمستغربٍ أن يقول فريقٌ من اليهود إنّ عِزْرا ابنُ الله، وإن عُرِفَ عنهم التَّوحيد في عامّةِ تاريخهم؛ **فإنّ من اليهودِ مَنْ أَلَّهَ موسى** -عليه السَّلام-؛ حتّى قال

---

(1) صاحب كتاب:
«A History of the Jews of Arabia: From Ancient Times to Their Eclipse Under Islam
(2) "Uzayr" art., Gordon Newby, A Concise Encyclopedia of Islam, p.209.
(3) Gordon Darnell Newby, *A History of the Jews of Arabia: From Ancient Times to Their Eclipse Under Islam*, Columbia, S.C.: University of South Carolina Press, 2009, p.59.
(4) Andrei A. Orlov, *The Enoch-Metatron Tradition*, Mohr Siebeck, 2005, p137.
(5) Reuven Firestone, *Children of Abraham: An Introduction to Judaism for Muslims*, Hoboken, NJ: Ktav, 2001, p. 36.

كرسبن فلتشر-لويس: «من المعلوم أنّه في فترةِ الهيكلِ الثاني، أَلَّه فيلو موسى».[1] وقد تُوفِّي فيلو -الفيلسوف اليهوديُّ- سنة 45م. وكان قد عُرِفَ بالاهتمام بالمصالحةِ بين العقيدةِ اليهوديّةِ والفلسفةِ الهلينيّةِ. كما ذَكَرَ كرسبن فلتشر-لويس أنّ تُراثًا حُفِظَ في كتابات المؤرِّخِ اليهوديِّ يوسيفوس وعدَّةِ كتابات يهوديّةٍ باللُّغةِ اليونانيّةِ قد أُوْرِدَ كدليلٍ على تَأْلِيهِ اليهودِ موسى -عليه السَّلام-.[2]

وقد تلبّس اليهودَ بالعقائدِ الوثنيّةِ أكثرَ من مرَّةٍ في تاريخهم،كما هي شهادةُ الكتابِ المقدَّسِ نفسه عليهم؛ فعَبَدُوا بَعْلًا الكنعانيَّ وآلهةَ الآشوريّين والبابليّين والعمونيّين والموآبيّين واليونان والرُّومان...[3] وأَثْبَتَ البحثُ الأركيولوجيُّ انتشارَ عبادةِ الآلهةِ الوثنيّةِ بين بني إسرائيلَ في فلسطينَ بعد عصرِ سليمانَ، في القرنَيْنِ التّاسع والثامن قبل الميلاد.[4]

ومن الثابت أيضًا أنَّ مِنْ يهود القرن الأَوَّلِ قبل الميلاد من كانوا يعتقدون أَنَّ مَلْكِي صَادَقَ -ملك شاليم[5]- الذي استقبل إبراهيم -عليه السَّلام-(تكوين 14/ 18-20)، شخصيّةٌ إلهيَّةٌ؛ فقد تَبَيَّنَ من مخطوطات البحرِ الميتِ أنّ فريقًا من اليهودِ كانوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مَلَكٌ من الملائكة، بطبيعةٍ إلهيَّةٍ. ويبدو أنّه قد تمّ تفسيرُ كلمة إِلُوهيم אֱלֹהִים بأنّها تُشيرُ إلى ملكي صادق في نصِّ المزمور 82/ 1: «الله [إلوهيم] قائِمٌ في مَجْمَعِ اللهِ. في وسط الآلهة يقضي»، في الوثيقة (11Q Melchizedek).[6]

وذاك يفسِّرُ النصَّ العجيبَ والمحيِّرَ في الرّسالةِ إلى العِبرانيّين 7/ 3 (من العهد الجديد) أَنَّ مَلْكِي صَادَقَ «بلا أَبٍ، بلا أُمٍّ، بلا نَسَبٍ. لا بداءَةَ أَيَّام له ولا نهاية حياةٍ. بل هو مُشَبَّهٌ بابنِ الله. هذا يبقى كاهِنًا إلى الأَبَدِ». كما يُفَسِّرُ النصَّ الغامضَ في مزمور

(1) "It is well known that in the second Temple period Philo deified Moses". Crispin H.T. Fletcher-Louis, *Luke-Acts: Angels, Christology and Soteriology*, Tubingen: Mohr Siebeck, 1997, p. 173; cf. also Crispin H. T. Fletcher-Louis, "4Q374: A Discourse on the Sinai Tradition: The Deification of Moses and Early Christology," in *DSD* 3 (196): pp. 236-252.

(2) Ibid.

(3) انظر فتحي محمد الزغبي، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية (أطروحة دكتوراه)، طنطا: دار البشير، 1414هـ/ 1994م.

(4) Israel Finkelstein and Amihai Mazar, *The Quest for The Historical Israel, Debating Archaeology and the History of Early Israel*, Leiden: Brill, 2007, pp.175-179.

(5) وقيل إنه أول ملك لأورشليم Targums Onqelos Neophyti Gen. 14:18.

(6) James L. Kugel, *Traditions of the Bible*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1998, p.280.

110/ 4: «أَقْسَمَ الرَّبُّ وَلَنْ يَنْدَمَ: «أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ». ومن العجيبِ أنّه قد وُجِدَتْ فِرقةٌ نصرانيّةٌ اسمها المَلْكِيْصادَقِيّون Melchizedekians تعتقد أنَّ مَلْكِي صَادَقَ قُوّةٌ عظيمةٌ، أقوى من المسيحِ نفسِه، وأنّ المسيحَ شبيهٌ بها.[1]

وقد اعتُرِضَ على هذا الوجهِ من تفسير الآية 30 من سورة التَّوبةِ بقول الرسول -ﷺ-: «إذَا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ ما كَانَتْ تَعْبُدُ، فلا يَبْقَى مَن كانَ يَعْبُدُ غيرَ اللَّهِ مِنَ الأَصْنَامِ والأَنْصَابِ إلَّا يَتَسَاقَطُونَ في النَّارِ، حتَّى إذَا لَمْ يَبْقَ إلَّا مَن كانَ يَعْبُدُ اللَّهَ بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ، وغُبَّرَاتُ أَهْلِ الكِتَابِ، فيُدْعَى اليَهُودُ فيُقَالُ لهمْ: مَن كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قالوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ، فيُقَالُ لهمْ: كَذَبْتُمْ؛ ما اتَّخَذَ اللَّهُ مِن صَاحِبَةٍ ولَا وَلَدٍ».[2]

وجوابُهُ ما قاله ابنُ حَجَرٍ: «قولُهُ: «كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرًا ابنَ الله» هذا فيه إشكالٌ لأَنَّ المتَّصِفَ بذلك بعضُ اليهودِ وأكثرُهم يُنكِرون ذلك، ويمكن أن يجابَ بأَنَّ خُصوصَ هذا الخطاب لمن كان مُتَّصِفًا بذلك، ومن عَدَاهُم يكون جوابُهم ذِكْرَ مَنْ كَفَرُوا به، كما وقع في النَّصارى؛ فإنّ منهم من أجابَ بالمسيحِ ابنِ الله مع أَنَّ فيهم مَنْ كان بزَعْمِهِ يَعْبُدُ اللهَ وحدَهُ، وهم الاتّحاديَّةُ الذين قالوا إنَّ الله هو المسيحُ ابنُ مريمَ».[3]

رابعًا: القول إنّ خبرَ اتّخاذِ العُزَيْرِ ربًّا ثابتٌ لعامَّةِ اليهودِ لا بعضِهم، قولٌ وجيهٌ أيضًا. وهو ما سنشرحُهُ في النّقاط التالية في هذا الجواب؛ فأَمَّا بُنُوَّةُ عِزْرا للهِ؛ فتُدْرَكُ بالعِلمِ أنّ اليهودَ زمنَ البعثةِ المحمّديّةِ كانوا يتدارسون كُتُبَهُمْ المقدَّسةَ في ترجمتها الآراميّةِ بعدما ماتتِ اللُّغةُ العِبريّةُ القديمةُ. وتُسمّى هذه الترجمات «بالترجومات». وهي تَتَمَيَّزُ بطابعها التفسيريِّ أحيانًا دون تَقَيُّدٍ بالنَّقْلِ الحَرْفِيِّ للأصلِ المترجَمِ.

وقد استُفتِحَ ترجوم ملاخي 1/ 1 -أي الترجمةُ الآراميّةُ لِسِفْرِ الملاخي- بالنصِّ التالي:

(1) Hyppolitus, *Refutation of all the Heresies* 7:36

(2) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله إن الله لا يظلم مثقال ذَرَّة يعني زِنَة ذَرَّةٍ، (ح/ 4305)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، (ح/ 183).

(3) ابن حجر، فتح الباري، 11/ 449.

بيد ملاكي الذي يُدعى اسمه عِزْرا الكاتب | ביד מלאכי דמתקרי שמיה עזרא ספרא

والقول إنّ عِزْرا هو مُؤلِّفُ سِفرِ ملاخي، مذهبٌ قديمٌ مشهورٌ، أشار إليه جيرومُ (الذي كان على هذا المذهب) [1]، وغيره،[2] وتَبَنّاهُ لاحقًا المفسِّرُ اليهوديُّ راشي والمفسِّرُ البروتستانتيُّ كالفن.[3] وهو قولٌ قديمٌ عند اليهودِ في التّلمودِ[4] وفي المدراش. [5]

وقد ترجَمَ كثيرٌ من النقّادِ نصَّ ترجوم ملاخي 1/ 1 إلى الإنجليزيّةِ، وجعل فريقٌ منهم كلمةَ «مَلَاكي» فيه بمعنى مَلَكي angel لا رَسُولي، وإن كانت اللَّفظةُ تحتمِلُ المعنيين: «by the hand of my angel, whose name is called Ezra the scribe».[6]

وهو ما أَكَّدَهُ بيتر فرهوف في تعليقِه على سِفرِ ملاخي ضمن السّلسلةِ التفسيريّةِ الشّهيرةِ «The New International Commentary of the Old Testament»؛ إذ ذُكِرَ أَنَّ عددًا من علماءِ اليهودِ وآباءِ الكنيسةِ كانوا يعتقدون أَنَّ مُؤلِّفَ سِفرِ ملاخي كان مَلَاكًا.[7] وقال المفسِّرُ جون جل عن مؤلِّف سِفرِ ملاخي: «اعتقَدَ بعضُهم أنّه ليس بَشَرًا، وإنّما هو مَلَكٌ، ولذلك تَرْجَمَت التَّرجمةُ السبعينيَّةُ בְּיַד מַלְאָכִי في العددِ الأَوَّلِ: «بِيَدِ مَلَكِهِ» «ἐν χειρὶ ἀγγέλου αὐτοῦ».».[8] وهو بذلك **يُؤَكِّدُ أَنَّ قولَ اليهودِ بملائكيَّةِ مُؤلِّفِ سِفرِ ملاخي يعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد أو قبله.** وذهبَتْ موسوعةُ الكِتابِ المقدَّسِ «Cyclopaedia of Biblical, Theological, and Ecclesiastical Lite» إلى القول عن

(1) V. *Praef. in duodecim Prophetas*.
(2) S.R. Driver, eds. *The Minor Prophets*, Edinburgh, T.C. & E.C. Jack, 1906, p.285.
(3) Matthew Black, *Malachi: Growing & Changing Commentary*, Il: Living Hope Publications, 2018, p.13.
(4) *Babylonian Talmud*, Megillah, 15a
(5) *Yalkut Malachi* , i .1
(6) Ralph Smith, *Micah-Malachi*, Zondervan Academic, 2018, p.298.
(7) Pieter A. Verhoef, *The Books of Haggai and Malachi,* Grand Rapids, Mich.: W.B. Eerdmans, 1987, p.154.
(8) John Gill, *An Exposition of the Old Testament*, London: Mathews and Leigh, 1810, 2/751.

الترجمة السبعينيّةِ لملاخي 1/ 1: «ويظهر أنّ هذه الترجمةَ قد أَدَّتْ إلى ظهورِ فكرةِ أنّ ملاخي ... مَلَكٌ في صُورةِ بَشَرٍ... وقد أشار كيرلس إلى هذا الاعتقادِ».[1]

ومن النَّصارى الذين اعتقدوا أنّ ملاخي ليس بَشَرًا، وإنما هو مَلَكٌ مُتَجَسِّدٌ، أوريجانوس[2] -أحدُ أبرزِ آباءِ الكنيسة-. وهو ما يُظْهِرُ أنّ القولَ إنَّ مؤلِّفَ هذا السِّفْرِ مَلَكٌ قد استمرَّ بين اليهود لقرونٍ طويلةٍ -ربما تعود إلى عصرٍ قريبٍ من عَصْرِ عِزْرا-، حتى إنّ بعضَ أعلامِ النَّصارى قالوا به لاحقًا.

ومعلومٌ **أَنَّ اليهودَ كانوا يرون الملائكةَ أبناءَ الله.**[3] وهو التّفسيرُ الكلاسيكيُّ للتوراةِ؛ يقول اللَّاهوتيُّ الشهيرُ لويس سبري شافر[4]: «تُدعى الملائكةُ في اصطلاحِ العهدِ القديم أبناءَ اللهِ في حين يُدعى النَّاسُ بِعَبِيْدِ اللهِ».[5] ومن المواضعِ التي يظهر فيها ذلك، ما جاء في سِفْرِ أَيُّوبَ 1/ 6: «وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللهِ لِيَمْثُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ، وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضًا فِي وَسْطِهِمْ.» وقد اختارَتْ ترجمةُ New International Version عبارة «ملائكة» «angels» في مقابلِ الأصلِ العِبريِّ «أبناء إلوهيم» «בְּנֵי הָאֱלֹהִים»، وهي مسبوقة في ذلك بالترجمة السبعينية «οἱ ἄγγελοι τοῦ θεοῦ» والترجوم «جُموع من الملائكة» «כִּתֵּי מַלְאֲכַיָּא»؛ لأنّ السياقَ متعلّقٌ بالملائكةِ، وهو ما تواطَأَ عليه المفسّرون.[6] وسببُ هذه التّسميةِ تَأَثُّرُ اليهوديّةِ بالعقائدِ الوثنيّةِ القديمة التي كانت ترى هذه الكائناتِ آلهةً من الآلهةِ، قبل أنْ تتحوَّلَ في الكتاب المقدَّسِ إلى «أبناءِ اللهِ».[7]

---

(1) John McClintock, James Strong, eds. *Cyclopaedia of Biblical, Theological, and Ecclesiastical Literature*, Harper, 1894, 5/673.

(2) Augustin Calmet, *Calmet's Dictionary of the Holy Bible*, Boston: Crocker and Brewster, 1832, p.652.

(3) W. F. Allbright, *From the Stone Age to Christianity*, Baltimore: John Hopkins Press, 1940, p. 226

(4) لويس سبري شافر Lewis Sperry Chafer (1871-1952): أمريكي. أوّل رئيس للمؤسسة التعليمية «Dallas Theological Seminary». له كتاب في اللاهوت النسقي من 8 مجلّدات.

(5) Lewis Sperry Chafer, *Systematic Theology*, Dallas: Dallas Seminary Press, 1947, 2/ 23.

(6) See Robert Fame Hutchinson, *Thoughts on the Book of Job*, Samuel Bagster, 1875, p.22; A. B. Davidson, *The Book of Job*, Cambridge: University Press, 1889, p.6.

(7) G. Cooke, "The Sons of (the) God(s)," in *ZAW* 76 (1964) 22-47; M. Tsevat, "God and the Gods in Assembly," in *HUCA* 40/41 (1969-70) 123-37; C. H. W. Brekelmans, "The Saints of the Most High and Their Kingdom," in *OTS* 14 (1965) 305-29.

وقد لُقِّبَ عِزْرا بـ«كاتبِ عِلمِ العَلِيِّ»، وهو وَصْفٌ أُطْلِقَ أيضًا على رُؤساءِ الملائكةِ،[1] وعلى أَخْنُوخَ الذي تحوَّلَ في التُّراثِ اليهوديِّ من بَشَرٍ إلى مَلَكٍ[2] وكائنٍ إلهيٍّ.[3] وقد اقْتَرَنَ هذا الوصفُ في التّرجمةِ السّريانيّةِ لِسِفْرِ عِزْرا الرابع في العدد 49 بوصفِ عِزْرا أنّه قد «خُطِفَ إلى مكانٍ يوجد فيه أمثالُه».[4] ولعلَّهُ قد قُصِدَ بذلك أنّ عزرا قد رُفِعَ إلى السَّماءِ حيث الملائِكةُ.[5] وهو نصٌّ موجودٌ أيضًا في التّرجماتِ العربيّةِ والأثيوبيّةِ والآراميّةِ.[6] وهذا السِّفْرُ قد وَصَفَهُ س. ه. بوكس C. H. Box أنّه «نتاجٌ حقيقيٌّ لليهوديّةِ، ولكنَّهُ نتاجُ يهوديَّةٍ تنتمي إلى نوعٍ أقدمَ من ذلك المتمثِّلِ في الأدبِ الحاخاميِّ كما جاء إلينا».[7]

وقد اقتربَ المستشرقُ كزانوفا من جوابِ السؤالِ المتعلّقِ بشخصيّةِ «عُزَيْر» -وهو أيضًا قولُ المستشرقِ الفرنسيِّ بلاشير-[8]؛ إذ ذهب إلى أنّه المَلَكُ عَزَيل עזאל الذي يُكْتَبُ أحيانًا عززيل עזזאל وعوزييل עוזיאל؛ ذاكرًا نصَّ تكوينِ 6/ 1-4 [9] الذي يتحدَّثُ عن أبناءِ اللهِ (بنو إِلُوهيم)، والذين يذهب عامّةُ المفسّرين إلى أنّهم ملائِكةٌ، لافتًا الانْتِباهَ إلى أنّ هذا النصَّ وإنْ لم يذكرْ أسماءَهُم إلّا أنّ المفسّرين ذَكَرُوا منهم

(1) Gordon Darnell Newby, *A History of the Jews of Arabia: From Ancient Times to Their Eclipse Under Islam*, p.60.

(2) Paul Allan Mirecki, Marvin W. Meyer, *Magic and Ritual in the Ancient World*, Leiden: Brill, 2002, p.299.

(3) Matthias Henze, Gabriele Boccaccini, eds. *Fourth Ezra and Second Baruch: Reconstruction after the Fall*, Leiden: Brill, 2013, p.345.

(4) C. H. Box, tr. *The Apocalypse of Ezra*, London: Society for Promoting Christian Knowledge, 1917, p.114.

(5) أحال محقّق نص عزرا 4 (الجزء المسمى برؤيا عزرا) هنا إلى نصوص أُخرى تتحدّثُ عن هؤلاء الذين في السَّماء أو الذين لَيسُوا على الأرض ولكنَّهم مع المسيح، ومنها نصُّ رؤيا عزرا 13/ 52: «لا أحد من هؤلاء الذين على الأرض يرى ابْنِي أو أولئك الذين معهٓ». وقال في هامشه: «أي أصحاب المسيح؟ انظر 7/ 28 أو ربما جمع من الملائكة».
C. H. Box, tr. *The Apocalypse of Ezra*, London: Society for Promoting Christian Knowledge, 1917, p.107.

(6) Charles James Ball, ed. *The Variorum Teacher's Ed. of the Holy Bible*, Eyre, 1893, p.57.

(7) C. H. Box, tr. The Apocalypse of Ezra, pp.x-xi.

(8) See Mustafa Öztürk, '"Uzeyr Allah'in Oğludur" İddiasina Dair Bir İnceleme', in *Akademik Araştırmalar Dergisi* 2003, Sayı 16, Sayfalar, 158

(9) «وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الأَرْضِ، وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، أَنَّ أَبْنَاءَ اللهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا. فَقَالَ الرَّبُّ: «لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ، لِزَيَغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً». كَانَ فِي الأَرْضِ طُغَاةٌ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَبَعْدَ ذلِكَ أَيْضًا إِذْ دَخَلَ بَنُو اللهِ عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ أَوْلاَدًا، هؤُلاَءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ ذَوُو اسْمٍ».

المَلَك عَزيل.[1] وقد أصابَ كزانوفا في ربطِ معنى «ابنِ اللهِ» بشخصٍ ملائكيٍّ عند اليهودِ، غير أنَّ تحديدَهُ بأنّه عزازيل بعيدٌ لاختلافِ صوامتِ الكلمتَيْنِ (الرّاء واللّام في الاسمَيْنِ)؛ ولأنّ الآيةَ التّاليةَ لِذِكْرِ عُزَيْرٍ تُشِيرُ إلى اتّخاذِ الأحبارِ والرُّهبانِ أربابًا يُطاعُون مع الله؛ بما يقتضي أن يكون عُزَيْر منهم.

ولا يُعترَضُ على الوصفِ القرآنيِّ هنا أنّ بأهلَ الكتابِ يُثْبِتُون لَقَبَ «ابن اللهِ» للصَّالحين من البَشَرِ؛ فإنّه من البَيِّنِ أنّ تخصيص الملائكةِ بالبُنُوَّةِ هنا ليس لمحضِ وَصْفٍ بالصَّلاحِ، وإنّما هو أَثَرٌ عن العقيدةِ الوثنيّةِ التي اسْتَلْهَمَ منها الكتابُ المقدَّسُ هذا الوَصْفَ.

ولا يلزم أن تكون بُنُوَّةُ عِزْرا عند اليهود مطابقةً لِبُنُوَّةِ المسيحِ من كلِّ وَجْهٍ؛ فإنّ «دلالةَ الاقترانِ» ضعيفةٌ عند جماهير الأُصوليّين. قال الشوكانيُّ: «أَنْكَرَ دلالةَ الاقترانِ الجمهورُ فقالوا: إنَّ الاقترانَ في النَّظْمِ لا يستلزِمُ الاقترانَ في الحُكْمِ». [2] ودليل الاقترانِ هو «الحُكْمُ بثبوتِ حُكْمٍ لشيءٍ بناءً على ثُبُوتِهِ للشَّيءِ الذي اقترنَ به».[3] وعدمُ التّطابُقِ في البُنُوَّةِ بين المسيحِ وعُزَيْرٍ هو من جِنْسِ بحثِ دلالةِ الاقترانِ. والمشتركُ بين البُنُوَّتَيْنِ، مَظْهَرُ الغُلُوِّ، والخروجُ عن البشريَّةِ، لا كُلَّ طبائع البُنُوَّةِ؛ فإنّ لهذه البُنُوَّةِ في العقائدِ الدينيّةِ مظاهرُ كثيرةٌ؛ قد يكون فيها الابْنُ أَزَلِيًّا وخالِقًا، كما هو مذهبُ عامّةِ النَّصارى المتأخّرين، **وقد يكون ابنُ اللهِ مخلوقًا**، كما هو قولُ **عامّةِ آباءِ الكنيسةِ قبل نيقية**[4]، وقول الآريوسيّين معهم، في المسيحِ -عليه السَّلام-.

---

(1) Paul Casanova , 'Idris et ' Ouzair' , *Journal Asiatique* , CCV (1924), 356-360.

(2) الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، 1419هـ/ 1999م، 2/ 197.

(3) سانو، معجم مصطلحات أصول الفقه، بيروت: دار الفكر المعاصر، 2000م، ص 201.

(4) قال ريشارد هانسون في كتابه الذي خَصَّهُ للجَدَلِ حول الآريوسيّةِ في القرن الرابع: «آمَنَ كلُّ اللّاهوتيين الشرقيّين -تقريبًا- أنّ الابنَ كان -بصورة ما- تابعًا للآب قبلَ التجسُّد... قَبِلَ كُلُّ اللّاهوتيّين في الشرق والغرب عمليًّا -باستثناء أثناسيوس- شكلًا ما للتابعيّة، على الأقلّ حتّى سنة 355» (Richard Patrick Crosland Hanson, *The Search for the Christian Doctrine of God: The Arian Controversy 318-381 AD,* New York: A&C Black, 2005, p. xix).

وممّا يؤيّد ذلك فهمُ تَتِمَّةِ التّقريرِ القرآنيِّ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾.

الآية 31	الآية 31
تتحدَّثُ عن اتّخاذِ النَّصارى الرُّهبان (مع المسيح) أربابًا من دون الله، وذاك تتمّة حديث الآية 30 عن اتّخاذ النَّصارى للمسيحِ ابنًا لله.	تتحدَّثُ عن اتّخاذِ الأَحْبارِ أربابًا من دون اللهِ، وذاك تتمَّةُ حديثِ الآية 30 اتّخاذ اليهود (عُزَيْرًا) ابنًا لله.

جِنْسُ بُنُوَّةِ عِزْرا وعبادَتِهِ يُفْهَمُ بربطِ الآية 30 بالآيةِ 31؛ فقد فُسِّرَ معنى الرُّبوبيّةِ في الآية 31 بالمتابعة في تحريم الحلالِ وتحليل الحرام؛ فقد أَنْكَرَ عَدِيّ بنُ حاتم أن يكون النَّصارى يعبدون رُهْبانهم، فأجابَهُ الرَّسُولُ -ﷺ- تصحيحًا لِفَهْمِهِ الآية: «أَمَا إِنَّهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنّهم كانوا إذا أَحَلُّوا لهم شيئًا استَحَلُّوهُ، وإذا حَرَّمُوا عليهم شيئًا حَرَّمُوه».[5] ولو أنّ بُنُوَّةَ عُزَيْر كانت من عَيْنِ جِنْسِ بُنُوَّةِ المسيحِ، لم يكن لِذكْرِ الشِّركِ بطاعة الأَحْبارِ والرُّهبانِ معنًى ظاهِرٌ؛ فإنَّ اليهودَ والنَّصارى ما اعتقدوا أَزَلِيَّةَ الأَحْبارِ والرُّهبانِ.

النصرانية	اليهودية
قالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ	قَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ
اتَّخَذُوا ... وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ	اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ ... أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ

(5) رواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله -ﷺ-، باب ومن سورة التوبة، برقم (3095)، والبيهقي في السنن الكبرى، (ح/ 20137). وفي إسناده كلام، وقد حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (3293). ومعناه صحيح يشهد له سياق الآية، وعليه إجماع المفسّرين.

واتّخاذ النَّصارى علماءَهم ورُهْبانَهم مراجع للحكم بغير ما أنزل الله، ثابتٌ في الشَّرائعِ التي كانت تُصْدِرُها المجامع الكنسيّةُ، وفي قراراتِ البابوات، والأعراف الناشئة في الكنائس المحليّة. ومن أَوْضحِ النُّصوصِ في هذا الشأن، ما جاء في وثيقةِ الديدسكاليا Didascalia[1] من القرن الثالث: «الأُسْقُفُ... رَأْسُكُمْ وقائدُكُمْ ومَلِكُكُم العظيمُ. هو يقود في مكان الجليل، ولكنْ لِتُمَجِّدُوهُ كاللهِ؛ لأَنَّ الأُسْقُفَ يَجْلِسُ لكم **في مكانِ اللهِ الجليل**».[2]

لازِمُ ما سبقَ أنْ يكون عُزَيْرٌ أعظمَ مُشَرِّعِي اليهوديّةِ؛ إذ ساقَهُ القرآنُ في مقامِ الحديثِ عن تحليلِ الحرامِ وتحريمِ الحلالِ. والمفاجأةُ هنا هي أنّ هذا هو ما انتهى إليه النّقدُ الأعلى للتّوراةِ في الغربِ؛ إذ اكتشفَ العلماءُ أَنَّ التّوراةَ -الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى -عليه السَّلام-- هي في الحقيقة مجموعةُ نُصوصٍ تمّ تحريرُها وتنقيحُها، ثم تمّتْ إعادةُ صِياغَتِها ونسجها على أنّها أسفارُ التّوراةِ زمنَ عِزْرا الكاهنِ، وكثيرٌ من النقّادِ على أَنَّ عِزْرا هو الذي تَوَلَّى ذلك.

فالتّاريخُ اليهوديُّ يُخبرنا أنّ التوراةَ قد ضاعَتْ، ثم أَعَادَ عِزْرا كتابَتَها. يقول القِسُّ الدكتور صموئيل يوسف: «اعتقَدَ آباءُ الكنيسةِ الأُولى ومنهم إيريناوس وترتليان وكليمندس السّكندري وجيروم بأنّ موسى هو كاتِبُ الأسفارِ الخمسةِ، وذهبوا إلى الاعتقاد أيضًا أنّ هذه الأسفارَ أَحْرَقَها نبوخذ نصر وقتَ مُحاصرتِهِ أورشليم، فأعاد عِزْرا كتابَتَها من جديدٍ بإلهامٍ من الرُّوحِ القدسِ».[3]

ويقول الحَبْرُ اليهوديُّ المحافظ روفن هامر[4] مُلخّصًا واقع قول النقّادِ اليومَ: «من **المقبولِ عمومًا** في الدوائر العلميّةِ اليومَ أنّ أربعَ ضفائرَ[5] جُدِلَتْ لتكون واحدةً:

---

(1) الديدسكاليا: رسالةٌ منسوبة إلى تلاميذ المسيح -عليه السَّلام-. كانت من أهم المصادر التشريعية للكنيسة.

(2) Mehdi Azaiez, *et al.*, eds. *The Qur'an Seminar Commentary / Le Qur'an Seminar*, Berlin; Boston: De Gruyter, 2017, p.141

(3) صموئيل يوسف، المدخل إلى العهد القديم، القاهرة: دار الثقافة، 1413هـ/ 1993، ص73.

(4) روفن هامر Reuven Hammer (-1933): عالم في اللّيتورجيات اليهوديّة. كان رئيسًا «المجمع الأحبار» «Rabbinical Assembly»، وهو مجمع خاص بالأحبار المحافظين. من مؤلفاته: «Sifre: A Tannaitic Commentary on the Book of Deuteronomy».

(5) الأَوْلى عَدَمُ حَصْرِها في أربع ضفائرَ؛ لِتَطَوُّرِ نظريّةِ المصادرِ في العقودِ الأخيرةِ.

اليَهوِيّة حيث تُستعمل الحروفُ الأربعةُ لاسم اللهِ «يَهوه»، والإلوهيمية، والتي تشير إلى اسم اللهِ إلوهيم، والكهنوتيّة حيث القانونَ الكهنوتيُّ، والتثنَوِيَّة، المدرسةُ التثنويّة. ربّما تولّى المحرّرُ- **والراجح أنَّهُ عِزْرا الكاتب**- التَّحريرَ النّهائيّ». [1]

وصرّح بذلك النّاقدُ التوراتيُّ الكبيرُ ريتشارد فريدمان[2] في كتابه الشّهيرِ «مَنْ أَلَّفَ الكتابَ المقدَّسَ؟»، بقوله إنّ القرائنَ مجتمعةٌ على نسبةِ صناعةِ التوراة الحالية لِعزْرا، فقد انتهى البحثُ المعاصر إلى أنّ ظروف صناعة هذه التوراة بشكلها الحاليّ توافِقُ مكان وجود عِزْرا، وزمانِه، وعائلتِه الكهنوتيّة، ووظيفتِه، كما توافق التّراث اليهوديُّ القديم الذي يُقرّر أنّ التوراةَ ضاعَتْ وأعاد عِزْرا كتابَتَها بالوَحْيِ، كما هو مثلًا في سِفرِ عِزْرا الرابع. [3] ولذلك أَكّدَ فريدمان على أنّه «**في الكتاب المقدَّسِ (اليهوديِّ) بأكملِه، رجلان فقط عُرِفا أَنّهما مُشَرِّعان: موسى وعِزْرا**»[4] وإذا كان موسى -عليه السَّلام- قد نقل الشَّرْعَ المُنَزَّلَ، فإنّ عِزْرا قد لَفَّقَ الشَّرْعَ المُخْتَلَقَ؛ فموسى -عليه السَّلام- بَشَرٌ مُبلّغ، وعِزْرا مُشرِّع مُتَأَلِّهٌ.

وهو ما نَبَّهَ إليه ابنُ حَزْمٍ منذ قرونٍ، بقوله: «وكان كتابة عِزْرا للتَّوراة بعد أَزْيَدَ من سبعين سنة من خرابِ بيتِ المقدس. وكُتُبُهم تدلُّ على أَنَّ عِزْرا لم يَكْتُبْها لهم ولم يُصْلِحْها إلَّا بعد نحو أربعين عامًا من رجوعهم إلى البيت، بعد السّبعين عامًا التي كانوا فيها خالِينَ، ولم يكن فيهم حينئذٍ نَبِيٌّ أَصْلًا ولا القُبَّةُ ولا التَّابُوتُ... ومن ذلك الوقتِ انتشرت التّوراةُ ونُسِخَتْ». [5]

وخطورةُ اتّهامِ اليهوديّةِ أنّها تعود إلى نسخةٍ من التّوراةِ جاء بها عِزْرا، أمرٌ اعتَرَفَ به اليهودُ القَرّاؤُون في إدانتهم لليهوديّة الربّانيّة القائلة إنّ التّوراةَ ضاعَتْ واستعادها عِزْرا على الصُّورةِ المَحْكِيَّةِ عندهم؛ فكتب أبو يوسف يعقوب القرقسانيّ في القرن

---

(1) Reuven Hammer, *The Torah Revolution: Fourteen Truths That Changed the World,* Readhowyouwant, 2014, p.2

(2) ريتشارد فريدمان Richard Friedman (-1946): أستاذ الدراسات اليهوديّة في جامعة جورجيا. من مؤلفاته: «The Bible with Sources Revealed».

(3) Richard Friedman, *Who Wrote the Bible?*, London: Jonathan Cape, 1987, pp.223-224.

(4) Ibid., 223.

(5) أبو محمد بن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1/ 148 .

الخامسِ الهجريِّ في كتابه «الأنوار والمراقب»: «ثم إنّهم زعموا أَنَّ هذه التّوراةَ التي في يدِ الأُمّةِ ليست التّوراةَ التي أتى بها موسى -عليه السّلام-، بل هي ممّا أَلَّفَهُ عِزْرا؛ لأنّ تلك التي أتى بها موسى زعموا أنّها زالَتْ وسقَطَتْ وذهَبَتْ، **وهذا إسقاطُ الدِّينِ جُمْلةً**، ولو وقف المسلمون على هذا من قولهم، لما احتاجوا إلى شيءٍ يُعيِّرُوننا به ويَحْتَجُّون به علينا غيره، إذ كان قومٌ من مُتَكلِّمِيْهم قد يَدَّعُون علينا بأنْ يقولوا إنّ التّوراةَ التي معكم ليست التّوراةَ التي أتى بها موسى، ونحن نُنادِي على من ادَّعى منهم ذلك بأنّه قد باهَتَ وناقَضَ، وأنّ الذي يَحمِلُهم على ذلك؛ الانقطاعُ ولُزُومُ الحُجّةِ لهم. **فلو وَقَفُوا على هذا مِنْ قولِ الرَّبَّانِيِّينَ -عافاهم الله- لكان لهم فيه مَنْدُوحةٌ، ولاسْتَغْنَوْا به عن غيرِه**».[(1)]

والحق أنّ هذه التّوراةَ من تلفيقِ عِزْرا الكاهن، وممّن شهد بذلك السَّمَوْءَلُ اليهوديُّ -المهتدي إلى الإسلامِ- في كتابِهِ النّفيس: «بَذْلُ المجهودِ في إفحام اليهودِ»؛ إذ قال: «فلمّا رأى عِزْرا أَنَّ القومَ قد أُحرِقَ هَيْكَلُهُم، وزالتْ دَوْلَتُهم، وتفرَّقَ جَمْعُهم، ورُفِعَ كِتابُهُم، **جَمَعَ من محفوظاتِهِ ومن الفُصولِ التي يحفَظُها الكَهَنةُ ما لَفَّقَ منه هذه التّوراةَ التي في أيديهم**. ولذلك بالغوا في تعظيمِ عِزْرا هذا غايةَ المبالغة. وزعموا أنَّ النُّورَ إلى الآن يظهر على قَبْرِهِ الذي عند البطائحِ بالعِراقِ. لأنه عَمِلَ لهم كتابًا يحفظُ لهم دينَهُم. **فهذه التّوراةُ التي في أيديهم على الحقيقةِ كتابُ عِزْرا، وليست كتابَ الله**. وهذا يدلُّ على أنه -أَعْنِي الذي جمعَ هذه الفصولَ التي بأيديهم- رجلٌ فارغٌ جاهِلٌ بالصّفاتِ الإلهيّةِ».[(2)]

وقد غلا اليهودُ في عِزْرا غُلُوًّا شديدًا حتى جاء في التّلمود: «كان عِزْرا مُسْتَحِقًّا أن يكون مُبَلِّغَ الشَّريعةِ لولا أَنَّها أُعْطِيَتْ مِنْ قبلُ من خلال موسى» «ראוי היה עזרא שתינתן תורה על ידו לישראל אילמלא (לא) קדמו משה».[(3)]

---

(1) Al-Qirqisani, *Kitāb al-Ānwār wal-Marāqib*, ed. Leon Nemoy, New York, 1939, p.15.

(2) السموءل بن يحيى المغربيّ، بَذْلُ المجهودِ في إفحامِ اليهودِ، تحقيق: عبد الوهاب طويلة، دمشق: دار القلم، 1410هـ/ 1989م، ص 134.

(3) *Babylonian Talmud*, Sanhedrin 21b

كما يشهد التاريخُ أنّ عِزْرا هو الذي أنشأَ المحكمةَ اليهوديّةَ العُلْيا «السّنهدرين» -أو أعاد إِحياءَها-.[1] فتمَّ له بذلك صناعةُ التّشريعِ اليهوديِّ الجديدِ في التّحليل والتّحريم، وَضْعًا وإلزامًا، من خلال التشريعِ والتّطبيقِ القضائيِّ. وهو ما يُؤَكِّدُ أَنَّ عِزْرا أَعظَمُ أربابِ اليهوديّةِ في باب تحليلِ الحرامِ وتحريمِ الحلالِ.

وخلاصة الأمر هنا:

المسيح	عِزْرا
ابنُ اللهِ	ابنُ اللهِ
الرهبان النصارى	**عزرا الحبر اليهودي**
يُحِلُّون ويُحَرِّمُون	أَبْرَزُ مَنْ حَلَّلَ وحَرَّمَ

وهذا هو التفسير الأظهر لخبر عزير في القرآن. وفيه إعجاز تاريخي في الإخبار عن دفين أخبار الماضي.

خامسًا: اعتُرِضَ على القول إنَّ عِزْرا هو مُحَرِّفُ اليهوديّةِ بأنَّ من علماءِ الإسلامِ مَنْ فَسَّرَ قولَهُ تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ (البقرة/ 259) بالقول إنّ بَطَلَ قِصّةِ هذه الخارقة، هو عِزْرا.

كما اعتُرض أيضًا على القولِ إنّ عِزْرا مُحَرِّفٌ لا صِدّيقٌ، بقول الرسولِ -ﷺ-: «ما أَدْرِي أَتُبَّعٌ لَعِينٌ هُوَ أَمْ لَا؟ وَمَا أَدْرِي أَعُزَيْرٌ نَبِيٌّ هُوَ أَمْ لَا؟». ولو كان عِزْرا من المفسِدين، لم يكُنْ أَمْرُهُ لِيَدُورَ بين النُّبُوّةِ وعَدَمِها.

(1) Joel B. Green, et. al. eds., *Dictionary of Jesus and the Gospels*, Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1992, p.729.

والجوابُ هو أنّه ليس لمن قالوا بِنُبُوَّةِ عِزْرا حُجّةٌ صحيحةٌ من القرآنِ أو السنّةِ. فالآيةُ القرآنيّةُ التي استدَلُّوا بها لا تذكرُ عِزْرا اسمًا ولا إشارةً. كما أَنَّ المفسّرين المتقدِّمين قد اختلَفُوا في مَنْ جاءت الآية بِخَبِرِهِ. قال ابنُ كثيرٍ: «**اخْتَلَفُوا في هذا المارِّ مَنْ هُوَ**. فروى ابنُ أبي حاتمٍ عن عصام بن رواد عن آدم بن أبي إياس عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن ناجية بن كعب عن عليٍّ بن أبي طالبٍ أَنَّهُ قال: هو عُزَيْرٌ.

ورواه ابنُ جريرٍ عن ناجيةَ نفسِه. وحكاه ابنُ جريرٍ وابنُ أبي حاتمٍ عن ابنِ عبّاسٍ والحسنِ وقَتَادةَ والسّدّيِّ وسليمانَ بنِ بريدةَ وهذا القولُ هو المشهورُ.

وقال وهبُ بنُ مُنبّهٍ وعبدُ اللهِ بنُ عبيدِ بن عميرٍ: هو أرميا بن حلقيا. قال محمّدُ بنُ إسحاقٍ؛ عمَّنْ لا يُتَّهَمُ عن وهبِ بن منبّهٍ أنه قال: وهو اسمُ الخِضْرِ -عليه السَّلام-.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثَنَا أبي قال: سمعتُ سليمان بن محمد اليساري الجاريّ من أهلِ الجار، ابن عم مطر فقال: سمعتُ رجلًا من أهلِ الشَّامِ يقول: إنَّ الذي أماتَهُ الله مائةَ عامٍ ثمّ بَعَثَهُ اسمُهُ: حزقيل بن بورا.

وقال مجاهد بن جبر: هو رجلٌ من بني إسرائيل».[1]

وكلّ الأقوالِ، اجتهادٌ ليس يَدْعَمُهُ قولٌ مرفوعٌ إلى الرسول -ﷺ-.

وأمّا الحديثُ، فقد ضَعَّفَهُ الإمامُ البخاريُّ؛ مُعِلًّا له بالإرسالِ؛ إذ قال في التّاريخِ الكبير: «قال لي عبدُ الله بن محمّدٍ: حدَّثَنا هشام قال: حدثنا معمر عن ابن أبي ذئب عن الزُّهري أنّ رسول الله -ﷺ- قال: «ما أَدْرِي أَعُزَيْرٌ نَبِيًّا كان أم لا، وتُبَّعٌ لَعِينًا كان أم لا، والحدود كفَّاراتٌ لِأَهْلِها أم لا».

ثم قال: وقال عبد الرزاق: عن معمر عن ابن أبي ذئب عن سعيد عن أبي هريرة عن النبي -ﷺ- والأَوّلُ أَصَحُّ. ولا يَثْبُتُ هذا عن النبيّ -ﷺ-؛ لأنَّ النبيَّ -ﷺ- قال: «الحدودُ كفّارةٌ».».[2]

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1/ 587.

(2) البخاري، التاريخ الكبير، تحقيق: محمد بن صالح بن محمد الدباسي، الرياض: الناشر المتميز للطباعة والنشر والتوزيع، 1440هـ/ 2019م، 1/ 456.

وروى ابن أبي شيبة هذا الحديث عن محمد بن كريب، عن كريب، عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، قال: «إنّ رسول الله -ﷺ-، قال: «لا أدري عُزَيْرًا كان نَبِيًّا أم لا». والحديثُ ضعيفٌ؛ فيه محمد بن كريب القرشيّ. قال ابنُ حبّان: «مُنْكَرُ الحديثِ جدًا؛ يروي عن أبيه أشياءَ لا تُشْبِهُ حديثَهُ؛ كأنّه كريبٌ آخر؛ فلمَّا ظهر ذلك منه استحقَّ تركَ الاحتجاجِ به».[1]

(1) ابن حبّان، المجروحين من المحدثين، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الرياض: دار الصّميعي، 1420هـ/ 2000م، 2/ 271.

يونس النبي وأونيس الآشوري

الاعتراض:

شخصيّةُ يُونسَ، شخصيّةٌ أُسطوريّةٌ أَخَذَهَا كَتَبَةُ العهدِ القديمِ من أُوَنّيس Oannes المذكور في أساطيرِ بلاد الرافدين القديمةِ، والذي كان على شكلِ رَجُلٍ يَضَعُ على ظهرهِ جِلْدَ سَمَكةٍ. وكما يقول الباحث خزعل الماجديّ، فقد ظَنَّ اليهودُ عندما رَأَوا النُّقوشَ الآشوريَّةَ أَنَّ هذا الكائنَ رجلٌ بَلَعَهُ حُوتٌ؛ فأَنْشَؤُوا لذلك قِصَّتَهُ كما هي في العهدِ القديمِ اليهوديِّ، وعن اليهودِ نَقَلَ القرآنُ القِصَّةَ.[1]

الجواب:

عَرْضُ الشُّبهاتِ بِلُغةٍ وُثُوقِيّةٍ، مع التَّدليسِ الذي يبلغ درجةَ الكَذِبِ، دَيْدَنُ اللّادينيِّين العربِ، وتفكيكُ دَعْواهم ونَقْدُها، كاشِفٌ أَنَّنا أمامَ دَعْوى مُتهافِتةٍ.. وبيان ذلك من أَوْجُهٍ:

أولًا: لا معنى لِتَعَلُّقِ خزعل الماجديّ بالتَّشابُهِ بين اسمِ «يونُسَ» واسمِ «أُوَنّيس» في هذا المقام؛ فإنّ من أَثَارُوا هذه الشُّبهةَ في الغربِ قالوا إنّ العهدَ القديمَ اليهوديَّ قد أَخَذَ قِصّةَ النبيّ يونسَ من الأُسطورةِ القديمةِ التي عُرِفَتْ في بلاد الرافدين. واسمُ النبيّ يُونسَ في العهدِ القديمِ יוֹנָה (يونا). فالمقارنةُ يجب أن تكون بين يُونا وأونّيس لا بين يُونُسَ وأونّيس.

ثانيًا: لم يفهمْ خزعلُ الماجديّ الشّبهةَ التي نَقَلَها عن عوامِّ ملاحدةِ الغربِ على الشّبكةِ العنكبوتيّةِ. فإنّ هذه الشُّبهةَ قامَتْ عندهم على أَساسِ المقارنةِ بين أونّيس واسمِ يونس -عليه السَّلام- في الترجمةِ السبعينيّةِ للتّوراةِ. واسمُ يونس -عليه السَّلام- في الترجمةِ السبعينيّةِ اليونانيةِ للعهدِ القديمِ: «Ιωνας» (إِيُوناس).

---

(1) في قناة «روسيا اليوم»، برنامج «رحلة في الذاكرة». ديسمبر 2021. ورُفع على موقع اليوتيوب في 22 ديسمبر 2021. <https://www.youtube.com/watch?v=WcrXxieUyis&t=1s>.

والفارقُ بين إيُوناس/ يونس واسمِ الكائنِ الأُسطوريِّ البابليِّ: «أُونّيس» «Οαννης» ظاهر؛ فاسم هذا الكائن الأسطوري يبدأ بالهمزة المضمومة، كما أنّ نونه مُشدَّدةٌ. والعجيبُ أنّ خزعل الماجديّ يزعمُ أنّ اسمَ هذا الكائنِ هو يوأنيس؛ **بإضافةِ الياء من كيسه**؛ رغم أنّ المؤرخُ والكاهنُ البابليُّ بيروسوس Berosus الذي ذكر هذا الاسم لأوّل مرة معلومة في التاريخ، في القرن الثالث قبل الميلاد، قد نقله لنا على صورة: «أُونّيس».[1] وبيروسوس هو أصل كلِّ حديثٍ لاحقٍ عن أونّيس.

ثالثًا: وصفَ بيروسوس أُوَنّيس وصفًا بيّنًا؛ فهو سَمَكةٌ تحت رأسِها السَّمَكيِّ رأسُ إنسانٍ، ولها عند الذَّيْلِ رِجْلان. شيءٌ أشبه بحوريّةِ البحرِ، مع رِجْلَيْنِ. كما أَنَّ بيروسوس قد ذكر أنّه ظهرَتْ بعد ظهور أُوَنّيس كائناتٌ أُخرى مثله.[2] فلسنا هنا أمامَ صورةِ الكائن الذي تحدّثَ عنه الماجديّ. كما أنّنا لسنا أمام كائنٍ فَرْدٍ، أَخَذَ اليهودُ قِصَّتَهُ من الآشوريّين، وإنّما نحن أمامَ كائناتٍ من جنسٍ واحدٍ.

رابعًا: **لا يوجد أدنى تشابُهٍ بين قِصّةِ أُوَنّيس كما ذكرَها بيروسوس وقصّةِ يونس** -عليه السَّلام-. فأونّيس كائنٌ إلهيٌّ، ظهر في بداية الحضارة، خرج في السنة الأولى لتأسيس بابلَ من الخليجِ الفارسيِّ، أو البحر الإريتريّ القديم، المجاور لبابل. وقد كان يعيشُ بين الرِّجال أثناء النَّهار، دون أن يَطْعَمَ، ويعودُ إلى البحر عند الغروب. وهو الذي عَلَّمَ النَّاسَ جميع الفنون والعلوم.[3]

خامسًا: الرأيُ الشّائعُ بين مَنْ أرادوا العثورَ على سَلَفٍ لأونّيس في التُّراثِ العراقيِّ القديم، هو أَنَّ أونّيس اسمٌ يونانيٌّ متأخِّرٌ جدًّا لاسم أَحدِ الحكماءِ السّبعةِ عند السُّومريّين، واسمُهُ «U'an». وهؤلاء الحكماءُ السّبعةُ يُعرفون باسم أبكالو Apkallū، وهم كائناتٌ ظهرَتْ قبل الطُّوفانِ مَنَحَها الإلهُ الحِكمةَ. وقد خُلِقَتْ في النَّهْرِ. وهي تُعَلِّمُ النَّاسَ الحِكمةَ والصَّنائعَ. ثم تطوّرت الأُسطورةُ لِيُنْسبَ إلى هؤلاء

(1) Austen Henry Layard, *Nineveh and Its Remains*, New York: George P. Putnam & Company, 1854, pp.352-353.
(2) Ibid.
(3) Ibid.

السّبعةِ إنشاءُ سبع مدنٍ. كما تقول الأُسطورة إنّهم قد عادوا إلى أعماقِ البحر، ولم يخرجوا مرّةً أُخرى.[1] ولا تزالُ قصّة يونس -عليه السَّلام-بعيدةً عن خَبَرِ هذه الكائنات السّبعة.

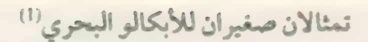
سادسًا: قال خزعلُ الماجديّ إنّ أونّيس عند الآشوريّين على شكل إنسانٍ يضعُ عباءَةً سمكيّةً، وأنّه خادِمٌ للإلهِ إنكي. وهو بذلك يقصد أنّه أبكالو. ثم عاد فقال إنّه كان يُرْسمُ على الجدرانِ عند الآشوريّين على شكلِ كائنٍ نِصْفهُ الأعلى بَشَرِيٌّ، ونِصْفهُ الأَسْفل سَمَكِيٌّ، في صورة إنسانٍ ابْتَلَعَهُ حُوتٌ. وأنّ اليهود عندما رَأَوْهُ مرسومًا على الجدران، رأوا فيه قصّةَ رَجُلٍ ابْتَلَعَهُ حوتٌ. وعلى هذه الدَّعوى مجموعةُ ملحوظاتٍ:

أ. هذا تناقضٌ في الوَصْفِ. وقد كان على الماجديّ أن يذكُرَ أنّ لهذا الكائنِ أكثرَ من صُورةٍ إنْ أراد أن يجمعَ بين القولَيْنِ. والحقُّ أنّ الماجدي صادَرَ على المطلوب؛ فقد نَقَلَ صُورةَ الأبكالو كما تَظْهَرُ في الآثارِ العراقيّةِ القديمة. ثم نقلَ صُورةَ أونّيس كما ذكرها بيروسوس. جازمًا أنّهما شيءٌ واحِدٌ. وهذا هو الشَّكلُ المشهورُ للأبكالو، لابِسًا رداءً كبيرًا على شكلِ قِشْرةِ سَمَكةٍ. ولسنا على كلِّ حالٍ أمامَ نِصْفِ أعلى بَشَريٍّ وأسفل بَحْريّ؛ فالأبكالو يعلُو عادةً رأسهُ البشريّ رأس سَمَكةٍ، وعلى ظهرهِ قِشْرةُ سَمَكةٍ.

(1) See J.C. Greenfield, "Apkallu", in Karel Van Der Toorn, Bob Becking, Pieter W. Van Der Horst, eds. *Dictionary of Deities and Demons in the Bible*, Leiden: Brill, 1999, pp.72-74.







تمثالان صغيران للأبكالو البحري[1]

ومما يدلُّ على أنّ الأبكالو غيرُ عروسِ البحرِ، الأُسْطُوانةُ المحتَفَظُ بها إلى اليوم في المتحفِ البريطانيّ، والتي فيها صُورةُ رجلٍ على ظهرِهِ رداءٌ سَمَكِيٌّ، وأمامَهُ عَرُوسًا

(1) Laith A. Jawad, *Tigris and Euphrates Rivers: Their Environment from Headwaters to Mouth*, Springer Nature, 2021, p.106.

بَحرٍ، ذَكَر وأُنثى. وقد قَدَّمَ المتحفُ على صفحته الرسميّة وصفًا لهذه الصُّورة، فيها أبكالو وعروسا بحر؛ فمَيَّزَ الأبكالو عن هذا النّوعِ من الكائنات الخُرافيّةِ.[1]

ولا حُجّةَ في صورة بيروسوس؛ لأنّها مكتوبةٌ بعد قرونٍ من شيوعِ قصّةِ يونسَ -عليه السّلام- عند اليهودِ.

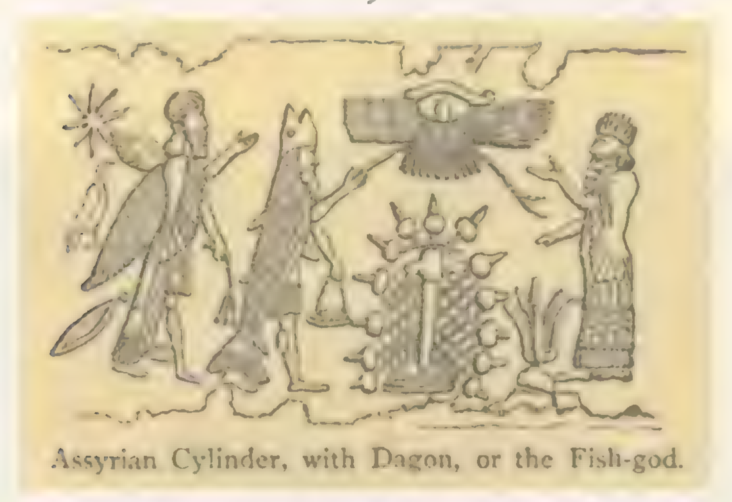


ب. عرضَ الماجديُّ صورةً لأوَنّيس؛ أَخَذَها من ويكيبيديا.[2] وهي متعلّقةٌ بالإلهِ داغان، وهذا أمر مُنكَرٌ أيضًا؛ لأنّ الماجديَّ كان يتحدّثُ في هذا اللّقاءِ عن مُساعِدٍ للإلهِ إنكي، واسمُهُ كما يقول أوَنّيس/ يوأنيس. في حين أنَّ داغان واحدٌ من أشهرِ الآلهةِ القديمةِ عند الكنعانيّين والآشوريّين، وليس هو من خَدَمِ إنكي على زعمِ الماجديّ. وقد ذُكِرَ أنَّ داغان والِدُ الإلهِ الشّهيرِ في

(1) "Museum number 134770. Description: Chalcedony cylinder seal with streaked blues, some distinct banding and a pale brown inclusion, a naturalistic palm-tree is flanked by an 'apkallu' in a fish-cloak with cone and bucket on the left and by a bearded merman and a mermaid on the right."
< https://www.britishmuseum.org/collection/object/W_1966-0218-31 >

(2) https://commons.wikimedia.org/wiki/File:Assyrian_Cylinder,_with_Dagon,_or_the_Fish-god.JPG

بلاد الرافدين وغيرها هَدَد/ أدد.[1] وهذا خلطٌ قبيحٌ بين شخصيَّتَيْنِ اثنتين شهيرتين في أساطيرِ العراقِ القديمِ.



Assyrian Cylinder, with Dagon, or the Fish-god.

ت. هذه الصورةُ تُظهِرُ رَجُلًا حَجْمُه أكبرُ من السَّمكةِ، كما أنّه لا يبدو فيها على صورةِ نِصفِ إنسانٍ من الأعلى، ونصفِ سمكةٍ من الأسفلِ؛ وبالتالي فافتراضُ أنّ اليهودَ قد استنبطُوا قصّةَ رَجُلٍ ابْتَلَعَهُ حُوتٌ في البحرِ من هذه الصُّورةِ مُنْكَرٌ جِدًّا، والتَّكَلُّفُ فيه واضِحٌ.

ث. ما كَتَبَهُ بيروسوس في وصف «أوَنّيس» بعيدٌ عن صورة داغان البحريِّ.

ج. لا علاقة بين داغان ورمزِ السَّمكةِ. وفي ذلك يقول مُعجَمُ: «آلهةُ بلادِ ما بين النَّهرَيْنِ القديمة وشياطينُها ورُموزُها»، في مدخل «داغان»: «التُّراثُ الذي يعود إلى القرن الرابع بعد الميلاد على الأقلِّ ويرى داغان إلهًا سَمَكةً، هو تُراثٌ مُخطِئٌ».[2] إذ إنّه يُقال إنّ أوّل من عرّف داغون على أنه إلهٌ سَمَكةٌ هو جيروم (ت 420م)؛ فقد أشار إلى داغون أنّه السَّمكةُ الحزينةُ؛ كونَ كلمةِ דָּג (داغ) بمعنى سَمَكةٍ، و אָוֶן (آوِن) بمعنى حُزْنٍ.[3]

(1) Alberto R. W. Green, *The Storm-God in the Ancient Near East*, Penn State Press, 2003, p. 68.

(2) "A tradition dating back at least to the fourth century AD of Dagan as a fish deity is erroneous." Jeremy Black, Anthony Green, *Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia: An Illustrated Dictionary*, Austin Univ. of Texas Press, 2014, p.56.

(3) Reuven Chaim Klein, *God versus Gods: Judaism in the Age of Idolatry*, Mosaica Press, 2018, p.320.

ح. بيروسوس كان صاحبَ ثقافةٍ دينيّةٍ واسعةٍ؛ بسبب أنّه كاهِنٌ، وصاحبُ كتابٍ عظيمٍ خاصٍّ بتاريخ الخليقةِ؛ ولذلك فلا شكّ أنه كان يعرف الإلهَ داغان الذي ظَلَّ يُعْبَدُ حتى القرن الثاني. ومع ذلك لم يُسَمِّ أُونّيس باسم «داغان».

خ. كان اليهودُ يعرفون داغان؛ فقد كان على الراجح رأس آلهةِ الفلسطينيّين الوثنيّين [1]، كما كان الإلهَ الأكبرَ في المنطقةِ التي حول ماري (سوريا) وغرب بلاد الرافدين[2]؛ وبالتالي فلا معنى لافتراضِ وَهْمِهِمْ هنا؛ فقد جاءت الإشارةُ إلى الإلهِ داغان في ثلاثةِ أسفارٍ في العهد القديمِ، وأنّ اليهودَ يعرفون مَعْبَدَهُ (القضاة 16/ 23-30، 1 صموئيل 5/ 1-7، 1 أخبارُ الأيام 10/ 10)، وبالتالي فهم يعرفون أنّه إلهٌ معبودٌ؛ فليس هو بِنَبِيٍّ، ولا هو رَجُلٌ ابْتَلَعَهُ حُوتٌ.

وما جاء في سِفْرِ صموئيل الأوّل 5/ 4 لا يدلُّ على أنّ داغون/ داغان على صُورةِ سَمَكةٍ؛ فالنصُّ يقول في شأن تمثالِ داغون: «وَبَكَّرُوا صَبَاحًا فِي الْغَدِ وَإِذَا بِدَاجُونَ سَاقِطٌ عَلَى وَجْهِهِ عَلَى الأَرْضِ أَمَامَ تَابُوتِ الرَّبِّ، وَرَأْسُ دَاجُونَ وَيَدَاهُ مَقْطُوعَةٌ عَلَى الْعَتَبَةِ. بَقِيَ بَدَنُ السَّمَكَةِ فَقَطْ» كما في ترجمة الفاندايك العربيّة؛ إذ إنّ الأصلَ العِبريَّ لا يقول: «بَقِيَ بَدَنُ السَّمَكَةِ فَقَطْ»؛ فهذا من كيسِ المترجمين؛ وإنّما الأَصلُ يقول: «רַק דָּגוֹן נִשְׁאַר עָלָיו» أي حَرْفِيًّا: «فقط داجون أُبْقِيَ عليه». ولذلك جاءت الترجماتُ الأَشهرُ الإنجليزيّةُ والفرنسيّةُ دون عبارةِ «سَمَكة» هنا؛ مثل:

NIV	only his body remained.
NASB	only the trunk of Dagon was left to him.
JPS	only Dagon's [body] has been left of him
BJ	il ne restait à sa place que le tronc de Dagôn.

(1) Johann Jakob Herzog, *et al. The New Schaff-Herzog Encyclopedia of Religious Knowledge*, London: Funk and Wagnalls Company, 1909, 3/341.

(2) Alberto R. W. Green, *The Storm-God in the Ancient Near East*, p.102.

د. الإلهُ داغان، رغم أنه معبودٌ منذ الألفيّةِ الثالثة، إلّا أنّه على الحقيقة، لا يُعرَفُ عنه إلّا أنه إلهٌ معبودٌ في مساحةٍ واسعةٍ من بلاد الرافدين وما جاوَرَها. وأمّا تفصيلُ مُعْتَقَدِ قومِهِ فيه؛ فلا يزال محلَّ تخمينٍ[1]، دون أدِلّةٍ صلبةٍ.[2]

ذ. حتّى لو سَلَّمْنا أنّ الأبكالو يُرسَمُ عادةً على شكلِ عروسِ بحرٍ ذَكَرٍ كما يَدّعِيهِ الماجديّ؛ فلا يوحي ذلك أنّنا أمام إنسانٍ ابتلعَهُ حوتٌ كما هو في سِفرِ يُونان؛ لثلاثةِ أسبابٍ:

- **شكلُ عروسِ البحرِ لم يُوحِ لأحدٍ من الأمم السابقة بهذا الوَهْم المزعوم،** رغم انتشارِ قصصِ هذه الكائناتِ الخرافيّةِ عند الأقدمين. وقد عرفتْ سُوريّةُ الإلهةَ دركتو Δερκετώ إلهةَ الخِصْبِ، وهي واسعةُ الشُّهرةِ في المنطقة لقرونٍ طوال. وتمّ الرَّمزُ إليها أحيانًا بشكلِ حُوريّةٍ. كما عُرِفَت الحُوريّةُ في ثقافاتٍ مختلفةٍ بأسماء مختلفة، مثل «Ceasg» عند الإسكتلنديّين، و«Chernava» عند الرُّوسِ، و«Lara» عند البرازيليّين، و«Merrow» عند الأيرلنديّين، و«Suvannamaccha» عند التايلنديّين...

ظهرُ عُمْلةٍ لديميتريوس الثّالث
وعليها صُورةٌ لِلحوريّةِ دركتو



(1) قيل إنه إله الخصب والزراعة، وقيل إنه إله الحنطة، وقيل إنه إله الأعاصير... قيل إن الاسم من الحنطة، وقيل إنه مشتق من سمكة، وقيل إنّه يعني مغيّم، وقيل إنه بمعنى «كُليّ»...!

(2) See J.F. Healey, "Dagan", in Karel Van Der Toorn, Bob Becking, Pieter W. Van Der Horst, eds. *Dictionary of Deities and Demons in the Bible*, Leiden: Brill, 1999, p.216; L. Feliu, *The God Dagan in Bronze Age Syria*, Leiden; Boston: Brill. 2003, pp.216-217.

- سِفْرُ يونان كان **صريحًا** في وَصْفِ هذا الحُوتِ؛ فهو «**حُوتٌ عظيم**» «דָּג גָּדוֹל» (يونان 1/ 17)، وأمّا الحوريّة ففي حجم الإنسان، أو نصف إنسان إن قلنا إنّها تبدو كسمكة ابتلعت النصف الأعلى لبشر.
- ابْتَلَعَ هذا الحوتُ يونسَ -عليه السَّلام- كُلَّهُ، وسار به في البحر، لا أَنَّهُ ابتلعَ نِصْفهُ، أو أَمْسَكَ بَطْنَهُ بأطرافِ أَسْنانِه!

سابعًا: زعمَ الماجديُّ أنّ حُجّتَهُ الكُبْرى على أنَّ يونس -عليه السَّلام- هو اسمُ يوأنيس عند الآشوريّين، أَنَّهُ لا ذِكْرَ لِقصّةِ النبيِّ يونسَ عند الآشوريّين، رغم أنَّ الحوليّاتِ الملكيّةَ تَضُمُّ تفاصيلَ كلِّ أخبارِ الآشوريّين، وأنّها تملأُ مكتبةً كاملةً. وعلى هذه الدَّعاوى العريضةِ للماجديّ ملحوظاتٌ:

أ. الحوليّاتُ الملكيّةُ الآشوريّةُ كانت تُكْتَبُ تحت رعايةِ الحاكِمِ، ومراجعَتِهِ؛ وبالتالي؛ فَذِكْرُ خَبَرِ نَبِيٍّ فيها، جاء بالتّوحيدِ ونَبْذِ الآلهةِ، ليس مُتَوقَّعًا؛ فإنّ الحوليّاتِ ليست مِنَصّاتٍ إخباريّةً محايدةً. والنّاظِرُ في طبيعةِ المواضع التي كُتِبَتْ فيها هذه الحوليّاتُ، يستبعد بِجِدٍّ أن تَذْكُرَ الحوليّاتُ قِصّةَ نبيٍّ مُوَحِّدٍ دعا إلى البراءَةِ من جميعِ آلهةِ الإمبراطوريّةِ؛ فإنّ هذه الحوليّاتِ قد كُتِبَتْ على جدرانِ القُصُورِ والمواشير والأُسطواناتِ الكبيرة؛ وبالتالي فهي تُمَثِّلُ الوجهَ الرسميَّ الدينيَّ للدَّولةِ، وجوهرُ مضمونِها متعلِّقٌ بتفاصيلِ الحملاتِ العسكريّةِ والأعمال العُمْرانيّةِ للحُكّام. ولذلك ذكرَ كتابُ «تاريخ العالَم لكمبردج» أنَّ النُّقوشَ على البناياتِ الملكيّةِ الآشوريّة ليست مصادرَ محايدة، إذ إنّها تَصِفُ مدينةً مثاليّةً».[1]

ب. الحوليّاتُ الملكيّةُ مَعيبةٌ بالكَذب عند الحاجةِ السياسيّةِ وغيرِها. وقد بَيَّنَ د. صفوان سعيد -الأستاذ في قسم الدراسات المسماريّةِ في جامعة الموصل- في مقالتِهِ المحكَّمةِ: «المبالغةُ والادّعاءُ في الحوليّاتِ الملكيّةِ الآشوريّة»

(1) Norman Yoffee, ed. *The Cambridge World History: Volume 3, Early Cities in Comparative Perspective, 4000 BCE-1200 CE*, Cambridge: Cambridge University Press, 2015, p.482.

جانبَ المبالَغةِ والتّدليسِ في أمرِ نتائج الحملاتِ العسكريّةِ الآشوريّةِ في الحوليّات الملكيةِ الآشوريةِ. وهو أَمْرٌ يُسَلِّمُ به عامّةُ الدّارسين للحضارةِ الآشوريّةِ، ومنهم المؤرّخُ الكبيرُ طه باقر.[1]

وقد ختم د. صفوان سعيد بحثَهُ بقولِهِ: «وبناءً على ما تمّ عَرْضُه وتحليلُهُ من أدِلَّةٍ نَصِّيَّةٍ خاصّةٍ بهذا الشّأنِ؛ فإنّنا يمكننا القول وبما لا يقبل الشكَّ في ذلك أنّ الحوليّاتِ الآشوريّة، ولا سيما تلك التي تطرَّقَتْ بإسهابٍ إلى حملاتِ الجيوشِ الآشوريّةِ ونتائجها وما عكَسَتْها المنحوتاتُ الآشوريّةُ من مشاهدِ تلك الحملاتِ من قَتْلٍ وتعذيبٍ في صفوفِ الأعداءِ، **لم تكنْ في أغلبِ الأحيانِ إلّا لأغراضٍ دعائيّةٍ** من أجلِ التّباهي والتّفاخُرِ بالقوّةِ والشِّدَّةِ **وإثارةِ رُوحِ الفَزَعِ والرَّهبةِ في نفوسِ الأعداءِ والأقوامِ الأُخرى المجاورة**؛ لذا جاءتنا مليئةً بالإطنابِ الذي ليس له حدودٌ وبالتّعظيمِ اللّامتناهي لشخصيةِ الملكِ الآشوريِّ **وبالمبالغةِ والادّعاءِ الواضِحَيْنِ في مَضْمُوناتها**».[2]

كما تحدّثَ عالِمُ الآشوريّاتِ الكَنَدِيُّ ألبرت غرايسون Albert Grayson عن موثوقيّةِ النُّقوشِ الملكيّةِ؛ فقال إنّها ليست مصادرَ محايدةً للخَبَرِ التّاريخيِّ، ومن أدِلَّةِ ذلك أنّه **لم يَرِدْ فيها أيُّ ذِكْرٍ لهزيمةٍ عسكريّةٍ**، بل ذَكَرَ الباحثُ أَنَّ مَنْ كَتَبُوا هذه النُّقوشَ كانوا أحيانًا يَقْلِبُونَ الهزيمةَ إلى نَصْرٍ مُدَّعى، كما هو في معركة Halule (691ق.م) التي جاء في الوثائقِ التاريخيةِ البابليةِ الموثوقةِ أَنَّ الآشوريّين بقيادة سِنّحاريب قد مُنُوا بهزيمةٍ نكراءَ فيها، في حين أنَّ حوليّاتِ سنّحاريبَ ليس فيها شيءٌ من ذلك، بل زَعَمَتْ تحقيقَ سنّحاريب نَصْرًا عظيمًا، سَفَكَ فيه دماءَ الخُصُومِ، في وصفٍ طويلٍ للمعركةِ من وِجْهةِ نَظَرٍ آشوريّةٍ.[3]

(1) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، بغداد، 1973، 1/ 535. وانظر أيضًا:
A. Laato, "Assyrian Propaganda and the Falsification of History in the Royal Inscriptions of. Sennacherib", in *VT* 45 (1995), 198-226.

(2) صفوان سعيد، «المبالغة والادّعاء في الحوليات الملكية الآشوري»، دراسة موصلية، العدد العشرون، ربيع الثاني، 1429هـ/ أيار 2008، ص 147.

(3) "Assyria and Babylonia", in *Orientalia*: Vol. 49, 1980, p.171.

ت. لم تَتِمَّ إلى الآن دراسةُ الحوليّاتِ الآشوريّةِ بطريقةٍ نهائيّةٍ؛ لأنّ مادّةً تاريخيّةً كبيرةً لم تُتَرْجم وتُنْشَرْ بعدُ في دراساتٍ عِلْميّةٍ. وبعبارةِ عالِمِ الآشوريّاتِ غرايسون: نحن نُعاني من مشكلَتَيْنِ: نَقْصِ المادّةِ التاريخيّة المحقّقةِ، وغيابِ نُصوصٍ تاريخيّةٍ قديمةٍ بصورةٍ كُليّةٍ.[1] كما أنّ المادّةَ التاريخيّةَ المتاحة لم تُدْرَسْ دراسةً نقديّةً تسمحُ بالإحاطة بالواقع الدِّينيِّ لهذه الإمبراطوريّةِ، بما يسمح بمعرفةِ ما يُخْفِيْهِ تاريخُ الآشوريّين من نَزعاتٍ دينيّةٍ غيرِ وَثَنِيَّةٍ في المنطقة، إن وُجِدتْ.

ث. جاء في سِفرِ الملوك الثاني 14/ 23–28 أنّ يونان/ يونس بن متّى قد أعلنَ نُبُوَّتَهُ في عصرِ يربعام الثاني (الذي حكمَ مملكةَ إسرائيل من 786 إلى 746 ق.م تقريبًا). وهي حِقبةٌ قليلةٌ نُقُوشُها في الإمبراطورية الآشوريّة؛ حتّى سمّاها -وما قاربها من السنين- و.و. هالو -أستاذُ الأدبِ الآشوريّ والبابليّ، والقائِمُ على الآثار البابليّةِ المحفوظة في جامعة يال-: «**الأربعون سنةً الخالية**» «forty lean years».[2]

ومن اللّافتِ للنَّظَرِ أنّ عالِمَ الآشوريّات غاريسون قد تحدّث عن ثراءِ المادّةِ التاريخيّةِ الآشوريّةِ؛ فوصفها بقوله: «من ناحيةِ الترتيب الزمنيّ، تنقسم المصادرُ التاريخيةُ إلى مجموعتين رئيسيّتين، المرحلة الآشورية الحديثة المبكّرة والمتأخّرة، مع وجود فجوةٍ بينهما تبلغُ ما يقرب من أربعين سنة لا يُعرف عنها سوى مصادر قليلة».[3] وهي كما يقول بين 782 و745 ق.م.[4] كما وصف مصادرَ هذه الحقبة بقوله: «مصادِرُ هذا العصرِ قليلةٌ وسطحيّةٌ.»[5]

(1) K. Grayson, "Assyria: Ashur-Dan II to Ashur-Nirari V (954-745 B.C.)", John Boardman, *et al.* eds. *The Cambridge Ancient History, Volume 3, Part 1: The Prehistory of the Balkans, the Middle East and the Aegean World, Tenth to Eighth Centuries BC*, Cambridge: Cambridge University Press, 1982, p.239
(2) W.W. Hallo, 'From Qarqar to Charchemish', in D.N. Freedman and E.F. Campbell, eds. *Biblical Archaeologist Reader 2*, New York: Doubleday, 1964, p.168.
(3) A. K. Grayson, "Assyria: Ashur-Dan II to Ashur-Nirari V (954-745 B.C.)", p.239
(4) Ibid.
(5) "The sources for this era are few and sketchy but there is enough to grasp the general picture and to convince us that the very lack of sources is evidence of the troubles of the time" Ibid. 276.

وأضاف قائلًا عنها: «باختصارٍ، كانت هذه الحقبةُ، إحدى أَشَدِّ الحِقَبِ عتمةً في تاريخ آشور».[1] ولم يذكر غرايسون أيَّ خبرٍ عن نينوى في الوثائقِ الآشوريّةِ وغيرها لهذه العقودِ الأربعةِ، في أثناءِ سَرْدِهِ لأحداثِها.[2]

وبالنَّظَرِ في كتاب: «Decrees and Gifts of the Neo-Assyrian Period» الخاصّ بالقرارات والمراسيم الصّادرة في عصر الإمبراطوريّةِ الآشوريّةِ الحديثةِ، تقف هذه القرارات الملكيّةُ عند أدد- نراري الثالث (783 ق.م) وتعود بعد أربعين سنة، مع تغلث فلاسر الثالث (745 ق.م).[3] وقد عرفت الإمبراطوريةُ في هذه الفترة تَقَلُّصًا لحجمها، ومجاعةً، واضطراباتٍ داخليّةً، خاصّةً في الفترة بين 763-758 ق.م،[4] عِلْمًا أنّ نينوى لم تكن عاصمةَ الإمبراطوريةِ تلك الفترة.

ج. عند النَّظَرِ في عصرِ آشور دان الثالث الذي حكم من 772 إلى 755 ق.م، والذي قد يكون حاكمَ آشورَ زمنَ يونسَ -عليه السَّلام-، إن سلَّمْنا بما جاء في التوراة؛ سنجد أننا لا نملِكُ من النُّقوشِ الملكيّةِ في عصرِهِ سوى نقشٍ واحدٍ فقط غير مشكوكٍ في عصره، وهو نقشٌ على الطِّينِ، فيه وصفٌ لإصلاحِ ساحةِ معبدٍ في آشور.[5] ومن الأشياء المعلومةِ عن هذا العصرِ ضعفُ السّلطةِ المركزيّةِ في البلاد بصورةٍ عظيمةٍ، وكسوفُ الشّمسِ الذي وقع سنة 763، والذي قد يكون سببًا في استجابةِ أهلِ نينوى ليونس -عليه السَّلام-؛ لربطهم كسوفَ الشّمسِ دائمًا بالعذاب القريب، بالإضافة إلى تفشّي الطّاعونِ في البلاد سنة 765 و759 ق.م.

ح. كتب دونالد وايزمان Donald Wiseman -أستاذُ الآشوريّةِ في جامعة لندن- مقالةً تحت عنوان «يونان النينويّ» في تاريخيّةِ قصّة يونس -عليه السَّلام-

(1) "In sum, this was one of the dimmer periods in Assyria's history." Ibid., 279.
(2) Ibid., 276-278.
(3) L. Kataja and R. Whiting, *Decrees and Gifts of the Neo-Assyrian Period*, State Archives of Assyria XII, 1995.
(4) John H. Walton, *Zondervan illustrated Bible backgrounds commentary. Volume 5, The Minor Prophets, Job, Psalms, Proverbs, Ecclesiastes, Song of Songs*, Grand Rapids: Zondervan, 2009, p.102.
(5) Grayson, *Assyrian Rulers of the Early First Millennium BC: II (858-745 BC)*, Toronto: University of Toronto Press, 2002, p.245.

في الكتابِ المقدّسِ، وخَتَمَها بقوله: «من المسلَّم به أنّ هذا المسح لبعض الأحداثِ التي قد تكون وراء روايةِ زيارةِ يونانَ لِنِيْنَوى، يَدْعَمُ التُّراثَ القائل إنّ العديدَ من السّماتِ في هذا السَّردِ تُظْهِرُ معرفةً عميقةً ودقيقةً عن آشورَ ممّا قد يعود إلى حدثٍ تاريخيٍّ في وقتٍ مُبكّرٍ مثل القرن الثامن قبل الميلاد. ولذلك يجب ألَّا تُعَدَّ قصّةَ يونان قصّةً متأخّرة أو (مجرّد) مَثَلٍ[1]»[2].

ثامنًا: قال الماجديُّ إنّ اليهودَ (العِبرانيّين) قد رَأَوا صورةَ عروسِ البحرِ الملتحِي على جدرانِ الآشوريّين، فصنعوا من ذلك قِصّةَ يونسَ؛ لمجرّد دلالةِ شكلِ عروسِ البحرِ على شخصٍ ابْتَلَعَهُ حُوتٌ. وهذه الدَّعوى تَنْقُضُ أهمَّ عنصرٍ في الشُّبهة؛ وهو تشابه اسم معاون إنكي والنبي يونس (يوأنيس/ يونس)؛ لأنّ هذا الاقتباسَ عندها لا يقومُ على الاقتباسِ من التُّراثِ الشَّفهيِّ للآشوريّين المُخبر عن اسم هذا الكائن الأسطوري، وإنّما يقوم على مجرّدِ تشابُهِ الصُّوَرِ، دون العِلم بمسمّى هذا الكائنِ. هذا بالإضافة إلى أنّه لا يوجدُ أيّ أثَر تاريخيٍّ يُذْكَرُ فيه اسمُ «أونيس» باعتبارِهِ أَحَدَ معاوني إنكي في التراث السُّومريِّ أو الآشوريِّ قبل القرنِ الثّالثِ قبلَ الميلادِ.

---

(1) ذهب بعض المفسّرين النصارى إلى أنّ قصّة يونس عليه السلام مجرّد مَثَل من الأمثال لتقريب المعاني الدينية إلى الناس، ولم يُقصد بها أن تكون رواية تاريخية واقعيّة.

(2) Donald J. Wiseman, "Jonah's Nineveh", in *Tyndale Bulletin* 30 (1979) 38-38.

كورش، ذو القرنين

الاعتراض:

جاء في سورة الكهفِ خَبَرٌ تفصيليٌّ عن بطلٍ عسكريٍّ مؤمنٍ، لَقَبُهُ «ذو القرنين». وكثيرٌ من علماء المسلمين يقولون إنه كورش؛ الملكُ الفارسيُّ. وهذا لا يَصِحُّ؛ فلا هو بصاحبِ قرنين، ولا هو بمؤمنٍ؛ فقد شهدتْ «أُسطوانة كورش» أنّه كان يُعظِّمُ الآلهةَ الوثنيّةَ.

الجواب:

«ذو القَرْنَيْنِ» القرآنيّ، رجلٌ تَمَيَّزَ بثلاثِ صفاتٍ كُبرى:

1. عُرِف بِصفةِ القَرْنَيْنِ عند علماء أهلِ الكتابِ في جزيرةِ العربِ (وربّما خارجَها أيضًا).
2. رجلٌ مؤمنٌ، وحكيمٌ، عادِلٌ.
3. له فتوحاتٌ عظيمةٌ تمتدُّ شَرْقًا وغَرْبًا.

الصّفاتُ السّابقة كُلُّها توافِقُ ما قيل في كورش الفارسيّ.

أَوَّلًا: اللَّقبُ: «ذو القَرْنَيْنِ»

لم يشتهر أحدٌ في القرنِ السّابع الميلاديّ، وقبله، من أصحابِ الفتوحاتِ العسكريّةِ الكبيرة بلقبِ «ذي القرنين». ولذلك ربّما كان سؤالُ أهلِ الكتابِ (اليهود على الأرجح) الرَّسُولَ -ﷺ- عن «ذي القرنين»؛ لأنّ هذا اللَّقبَ لم يكن ممّا يعرفه الجميعُ عن هذا الرَّجل، وأَنَّ **قلَّةً عليمةً بالتّوراةِ والإنجيلِ تُدْرِكُ من هو «صاحب القرنين»**.

وقد أخرج ابنُ أبي حاتم عن السّدّيِّ قال: قالت اليهودُ للنبيّ -ﷺ-: «يا محمّد، إنّما تَذْكُرُ إبراهيمَ وموسى وعيسى والنّبيّين أَنّك سَمِعْتَ ذِكْرَهُمْ مِنّا، فأَخْبِرْنا عن نَبِيٍّ لم يذكُرْهُ اللهُ في التّوراةِ إلّا في مكانٍ واحدٍ. قال: ومن هو؟ قالوا: ذو القرنين. قال: ما بلغني عنه شيءٌ. فخرجوا فَرِحِيْنَ وقد غَلَبُوا في أنفسهم، فلم يبلُغُوا باب البيتِ حتى

نزل جبريلُ بهؤلاء الآيات: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾.[1] ورغم أنّ هذا الحديثَ ضعيفٌ، وليس بِحُجَّةٍ مباشرةٍ؛ لانقطاع إسنادِهِ؛ إلّا أنّه كاشِفٌ لما يَنْصَرِفُ إليه الذِّهْنُ في شأن أصلِ الخبر القرآنيّ؛ بأن يكون السؤالُ من اليهودِ، وفي خبر التّوراةِ، وفي لقبٍ لا يَعْرِفُهُ إلّا قِلَّةٌ من الأحبارِ.

وبالعودة إلى التوراةِ (المصدر الأقرب للسُّؤالِ اليهوديّ)، سنجد أَنَّ كلمة «قرنين»- في المثنّى- قد وردت رَمْزًا في الفصلِ الثّامنِ من سِفرِ دانيال، في رؤيةٍ رآها دانيالُ النبيّ: «رَأَيْتُ فِي الرُّؤْيَا، وَكَانَ فِي رُؤْيَايَ وَأَنَا فِي شُوشَانَ الْقَصْرِ الَّذِي فِي وِلاَيَةِ عِيلاَمَ، وَرَأَيْتُ فِي الرُّؤْيَا وَأَنَا عِنْدَ نَهْرِ أُولاَيَ. فَرَفَعْتُ عَيْنَيَّ وَرَأَيْتُ وَإِذَا بِكَبْشٍ وَاقِفٍ عِنْدَ النَّهْرِ وَلَهُ قَرْنَانِ וְלוֹ קְרָנַיִם [لو قرانايم]، وَالْقَرْنَانِ عَالِيَانِ، وَالْوَاحِدُ أَعْلَى مِنَ الآخَرِ، وَالأَعْلَى طَالِعٌ أَخِيرًا. رَأَيْتُ الْكَبْشَ يَنْطَحُ غَرْبًا وَشِمَالاً وَجَنُوبًا فَلَمْ يَقِفْ حَيَوَانٌ قُدَّامَهُ وَلاَ مُنْقِذٌ مِنْ يَدِهِ، وَفَعَلَ كَمَرْضَاتِهِ وَعَظُمَ. وَبَيْنَمَا كُنْتُ مُتَأَمِّلاً إِذَا بِتَيْسٍ مِنَ الْمَعْزِ جَاءَ مِنَ الْمَغْرِبِ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ وَلَمْ يَمَسَّ الأَرْضَ، وَلِلتَّيْسِ قَرْنٌ مُعْتَبَرٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ. وَجَاءَ إِلَى الْكَبْشِ صَاحِبِ الْقَرْنَيْنِ الَّذِي رَأَيْتُهُ وَاقِفًا عِنْدَ النَّهْرِ وَرَكَضَ إِلَيْهِ بِشِدَّةِ قُوَّتِهِ. وَرَأَيْتُهُ قَدْ وَصَلَ إِلَى جَانِبِ الْكَبْشِ، فَاسْتَشَاطَ عَلَيْهِ وَضَرَبَ الْكَبْشَ وَكَسَرَ قَرْنَيْهِ، فَلَمْ تَكُنْ لِلْكَبْشِ قُوَّةٌ عَلَى الْوُقُوفِ أَمَامَهُ، وَطَرَحَهُ عَلَى الأَرْضِ وَدَاسَهُ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْكَبْشِ مُنْقِذٌ مِنْ يَدِهِ.» (دانيال 8/ 2-7).

ذكر النصُّ السابقُ أنّه قد جاء في رؤيا النبيِّ دانيال رمزٌ على شكلِ كبشٍ ذي قَرْنَيْنِ «لو قرانايم». وقد اتَّفَقَ اليهودُ والنَّصارى على أنّ الكبشَ ذا القرنينِ في رؤيا دانيال يرمز إلى ملوكِ فارس ومادي، ومن ذلك تعليقُ المفسّرِ اليهوديِّ الشّهيرِ راشي على عبارة «له قرنان» في سِفرِ دانيال 8/ 3: «إشارةً إلى مملكةِ فارس ومادي» «רמז למלכות פרס ומדי».[2] ومؤسّس هذه المملكة، كورش. وعندما فَسَّرَ جون كالفن الفصلَ الثامن من سِفرِ دانيال، جعل عامّةَ وَصْفِهِ لرمزيّةِ القرنين، في وصفِ عَظَمةِ ما أَنْجَزَهُ كورش،

---

(1) السيوطي، الدر المنثور، بيروت: دار الفكر، د.ت، 5/ 435.
(2) < https://www.sefaria.org/Rashi_on_Daniel.8.3.1?lang=bi&with=all&lang2=en >.

أوّلُ ملوكِ هذه المملكة.[1] وجاء في تفسيرِ هنري وسكوت: «اندفعَ الكبشُ إلى الغربِ والشّمالِ والجنوبِ، بما يشير إلى غزواتِ المملكةِ **تحت قيادة كورش في** هذه الاتّجاهاتِ».[2]

يرمِزُ قَرْنا هذا الكبشِ إلى فتوحاتٍ عظيمةٍ لهذا البطلِ العسكريِّ. والنَّاظِرُ في القرآنِ يرى أنّ ذا القرنينِ قد بلغ جِهَتي المغربِ والمشرقِ، أي مغربَ الشّمسِ ومطلعَ الشّمسِ. وذاك يربط اسمَهُ بِفِعْلِهِ، وهو عينُ المقصدِ من لَقَبِ ذي القرنين. ففي القرآنِ جوابُ أهلِ الكتابِ عن سؤالهم: «يَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا». أي: هذا خَبَرُ صاحبِ صفةِ القرنينِ، أنّه غزا الشَّرقَ والغربَ.

وقد رجَّحَ المستشرقُ الألمانيُّ ريدسلوب أنّ ذا القرنين في سورةِ الكهفِ هو كورش، **اعتمادًا على ما سبق ذِكرُهُ في الفصلِ الثّامنِ من سِفرِ دانيال.**[3] وأَقَرَّ المستشرقُ برانون أنّ قصّةَ ذي القرنين القرآنيّةِ قد تُحْمَلُ على كورش استنادًا إلى سِفرِ دانيال، بما نَعْلَمُهُ من غزواتِ كورش، لكنّه استبعدَ ذلك لأنّ التاريخَ العربيَّ القديمَ لم يَذْكُرْ هذه الغزواتِ لكورش، كما أنّ المفسّرين الأوائلَ ما حَدَّدُوا ذا القرنين أنه كورش.[4] وهذا استدراكٌ ضعيفٌ؛ لأنّ الأظهرَ أنّ هذا السؤالَ قد ورد على لسانِ اليهودِ بصورةٍ مباشرةٍ أو أَوْعَزَ اليهودُ إلى الوثنيّين أن يُخرِجُوا الرسول -ﷺ- بهذا السؤالِ. كما لا يُعكِّرُ جهلُ المفسّرين الأوائلِ بشخصِ كورش على ما نقول؛ لأنّ معرفةَ المفسّرين الأوائلِ بأخبارِ أهلِ الكتابِ كانت ضعيفةً كما هو معلومٌ بالاستقراءِ.

ثم إنّه قد عُثِرَ على تمثالٍ قديمٍ لكورش بضاحيةٍ بأسطخر، وعلى رأسِهِ قرنان عظيمان. وأيًّا كانت دلالةُ هذين القرنين عند مَنْ صنعَ هذا التّمثالَ؛ يبقى أنّ هذين القرنين على رأسِ كورش يدعمان وصفَهُ أنّه صاحِبُ قَرْنَيْنِ، وإنْ كان أصلُ هذا اللَّقبِ في القرآنِ يعود إلى خبر النبيّ دانيال.

---

(1) John Calvin, *John Calvin's Bible Commentaries on Daniel 7- 12*, Jazzybee Verlag, pp.58-59.

(2) Henry and Scott, *Commentary Upon the Holy Bible, Isaiah to Malachi*, Religious Tract Society, 1843, p.370.

(3) G. M. Redslob, "Ueber Den "Zweihörnigen" Des Koran", in *Zeitschrift Der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft*, 1855, Volume 9, pp. 214-223.

(4) Brannon M. Wheeler, *Moses in the Quran and Islamic Exegesis*, Psychology Press, 2002, p.16

صورة تمثال كورش



وقد اعترضَ المخالفون، بقولهم: إنَّ «ذا القرنين» لقبٌ للإسكندرِ المقدونيّ؛ لأنّ له صورةً على العُملةِ القديمة، وعلى رأسِهِ قرنان. وهو اعتراضٌ ضعيفٌ؛ لأسبابٍ:

أ. الإسكندرُ المقدونيُّ كان مشتهِرًا بصورةٍ خاصّةٍ باسمِهِ؛ فليس بحاجةٍ إلى رمزٍ، كما أنّ الإسكندرَ قد رُمِزَ إليه في الفصل الثامن من سِفرِ دانيال بقرنٍ واحدٍ في تيسٍ باتّفاقِ عامّةِ شُرّاحِ سِفرِ دانيالَ.[1] في حين أنّ كورش قد تمَّ الرّمزُ إليه في التّوراة بأنّه صاحبُ القَرْنَيْنِ.

ب. لم يشتهر الإسكندرُ بلقبِ «ذي القرنين» قبل الإسلام. وقد شهد المستشرقُ ويلر أنّ ما جاء في عددٍ من التفاسيرِ القرآنيّةِ من أنّ ذا القرنين هو الإسكندرُ، قد أَثَّرَ في قصصِ الإسكندرِ النصرانية التي نُسِخَتْ أو تُرْجِمَتْ بعد البعثةِ؛ فظهر فيها تلقيبُ الإسكندرِ بأنّه «ذو القرنين»، وهو ما لا يُعرف قبل البعثة.[2]

(1) Charles Henry Hamilton Wright, *Daniel and His Prophecies*, Williams and Norgate, 1906, p.176, Frederic William Farrar, *The Expositor's Bible: The Book of Daniel*, Lulu, 2017, p.45.

(2) B. M. Wheeler "Moses or Alexander? Early Islamic Exegesis of Qur'an 18:60-65", in *Journal of Near Eastern Studies*, 1998, 214.

ت. لم يتميّز الإسكندرُ بقرنين عن غيرِه؛ فيُعرف بهما. وما يستدِلُّ به أصحابُ هذه الشُّبهةِ من وجودِ عُملةٍ للإسكندرِ، وعلى رأسِهِ قرنان، ليس بحجّةٍ هنا؛ فإنّ هذين القرنينِ هما قرْنا الإلهِ آمون المصريّ، وقد عُرِفَ بهما كثيرٌ من الملوكِ والأباطرةِ قبله وبعده؛ فلم يتميّزْ بهما الإسكندرُ؛ حتى يختصَّ بهما.

دراخم، عليه صورةُ الإمبراطورِ هدريان
(حوالي 134-135 ق.م)



تترادراخما من القرن الثالث قبل الميلاد



تترادراخما كومودوس، سنة 27م



دراخما من سنة 261 ق.م



ولذلك فالملوكُ أصحابُ القرونِ الذين جاؤوا بعد الإسكندرِ أَوْلى بلقبِ ذي القرنينِ. لأنّهم أقربُ لعصرِ النُّبوَّةِ؛ ومع ذلك لم يَنْسبْهُمْ أصحابُ الشُّبهةِ إلى هذا المسمّى. وإذا كانت صورةُ القرنين على الرأسِ مشتركةً في العملات بين شخصيّاتٍ كثيرة؛ فلا معنى لأن يختبرَ أهلُ الكتاب الرّسولَ -ﷺ- بلقبٍ مشترَكٍ.

ثم إنّ العملات التي كانت متداولةً في مكّةَ زمنَ البعثةِ، ليست فيها صورةُ الإسكندرِ بقرنين؛ فقد كان العربُ يستعملون الدّينارَ (الذهبيَّ) والدِّرهمَ (الفضّة)، والفَلْس (النُّحاسيّ).

الدِّرهم الكسرويّ الفارسيّ



الدينار البيزنطيّ



الفلس



ث. فهم كثيرٌ من المفسّرين الأوائل أنّ لقب ذي القرنين مرتبطٌ بسلطانِ صاحب هذا اللّقبِ، شرقًا وغربًا.. وهذا ما يُفهم من قرني كورش في سفر دانيال، في حين أنّ قرني الإسكندر رمزٌ لِلتَّأَلُّهِ أو الارتباط بالآلهة.

ثانيًا: الرجل الصالح المؤمن

كورش غير الإسرائيليّ، الرجلُ الوحيدُ الذي وُصِفَ بالإيمان، وأنّه مسيحٌ من مُسَحاءِ الله، بعد عصرِ يعقوبَ -عليه السّلام-، في الكتابِ المقدّسِ. كما أنّ الكتابَ المقدّسَ قد شهد لغزواتِ كورش أنّها مؤيّدةٌ من الله سبحانه..

وقد جاء مدحُ فُتوح كورش أنّها بأمر الربِّ وتوفيقِهِ في إشعياء 41/ 1-4[1]: «اصْمُتِي وَاسْمَعِي لِي أَيَّتُهَا الْجَزَائِرُ. لِتُجَدِّدِ الأُمَمُ قُوَّتَهَا وَلْيَتَقَدَّمُوا لِيَعْرِضُوا حُجَجَهُمْ. لِنَجْتَمِعْ مَعًا لِلْمُثُولِ أَمَامَ الْقَضَاءِ. مَنْ أَقَامَ مِنَ الْمَشْرِقِ قَائِدًا مُظَفَّرًا، يُوَاكِبُ النَّصْرُ كُلَّ خُطْوَةٍ مِنْ خُطُوَاتِهِ، وَأَسْلَمَ الأُمَمَ إِلَيْهِ وَأَخْضَعَ لَهُ الْمُلُوكَ، وَجَعَلَهُمْ كَالتُّرَابِ بِسَيْفِهِ،

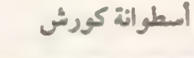
(1) نحن نرى حجّيةَ سفرِ إشعياء هنا، سواءٌ كان هذا النصُّ من الوحي أو كان محرّفًا؛ فإن كان من الوحي -على قول النصارى واليهود المحافظين-؛ فهو شهادةٌ لكورشٍ بالصّلاح والتّوحيد، وإن كان قد كُتِب بعد عصر إشعياء؛ فهو حُجّةٌ تاريخية ماديّةٌ لأنّ عامة هؤلاء النقّاد يقولون إنه قد كتِبَ أثناء حياة كورش.
وقد قال القمص أنطونيوس فكري في تفسير لإشعياء 41/ 2: «كورش هو هذا الإنسانُ والصّفات التي قيلت عنه هنا تنطبق عليه تمامًا وذكْرُه هنا يناسب إطلاق اليهود من السّبي. صار أعظم ملكٍ في العالم، واشتهر بالشّجاعة والسّرعة في الحرب والحِكمة والعدل والكرامة وله اعتبارٌ خاصٌ في الكتاب المقدّس، استخدمه الله كآلةٍ لإرجاع شعبِهِ من السّبي. قال كورشِ في نهاية حياتِه، إنه «لم يبتدئ عملًا إلّا نجح فيه» كالقش المنذري = البابليين (رمز للشّياطين) يُلاقيه النصر عند رِجْليْهِ = له سرعة حرِكة. ولقد عُرِف كورش بالعدالة أمّا جيشُه فاشتهروا بالشراسة». القمص أنطونيوس فكري، شرح الكتاب المقدس - العهد القديم. نسخة إلكترونية:
<https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Antonious-Fekry/27-Sefr-Asheia/Tafseer-Sefr-Ash3eia2__01-Chapter-41.html>.

وَكَالْعُصَافَةِ الْمُذَرَّاةِ بِقَوْسِهِ؟ يَتَعَقَّبُهُمْ وَيَجُوزُ آمِنًا فِي دُرُوبٍ لَمْ يَطَأْهَا بِقَدَمَيْهِ. مَنْ فَعَلَ هَذَا وَأَنْجَزَهُ دَاعِيًا الأَجْيَالَ مُنْذُ الْبَدْءِ؟ أَنَا الرَّبُّ. أَنَا الأَوَّلُ وَالآخِرُ.».

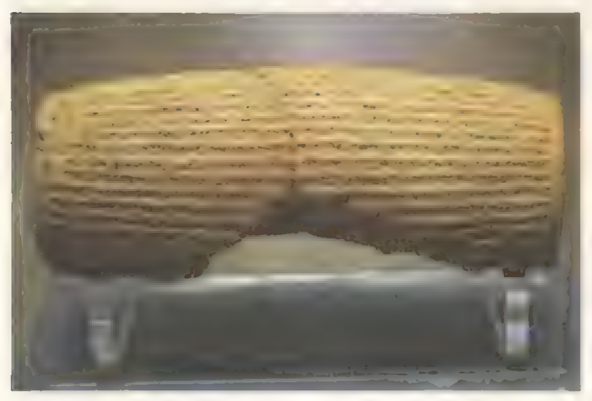
والأمر أيضًا ظاهر في سفر إشعياء 45/ 1-3: «هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ لِمَسِيحِهِ، لِكُورَشَ الَّذِي أَمْسَكْتُ بِيَمِينِهِ لأَدُوسَ أَمَامَهُ أُمَمًا، وَأَحْقَاءَ مُلُوكٍ أُحَلُّ، لأَفْتَحَ أَمَامَهُ الْمِصْرَاعَيْنِ، وَالأَبْوَابُ لاَ تُغْلَقُ: «أَنَا أَسِيرُ قُدَّامَكَ وَالْهِضَابَ أُمَهِّدُ. أُكَسِّرُ مِصْرَاعَيِ النُّحَاسِ، وَمَغَالِيقَ الْحَدِيدِ أَقْصِفُ. وَأُعْطِيكَ ذَخَائِرَ الظُّلْمَةِ وَكُنُوزَ الْمَخَابِئِ، لِكَيْ تَعْرِفَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الَّذِي يَدْعُوكَ بِاسْمِكَ، إِلهُ إِسْرَائِيلَ».

وجاء أيضًا في الكتاب المقدّس بيان أنّ كورش قد أيّدَ بني إسرائيلَ، وعبادتهم للهِ وَحْده: «هكَذَا قَالَ كُورَشُ مَلِكُ فَارِسَ: إِنَّ الرَّبَّ إِلهَ السَّمَاءِ قَدْ أَعْطَانِي جَمِيعَ مَمَالِكِ الأَرْضِ، وَهُوَ أَوْصَانِي أَنْ أَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا فِي أُورُشَلِيمَ الَّتِي فِي يَهُوذَا. مَنْ مِنْكُمْ مِنْ جَمِيعِ شَعْبِهِ، الرَّبُّ إِلهُهُ مَعَهُ وَلْيَصْعَدْ.» (2 أخبار الأيام 36/ 23).

والحجّةُ الوحيدة التي بَقِيَتْ لخصوم كورش لإنكارِ شهادة العهدِ القديمِ إيمانه، ما جاء في الأُسطوانة المعروفة بأُسطوانة كورش.



أسطوانة كورش



والاستدلالُ بأُسطوانةِ كورش وغيرها من الآثارِ التي تذكر أنّ كورش دعا لعبادةِ غير إلهِهِ، أو ردَّ نصرهِ إلى هذه الآلهةِ؛ لإثباتِ عبادةِ كورش لهذه الآلهةِ أو تعظيمِها،

تردُّه العالمةُ البريطانيّةُ المتخصّصةُ في اللُّغاتِ الإيرانيّةِ القديمةِ، **والمرجع العِلميّ العالميّ في الزرادشتيّة** ماري بويس Mary Boyce، **في مقالتها العِلْميّةِ**: «دِيْنُ كورش الكبير»، بقولها عن التشكيك في التزامِ كورش دينَ الزرادشتيّة، بعد أن ساقَتْ أدلّةً متنوّعةً على زرادشتيّةِ كورش، إنّه ضعيفٌ، وإنَّ الاستدلالَ بأُسطوانة كورش، وما فيها من ردِّ نصرِ كورش على البابليّين إلى الإلهِ مردوخ، والدّعوة إلى الصّلاة لبيل ونيبو، لِنَقْضِ ما قَرَّرَتْهُ هذه الباحثةُ، لا يستقيمُ؛ إذ «**إنّه من المعترفِ به اليومَ أنّ نصَّ الأُسطوانةِ قد أَعَدَّهُ كَهَنةُ بابليون كونه دعايةً محليّةً**، كما أنّ النُّصوصَ المصريّةَ على تمثالِ داريوس في شو أَعَدَّها كَهَنةُ أتوم للمصريّين».[1]

وقد ذهب إلى نُبوّةِ زرادشت طائفةٌ من علماءِ المسلمين. قال الإمامُ ابنُ حزم: «وَمِمَّنْ قَالَ إنّ الْمَجُوس أهل كتاب، عَليّ بن أبي طَالب، وَحُذَيْفَة -رَضِي الله عَنْهُمَا-، وَسَعِيد بن الْمسيب، وَقَتَادَة، وَأَبُو ثَوْر، وَجُمْهُور أَصْحَاب أهل الظَّاهِر. وَقد بيّنا الْبَرَاهِين الْمُوجبَة لصِحَّة هَذَا القَوْل فِي كتَابنَا الْمُسَمّى الإيصال فِي كتاب الْجِهَاد مِنْهُ، وَفِي كتاب الذَّبَائِح مِنْهُ، وَفِي كتاب النِّكَاح مِنْهُ. وَالْحَمْد لله رب الْعَالمين. ويكفي من ذَلِك صِحَة أَخذ رَسُول الله -ﷺ- الْجِزْيَة مِنْهُم. وَقد حرّم الله عز وَجل فِي نَص الْقُرْآن فِي آخر سُورَة نزلت مِنْهُ وَهِي بَرَاءَة أَن تُؤْخَذ الْجِزْيَة من غير كتابيّ».[2]

لقد كانت الزرادشتيّةُ منذ صورتها الأُولى المعروفةِ بعد كورش تُقرِّرُ أنّ الخالقَ واحدٌ،[3] وتجعل له اسمَ «الربِّ الحكيم» دون أن تُشَابِهَ بذلك العقائدَ الوثنيّةَ في

(1)Mary Boyce, “The religion of Cyrus the Great”, in A. Kuhrt and H. Sancisi-Weerdenburg, *Achaemenid History III: Method and Theory*, Leiden: Brill, 1988, p.29.

(2) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1/ 92.

(3) يعتقد الزرادشتيُّون المعاصرون بأن زرادشت نبيٌّ ويؤمنون بوجود الثواب والعقاب في اليوم الآخر كما أنهم ركزوا على القِيم الخلقيّةِ. يقول المرجع الدينيُّ الأعلى للطائفة الزرادشتية في إيران رستم شهزادي: «نَحن نعتقد أنَّ نبيَّنا زرادشت، كما نَعتقد بوحدانيّةِ الله فلا نعبد غيرَهُ، وعندما جاء زرادشت برسالتِهِ إلى البشر حاول نشرَ المبادئِ الأساسيّةِ الثلاثة التالية: «الفكرة والنيّة الحسنة، القول الحسن والعَمَلِ الحسن». ونحن نعتقد أنَّ الإنسان ومتى ما عَمِلَ بهذه المبادئ الثلاثة فإنه سيعيشُ سعيدًا في دُنياه وآخرته. أمّا أُصولُ ديننا فهي ستّةٌ: التّوحيد، الإيمان بنبوّة زرادشت، النيّة الحسنة، القول الحسن والعمل الحسن، بقاءُ الرُّوح وجود الثواب والعقاب والمعاد في يوم القيامة» (صعب أديب، الأديان الحية، نشوؤها وتطورها، دار النهار، بيروت، 1993، ص 115).

عبادةِ الأصنامِ أو مظاهرِ الطَّبيعةِ، كما تُقرِّرُ أَنَّ زرادشت نبيٌّ، وتؤمن باليوم الآخرِ، والحسابِ، والجزاءِ والعِقابِ، ووجودِ شيطانٍ يَؤُزُّ على الباطل.

ومع غياب نُصوصٍ واضحةٍ تدلُّ على وَثَنِيَّةِ كورش، يبقى أيضًا احتمالُ أنَّ كورش مُوَحِّدٌ على غير الزرادشتيّةِ، قائمًا.

ثالثًا: الفاتح العظيم

كورش والإسكندر، اثنان من أقوى القادة العسكريّين في التاريخ القديم، وربّما لا ينافسهما أحدٌ في ذلك؛ فقد مَدَّا سلطانهما على أراضٍ واسعةٍ جدًّا في ظرفٍ زمنيٍّ قياسيّ، غير أنّ غزوات كورش كانت أنجحَ من ناحيةِ المآلِ؛ وفي ذلك قال المؤرّخُ البريطانيُّ تشارلز فريمان: «من حيث النّطاق والمدى، احتلّتْ إنجازاتُه [كورش] مرتبةً أعلى بكثيرٍ من إنجازاتِ الملك المقدونيّ، الإسكندر، الذي كان يعمل على هدمِ الإمبراطوريّة [الأخمينيّة] في 320 ق.م لكنّه فَشِلَ في توفير أيّ بديلٍ مُستقرٍّ».[1]

كما شهد براين براون أنّ اليهودَ قد قسَّمُوا التاريخَ إلى ما قبل كورش وما بعدَهُ؛ لأهميّتِهِ في تاريخِهِم. مع إيمان مؤلِّفِ سِفرِ عِزْرا أنّ كورش كان مُوَحِّدًا، يعبدُ إلهَ بني إسرائيل.[2]

(1) Charles Freeman, *The Greek Achievement: The Foundation of the Western World*, Penguin Publishing Group, 2000, p.172.
(2) Brian A. Brown, *Three Testaments: Torah, Gospel, and Quran*, Lanham: Rowman & Littlefield, 2014, p.27

الإسكندرُ ذو القرنين1

الاعتراض:

ارتباطُ أمر السَّدِّ الذي بُني لمنع هجماتِ يأجوج ومأجوج بالإسكندرِ المقدوني، حجّةٌ أنّ سورة الكهف كانت تحيل إلى الإسكندر لا كورش؛ فقد ذكرَ المؤرِّخُ يوسيفوس -في القرن الأوّل الميلادي- أنّ السكيثيّين Scythians هم قومُ مأجوج[1]، وأشار في موضعٍ آخر إلى أنّ السكيثيين كان يسافرون من ممرّ أَغْلَقَهُ الإسكندرُ ببوّاباتٍ حديديّةٍ.[2] وذاك ما يُثْبِتُ أنّ الإسكندرَ هو ذو القرنين. ومعلوم أنّ الإسكندرَ قائدٌ وثنيٌّ.

الجواب:

البحثُ التاريخيُّ لا يستقيم بجمعِ شتات الأخبارِ، دون تحقيقٍ في طبيعةِ هذه الشّهاداتِ، وقيمتها العِلْمِيّةِ. والنَّظر في ما جاء في شأن السَّدِّ دالٌّ على ما يأتي:

أَوَّلًا: لم يسبِقْ أَحدٌ من المؤرّخين أو الكُتّاب يوسيفوس في نسبةِ بناء هذه البوابات إلى الإسكندر المقدونيّ، رغم كثرةِ ما كُتِبَ عن الإسكندرِ، وعظيم ما نُسِبَ إليه من إنجازاتٍ. وعادةُ تضخيمِ سيرةِ الإسكندرِ معلومةٌ. وفي ذلك تقولُ الموسوعةُ الفرنسيّةُ إنّ الأممَ الشرقيّةَ من الإسكندرِ في أمرٍ مريجٍ، فالفرسُ يدَّعُون أنّه من أصلٍ فارسيٍّ، ويزعمون له الأعاجيبَ التي تفوقُ العقلَ، وينسبونه إلى العائلةِ المالكةِ في بلادهم، فيقولون إنّه ابنُ الشّاه دارات، وإنّه إنّما هاجمَ بلادهم ليستخلِصَ مُلْكَهُ من يدِ أَخيهِ دارا، وأمّا المؤلِّفون الشرقيُّون من المسيحيّين، فإنّهم مثل مارهبروس وابنِ البطريق، قد زَعَمُوا أنّ الإسكندر من أصلٍ مصريٍّ، قائلين: إنَّ نيكامبوس لمّا طردَهُ الملِكُ الفارسيُّ أرتكسركسيس مِنْ مُلْكِهِ الْتَجَأَ إلى مقدونيا وتظاهَرَ بعِلمِ النُّجومِ، وكانت له علاقاتٌ مع أولمبياس امرأةِ فيليب، فولَدَتِ الإسكندرَ.[3]

---

(1) *Antiquities of the Jews*, I, vi,

(2) *The Wars of the Jews*, VII, vii

(3) محمد خير رمضان يوسف، ذو القرنين، القائد الفاتح والحاكم الصالح ، دمشق: دار القلم، 1415هـ/ 1994م، ص129.

لقد بدأت أخبارُ الإسكندرِ في الانتشارِ في حياة الإسكندر نفسِه، ثمّ تطوّرتْ لاحقًا، وجُمِعَتْ في ما يُعرف بـ«Alexander Romance» والتي أصبحت تُسمّى «Pseudo-Callisthenes». وقد جَمَعَت قصصًا مصريّةً، وتُراثًا يهوديًّا، وكتابات مؤرّخين يونان ورومان، وأخبار قصّاصين...[1] وتُرجمتْ إلى لغاتٍ مختلفةٍ، مع اختلافٍ في زياداتِ هذه التّرجماتِ.

ورغم أنّ هذا السّدَّ لم يُنْسَبْ إلى كورش، إلّا أنّ كثيرًا من سِيرةِ كورش قد اندثرَ، على خِلافِ سيرةِ الإسكندرِ التي عرفَتْ تَضَخُّمًا مع الأيام.

ثانيًا: من الثابت أنّ هناك قبائلَ وحشيّةً في آسيا الوسطى كانت تَمُرُّ عبر مضيقِ داريال ومضيقِ دربند (المكانان المرشّحان ليكون السدُّ في أحدهما) لتغزوَ القبائل المجاورة. ومعنى «داريال»: «بوّابة قوم الألان» والألان قومٌ عاشوا شماليّ هذه البوّابة. وقد كَتَبَ أحدُ الباحثين دراسةً في الأسوارِ التي بُنِيَتْ مرارًا في هذا الممرِّ لحمايته.[2] وشهرةُ هذا الممرّ (ومضيق دربند)، مع شهرةِ القوم الهجميّين جانبه؛ سببٌ لِربطِ شخصيّةٍ في قَدْرِ الإسكندرِ -أحد أشهر القادة العسكريّين في التاريخ- به.

ثالثًا: حاربَ كورشُ في آخرِ حياتِهِ تَجَمُّعًا قَبَليًّا رَعَوِيًّا، اسمُهُ المسجتيّون Massageteans، وهم قومٌ نَسَبَهُمْ هيرودوت إلى عِرقِ السكيثيّين Scythians[3] -الذين قال يوسيفوس عنهم إنهم مأجوج-. وقد كانوا يعيشون جهةَ الشّمالِ الشرقيِّ لبحرِ قزوين الذين يقع عنده مضيقُ داريال ومضيقُ دربند. وقد عُرِفَ الحاجِزُ الذي بُني لكفِّ هَمَجِيِّي تلك المنطقة باسم «البوّابات القزوينيّة» «Caspian Gates».

وقد قيل إنّ كورشَ قد قُتِلَ في معركةٍ مع السكيثيّين، ولكنّ ويليام ثرمان يُعَقِّبُ قائلًا: «من المسلَّم به أنّ ذاك غيرُ صحيحٍ؛ فإنّه حسب زينوفون Xenophon [المؤرّخ اليونانيِّ الذي وُلِدَ في القرنِ الخامسِ قبلَ الميلاد]، مات كورش على فراشِهِ بسلامٍ».[4]

(1) Jess Nevins, *The Evolution of the Costumed Avenger: The 4,000-Year History of the Superhero*, CA: Praeger, 2017, p.33.

(2) Eberhard Sauer, *Dariali: The 'Caspian Gates' in the Caucasus from Antiquity to the Age of the Huns and the Middle Ages*, Oxford; Philadelphia: Oxbow Books, 2020.

(3) Herodotus, *The Histories*, 1.201.

(4) William Carr Thurman, *Sealed Book of Daniel Opened*, Office of the World's Crisis, 1867, p.148

وممّا يرجّح أيضًا ارتباط هذه المنطقةِ بكورش لا الإسكندرِ، وجود نهرٍ فيها سمّاهُ المؤرّخان سترابو وبليني في القرن الأول: نهر كورش،[1] **وقد ذكر سترابو أنّ هذا النَّهْرَ كان يُدعى «Curus» ثم صار يُدعى كورش، بعد أن غَيَّرَ كورشُ نفسُه اسمَهُ.**[2] عِلْمًا أنّ الإسكندرَ التاريخيَّ لم يَقْتَرِبْ من ممرَّي داريال ودربند.[3]

رابعًا: الراجح أنّ السؤال عن ذي القرنين قد جاء من اليهود. واليهودُ لم يكن لهم حديثٌ عن بوّابةٍ للإسكندرِ لمنع مرورِ الأُممِ الهجميّةِ في التّلمودِ والمدراشات وغيرها، باستثناءِ ما تفرَّدَ بذكرِهِ يوسيفوس المؤرّخُ في القرن الأوّل الميلاديّ.[4] ومعلوم أنّ السلطان القصصي لليهودية على يهود الحجاز، مصدره التلمود والمدراشات والترجومات، ولا يُعرف ليوسيفوس حضور في ذلك.

(1) "Strabo and Pliny call this river Cyrus," John Longhorne and William Longhorne, *Plutarch's Lives*, Translated from the Original Greek, with Notes, Dublin: T. Ewing, 1771, 3/344.

(2) Jacob Reineggs, *A General, Historical, and Topographical Description of Mount Caucasus*, London: C. Taylor, 1807, 2/96.

(3) Andrew Runni Anderson, "Alexander at the Caspian Gates", in *Transactions and Proceedings of the American Philological Association*, Vol. 59 (1928), p. 130

(4) E.J. van Donzel, Andrea Schmidt, eds. *Gog and Magog in Early Eastern Christian and Islamic*, Leiden: Brill, 2010, p.9.

الإسكندر، ذو القرنين2

الاعتراض:

قصّةُ ذي القرنين في سورة الكهفِ، مُقْتَبَسةٌ من الرّواية السّريانيّةِ لقصّةِ الإسكندر المقدونيّ، والمسمّاة «Pseudo-Callisthenes» وقصيدة يعقوب السّروجيّ. ولذلك فالقرآنُ ناقِلٌ لِخُرافةٍ هنا.

الجواب:

أَوّلًا: التّرجمةُ السّريانيّةُ لـ«Pseudo-Callisthenes» قِصّةٌ لا تُصَرِّحُ بزمنِ تأليفِها. وهي قصّةٌ منحولةٌ بالإجماعِ؛ تُنسبُ إلى غير مُؤلِّفِها. وقد ذهب جمهورُ الباحثين المتأخّرين، من خلالِ النَّظَرِ في النصِّ نفسِه، إلى أنّ هذه القصّةَ قد كُتِبَتْ بعد سنة 629م-لحديثها عن غزو الخَزَرِ لأرمينيا، والذي تَمَّ سنة 629م-[1]، وهو حدثٌ وقعَ بلا شكٍّ بعد نزول سورة الكهفِ في العصرِ المكّيِّ الذي انتهى سنة 622م.

ثانيًا: لا يمكن استنباطُ آخر زمنٍ ممكنٍ لتأليفِ هذه القصّةِ. فربّما أُلِّفَتْ هذه القصّةُ بعد قرنٍ من زمن البعثةِ، وربما قبل ذلك أو بعدَهُ. والحجّةُ الرئيسةُ لمن زعم أنّ هذه القصّةَ قد أُلِّفَتْ بعد سنة 629 بسنواتٍ قليلةٍ، أنها لا تذكرُ الفتوحاتِ الإسلاميّةَ. وجوابنا أنّ كتابًا منحولًا يُنْسَبُ إلى مُؤلِّفٍ عاش قبل الميلادِ زمن الإسكندرِ، قد يُصرِّحُ بهذه الإيحاءات الكاشفةِ للفتحِ الإسلاميِّ، وقد يُخْفِي ذلك، وهو أمرٌ تشهد له بعضُ الكتبِ المنحولةِ المكتوبةِ بعد البعثةِ النبويّةِ. فلسنا هنا أمامَ اعتراضٍ حاسم. عِلْمًا أنّ نصَّ «Pseudo-Callisthenes» قد أشار إلى «ممالِكِ الهون والفرسِ والعَرَبِ».[2] وهي إشارةٌ لافتةٌ للنَّظَرِ من وَجْهَيْنِ:

الوجه الأوّل: لم يُذْكَرِ العربُ في هذه القصّةِ سوى في هذا المقامِ، وفي مرّةٍ أُخرى عرضيّةٍ في بداية القصّةِ، مع أُممٍ أُخرى[3]. وكان ذكرهم عند الحديث عن بناءِ السّدِّ

(1) C. Hunnius, *Das Syrische Alexanderlied*, 1905, Göttingen, pp. 21-24.

(2) E.A.W. Budge, *The History of Alexander the Great, being the Syriac version of the Pseudo-Callisthenes*, Amsterdam, Philo Press, 1976, pp. 155

(3) Ibid., p.2.

الحديديّ على يد جنودِ الإسكندرِ لمنع يأجوجَ ومأجوجَ من العبورِ إلى ما وراءَهُ. ومعلوم أنّ هذا المقطعَ في القصّةِ هو نقطةُ الالتقاءِ الأساسيّةِ بين القرآن و«Pseudo-Callisthenes».

الوجه الثاني: ذُكِرَ العربُ والفرسُ مع قبائلِ الهون هنا؛ في سياقِ الحديثِ عن أوّلِ التحام سيكون بين الهون والعالَم بعد انهيارِ السّدِّ آخِرَ الزّمانِ، وما سيحدث بعد ذلك من مَقْتلةٍ عظيمةٍ، تسيلُ فيها دماءُ العربِ والفرسِ. ولنا هنا أن نسألَ عن قيمةِ العربِ قبل الفتوحاتِ الإسلاميّةِ في نظر كاتبٍ عراقيٍّ نصرانيٍّ يتحدَّثُ عن الإسكندرِ الكبيرِ، وأممِ الأرضِ العظمى. هل من الممكنِ أن يكون المقصودُ من عبارة «العرب» الغساسنة! هذا بعيدٌ جدًّا؛ فلا يُمكن أن يوضعَ الغساسنةُ بإزاء إمبراطوريّةِ الفرسِ الهائلةِ والقويّةِ. لا يبدو لي أنه يوجدُ تفسيرٌ معقولٌ للأمرِ بعد سنة 629م، سوى دولةِ الإسلامِ القويّةِ والواسعةِ أرضها.

وقد حاول المستشرقُ كيفن فان بلاديل Kevin Van Bladel إنكارَ أثَرِ القرآنِ في الروايةِ السريانيةِ -بعد تقريرِهِ أنّ النصّ السريانيّ قد كُتِبَ سنة 629-630م- والتشكيكَ في أنّ قصّةَ أهلِ الكهفِ مكيّةٌ أو أنّها كُتِبَتْ قبلَ وفاةِ الرّسولِ -ﷺ-؛ فزعم أنّ تأثُّرَ الرّوايةِ السريانيّةِ بالقرآنِ يقتضي أن تكون فيها علاماتٌ على محاولةِ فهمِ النصِّ القرآنيِّ وفَكِّ «مُغْمَضاتِهِ»، لكنّنا -برأيه- لا نجد في النصِّ إشاراتٍ إلى اللُّغة العربيّةِ كما هو متوقَّعٌ من نصٍّ يحاول فَهْمَ نصٍّ آخَرَ بِلُغَتِه.[1]

والاعتراضُ السابقُ مُتهافِتٌ جدًّا؛ لأنّه يفترِضُ أنَّ الأَثَرَ القرآنيَّ على التُّراثِ الأدبيِّ النصرانيِّ المبكِّرِ، قد وقع في صورةٍ نصيّةٍ فحسب. والحقّ أنّ جميع المستشرقين يُقِرُّون أنّ التّأثيرَ القرآنيَّ على الأدبيّاتِ النصرانيّةِ كان شَفَهِيًّا، ومن خلال التّفاسير لا النصّ القرآنيّ نفسه، ويقترنُ عادةً بنسبةِ أُمورٍ للقرآنِ ليست فيهِ أو هي منقولةٌ عنه بغيرِ دِقّةٍ؛ وهو ما نَلْحَظُهُ بوضوحٍ في أوّل ردٍّ نصرانيٍّ مكتوبٍ ومحفوظٍ لليومِ على

(1) Kevin Van Bladel, 'The Alexander Legend in the Qur'an 18:83-102' in *The Qur'an in its Historical Context, ed. Gabriel Said Reynolds*, New York: Routledge, 2008, p.189.

الإسلام، وهو حديثُ يوحنّا الدمشقيّ المولود سنة 56 هجري عن القرآن وقَصَصِهِ وعقائدِهِ في مقالتِهِ عن الهرطقةِ الإسماعيليّةِ في كتابه «ينبوع المعرفةِ».

ثم إنّ السيناريو الذي رضيه المستشرق بلاديل عجيب؛ فهو يفترض أنّ أهل المدينة قد سألوا الرسول ﷺ عن قصّة كُتبت منذ بضعة أشهر أو سنوات قليلة في دير ناءٍ، في أرض العراق البعيدة، باللغة السريانيّة؛ فأجابهم الرسول ﷺ بذكر أهم ما فيها من خبرٍ!

إنّه سيناريو لا يمكن تصديقه حتّى في زمن التداول السريع للمعلومات في عصر الشبكة العنكبوتيّة؛ فإنّ المؤلفات الدينيّة إذا لم تُترجم، لا ينتشر خبر ما فيها من تفصيل؛ فكيف بعصر السَفر على ظهور الجمال، وحواجز اللغة العنيدة؟!

كما أنّ قصّةً من هذا الجنس، خرجت من غير منصّة كنسيّة رسميّة، على يد راهب مجهول، **لا تكتسب سلطانًا سريعًا بين أهلها -فضلًا عن غيرهم- ليمتحنوا بها رجلًا في أرض بعيدة أعلن بين الناس أنّه نبيّ!؟**

وبعيدًا عن كلّ ذلك، ليس في قصّةِ «Pseudo–Callisthenes» ما يَدُلُّ على أنّها كُتِبَتْ بعد غزو الخزرِ لأرمينيا بسنواتٍ قليلةٍ. ولذلك ذهب المستشرقُ بادج -الذي هو أوّلُ من نشرَ ترجمة إنجليزية للروايةِ السريانيّةِ- إلى ردّ تأليفِها إلى ما بين **القرن السابع والقرن التاسع**.[1] وفي هذه الحقبةِ، كان تأثيرُ التُّراثِ الإسلاميِّ في البيئةِ النصرانيّةِ معلومًا.

ثالثًا: حتّى لو سَلَّمْنا أنّ قصّة «Pseudo–Callisthenes» قد كُتِبَتْ في ظرفٍ يسمح بالتأثيرِ في البيئة النبويّةِ؛ فسيبقى هناك إمكانٌ للشّكِّ في أصالةِ التّفاصيلِ الموافِقةِ للخَبَرِ القرآنيِّ في هذه القصّةِ؛ إذ إنّ أَقْدَمَ مخطوطةٍ نَمْلِكُها لهذه القصّةِ متأخّرةٌ عن العصرِ النبويِّ. وقد كانت تُسْتَنْسَخُ لقرونٍ في بيئةٍ إسلاميّةٍ. ونحن نعلم بيقينٍ -وباعترافِ المستشرقين- أنّ كثيرًا من الأدبِ الدّينيِّ لأهلِ الكتابِ السّريانِ والقِبطِ واليهودِ كان متأثرًا في تداوُلِهِ بالثّقافةِ الإسلاميّةِ؛ إذ يقوم النُّسَّاخُ بتغييرِ تفاصيلِ القصّةِ لتوافِقَ ما

(1) Walter, *The History of Alexander the Great*, p. lxi-lxii

في التُّراثِ الإسلاميِّ. وهنا يُقَدِّمُ المستشرقُ ويلر شهادةً خطيرةً في موضوعنا، بقوله إنّ البحثَ الدّقيقَ يُظْهِرُ أنّ التنقيحاتِ اللّاحقةَ لقصةِ الإسكندرِ أَصْلُها تَأَثُّرُ الكُتَّابِ النَّصارى بما في تفاسيرِ القرآنِ لا أَثَرُ قِصّةِ الإسكندرِ في القرآنِ. ومثَّل لذلك بدخول لقب «ذو القرنين» قصّة الإسكندر عبر التفاسير القرآنيّة.[1]

رابعًا: قصيدةُ يعقوب السّروجيّ متأخِّرةٌ عن الرّوايةِ السّريانيّةِ «Pseudo-Callisthenes»، وعالةٌ عليها. وذاك ما قاله كيفن فان بلاديل نفسه؛ فقد تمَّ تأليفُها بعد عدّةِ سنواتٍ من الرِّوايةِ السّريانيّةِ،[2] ولا تتطابق مع القصّةِ الموجودة في الحكايةِ القرآنيةِ لذي القرنين.[3] وأضافَ بلاديل أنّ «القصّة الواردةَ في سورةِ الكهفِ لا تُطابِقُ بِدِقَّةٍ قِصّةً موجودةً في مكانٍ آخَر إلَّا هذا النصَّ [=الرواية السريانية Pseudo-Callisthenes]».[4]

خامسًا: لم تكن قصّةُ الإسكندرِ وبنائِهِ السَّدَّ ذائعةً بين المفسّرين الأوائلِ. وهو ما يظهَرُ في عدمِ إحالتِهِم إليها. وقد اختَلَفَ قولُهُمْ في تحديدِ شخصيّةِ ذي القرنين اختلافًا كبيرًا، كما هو ظاهر مثلًا من تفسير الطَّبَرِيِّ الذي جاء فيه: «واختلَفَ أهلُ العِلمِ في المعنى الذي من أَجْلِهِ قيل لذي القرنين: ذو القرنين، فقال بعضهم: قيل له ذلك من أجل أنه ضُرِبَ على قَرْنِهِ فَهَلَكَ، ثم أُحْيِيَ فَضُرِبَ على القرنِ الآخَرِ فَهَلَكَ... قال وهبُ بنُ مُنَبِّهٍ: كان ذو القرنين مَلِكًا، فقيل له: فلم سُمّي ذا القرنين؟ قال: اختلفَ فيه أهلُ الكتابِ، فقال بعضهم: مَلَكَ الرُّومَ وفارسَ. وقال بعضُهم: كان في رأسِهِ شِبهُ القَرْنَيْنِ... وقال آخرون: إنّما سُمِّيَ ذلك لأنَّ صَفْحَتَي رأسِهِ كانتا من نُحاسٍ ..»[5] فلو كانت القصّة النصرانيّةُ شائعةً جدًا في بيئة الحجاز زمن البعثة؛ لوجدنا لها بعض أثر في خبرِ المفسّرين الأوائلِ.

---

(1) B. M. Wheeler "Moses or Alexander? Early Islamic Exegesis of Qur'an 18:60-65", p. 214.

(2) هناك مصادر نصرانية أخرى متأخرة، تأثرت بالترجمة السريانية لـ Pseudo-Callisthenes، مثل Apocalypse of Pseudo-Methodius. وتأخُّرُ تأليفها سبب لعدم استشهاد المنصّرين والمستشرقين اليوم بها عادة.

(3) Kevin Van Bladel, "The Alexander Legend in the Qur'an 18:83-102", p.176

(4) Ibid., p.177

(5) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 15/ 369-370.

سادسًا: خبرُ ذي القرنين في القرآن، سُبق بعبارة: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾ (الكهف/ 83). فالقصّة قد سِيقت جوابًا لسؤالٍ -على الأظهر- من مختبرٍ لنبوّة محمّد ﷺ ممّن يعلم أنّ هذه القصّة مجهولة في هذه البيئة الوثنيّة.

وافتراض أنّ الرسول ﷺ قد سُئل عن قصّة الإسكندر التي أثارها أصحاب هذه الشبهة، وأجاب عنها كما جاءت في قصّة «Pseudo–Callisthenes» بدقّة، مشكلٌ بصورة عظيمة؛ إذ تجعل نبيّ الإسلام ﷺ الذي ظنّ فيه خصومه الجهل بخبر أهل الكتاب؛ حتّى إنّهم كانوا يختبرونه في هذا الباب بالعسير من الأسئلة، واسع العلم بما لا يعرفه إلّا الأفذاذ من العلماء!

إِرَم ذَات الْعِمَاد

الاعتراض:

جاء في القرآن: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨﴾ [الفجر/ 6-8]. ولكننا لا نعرف شيئًا في التاريخ عن منطقةٍ اسمُها إِرَم.

الجواب:

إنكارُ صدقِ الخَبَرِ القرآنيِّ في شأنِ إرمَ على الصُّورةِ الواردة في هذا الاعتراضِ؛ قائمٌ على العَجَلةِ في معرفةِ «إرم»، وتاريخِهَا في الخَبَرِ القرآنيِّ.[1]

أولًا: اختلفَ المفسّرون في المقصود بإرمَ في الآيةِ بين الدلالةِ على أرضٍ والدّلالةِ على قومٍ. فقد ذهب فريقٌ من المفسّرين إلى أنّ إرمَ قبيلةٌ من قوم عادٍ، وقال غيرهم إنّ إرمَ عاصمةُ بلادِ عادٍ.[2]

ثانيًا: لم تُحدّد الآيةُ زمنَ وجودِ إرمَ. وإنّما أخبرَتْ أنّ قومَ عادٍ -الذين من المرّجح أنهم سَكَنُوا إرمَ- قد عُوقِبُوا بريحٍ قويّةٍ أَهْلَكَتْهُم. ولعلّ هذه الرّيحَ الرَّمْلِيَّةَ طَمَسَتْ معالِمَ مدينتهم أو هَدَّمَتْها؛ فلم يبقَ منها شيءٌ. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ۝٨﴾. (الحاقة/ 6-8)؛ فإرم -عندها- إمّا مَطْمُورةٌ تحت التُّرابِ أو تَهَدَّمَتْ بفعلِ الرِّيحِ، كما هو حالُ أُممٍ كثيرةٍ يكشِفُ الأركيولوجيُّون خَبَرَها مَرَّةً بعد أُخرى.

(1) كذلك تعجّل من زعم الكشف عن إرم.
(2) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ 4/ 747.

مريم أُختُ هارون

الاعتراض:

جاء في القرآن على لسانِ اليهودِ قولهم لها: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨﴾(مريم/ 28). والقولُ إنّ مريمَ أُمَّ المسيحِ أُخْتٌ لِهارون النبيّ؛ فيه خَلطٌ بين مريمَ أُمِّ المسيحِ ومريمَ أُخْتِ هارون التي جاء ذكرها في التَّوراةِ (الخروج 15/ 20، سفر العدد 12/ 1، أخبار الأيام الأول 6/ ....). كما أنّ القرآنَ قد ذكرَ أنَّ عِمْران والد مريمَ أُمِّ المسيح: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾ (التحريم/ 12). وهي أيضًا دعوى لا تَصِحُّ؛ فإنّ والدَ مريمَ اسمُهُ يهوياقيم.

الجواب:

القول بخطأ القرآن بِخَلْطِهِ بين المَرْيَمَيْنِ ضعيفٌ؛ لأنّه يقومُ على ثلاثةِ مزاعمَ:

1 - القَصَصُ القرآنيُّ يضع مريمَ أمَّ المسيحِ في الزّمنِ نفسِه لهارونَ وموسى -عليهما السَّلام-.

2 - كلمةُ أُختٍ تعني ضرورةً من تشاركُ شخصًا آخرَ الأبوين أو أحدهما بصورة مباشرة.

3 - هناك شهادةٌ تاريخيّةٌ موثوقةٌ أنّ والدَ مريمَ اسمُهُ يهوياقيم יְהוֹיָקִים.

والردّ ينتظم في النّقاط التالية:

أولًا: هل جاء في القرآن أنّ أمّ المسيح معاصرةٌ لهارون النبي؟

يَتَّفِقُ الموافِقُ وعامّةُ المخالِفينَ على أَنَّ القرآنَ قطعةٌ واحدةٌ، فإمّا هو كتابٌ من عند اللهِ أو هو اختلاقٌ من نبيِّ الإسلام -ﷺ-، على خلافِ أسفارِ الكتابِ المقدّسِ النّصرانيِّ التي تُنْسَبُ إلى مؤلّفين مختلِفين (تزعم الكنيسةُ أنّهم كَتَبُوا بإرشادِ الوحي، ويرى المخالِفُ أنّ جلَّ المكتوب اختلاقٌ)؛ ولذلك فالقرآنُ يفسّرُ -ضرورةً- نفسَهُ

بنفسِهِ؛ لأنه من مصدرٍ واحدٍ، كما أنّ مَنْ جاء به لِلنَّاسِ -وهو نبيّ الإسلام -ﷺ- هو خيرُ من يُفَسِّرُ خَبَرَهُ التّاريخيَّ.

وجواب دعوى الخلط التاريخي عندها، ينتظم في التالي:

أ - الشّهادةُ القرآنيّةُ:

1. لا يوجد في القرآنِ نصٌّ صريحٌ يضعُ مريمَ أُمَّ المسيحِ مع هارونَ وموسى في زمنٍ واحدٍ أو قصّةٍ واحدةٍ، رغم أنّ قصّةَ موسى -عليه السَّلام-أكثرُ القصص تكرارًا في القرآن. كما جاء في القرآن خَبَرُ ميلادِ مريمَ وطُفُولَتها وإِنْجابُها للمسيحِ، وليس في الآياتِ ذِكْرٌ للمعاصرةِ المزعومةِ رغم اقتضاءِ المقامِ ذِكْر ذلك. والأمرُ نفسُه واضحٌ في الحديث النبويِّ. فلا تصريحَ إذن رغمَ ضخامةِ المادّةِ التاريخيّةِ التفصيليّة.

2. جاء في القرآن -على غير المألوف مِنْ سَرْدِهِ- ذِكْرُ قصّةِ ميلادِ موسى وميلادِ أُمّ المسيحِ -عليهما السّلام-، وقصّة شَبَابِهِما؛ فنحنُ بذلك نعلَمُ ما كان في مُنْتَهَلِّ سيرتهما، ومع ذلك لا يوجد البتة ذِكْرٌ لمريمَ في قصّة موسى وهارون، ولا لموسى وهارون في قصّةِ مريمَ.

3. الحديثُ القرآنيُّ عن كفالةِ زكريّا -عليه السَّلام- لمريمَ، لا يأتَلِفُ مع غيابِ كفالةِ زكريّا -عليه السَّلام- لموسى -عليه السَّلام- أو هارون -عليه السَّلام-.

4. نعلم من القرآنِ أنّ مريمَ الصَّغيرةَ قد أرسلَتْها أُمُّها لاقتفاءِ أَثَرِ موسى -عليه السَّلام- الوليد لمّا أَخَذَتْهُ زوجةُ فرعونَ. قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١١﴾ (القصص/ 11). وأمّا مريم القرآنيّةُ؛ فقد عاشَتْ في أورشليم.

5. يُفْهَمُ من النصِّ القرآنيِّ والتوراتيِّ أنّ موسى عاش في مصرَ ثم خرج حتى انتهى به الأمرُ في صحراء التِّيهِ في سيناء، وأنه لم يدخلِ القُدسَ البتّةَ، في حين يُفْهَمُ من النصِّ القرآنيِّ والحديثيِّ أنّ مريمَ قد وُلِدَتْ في القُدسِ وأنجبَتْ فيها المسيحَ؛ فكيف الْتَقَيَا إِذن؟!

6. تذكرُ سورة آلِ عِمْرانَ قصّةَ آل عمرانَ ضرورةً. ونجدُ فيها قصّةَ مريم وولادَتَها وكفالَتَها ونشأَتَها وإنجابَهَا للمسيحِ، ثم قصّةَ المسيحِ، وولادَتَهُ، ودَعْوَتَهُ، ومُعْجِزاتِهِ، ومَكْرَ أعدائِهِ به، ورَفْعَهُ إلى السَّماءِ. ولا شيءَ في السُّورةِ في قصّة حياةِ موسى وهارون ووالِدِهما؛ فكيف تُغْفِلُ سورةٌ تتحدَّثُ عن آلِ عمران -أي عِمْران وموسى وهارون ومريم، كما يزعم النصارى- ذِكْرَ خَبَرِ موسى وأَخِيْهِ ووالِدِهما؟!

7. السَّرْدُ القرآنيُّ واضحٌ في دلالَتِهِ على أَنَّ قُرونًا طِوالًا تَفْصِلُ بين هارون وموسى -عليهما السَّلام- وأمِّ المسيحِ -عليهما السَّلام-. يقول د. إبراهيم عوض: «القرآنُ يُفرِّقُ بين موسى وعيسى تَفرِقةً واضحةً في العصرِ والظَّرفِ والرِّسالةِ؛ بحيث لا يمكن الزّعمُ بأنه كان يخلِطُ بينهما كما يتّضِحُ من النُّصوصِ التالية: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ (النساء/ 153 - 158)، فالإشارةُ إلى قَتْلِ اليهودِ للأنبياءِ بعد نَقْضِهم الميثاقَ الذي أَخَذَهُ اللهُ عليهم في حياةِ موسى؛ يَدُلُّ دَلالةً لا تقبلُ الشَّكَّ على أنه قد مرَّ زمنٌ طويلٌ بين موسى وعيسى بما لا يمكن أن يكون هذا ابنُ أختِ ذاك، وهو ما تَجِدُهُ أكثرَ تفصيلًا في الآية 70 من سورة «المائدة»: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟

وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (المائدة/ 700)، فهناك - حسبما تقول الآية - رُسُلٌ قد تَتَابَعُوا بعد موسى، وقابَلَهُمْ بنو إسرائيل تارةً بالتّكذيبِ، وتارةً بالتَّقْتِيلِ، مما يحتاجُ وقوعُه أزمانًا طويلةً وممّن جاء بعد موسى من الأنبياء على وجهِ التّحديدِ سليمان، الذي ذَكَرَ القرآنُ أنَّ الشياطين قد افترَوا عليه الأكاذيبَ حسبما جاء في الآية 102 من سورة «البقرة»، وهناك أيضًا أَبُوهُ داود، الذي لُعِنَ الكُفَّارُ من بني إسرائيل على يديهِ، أو بالحريِّ: على لِسانِهِ، قبل أن يَلْعَنَهُمْ عيسى بدورِهِ، وهناك عُزَيْرٌ، الذي زَعَمَت اليهودُ أنه ابنُ اللهِ كما تقول الآية 30 من سورةِ «التوبة»، ولا نَنْسَى أنَّ القرآنَ قد دانَ اليهودَ بأنّهم حَرَّفُوا الكَلِمَ عن مواضِعِهِ ونَسُوا حَظًّا آخرَ ممّا أتاهُم به موسى -عليه السَّلام- مما أشارتْ إليه الآيةُ 13 من سورة «المائدة»، وهذا كُلُّه يستدعي مرورَ الزّمانِ الطّويلِ؛ إذ لا يُعْقَلُ أن يتمّ ذلك في الجيل نفسه الذي جاءهم فيه موسى بالتوراة، وبالمِثْلِ لا يمكنُ أن يُنَزِّلَ اللهُ كتابًا آخر على عيسى -عليه السَّلام- ولم يكن قد جَفَّ الحِبْرُ الذي كُتِبَتْ به التّوراةُ بعد.»[1]

8. قولُه تعالى عن المسيح: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ... ﴾ (المائدة/ 44) دليلٌ على وجودِ كثرةٍ من الأنبياءِ بعد موسى -عليه السَّلام-، حَكَمُوا بعينِ أحكامِ التّوراةِ، وكانت رسالتُهم كُلّهم في بني إسرائيل. ومعلومٌ أنّ عيسى -عليه السَّلام- هو آخرُ أنبياءِ بني إسرائيلَ عند المسلمين؛ لقولِ رَسُولِ الله -ﷺ- عن المسيح: «ليس بيني وبينَهُ نَبِيٌّ».[2] فلا شكَّ إذن أنّه كان هناك أنبياءُ كُثرٌ بين موسى -عليه السَّلام- وعيسى -عليه السَّلام-.

ومما يزيد في توضيح هذه الحقيقة القرآنيّةِ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة/

(1) إبراهيم عوض، هل أخطأ القرآن في اسم والد مريم كما يزعم المتخرصون؟، نسخة إلكترونية.
< https://www.alukah.net/sharia/0/68287/ >.

(2) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها)، ح/ 3442.

246) إلى قوله ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾ (البقرة/ 251)؛ مما يعني أنّ داود -عليه السَّلام- قد عاش بعد موسى وهارون -عليهما السَّلام-، ومعلوم أنّ النَّصارى يرون أنّ المسيحَ هو ابنُ داودَ البعيدِ جِيْلًا.

9. ورد الحديث في القرآن عن أُخْتِ هارون وموسى مَرَّتَيْنِ (طه/ 40، والقصص/ 11 – 12)، لكن لم يُذْكَرْ اسمُها في هذين الموضِعَيْنِ، رغم أنّ القرآنَ قد جاء فيه ذكر اسمُ مريمَ 34 مرّةً، على غير عادةِ القرآنِ في ذكر أسماءِ غيرِ الأنبياءِ.

10. لِمَ لَمْ يَذْكُرِ القرآنُ موقِفَ موسى -عليه السَّلام- من الميلادِ العُذْرِيّ لأخْتِهِ وموقِفَ اليهودِ المتَشَبِّثِيْنَ بإقامةِ الحدودِ على الزُّناةِ طِبْقَ شريعةِ موسى -عليه السَّلام-، إلَّا أنْ يكون العصرُ غيرَ العَصْرِ؟!

11. الخَلْطُ بين مريمَ أُخْتِ موسى -عليه السَّلام- ومريمَ أُمّ المسيحِ -عليهما السَّلام- يقتضي أن يكون موسى خالَ المسيحِ -عليهما السَّلام-، ونحن لا نجد أدنى أَثَرٍ لهذا الأمر في القرآن الكريمِ ولا السنّة النبويّة، وقد جاءت الأخبارُ الكثيرةُ في القرآن والسنّةِ في سِيَرِ الأنبياءِ -عليهم السّلام-، ولم يرد البتّةَ ما يُظْهِرُ أو يُوْهِمُ القارئَ وجود هذه القرابةِ اللَّصِيقةِ المباشِرةِ بين هذين النَّبِيَّيْنِ.

ب - الشّهادة الحديثيّة:

روى مسلِمٌ في صحيحِهِ أنّ نصارى نجرانَ قالوا لِلصَّحابِيِّ المغيرة بنِ شُعبةَ إنّ القرآنَ قد أَخْطَأَ بقوله إنَّ أُمَّ المسيحِ هي أُختُ النّبِيِّ هارون، فقال الرَّسُولُ -ﷺ- للمغيرةِ: «أَلَا أَخْبَرْتَهُم أَنَّهم كانوا يُسَمُّون بالأنبياءِ والصَّالحين قَبْلَهُمْ؟».

وظاهر معنى الجوابِ النبويّ، هو أنّ اليهود قالوا لمريم لمَّا رَأَوْهَا تَحْمِلُ رَضِيعًا لها دون أن تكون قد تَزَوَّجَتْ: «يا مريمُ، كيف تفعلين هذا، وأنت المرأةُ التي لا بُدَّ أن تكون في صلاحِ الرجل الصالح الذي نعرفه هارون». قال ابنُ كثيرٍ: «أي: يا شبيهةَ هارونَ في العِبادةِ».[1] فهارون هذا رجل من بني إسرائيل صالح.

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 5/ 226.

ولولا هذا الحديث؛ لقلنا مع كثير من مفسّري القرآن من مسلمين[1] وغير مسلمين: إنّ اليهود قد نسبوا مريم إلى أشرفِ من تَعْرِفُ من أجدادها، أي النبيُّ هارون -عليه السلام-؛ لأنّها من نسله. وقد كان الهارونيُّون أهلَ سُؤددٍ دينيٍّ، فهم خدم الهيكل.[2] قال ابن عاشور: «ويحتمل أن معنى ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ أنّها إحدى النساء من ذرية هارون أخي موسى؛ كقول أبي بكر: يا أخت بني فراس، وقد كانت مريم من ذرية هارون أخي موسى من سبط لاوي. ففي إنجيل لوقا كان كاهن اسمه زكرياء من فرقة أبيا وامرأته من بنات هارون واسمها إليصابات، وإليصابات زوجة زكرياء نسيبة مريم، أي ابنة عمها.»[3]

وقد ذهب ابن عاشور إلى احتمال أنّ اليهود نسبوا مريم إلى الرجل الصالح، وإلى هارون عليه السلام. وأضاف: «وليس في هذا الاحتمال ما ينافي حديث المغيرة بن شعبة».[4]

وصاحب الشبهة على كلّ حال بين حلّين:

- قبول تفسير نبي الإسلام ﷺ الآية، وقولُه يرفع الإشكال بصورة مباشرة.
- أو قبول التفسير الآخر السائغ لغويًا بصورة كبيرة. وهو أيضًا يرفع تهمة الغلط.

وذاك ليس من باب التكلّف في التفسير؛ فقد اعترفَ بقوّة هذين الوجهين المستشرق جورج سال George Sale؛ بقوله: «أُختُ هارون: يَعْتَقِدُ العديدُ من الكُتّابِ المسيحيّين أنّ القرآنَ مُدانٌ بباطلٍ واضحٍ في هذا الخصوصِ، لكنّني **أخشى أنّ المسلمين قد يَتَجَنَّبُون هذه التُّهْمَةَ**؛ كما يفعلون من خلال عدّةِ إجاباتٍ. يقول بعضُهم إنّ مريمَ العَذْراءَ كان لها حقًّا أَخٌ اسمُهُ هارون، كان لَدَيْهِ الأَبُ نفسُه، ولكن أُمٌّ مختلِفةٌ، ويَعْتَقِدُ بعضُهم الآخَرُ أنّ هارون -شقيق موسى- هو المقصود هنا، ولكن قالوا إنّ مريم دُعِيَتْ هنا أُخْتَهُ، إمّا لأنّها كانت من العِرقِ اللّاويِّ (لأنّها قريبةُ إليصابات؛ فعليها

---

(1) يبدو أنهم لم يصحّحوا الحديث.

(2) Suleiman A. Mourad, "Mary in the Qur'ān: A Reexamination of Her Presentation", in Gabriel S. Reynolds, The Qur'ān in Its Historical Context, London 2008, pp.165-166.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 16/ 96.

(4) المصدر السابق.

أن تكون لاويّةً)، أو الأمرُ على سبيل المقارنةِ على قول آخَرين؛ فقد كان هناك شخصٌ آخر بهذا الاسمِ معاصرًا لها، معروفًا بصفاتِهِ الحسنةِ أو السيّئةِ، وأنهم شَبَّهُوها به إمّا على سبيل الثَّناءِ أو اللَّوْم».[1]

ثانيًا: هل الأُخُوَّةُ لا تكون إلّا في الجيلِ الواحِدِ؟

العُرْفُ القرآنيُّ لاستعمال كلمة «أخ/ أخت»، لا يَحْصُرُ الأُخُوَّةَ في الجيلِ الواحِدِ؛ فقد جاء في القرآنِ في شأن نبيّ اللهِ هودٍ -عليه السَّلام-: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ﴾ (الأحقاف/ 21)؛ فَهُودٌ -عليه السَّلام- أَخٌ لِعادٍ؛ أيْ مِنْ قَوْمِ عادٍ. كما أنَّ الكتابَ المقدَّسَ يُجيْزُ استعمالَ ألفاظِ القرابةِ القريبةِ للقرابةِ البعيدةِ، ومن ذلك أنه جاء في إنجيلِ لوقا 1/ 5: «كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ مَلِكِ الْيَهُودِيَّةِ كَاهِنٌ اسْمُهُ زَكَرِيَّا مِنْ فِرْقَةِ أَبِيَّا، وَامْرَأَتُهُ مِنْ بَنَاتِ هارُونَ (τῶν θυγατέρων Ἀαρών) وَاسْمُهَا أَلِيصَابَاتُ». ومعلوم أَنَّ أليصابات زوجةُ زكريّا قد عاشَتْ بعدَ أكثر من ألفِ سنةٍ من زمنِ هارون -عليه السَّلام-.

بل إنّ التوراةَ نفسَها تستعمِلُ كلمةَ أَخٍ لنسبةِ المرءِ إلى عشيرتِهِ لا إلى من يُشارِكُهُ الأبَ والأُمَّ أو أَحَدَهُما، ومن ذلك ما جاء في سِفرِ العَدَدِ 25/ 18: «لأَنَّهُمْ ضَايَقُوكُمْ بِمَكَايِدِهِمِ الَّتِي كَادُوكُمْ بِهَا فِي أَمْرِ فَغُورَ وَأَمْرِ كُزْبِي أُخْتِهِمْ [אֲחֹתָם] بِنْتِ رَئِيسٍ لِمِدْيَانَ»؛ فقد وُصِفَتْ كُزْبي في هذا النصِّ بأنها أُخْتُ المديانيّين «أي واحدة من قَبيلَتِهِمْ».[2]

وقد جاء تفصيل معاني «أخت» في دائرة المعارف الكتابية، بقولها: «تُسْتَخْدَم هذه الكلمة كثيرًا في العهد القديم وهي في العبرية «أخوت» للإشارة إلى:

1 - أخت شقيقة من نفس الأبوين.

2 - أخت من أحد الأبوين (تك 20/ 12؛ لا 18/ 9).

3 - امرأة من نفس العائلة أو العشيرة (تك 24/ 60؛ أي 42/ 11).

4 - امرأة من نفس البلد أو الناحية (عدد 25: 28).

---

(1) E. M. Wherry, George Sale, *A Comprehensive Commentary on the Qurán*, London: Kegan Paul, 1896, 3/106.

(2) Keil and Delitzsch, *Commentary on the Old Testament*, Peabody, Massachusetts: Hendrickson Publishers, 2011, 1/793.

5 - يُقال مجازيًا عن مملكتي إسرائيل ويهوذا إنهما أختان (حز 23/ 4).

6 - تعتبر المدن المتحالفة أخوات (حز 16/ 45).

7 - تستخدم نفس الكلمة العبرية، لوصف أشياء ذات شقين أو أشياء مزدوجة، مثل الستائر أو الشقق التي يقال عنها «بعضها موصول ببعض» (وفي العبرية «موصول بأخته» - خر 26/ 3، 6)، كما تطلق أيضًا على أزواج الأجنحة (حز 1/ 9؛ 3/ 13).

8 - لوصف بعض الفضائل المرتبطة بالشخص مثل: «قل للحكمة أنت أختي» (أم 7/ 4؛ أي 17/ 14).

9 - لوصف العلاقة بين محب وعروسه كتعبير عن الإعزاز (نش 4/ 9؛ 5/ 1؛ 8/ 8).»[1]

وتشهد «موسوعةُ الإسلام» الاستشراقيّة للدلالة الواسعة لكلمة «أخت» في لغةِ العربِ في حديثها في شأنِ خَبَرِ القرآنِ: «يا أختَ هارونَ»: «ليس من الضَّروريِّ افتراضُ أنّه علينا أن نُفَسِّرَ روابط القرابةِ هذه بالتّفسيرِ العَصْرِيِّ لها. الاستعمالُ العربيُّ لِكَلِمَتَيْ «أُخت» و«ابْنَة» -كمقابلهما الذُّكُوريِّ- من الممكنِ أَنْ يَدُلَّ على قرابةٍ ممتدّةٍ، قَرَابةِ تَنَاسُلٍ أو قرابةٍ رُوحيّةٍ».[2]

ثالثًا: يهوياقيم والد مريم؟

لا توجد حُجّةٌ قاطعة تجعل اسمَ والِدِ مريمَ يهوياقيم دون عِمْران:

أَوَّلًا: لا توجد وثيقةٌ تاريخيّةٌ معتبرةٌ بإطلاق تشهدُ أَنَّ والِدَ مريمَ اسمُهُ يهوياقيم كما يقول النَّصارى اليومَ. وقد جاء اسمُ يهوياقيم أَبًا لمريم في إنجيلِ يعقوبَ،[3] وهو إنجيلٌ تعتقِدُ الكنيسةُ أَنّهُ مُزَيَّفٌ. ولم يَرِدْ هذا الاسمُ في الأناجيلِ الأربعةِ.

(1) صموئيل حبيب وآخرون، دائرة المعارف الكتابية، القاهرة: دار الثقافة، 1/ 96.

(2) A.J. Wensinck, 'Maryam' art., *The Encyclopaedia of Islam*, eds., C. E. Bosworth, *et al.*, Leiden: Brill, 1991, 6/630.

(3) الأناجيل الأبوكريفية، فيها حق وباطل؛ ولذلك ليست هي حجّة نهائيّة.

ثانيًا: كان من عادةِ اليهودِ زمنَ المسيحِ التَّسَمِّي بأكثرَ من اسم؛ فتلميذُ المسيحِ برثولماوس له اسمٌ آخرُ كما تقولُ الكنيسةُ هو نثنائيل، وألفاوس والِدُ يعقوبَ اسمُهُ أيضًا -بشهادةِ بابياس في بدايةِ القرنِ الثاني- كليوباس. وبعيدًا عن اضطرارِ الكنيسةِ مَرَّاتٍ كثيرة لجعل اسمَيْنِ اثنَيْنِ عَلَمًا على شخصٍ واحِدٍ دَفْعًا للتّناقُضِ، فإنّ عادة التَّسَمِّي بأكثرَ من اسمٍ زمنَ المسيحِ لا يُشكِّكُ فيها النقّادُ. وذاك لا يَمْنَعُ أَن يكون اسمُ والد مريمَ: عمْران ويهوياقيم، ويكون ذِكْرُ القرآنِ لاسمِ عمرانَ من بابِ تقديمِ الاسمِ الأَشرفِ، علَى التّسليمِ جَدَلًا أنَّ اسمَهُ الآخَرَ يهوياقيم.

ثالثًا: النَّصارى في حَيْرةٍ في شأنِ اسمِ والِدِ مريمَ؛ ففي حين يشهدُ تراثُ أبوكريفي أنه يهوياقيم، يرى جمهورُ النَّصارى اليومَ أنّه هالي؛ للخروجِ من إشكالِ اختلافِ سلسلَتَيْ نَسَبِ المسيحِ؛ إذ إنّ والِدَ يوسفَ النجّار في متّى 1/ 16 هو يعقوبُ على خلافِ نصِّ لوقا 3/ 23 الذي ذُكِرَ أنّه هالي؛ فاضطرّت الكنيسةُ للقولِ إنّ هالي في إنجيلِ لوقا هو والِدُ مريمَ. وبعيدًا عن حقيقةِ أَنَّ هذا القولَ لا يستقيمُ؛ لأنّ متّى ولوقا قد ساقا نَسَبَ المسيحِ عبر يوسفَ النجّار الذي ليس هو بوالِدِهِ، ولا أَثَرَ لِسِلْسِلَةِ نَسَبِ مريمَ هنا؛ إلَّا أَنَّ القولَ إنَّ والِدَ مريمَ هو هالي لا يهوياقيم، أو إنَّ هالي اسمٌ آخرُ ليهوياقيم؛ يُضَعِّفُ حُجَّةَ اعتراضِ النَّصارى على القرآنِ بالقولِ إنّ كلَّ قولٍ يذكُرُ أَنَّ والِدَ مريمَ ليس يهوياقيم، فهو خطأٌ.

وخلاصة الكلام في ردّ هذه الشبهة أنّ كلمة «أخت» حمّالة أوجه في العرف اللغوي، ولا دليل ينفي أنّ والد مريم اسمه عمران. ولذلك فالفصل في إمكان وجود خطأ تاريخي في الخبر القرآني في أمر مريم، **لا بدّ أن يعود إلى الأمر المُحْكَم البيّن في الموضوع، والذي لا يحتمل أكثر من توجيه**، وهو تمييز الخبر القرآني بين عصر هارون عليه السلام وعصر عيسى عليه السلام بصورة قاطعة لا تحتمل اللبس، والتمييز بينهما يشمل العصر والمِصر والسيرة. والمباعدة بين السيرتين ناقضة للشبهة.

اسم الإنجيل

الاعتراض:

كيف يكون اسمُ كتابِ المسيحِ «إنجيل»، وهذا الاسمُ من أصلٍ يونانيٍّ، رَغْمَ أنَّ المسيحَ كان يَتَكَلَّمُ لغةً سامِيَّةً (الآراميّة)؟

الجواب:

استشكالُ تسميةِ كتاب المسيحِ -عليه السَّلام- في القرآنِ: «الإنجيل»، قائمٌ على ضَعْفِ فَهْمِ طبيعةِ البناءِ اللَّفظيِّ للأسماءِ في القرآنِ، والجهلِ بالجَدَلِ العِلْمِيِّ حول لُغةِ المسيحِ -عليه السَّلام-. وتفصيلُ الأمرِ في النقاط التالية:

أَوَّلًا: لا حَرَجَ أن يَذْكُرَ القرآنُ اسمَ كتابِ المسيحِ بغيرِ صُورتِهِ الأُولى؛ إذ ليس للقرآنِ سُنَّةٌ واحدةٌ في نقلِ أسماءِ الأعلامِ، فقد ينقلُ الاسمَ بحرفِهِ الأَوَّل نفسِه (مثل: اسم إبراهيم -عليه السَّلام-)، وقد يَنْقُلُهُ بمعناه (مثل: ذي الكِفْلِ)، وقد ينقُلُهُ بالشّائع زمنَ البعثةِ ممّا يُطابِقُ الاسمَ في غيرِ لُغَتِهِ الأُولى، مثل كتابةِ اسمِ النبيِّ «إليا/ إلياهو» «אֵלִיָּה/ אֵלִיָּהוּ» في صورة «إلياس»، وهو الاسمُ في صورتِهِ اليونانيّةِ «إلياس» «Ηλίας»، وإحدى صُوْرَتَيْهِ في السّريانيّةِ: «ܐܠܝܐܣ»«إلياس».

ثانيًا: القولُ الراجحُ هو أنّ كلمة «إنجيل» العربيّة، كانت المصطلحَ السائدَ في الجزيرةِ العربيّةِ قبل البعثةِ.[1] فهي مُطابِقةٌ في عامّةِ مَبْنَاها للكلمةِ اليونانيّةِ المعبَّرِ بها عن الإنجيل: «أونجليون» «εὐαγγέλιον». والكلمةُ في السّريانيّةِ التي كانت الأَعظمَ تأثيرًا على اللِّسانِ العربيِّ الدينيِّ زمن البعثةِ: «أونجيليون» «ܐܘܢܓܠܝܘܢ». وقد قيل إنّ هذه الكلمة في الحبشيّةِ بحركة المدِّ التي بعد الجيمِ، هي الأقربُ لِلّفظِ القرآنيّ «إنجيل». والكلمةُ على كلّ حالٍ كانت تُتداوَلُ في البيئةِ العربيّةِ بالصّيغةِ القرآنيّةِ

(1) Oliver Leaman, ed. *The Qur'an: An Encyclopedia*, London: Taylor & Francis, 2006, p.296; Geoffrey Parrinder, Jesus in the Qur'an, Oxford: Oneworld Publications, 1996, p.143.

نفسِها. ولا حَرَجَ -على هذا الوجه- في أن نَجِدَ في القرآنِ اسمَ الكتابِ كما عرفهُ أهلُهُ في بلادِ العربِ، دون أن يَنْقُلَهُمْ إلى الاسمِ الأَوَّلِ إن كان ساميًّا.

ثالثًا: لا سبيلَ للجَزْمِ بأَنَّ اسمَ كتابِ المسيحِ كان بالآراميّةِ أو العِبريّةِ؛ فإنّ نزولَ هذا الكتابِ باليونانيّةِ واردٌ أيضًا. وقد تزايَدَت الدِّراساتُ الحديثةُ المخبرةُ أنّ اليونانيّةَ كانت شائعةً بصورةٍ كبيرةٍ في البيئةِ التي عاش فيها المسيحُ. وقد أُرْسِلَ المسيحُ بلِسانِ قَوْمِهِ؛ كغيرِهِ من الأنبياءِ. قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ (إبراهيم/ 4).

قال هيوسون ت. أوج -أُستاذُ دراساتِ الكتابِ المقدَّسِ واليونانيّةِ في Emmanuel Bible College-: «هناك نِقاشٌ عِلْمِيٌّ وجَدَلٌ مستمرّان اليوم في شأنِ اللُّغاتِ المنطوقة والمستخدمةِ في مجتمعٍ مُتعدِّدِ الألسنةِ في فلسطينَ في القرنِ الأَوَّلِ. المقترحاتُ العلميّةُ عديدةٌ، ولكنّ هناك وَعْيًا مُتَزَايِدًا بين علماءِ الكِتابِ المقدّسِ بأنّه لا بدَّ من عَدِّ اليونانيّةِ اللُّغةَ الأساسيّةَ والأَرْقى والمشتركةَ لذاك التَّجَمُّعِ اللُّغَوِيِّ القديم.»[1]

كما ناقش النّاقدُ النّصرانيُّ ستانلي بورتر Stanley Porter -أستاذُ دراساتِ العهدِ الجديدِ ولُغَته اليونانيّة- في مقالَتِهِ القيّمةِ «هَلْ عَلَّمَ يسوعُ في أيّ وقتٍ مضى باللُّغةِ اليونانيّة»، أَمْر استعمالِ المسيحِ لِلُّغةِ اليونانيّةِ، لغةً أُولى لِحَدِيثِهِ. وفي هذا المقال أَظْهَرَ دلالة أَسفارِ العهدِ الجديدِ وتاريخِ فلسطينَ (خاصّةً الجليلَ) على انتشارِ اللّغةِ اليونانيّةِ في تلك البيئةِ، ورُجْحانَ تحدُّثِ المسيحِ اليونانيّةَ (على الأقلِّ مع الآراميّةِ). كما استدَلَّ من الأناجيلِ بعباراتٍ لا يُمكن أن تُرَدَّ في سياقِها إلى الآرامّية أو العِبريّةِ، وأشار إلى مواقفَ يبعُدُ أن يكون المسيحُ قد تحدَّثَ فيها بغيرِ اليونانيّةِ؛ مثل حديثِهِ في إنجيلِ مرقس 7/ 24-30 مع امرأةٍ «Ἑλληνὶς» «هلينية/ يونانيّة»[2] عاميّةٍ، فينيقيّةٍ

(1) Hughson T. Ong, 'The Use of Greek in First-Century Palestine: An Issue of Method in Dialogue with Scott D. Charlesworth', in *The Language and Literature of the New Testament*, eds. Lois k. Fuller, *et al.*, Leiden: Brill, 2017, p.218.

(2) في ترجمة الفانديك العربية: «أممية». وهي ترجمة غير حَرفيّة. وقد اختارت ترجمات إنجليزية كثيرة، ترجمة الكلمة إلى «يونانية»، مثل KJV وNIV وASV وESV وNET وWEB...

سوريّةِ، في منطقةِ صور، دون ترجمانٍ؛ رغم أنّ هذه المنطقةَ كانت تحت سلطانِ الثقافةِ الهلينيّةِ. كما أشار إلى حديثِ المسيحِ أمامَ بيلاطسَ (مرقس 15/ 2-5، متّى 27/ 11-14، لوقا 23/ 2-5، يوحنا 18/ 29-38) دون ترجمانٍ؛ ونبّهَ إلى أنّهُ يَبْعُدُ أن تكون لِبيلاطسَ الذي بلغَ هذه الرُّتبةَ العاليةَ في الإمبراطوريةِ الرومانيّةِ، معرفةٌ بأيِّ لُغةٍ ساميّةٍ.[1]

واستدلّ ألسكندر روبرتز Alexander Roberts في كتابه «اليونانيّةُ، لغةُ المسيحِ والرُّسُلِ» الذي أَلّفَهُ في القرن التاسع عشر، ليونانيّةِ لسانِ المسيحِ؛ بيونانيّةِ أسفارِ العهدِ الجديدِ، وبمكانِ تأليفِ هذه الأسفارِ -على دعواه- (فلسطين)، والفئة الأولى المستهدفة منها -على قوله- (اليهود)، بالإضافة إلى الاستعمالِ الواسعِ للترجمة السبعينيّةِ عند أصحاب أسفارِ العهدِ الجديدِ. وردّ على من يستدِلُّ بالألفاظِ الآراميّةِ التي نقلَ أصحابُ الأناجيل حَرْفَهَا على لسانِ المسيحِ للقولِ إنّ المسيحَ كان يَتَكَلَّمُ الآراميَّةَ لغةً أُولى؛ بالقولِ إنّ هذا الاستدلالَ حُجّةٌ عليهم؛ لأنّ أصحابَهُ ما ذكروا هذه الألفاظَ إلّا لأنّ المسيحَ قد تكَلَّمَ أحيانًا الآراميّةَ على سبيل الاستثناءِ؛ ولو أنّ حديثَهُ بالآراميّةِ كان في جميعِ أَمرِهِ، لما كان لنقلِ ألفاظٍ قليلةٍ على لسانِهِ مُسوّغٌ. ونقلُ هذه الألفاظ على لسانه باللّغةِ الآراميّةِ يَتَّسِقُ بصورةٍ أفضلَ مع صورةِ حديثِهِ باليونانيّةِ في عامّةِ أَمْرِهِ، ومخالفته هذه العادة أحيانًا مراعاةً لِلُغَةِ مَنْ يُحَدِّثُ.[2]

ولعلَّ أَهَمَّ ما أُلِّفَ في هذا الاتّجاهِ، الكتابُ الذي نشَرَهُ مُؤَخَّرًا النّاقِدُ ج. سكوت غليفيز G. Scott Gleaves - عميدُ قسم دراساتِ العهدِ الجديدِ في جامعة فولكنر-: «هل تَكَلَّمَ يسوعُ اليونانيّةَ؟ الدّليلُ المستجدُّ على الهيمنةِ اليونانيةِ في فلسطين في القرن الأول» - وأَصْلُه أُطروحة دكتوراه-. وكما يظهر من العنوان فقد بَيَّنَ غليفيز في كتابِهِ الأدلّةَ الأركيولوجيّةَ والأدبيّةَ على الانتشارِ الأكبرِ لليونانيّةِ في منطقةِ الجليلِ في فلسطين في القرن الأول. كما أظهر أنّ العِبرانيّةَ والآراميّةَ قد تراجَعَتَا لصالحِ اليونانيّةِ

(1) Stanley Porter, "*Did Jesus Ever Teach in Greek?*", *Tyndale Bulletin* 44, no. 1. 1993: 199-235

(2) Alexander Roberts, *Greek: The Language of Christ and His Apostles*, London: Longmans, Green, and Co., 1888

في الحديثِ العامِّ بين اليهودِ. وأشار أيضًا إلى أنّ العهدَ الجديدَ دالٌّ على أنّ المسيحَ وتلاميذَهُ كانوا يَقْتَبِسُون من السبعينيّةِ اليونانيّةِ.[1]

(1) G. Scott Gleaves, *Did Jesus Speak Greek? The Emerging Evidence of Greek Dominance in First-Century Palestine*, Cambridge, United Kingdom: James Clarke & Co., 2015.

اسم النَّصارى

الاعتراض:

أَخْطَأَ القرآنُ في تسمِيَتِهِ المسيحيّين بالنَّصارى؛ لِسَبَبَيْن، أَوَّلُهما أنّ كلمة «النَّصارى» شتيمةٌ يَرْفُضُها المسيحيُّون؛ لأنها تسميةٌ إسلاميّةٌ صرفةٌ، وثانيهما أنّ النَّصارى اسمُ لطائفةِ النّاصريّين الموحِّدين؛ لا المسيحيّين المنتصرين في مَجْمَعِ نيقية. وقد ظهرَ الناصريُّون في جزيرةِ العربِ زمنَ البعثةِ -في القرن السابع-، واسمُهم الحقيقيُّ: الأبيونيّون، وعقيدتُهم تُوافِقُ القرآنَ في نُبُوَّةِ المسيحِ وأنه لم يُصْلَبْ كما يقوله الباحث خزعل الماجديّ.

الجواب:

هذا الاعتراض مُشْكِلٌ من كُلِّ جهةٍ:

أَوَّلًا: لَقَبُ «مسيحيّين» هو الشّتيمَةُ لا لَقَبُ «النَّصارى». وقد شَهِدَ لذلك «قاموسُ الكتابِ المقدَّسِ» الذي أَعَدَّهُ مجموعةٌ من الباحثين النَّصارى: «دُعِيَ المؤمنون مسيحيَين أَوَّلَ مَرَّةٍ في إنطاكية (أعمال الرسل 11 / 26) نحو سنة 42 أو 43 ميلاديّة. **ويُرجّح أنّ ذلك اللَّقَبَ كان في الأوّل شتيمةً** (1 بطرس 4 / 16). قال المؤرّخُ تاسيتس (المولود نحو 54 م) إنّ تابعي المسيحِ كانوا ناسًا سَفَلَةً عامِّيِّين. ولمّا قال أغريباس لبولس في أعمال الرُّسُلِ 26 / 2: «بقليلٍ تُقْنِعُنِي أن أصيرَ مَسِيْحِيًّا»؛ **فالرَّاجِحُ أنّه أراد أنّ حُسْنَ بُرْهانِكَ كان يَجْعَلُنِي أَرْضَى بِأَنْ أُعابَ بهذا الاسْمِ**».[1]

ويقول القس الدكتور منيس عبد النور -أشهر الدفاعيين البروتستانت العرب- والقس الدكتور صموئيل حبيب -رئيس الطائفة الإنجيلية الأسبق- في «دائرة المعارف الكتابية» عن كلمة «المسيحيين»: «ولعلّها كانت تنطوي على نوع من التهكّم. ويبدو أنّ المسيحيين أنفسهم لم يتقبّلوا هذا الاسم بصدر رحب في البداية،

(1) بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، القاهرة: دار الثقافة، 1995، ص889.

ولكنّه على توالي الأيّام، التصق بهم، وصاروا يُعرفون به... ولا يَرِد هذا الاسم إلّا في القرن الثاني، إذ كان إغناطيوس الأنطاكي هو أوّل مسيحي يُطلق على المؤمنين اسم «مسيحيين»».[1]

وجاء في تعريف مصطلحِ «مسيحيّ» «Christian» في مُعجَم «An Introductory Dictionary of Theology and Religious Studies» أنّ هذا الاسمَ قد أُطْلِقَ على أَتْباعِ يسوعَ من خارجِ دائرةِ المؤمنين به، وأنّه ربّما قد أُطلِقَ في البداية استهزاءً بهم.[2]

وكتب دافيد غارلاند في شرحِهِ لإنجيلِ لوقا عن لفظِ «مسيحيّين» في أعمالِ الرُّسُلِ 11 / 26: «لقد كان مصطلحًا ازْدِرَائِيًّا يُسْتَخْدَمُ لِلسُّخريةِ منهم كونهم أتباعَ المسيح (يعقوب 2/ 7: «أَمَا هُمْ يُجَدِّفُونَ عَلَى الاسْمِ الْحَسَنِ الَّذِي دُعِيَ بِهِ عَلَيْكُمْ؟»، 1بطرس 4/ 14: «إِنْ عُيِّرْتُمْ بِاسْمِ الْمَسِيحِ، فَطُوبَى لَكُمْ»)».[3] وقد شَهِدَ للإيحاءِ السَّلبيِّ لكلمةِ «مسيحيّ» جستين الشّهيد منذ النّصفِ الأول من القرن الثاني.[4]

ثانيًا: «النَّصارى» اسمٌ مُبكِّرٌ لمن نُسِبُوا إلى عيسى -عليه السَّلام-، وليس استعمالُه لِوَصْفِ أتباعِ الكنيسة ناتجًا عن خَلْطٍ بين «المسيحيّين» والهراطقة الناصريّين، وأدلّةُ ذلك:

أ. جاءت تسميةُ أتباعِ المسيحِ في القرنِ الأوَّلِ أنّهم نصارى في سِفرِ أعمال الرسل 24/ 5:

الأصل اليوناني: εὑρόντες γὰρ τὸν ἄνδρα τοῦτον λοιμὸν καὶ κινοῦντα στάσεις πᾶσιν τοῖς Ἰουδαίοις τοῖς κατὰ τὴν οἰκουμένην πρωτοστάτην τε τῆς τῶν Ναζωραίων αἱρέσεως

---

(1) صموئيل حبيب وآخرون، دائرة المعارف الكتابية، القاهرة: دار الثقافة، 7/ 156.

(2) Orlando O. Espín, James B. Nickoloff, eds. *An Introductory Dictionary of Theology and Religious Studies*, Liturgical Press, 2007, p.232.

(3) David E. Garland, *Luke*, Zondervan Academic, 2012, p.277.

(4) Justin, 1 *Apol*.4.

معنى الاستهزاء يظهر في النص الأصلي للدفاع الأوّل لجستين بصورة أوضح:

«Χριστιανοι γαρ ειναι κατηγορουμεθα· το δε χρηστον μισεισθαι ου δικαιον». وانظر:

Craig S. Keener, *Acts: An Exegetical Commentary: Volume 3: 15:1-23:35*, Michigan: Baker Academic, 2014, p.2710.

الترجمة اليسوعيّةُ:	وَجَدْنَا هذا الرَّجُلَ آفةً من الآفات، يُثِيْرُ الفِتَنَ بين اليهودِ كافّةً في العالم أَجْمَعَ، وأحد أئمةِ شيعةِ **النَّصارى**.
الترجمة المشتركة:	وَجَدْنَا هذا الرَّجُلَ مُفْسِدًا يُثِيْرُ الفِتَنَ بين اليهودِ في العالم كُلِّهِ، وزعيمًا على شيعةِ **النَّصارى**.
الترجمة الكاثوليكيّةُ:	وَجَدْنَا هذا الرَّجُلَ آفةً من الآفات، يُثِيْرُ الفِتَنَ بين اليهودِ كافّةً في العالم أَجْمَعَ، وأحد أئمةِ شيعةِ **النَّصارى**.
الترجمة السارة:	وَجَدْنَا هذا الرَّجُلَ مُفْسِدًا يُثِيْرُ الفِتَنَ بين اليهود في العالم كُلِّهِ، وزعيمًا على شيعةِ **النَّصارى**.
ترجمة الحياة:	وَجَدْنَا هذا المتَّهَمَ مُخَرِّبًا، يُثِيْرُ الفِتْنَةَ بين جميعِ اليهودِ في البلاد كُلِّها، وهو يَتَزَعَّمُ مَذْهَبَ **النَّصارى**.

فتسمية «النَّصارى» سابقةٌ لظهورِ فرقةِ النَّاصريّين بلا شَكٍّ؛ إذ إنّ هذه الفِرقةَ لم توجد في القرن الأَوَّلِ إجماعًا.

ب. شهد ترتليان (ت 220م) أنّ أتباعَ يسوعَ كانوا يُدْعَوْنَ: «נוצרים» (نوصريم).[1]

ت. كتب يوسابيوس في بداية القرن الرابع: إنّنا نُدْعى اليومَ مسيحيّين، وقد كُنّا ندعى في القرون السّابقة Nazarenes.[2]

ث. شَهِدَ قِدّيسُ الكنيسةِ جيروم (ت 420م) في تعليقِهِ على نصِّ عاموس 1/ 11-12 ونصِّ إشعياء 5/ 18-19 أنّ أتباعَ الكنيسةِ كانوا يُدْعَوْنَ في مَعَابِدِ اليهودِ «نوصريم».[3]

---

(1) *Adversus Marcionem*, 4.8

(2) Bulletin of the School of Oriental and African Studies: Volume 65, Issue 1 University of London. School of Oriental and African Studies - 2002

(3) Ray Pritz, *Nazarene Jewish Christianity*, Jerusalem: Brill, 1988, p.105.

ج. جاء اصطلاح «النصارى» في كتاب الدسقولية في ترجمته السريانة التي تمّت قبل البعثة -في القرن الخامس أو السادس، والأرجح أنّه الرابع-[1]، علمًا أنّ الأصل اليوناني للكتاب -والذي كُتب في القرن الثالث- مفقود إلّا بعض الشذرات:

ܢܨܪ̈ܝܐ ܡܫܝܚܝܐ   النصارى المسيحيون[2]

ح. أطلقَ اليهودُ في التّلمودِ على أتباعِ الكنيسةِ اسمَ «نوصريم». فقد جاء في التلمود البابلي، תענית27 ب:

لماذا لا يصومون يوم الأحد؟ قال الرّبي يوحانان: بسبب النصارى [نوصريم].[3]	בְּאֶחָד בְּשַׁבָּת מַאי טַעְמָא לָא? אָמַר רַבִּי יוֹחָנָן: מִפְּנֵי הַנּוֹצְרִים.

علمًا أنّ اليهودَ كانوا يُنْكِرُون أن يكون ابنُ مريمَ -عليهما السَّلام- مسيحًا من المسحاء أو المسيحَ المنتَظَرَ؛ ولذلك فلم يكن يليقُ أنْ يُطلِقُوا على أبناء الكنيسةِ لَقَبًا يَنْسبُهم إلى شخصيّةٍ معظّمةٍ في الذّهنيّةِ اليهوديّةِ؛ وهي شخصّيةُ «المسيحِ المَلِكِ».

خ. فِرقةُ «الناصريّين» لم يُعْرَف البتّةَ خَبَرُها إلّا بدايةً من القرن الرابعِ في كتابات إيبفانيوس.

ثالثًا: الاعتراضُ على نصِّ أعمال الرسل 24/ 5 بأنّ ترجمتَهُ العربيّةَ لا بُدَّ أن تَذْكُرَ «النّاصريّين» لا «النّصارى»؛ مردودٌ من جهاتٍ:

- الكلمةُ اليونانيّةُ في نصِّ أعمالِ الرُّسُلِ 24/ 5 «Ναζωραίων» تُنطق «نَزوريّون»؛ فالحَرَكَةُ الطَّويلةُ بعد الزّاي لا النُّون.

(1) Maria E. Doerfler, "Didascalia Apostolorum Teaching of the Apostles" in Gorgias Encyclopedic Dictionary of the Syriac Heritage: Electronic Edition
< https://gedsh.bethmardutho.org/Didascalia-Apostolorum >.
(2) Margaret Dunlop Gibson, ed. The Didascalia Apostolorum in Syriac, Volumes 1-3 , Clay, 1903, p.ܟ
(3) أي أنّ اليهود لا يصومون يوم الأحد، حتّى لا يتابعوا النصارى في ذلك.

- يذكر المعجم السرياني-العربي لسميث أن كلمة «ܢܨܪܝܐ» [ناصرا] هي مفرد نصارى، بفتح الصاد لا كسرها.[1]
- اختيارُ ترجماتٍ عربيةٍ كثيرةٍ -كتلك التي ذكرناها آنفًا- لكلمة «نصارى».
- كتب القمّص تادرس يعقوب ملطي في تفسيره لإنجيل متّى: «كلمة ناصرة، منها اشتُقّت «نصارى» لقب المسيحيين».[2] وقال الأنبا غريغوريوس -أسقف عام الدراسات اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمي، في مصر- تحت عنوان: «لماذا نحن مسيحيون؟»: «... كما نُسمّى نصارى لأنّنا من أتباع «يسوع الناصري»».[3] فكلمة «الناصرة» -أيًّا كان أصل هذا الاسم- هي أصل اصطلاح «نصارى».
- سببُ تسميةِ النَّصارى بهذا الاسمِ لا يعود ضرورةً إلى نِسْبَتِهِمْ إلى مدينةِ النَّاصرةِ؛ فإنّ وجودَ هذه المدينةِ زمنَ المسيحِ محلُّ شَكٍّ لغيابِ أيِّ إشارةٍ تاريخيّةٍ إليها في غير العهدِ الجديدِ في القرنِ الأوَّلِ.[4] وقد جاء في مُعجَمُ الكتابِ المقدَّسِ Encyclopaedia Biblica: «من المشكوكِ فيه بصورةٍ بالغةٍ أن تكون قريةُ النّاصرة الجبلية الجميلة هي بالفعلِ مسكنَ يسوع. لم يَتِمَّ ذِكْرُ أيِّ مدينةٍ [باسم] النّاصرةِ في العهدِ القديمِ، أو في كتاباتِ يوسيفوس، أو في التّلمودِ».[5]
- الأظهرُ أنّ النّاصرةَ قد اختُلِقَتْ لِتَفْسِيرِ اسمِ «يسوع النّاصريّ» «Ἰησοῦς ὁ Ναζωραῖος». وهو خَطَأٌ تَكَرَّرَ في الأناجيلِ بالخَلْطِ بين الوَصْفِ ونِسْبَةِ رَجُلٍ إلى مكانٍ ما؛ فنقرأُ مثلًا في مرقس 3/ 18 أنّ مِن رسلِ المسيحِ، رَجُلًا اسمُهُ: «سِمْعَانَ الْقَانَوِيَّ» «Σίμωνα τὸν Καναναῖον»، وهو في متّى 10/ 4 «سمعان القانوني» «Σίμων ὁ Καναναῖος»؛ بما يُوهِمُ أنّه من قانا. وهو خَطَأٌ لم يَقَعْ فيه مُؤلِّفُ إنجيلِ لوقا الذي ذَكَرَ من رُسُلِ المسيحِ: «سِمْعَانَ الَّذِي يُدْعَى الْغَيُورَ»

---

(1) Jessie Payne Smith, A Compendious Syriac Dictionary, Wipf and Stock Publishers, 1999, p.349.

(2) تادرس يعقوب ملطي، الإنجيل بحسب القديس متّى، كنيسة الشهيد مار جرجس بسبورتنج، ص57.

(3) الأنبا غريغوريوس، اللاهوت العقيدي، الجزء الأول، لاهوت السيد المسيح، العباسية: دير الأنبا رويس، 2004، ص70.

(4) See René Salm, *The Myth of Nazareth: The invented town of Jesus*, Cranford, N.J.: American Atheist Press, 2008

(5) Art. "Nazareth", T.K. Cheyne, ed. *Encyclopaedia Biblica*, London: Macmillan, 1902, 3/3360.

«Σίμωνα τὸν καλούμενον Ζηλωτὴν» (لوقا 6/ 15). وسبب هذا الاختلافِ هو أَنَّ مُؤَلِّفَ إنجيلِ لوقا قد فَهِمَ من الاسمِ الأَصْلِيِّ الآراميِّ «קנאנא» (قنانا) أنّه صاحبُ غَيْرَةٍ على الدِّينِ (العدد 25/ 11، 1 ملوك 19/ 10)، لا أنّه من قانا.[1]

والأَمرُ نفسُه مع سمعان؛ إذ جاء في متّى 16/ 17 أنّه: «سِمْعَانُ بَرِيونا» «Σίμων Βαριωνᾶ».[2] وقد فَهِمَ مُؤَلِّفُ إنجيلِ يوحنّا 1/ 42 أنّ الاسمَ يتكوّنُ من مقطعِ «بَر» «בַּר» بمعنى ابن في الآراميّةِ، و«يونا» «יוֹנָה»، وهو اسمٌ مُتداوَلٌ عند اليهودِ، ومن ذلك أَنّهُ اسمُ النبيّ يونس -عليه السّلام- في العِبريّةِ؛ ولذلك سمّاه: «سِمْعَان بْنُ يُونَا» «ίμων ὁ υἱὸς» (يوحنّا 1/ 42). وهذا بعيد؛ لأنّه ليس من عادةِ الأناجيلِ ذِكْرُ «ابن» بالآراميّةِ. والظّاهرُ أنّ «بريونا» كلمةٌ أَكاديّة بمعنى «الإرهابيّ»؛ فقد جاء في التّلمودِ البابليّ: «הֲווּ בְּהוּ הָנְהוּ בִּרְיוֹנֵי» أي «كان هناك من بين [أهل أورشليم] إرهابيُّون».[3]

وممّا يؤيّدُ أنّ «الناصريّ» في «يسوع الناصريّ» لا علاقة لها بمكان ما، أنّ إنجيلَ فيليب الأبوكريفيّ عند تفسيره لَقَبَ «المسيحِ يسوعَ المسيح»، قال: «كلمةُ ناصرةٍ تعني «حقيقة».».[4] وهو تفسيرٌ لا يَصِحُّ لُغةً، لكنّه يَدْعَمُ أنّ العلاقةَ بين «النّاصريّ» و«النّاصرة» ليست قطعيَّةً.

ثم إنّ الأناجيل (مع أعمال الرسل) قد اضطربت في رسم كلمة «الناصرة» (واضطربت بسبب ذلك المخطوطات لاحقًا):

Ναζαρέθ	Ναζαρά	Ναζαρέτ
متّى 21/ 11، لوقا 1/ 26، 2/ 4، 2/ 39، 2/ 51، أعمال الرسل 10/ 38	متّى 4/ 13، لوقا 4/ 16	متّى 2/ 23، مرقس 1/ 9، يوحنا 1/ 45، 1/ 46.

(1) J. Nolland, *Luke 1:1-9:20*, Dallas: Word, Incorporated, 2002, p.271.

(2) ترجمة الفاندايك العربية لم تنقل الاسم حرفيًا من اليونانية: «بريونا»، وإنما نقلته «بن يونا»!

(3) *Babylonian Talmud*, Gittin 56a.

(4) نص إنجيل فيليب:

<https://gnosticismexplained.org/the-gospel-of-philip/>.

وقد قيل إنّ أصلَ التّسميةِ من جذر «נזר» (ن-ز-ر) بمعنى نَذَرَ، وما يُشْتقُّ من هذه الكلمة من معنى المنذورين لشيءٍ ما. وذاك بعيد لأنّ للنَّذْرِ معنًى خاصًّا في العُرفِ الدّينيِّ، لا يَتَّفِقُ مع حالِ أتباعِ المسيحِ في القرونِ الأولى. ولعلّ أقربَ الأقوالِ هو أنّ أصلَ التّسميةِ من جَذْرِ «נצר» (نَصَرَ) الذي يَدُلُّ على الحِفظِ والحِراسة. ومن الممكن أن يُشْتَقَّ منه معنى حراسةِ الدِّينِ. وقد ذَكَرَ «المعجمُ اللّاهوتيُّ للعهدِ القديم» -الذي يُناقِشُ دلالاتِ ألفاظِ العهدِ القديمِ في لُغَتِها الأَصْليّةِ- أَنَّ فِعْلَ «נצר" (نَصَرَ) هو أحدُ الألفاظِ التي تُستعملُ لِلْحَضِّ على حفظِ التعليمات والوصايا؛ وبذلك فهذا الفِعْلُ لا يعني فقط «سماعَ» الوصايا، وإنّما يُقْصَدُ به الالتزامُ بها.[1] كما يَدُلُّ هذا الفعلُ على الحمايةِ والحِفظِ، كما هو في نصِّ سِفرِ الأمثالِ 20/ 28:

الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ يَحْفَظَانِ الْمَلِكَ، وَكُرْسِيُّهُ يُسْنَدُ بِالرَّحْمَةِ.

חֶסֶד וֶאֱמֶת יִצְּרוּ־מֶלֶךְ וְסָעַד בַּחֶסֶד כִּסְאוֹ

ونصّ سِفْرِ الأمثال 22/ 12:

عَيْنَا الرَّبِّ تَحْفَظَانِ الْمَعْرِفَةَ، وَهُوَ يَقْلِبُ كَلاَمَ الْغَادِرِينَ.

עֵינֵי יְהוָה נָצְרוּ דָעַת וַיְסַלֵּף דִּבְרֵי בֹגֵד

ونص سِفْرِ الأمثال 27/ 18:

مَنْ يَحْمِي تِينَةً يَأْكُلُ ثَمَرَتَهَا، وَحَافِظُ سَيِّدِهِ يُكْرَمُ.

נֹצֵר תְּאֵנָה יֹאכַל פִּרְיָהּ וְשֹׁמֵר אֲדֹנָיו יְכֻבָּד

وقد اختارَ عددٌ من المفسّرين مثل الزمخشريّ والبغويّ وابن الجوزيّ والنَّسفيّ ردّ «نصرانيّ» إلى فعل «نَصَرَ»، وهو ما يُوحي به قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا

(1) G. Johannes Botterweck, *et al.*, *Theological Dictionary of the Old Testament*, Wm. B. Eerdmans Publishing, 1974, 9/542.

﴿مُسۡلِمُونَ ۝٥٢﴾ (آل عمران/ 52). وأمّا تغييرُ الزّاي إلى سِينٍ؛ فيرى إدوار ماي غاليز أنّه يعود إلى رغبة أصحابِ الثقافة اليونانية-الرومانيّةِ في تمييز الصّادِ العِبريّة عن السِّين؛ فنَقَلُوا الصَّادَ إلى زايٍ.[1]

وحتّى لو افترضنا أنّ المدينةَ التي تُعرف اليومَ بالنّاصرةِ كان اسمها كذلك قديمًا؛ فلا يمنعُ ذلك أنّ العرفَ اللِّسانيَّ المتساهِلَ في شأن الصّوائتِ vowels قد غَيَّرَ النّاصريّين إلى النَّصارى، أو ذهب مباشرةً إلى استعمال مسمّى النّصارى.

رابعًا: يبدو أنّ العربَ كانت تُسمّي المنسوبين إلى المسيحِ في القرن السابع الميلاديّ نَصارى. فتلك تسميةُ اليهودِ لهم، كما أنّه قد جاء من الشِّعْرِ المنسوب إلى ذاك العَصْر ما يشهد لذلك؛ كقولِ جابر بن حُني التغلبيِّ، النصرانيِّ الذي عاشَ قبلَ البعثةِ:

وقد زَعَمَتْ بهراءُ أَنَّ رِمَاحَنَا ... رماحُ نَصَارى لا تَخُوضُ إلى الدَّم

واستعمال النصارى العرب لهذا اللقب زمن البعثة لا شكّ فيه؛ فقد جاء في القرآن تسميتهم أنفسهم «نصارى»: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۝٨٢﴾ (الآية/ 82).

خامسًا: ما قاله الباحثُ اللّادينيُّ العراقي خزعل الماجدي[2]، قولٌ بالِغُ النّكارَة؛ وكاشفٌ أَنَّهُ يُرْسِلُ الأقوال دون تَثَبُّتٍ:

- وَصَلَنا صريحُ خبرِ الأبيونيّين אביונים منذ القرن الثاني في حديث إيرينيئوس عنهم في كتابه «ضِدّ الهرطقات».[3] ويرى فريق من النقّادِ أنّهم وُجِدوا منذ القرن الأول. والظاهر أنّ الأبيونيّين فرعٌ مباشر للمسيحية-اليهودية التي ظهرَتْ في أورشليم منتصفَ القرنِ الأوّلِ.[4]

---

(1) Édouard M. Gallez, *Le Messie et son Prophète: aux origines de l'islam*, Versailles: Éditions de Paris, 2012, 1/274.

(2) في فيديو على الشبكة العنكبوتية، شاهدته بنفسي. والظريف أنّ خزعل الماجدي في هذا الحديث قال إنّ أحد طلبته قد رفض أمره له أن يستعمل في رسالته للماجستير عبارة «مسيحيين» مكان «نصارى». وأنّ الطالب اضطر إلى أن يتخلّى عن الدراسة بسبب إصرار الماجدي على ترك اصطلاح «النصارى»!

(3) *Adv. haer.* 1.26.

(4) See Gerd Lüdemann, *Heretics: the other side of early Christianity*, London: SCM Press, 1996, pp.52-56.

- لم يَنْسبْ أحدٌ من الآباء فرقةَ الأبيونيّة في القرون الأولى إلى البلادِ العربية، لا إيرينيئوس، ولا غيرُه، ولاَ فعل ذلك أَحَدٌ من المتخصّصين في البابَ.
- فرقة النّاصريّين تختلف عن فرقة الأبيونيّين على قول جمهور النقّاد. ومن طابقَ بينهما، لا حجّةَ له، بالإضافة إلى أنّ ممّن طابقوا بينهما، من قال إنّهما كانتا فرقةً واحدةً، ثم انقسَمَتَا بعد ذلك (قبل البعثة المحمّدية). والفارِقُ بين الفِرقتين ظاهرٌ في حديث جيروم عن إنجيلِ العِبرانيّين: «الإنجيلِ المستعملِ من طرف النّاصريّين والأبيونيّين».(1)
- لا يوجد دليلٌ تاريخيٌّ على وجود فرقةِ الناصريّين في الجزيرةِ العربية قبل البعثةِ. وقد شهد إيبفانيوس في القرن الرابع أنّهم كانوا يعيشون في زمانِهِ في منطقةِ قربَ بيلا (طبقة فحل: بلدةٌ أردنيّةٌ تقع في لواء الأغوار الشمالية التابع لمحافظة إربد الأردنيّة اليوم)، ثم تمدّدُوا في بعض المواضع في سوريا.(2)
- علّق عرفان شهيد -المؤرّخ النصراني المدرّس في جامعة جورج تاون، والمتخصِّصُ الشّهيرُ في تاريخ العرب قبل الإسلام- على ترويج المنصّرين العرب لدعوى أثر الأبيونيّة في تزويد الإسلام بموقفٍ عَقَدِيٍّ مُنْكِرٍ لأُلوهيَّةِ المسيح وصَلْبِهِ وقيامَتِهِ من الموتِ والخلاصِ بموتِ الابنِ، بقولِهِ: «ظهر كتابٌ باللّغةِ العربيّةِ قبل عدّةِ سنواتٍ بعنوان «قِسٌّ ونَبيٌّ» زَعَم أنّ كلَّ هذا ربما يعود أَصلُه إلى ورقةَ [بن نوفل] ممثّل الهرطقة الأبيونيّة. إنّه كتابٌ ذكيٌّ، ولكنّه جدليٌّ بصورةٍ تامّةٍ، وقد كُتِبَ في أعقاب الحربِ الأهليّةِ في لبنان حيث وصلت العلاقاتُ بين المسلمين والمسيحيّين إلى أَدْنى مستوياتها. **ولا يوجد دليلٌ على أنّ هذه الطائفةَ التي ازدهرَتْ في منطقة عبر الأردن(3) في القرون الأولى من العصر المسيحيّ، قد عاشَتْ حتّى القرنِ السّابع، فضلًا عن أن تكون في مكّةَ**.(4)

---

(1) *Comm. Matt.* 12.13.

(2) Epiphanius, *Panarion* 29.3.

(3) عبر الأردن: اسم كان يُطلق على المنطقة التي تقع شرقي نهر الأردن.

(4) Irfan Shahid, "slam And Oriens Christianus: Makka 610-622 Ad", in Mark Swanson *et al.*, eds. *The Encounter of Eastern Christianity with Early Islam*, Leiden; Boston: Brill, 2006, p.18.

- اندثَرَتْ فِرقةُ الناصريّين في القرن الرابع الميلاديّ، قبل البعثة المحمّديّة. وقد كتبَ الباحثُ راي بريتز دراسة علميّةً عن تاريخِها، بعنوان: «النّاصريُّون، المسيحيّة اليهوديّة: من آخرِ عصر العهدِ الجديد حتى اختفائِهم في القرن الرابع».[1]
- لم ينقُلْ أحدٌ عن الأبيونيّين إنكارَ صلبِ المسيحِ. والمشهورُ عنهم قولُهُمْ بصلبِ المسيحِ. ويُلخِّصُ بارت إيرمان مذهَبَهم، بقولِهِ في كتابِهِ عن الفِرَقِ النّصرانية القديمةِ «المسيحيّات المفقودةِ»: «اعتَقَدَ الأبيونيُّون أنّ يسوع كان بَشَرًا حقيقيًّا مثلَنَا من لَحْمٍ ودَمٍ، وُلد باعتباره الابنَ البِكْرَ عن جِماعٍ بين والِدَيْهِ يوسف ومريم. ما يميِّزُ يسوعَ عن بقيّة الناس أنّه يحفظُ شريعة الله تمامًا، وكذلك كان الرّجلَ الأكثرَ صلاحًا على الأرضِ. لذلك اختاره الله ليكون له ابنًا، ونَذَرَهُ لمهمّةٍ خاصّةٍ؛ للتّضحيةِ بنفسِه من أجل الآخرين. ذهب يسوعُ بعد ذلك إلى الصّليبِ، لا عقوبةً لذنوبِهِ بل لخطايا العالم، وكان ذبيحةً مثاليّةً لِتَتَحَقَّقَ للجميع وُعودُ الله لِشَعْبِهِ اليهود في الكتب المقدسة. قام الله بعد ذلك -دلالة على قبولِه لتضحيةِ يسوع- بإقامته من بين الموتى، ورفعِه إلى السّماء».[2]

(1) Ray Pritz, *Nazarene Jewish Christianity: From the End of the New Testament Period Until Its Disappearance in the Fourth Century*, Jerusalem: Brill, 1988.

(2) Bart D. Ehrman, *Lost Christianities: The Battles for Scripture and the Faiths We Never Knew*, Oxford: Oxford University Press, 2003, p.101.

اسم عيسى

الاعتراض:

يذكر القرآنُ أنّ اسمَ مسيح الكنيسة: «عيسى»، في حين أنّ اسمَهُ عند قومِه «Ἰησοῦς» (إيسوس) باليونانيّةِ، وهو ما يقابل في العِبريّةِ «ישוע» (يشوع)، ولذلك هو في العربيّةِ: يسوع. والنَّصارى أعرفُ باسمِ المسيحِ مُقدَّسِهم من غيرهم.

الجواب:

حتّى يصحَّ الاعتراضُ على القرآن في شأن المسيحِ ابنِ مريمَ، لا بد أن تكون تسميةُ القرآن للمسيح باسمِ «عيسى»

(1) راجعةً إلى خطأٍ نابعٍ من جَهْلٍ.

(2) أو هي تغييرٌ عَمْدِيٌّ عن سوءِ تقديرٍ.

(3) أو هي تغييرٌ عن سُوءِ نِيّةٍ.

وإذا لم يكن الأمر كذلك؛ فمن الممكن تفسيرُ التّسميةِ القرآنيّة بأنّها

(4) واحدةٌ من الصُّور المعرَّبة للاسمِ في الجزيرةِ العربيّةِ.

(5) تم تغيير الاسم في القرآن، لحكمة ما.

(6) هو الاسمُ كما كان في عصرِ المسيحِ في القرنِ الأولِ.

فَلْنُناقِشْ هذه الافتراضات:

أَوّلًا: افتراضُ خطأ القرآن في بيان اسم المسيح، بعيدٌ جدًّا من الناحية التاريخيّة؛ إذ كيف يُخطِئُ القرآنُ في أمرٍ واضحٍ، في حين يذكر القرآن نفسُه تفاصيلَ كثيرةً متعلّقةً بالمسيحِ وأُمِّهِ وَرَدَتْ في الأسفارِ الرسميّةِ والأبوكريفيّة؟! **كيف يُخطئُ القرآنُ في أمر يعرفه عوامُّ مُشركِي مكّةَ**، ويُنَبِّهُ في الآن نفسه أهل مكّة إلى تفاصيلَ عن تاريخِ المسيح وردت في الأناجيل الرسميّةِ أو التراث الكَنَسِيّ لا يعرفها إلّا القساوسة، كالاقتراعِ على كفالةِ مريم الذي جاء في إنجيل يعقوب الأوّليّ Protoevangelium of James:

﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (آل عِمران/ 44)، أو يخبرهم عن اختلافِ النّصارى الأوائلِ في أمرِ الصَّلْبِ، وهي حقيقةٌ تاريخيّةٌ غيرُ مشهورةٍ في القرن السابع، لا يعرفها في ذاك القرن المتأخّر إلّا الأفذاذُ من علماء النصرانيّةِ؛ فقد قال فريقٌ من النصارى الأوائل إنّ المصلوب هو سمعان القورينيّ لا المسيح: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ (النساء/ 157).

ثم إنّ المستشرقين والمنصّرين يؤكّدون دائمًا أنّ قصص القرآن دالّةٌ على أنّ مُؤلِّفَهُ (!) له معرفةٌ كبيرة باليهوديّةِ وتاريخِ أنبياءِ بني إسرائيلَ، حتى ذهب فريقٌ من المستشرقين إلى أنّ الرسولَ -ﷺ- قد اطّلعَ على التّلمود[1]، رغم أنّ التّلمود كتابٌ ضخمٌ من مجلّداتٍ، ولُغتُه آراميّةٌ. وقد كان اليهودُ المتكلّمون بالآراميّةِ في القرن السابع يُسمُّون المسيحَ ابنَ مريم «ישו» (يشو) لا عيسى.

ولذلك فافتراضُ أنّ أصلَ اسم «عيسى» وَهْمٌ أَصْلُه الجَهْلُ، لا سبيلَ للتّسليم به من مُنْكِرٍ لربّانيّةِ القرآن؛ لأنّها تُهمَةٌ لا تَأْتَلِفُ مع طبيعة المعرفة الظاهرة في القرآن بتفاصيلَ مشهورةٍ ومغمورةٍ في شأن النصرانيّةِ. وفي ذلك قال المستشرق جيمس بِلّامي، إجابة على سؤال: «لماذ رفض النبيّ [اسم] يسوع؟»: «لا يمكن لأحد أن يدّعي أنّه [نبيّ الإسلام] لا يعرف الاسم؛ إذ نجد أسماء العهد الجديد في القرآن، مثل زكريا ويحيى وخاصة مريم. إذا كان يَعرف اسم الأم، فلا بدّ أنّه كانت لديه معرفة باسم الابن؛ **ولذلك فرفضه للاسم لا بدّ أن يكون متعمّدًا، ولسبب مقنع**».[2]

ولذلك لم يُسارِعْ عمومُ المستشرقين إلى تخطئةِ القرآنِ، وإنّما أعربوا عن تَحَيُّرِهم من وُرُود اسمِ «عيسى» فيه؛ حتّى قال آرثر جفري: «لا يزالُ الاسمُ مُعضلًا للبحث العلميّ».[3]

(1) Abraham Isaac Katsh, *Judaism and the Koran: Biblical and Talmudic Backgrounds of the Koran and Its Commentaries*, A. S. Barnes, 1962.
(2) James A. Bellamy, "A Further Note on 'Īsā", *Journal of the American Oriental Society* , Jul. - Sep., 2002, Vol. 122, No. 3 (Jul. - Sep., 2002), 588.
(3) Arthur Jeffery, *The Foreign Vocabulary of the Qur'ān*, p.219.

ووجود أسماء في النصّ المقدّس تخالف صورة الاسم في بيئته الأولى، أمر معروف في الكتاب المقدس نفسه حيث نجد تسمية لبعض الشخصيات بأسماء غير التي اشتهرت بها في بيئتها الأم، ومن ذلك أنّه قد جاء في سفر إرمياء 44/ 30: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هأَنَذَا أَدْفَعُ فِرْعَوْنَ حَفْرَعَ (חָפְרַע) مَلِكَ مِصْرَ لِيَدِ أَعْدَائِهِ وَلِيَدِ طَالِبِي نَفْسِهِ، كَمَا دَفَعْتُ صِدْقِيَّا مَلِكَ يَهُوذَا لِيَدِ نَبُوخَذْرَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ عَدُوِّهِ وَطَالِبِ نَفْسِهِ».» والفرعون المسمّى في هذا النص «حفرع»، اسمه عند المصريين: «واح-إيب-رع»، وقد حكم مصر حقبة 589-570 ق.م.[1]

ثانيًا: قيل إنّ تغيير «يشوع» إلى «عيسى» قد تمّ عن سوءِ تقديرٍ؛ وذلك بمتابعةِ نبيّ الإسلامِ -ﷺ- اليهودَ في تسميتهم المسيحَ «عيسى» باسم «عيساو»؛ دون أن يعلمَ أنّ هذه التسميةَ شتيمةٌ من اليهودِ للمسيحِ؛ فإنّ اليهودَ العربَ كانوا يُسمُّون عيسى «עֵשָׂו» (عيساو) -أي عيسو كما هو الاسمُ في العُرفِ النصرانيِّ العربيِّ اليومَ-؛ لأنّ عيسو -توأم يعقوب -عليه السّلام- كان مطرودًا من رحمةِ اللهِ.

وتلك دعوى بلا سَنَدٍ تاريخيٍّ. وقد قالت «موسوعةُ القرآن» الاستشراقيّةُ في رَدِّها للزَّعم السّالِفِ إنّه لا توجد أدْنى حُجّةٍ على أنّ اليهود كان ينادُون مسيحَ الكنيسةِ «عيساو». كما أنّ مَنْ لهم معرفةٌ بالنصرانيّةِ من المقرَّبينَ من نبيّ الإسلامِ، كانوا سَيُنَبِّهُون نبيَّ الإسلامِ أنّ هذا الاسمَ شَتِيمةٌ، خاصّةً أنّه قد جاء تقريعُ اليهودِ لإساءتهم إلى أُمِّ المسيحِ -عليهما السّلام-: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ (النساء/ 156).[2]

وأشار المستشرقان غويوم داي Guillaume Dye ومنفرد كروب Manfred Kropp إلى أنّ هذه الدعوى مستبعدة أيضًا لأنّها تفترض السذاجة البالغة لنبي الإسلام ومن حوله، كما أنّ لا يمكن أن تصحّ إلّا إذا كان اسم «عيسى» مجهولًا عند نبي الإسلام قبل الهجرة!![3] ولذلك ذكرا أنّ هذا الاعتراض قد انتهى المستشرقون إلى إهماله.[4]

(1) William Robertson Smith, Dictionary of the Bible, S. S. Scranton, 1896, p.731.
(2) Neal Robinson, art. "Jesus", Jane Dammen McAuliffe, *Encyclopaedia of the Qur'ān*, 3/9.
(3) Guillaume Dye et Manfred Kropp, "Le nom de Jésus ('Īsâ) dans le Coran et quelques autres noms bibliques: remarques sur l'onomastique coranique", dans Guillaume Dye & Fabien Nobilio, éds, *Figures bibliques en islam*, Fernelmont: E.M.E., 2012, p.173.
(4) "Cette hypothèse est aujourd'hui abandonée". Ibid.

ثالثًا: القول إنّ تغييرَ اسمِ «يشوع» إلى «عيسى» قد تمّ عن سُوءِ نِيَّةٍ من «صاحب القرآن»، ضعيف، لا ينصر الشبهة:

أ. سبب التّغييرِ: قال خصومُ القرآن إنّ اسمَ «يشوع» في العِبريّةِ يعني: «الله يُخَلِّصُ»؛ بما يُشير إلى أُلوهيّةِ المسيحِ وصَلْبِه الفدائيّ لخلاصِ المؤمنين. وقد غَيَّرَ القرآنُ هذا الاسمَ لِسَلْبِهِ دلالَتَهُ المنْكَرة من زاويةٍ إسلاميّةٍ.

وتعليقنا على ذلك، هو القول إنّه لو صحَّ تغييرُ الاسمِ للسّببِ المذكورِ؛ فإنّه لا بُدَّ أن يُعَدَّ حُجّةً لِنُبُوّةِ محمّد -ﷺ-؛ لأنّ محمّدًا -ﷺ- ما كان يعرفُ غيرَ العربيّةِ، واسمُ «يسوع» في العربيةِ هو الصّيغةُ المشهورةُ بين المتأخّرين لـ «يشوع» العِبريّة. وكلمةُ «يسوع» في لسانِ العرب لا تدلُّ على معنى «الله يخلّص».

ثم إنّ المعرفة بالعِبريّةِ لا تكفي؛ إذ إنّ «يشوع» -باعتبارها كلمة واحدة- لا تعني «الله يُخلّص». ومعنى «الله يخلّص» في اسمِ «يشوع»، لا يظهرُ إلّا للعلماءِ من أهلِ الكتابِ؛ فقد ذهبَ عامّةُ النَّصارى إلى أنّ «يشوع» اختصارٌ لاسم «יְהוֹשֻׁעַ» (يَهُوشُوَع)؛ فالجزءُ الأَوّل: «יְהוֹ» (يِهُو) هو اختصارٌ لاسمِ إلهِ التّوراةِ «יְהוָה» (يَهوه)، والجزء الثاني من جَذْرِ «יָשַׁע» (ياشع) بمعنى الإنقاذِ والخَلاص، والمعنى بذلك «الله خلاص» أو «الله يخلّص»؛ اعتمادًا على نصِّ متّى 1/ 21 الذي لا يفهَمُهُ إلَّا من يعرفُ العِبريَّةَ، وإن كان قد كُتِبَ باليونانيّةِ: «فَسَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ [Ἰησοῦν إيسون]. لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ».

والأظهر لغةً هو أنّ اسم «يشوع» أصله: «יְהוֹ» (يِهُو)، و«שׁוּעַ» (شُوَع) بمعنى «صرخ طلبًا للنجدة».[1] وقد أنكر الأبُ الدكتور ريموند براون على عامة النصارى تحليلهم الإيتمولوجيّ، ووصفه أنّه «إيتمولوجيا شعبوية» «popular etymology».[2]

(1) Wilhelm Gesenius, *Gesenius's Hebrew and Chaldee Lexicon to the Old Testament Scriptures*, p.DCCCXI

(2) Raymond Brown, *The Birth of the Messiah: A commentary on the infancy narratives in the gospels of Matthew and Luke*, p.131.

ب. شرعيّةُ التّغيير: تغييرُ الاسمِ لما فيه من معنًى مُنكَر في أذهان الناس ليس بعيدًا عن العُرفِ النَّبَوِيِّ، ومن ذلك ما رواه الإمام مسلِمٌ من أنّ ابنةً لِعُمَرَ كان يُقال لها عاصية، فسمَّاها رسولُ الله -ﷺ- جميلة.[1] وما رواه البخاريُّ عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ أَبَاهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ- فَقَالَ: مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: حَزْنٌ. قَالَ: أَنْتَ سَهْلٌ.[2] ومن ذلك أيضًا ما أخرجه أبو داود وغيره من أنّ الرسول ﷺ قال لرجل: ما اسمُك ؟ قال: أنا أصرمُ، قال: بل أنت زُرْعةُ.[3] والأصرم من النبات، مقطوع الثمرة؛ واسم زُرعة دال على البركة والثمرة.

وقد وقع ذلك في القرآن بتغييرِ اسمِ «شاؤول» «שאול» الملك الذي حكمَ بني إسرائيل إلى «طالوت»؛ بذكر الاسم من جهةِ الوصفِ؛ إذ إنّ شاؤول موصوفٌ بالطُّولِ في سِفرِ صموئيلِ الأول 9/ 2: «كَانَ لَهُ ابْنٌ اسْمُهُ شَاوُلُ، شَابٌّ وَحَسَنٌ، وَلَمْ يَكُنْ رَجُلٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَحْسَنَ مِنْهُ. مِنْ كَتِفِهِ فَمَا فَوْقُ كَانَ أَطْوَلَ مِنْ كُلِّ الشَّعْبِ»، و10/ 23: «فَوَقَفَ بَيْنَ الشَّعْبِ، فَكَانَ أَطْوَلَ مِنْ كُلِّ الشَّعْبِ مِنْ كَتِفِهِ فَمَا فَوْقُ». وكلمة طالوت مصدرٌ صِناعيٌّ من طال، كما هو الأمر في «ناس» و«ناسوت».

واسمُ شاؤول في العِبريّةِ على صيغةِ اسم المفعولِ من سأل؛ فهو مسؤول؛ بمعنى من يَتَوَجَّهُ الناس له بالطَّلَبِ عند حاجاتهم. وقد كان الأَلْيق في سردِ هذه القصّة الإيمانيةِ التي تُخْبِرُ عن طالوت الصّالحِ أَلَّا تذكره باسمِهِ الموهِمِ بمعنًى مُنْكَرٍ، وتكتفي بوصفِه دلالةً عليه؛ فهو الرجلُ شديد الطُّول.[4]

والقولُ إنّ الخبرَ القرآنيَّ قد أهملَ «يشوع» بسبب معناهُ، سائغٌ (غيرُ مُسْتَقْبَحٍ) من وجهَيْنِ:

الوجه الأوّل أنّ النَّصارى قد رَبَطُوا اسمَ «يشوع» بمعنًى مُنْكَرٍ، يُعارِضُ أُصولَ الإيمان الإسلاميِّ؛ بأَنْ جَعَلُوا المسيحَ إلهًا مُخلِّصًا مَصْلُوبًا. وقد جاء في الحديث:

(1) رواه مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن وتغيير اسم برة إلى زينب وجويرية ونحوهما، (ح/ 2139).

(2) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب اسم الحزن، (ح/ 5837).

(3) أبو داود، كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح، (ح/ 4954).

(4) انظر رؤوف أبو سعدة، من إعجاز القرآن، العلم الأعجمي في القرآن مفسّرًا بالقرآن، 2/ 134-138

«أَخْنَى [أي أَفْحَشُ] الأسماءِ يومَ القيامةِ عند اللهِ رَجُلٌ تسمَّى ملك الأملاك».[1] وتَرْكُ اسمِ «يشوع» أو مقابله العربيّ «يسوع»، من جنسِ تركِ الأسماءِ الفاحشةِ.

الوجه الثاني: أهمل القرآنُ اسمَ يسوع؛ لأنّ الذِّهنَ في ثقافةِ العربِ في القرنِ السّابعِ ينصرِفُ -في الأغلبِ- إلى معنًى قبيحٍ عند سماعِهِ كلمة: «يسوع»؛ لدلالته على الضَّياعِ. جاء في «لسان العرب»، في جذر «سوع»: «ساع الشيءُ سَوْعًا: ضاعَ، وهو ضائعٌ سائعٌ، وأَساعَه أَضاعَه؛ ورجل مُسِيعٌ مُضِيعٌ، ورجل مِضْياعٌ، مِسْياعٌ للمال». وقد اختار المستشرق جيمس بلامي هذا الوجه لتفسير تغيير «يسوع» إلى «عيسى»، وإن كان قد جعل الإشكال في اسم «يسوع» العربي أنّه قد يلتبس «بالسواع» المرتبط بالإفرازات الجنسيّة عند التهيّج، لا معنى الضياع.[2] ونقل عن «لسان العرب»: «السُّواعِيُّ مأْخوذ من السُّواعِ وهو المذْيُ وهو السُّوَعاءُ، قال: ويقال سُعْ سُعْ إِذا أَمرته أَن يَتَعَهَّد سُوَعاءَه. وقال أَبو عبيدة لرؤبة: ما الوَدْيُ؟ فقال: يسمى عندنا السُّوَعاءَ. وحكي عن شمر: السُّوَعاءُ ممدود المذْي الذي يخرج قبل النطفة، وقد أَسْوَعَ الرجلُ وأَنْشَرَ إِذا فعل ذلك. والسُّوَعاءُ، بالمد والقصر: المَذْي».[3] واختيار اسم «يسوع» قد يفتح الباب لمشركي مكّة للاستهزاء بالقرآن.[4]

وأمّا وجهُ اختيار «عيسى» هنا؛ فمن أَحْسَنِ ما قيل فيه أنّه من «العوس»، وهو السياسة. و«عَاسَ المال يَعُوْسُهُ إذا أَحْسَنَ القيامَ عليه؛ فلو بُنِيَ على هذا اسمٌ من فعلى؛ لقيل: عيسى؛ فقُلِبَتْ الواو ياءً لانكسار ما قبلها. ومثل ذلك قولهم: قِسْمةٌ ضِيْزَى، وهي من ضَازَهُ يَضُوْزُهُ إذا ظَلَمَهُ ونَقَصَهُ مِنْ حَقِّهِ».[5] والتسمية باسم «عيسى» هنا هي من جهة قلبِ معنى الاسم الأصل إلى نقيضه؛ فمن الضياع وسوء التصرّف إلى حسن

---

(1) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب أبغض الأسماء إلى الله، (ح/ 5852)، ومسلم، كتاب الآداب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك وملك الملوك، (ح/ 2143).

(2) James A. Bellamy, "A Further Note on ʿĪsā", *Journal of the American Oriental Society* , Jul. - Sep., 2002, Vol. 122, No. 3 (Jul. - Sep., 2002), 588

(3) ابن منظور، لسان العرب، 8/ 169.

(4) James A. Bellamy, "A Further Note on ʿĪsā", 588.

(5) أبو العلاء المعري، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، تحقيق: محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1429 هـ - 2008 م، ص 614.

السياسة، كما نُقل اسم «حَزْن» -بمعنى ما غَلُظ، ويُطلق على الأرض الجبليّة- إلى «السَهْل»، و«أصرم» إلى «زرعة». وهذا هو الوجه الأرجح في فهم أصل اسم «عيسى» في القرآن. علمًا أنّ من بين الصَّحابة، رجالٌ يحملون اسم «عيسى»، مثل عيسى بن عقيل الثقفي[1]، وعيسى بن لقيم العبسيّ[2]؛ بما يُظهِرُ أَنَّ الاسمَ لم يكن مُنْكَرَ المعنى، سواءٌ كان عربيَّ الأَصلِ أو أَعْجَمِيَّهُ مُوافِقًا وَزْنًا عربيًا.

وقد جاء في الكتابِ المقدَّسِ أنّ يَهْوه في العهدِ القديمِ، والمسيحَ في العهدِ الجديدِ، قد غيّرا أسماءَ كثيرٍ من الأشخاصِ؛ لحكمةٍ دلاليّةٍ في الاسمِ الجديد. وقال في ذلك ريموند براون -أثناء تعليقِهِ على تغييرِ المسيحِ اسمَ «سمعان» إلى «كيفاس» في إنجيل يوحنا 1/ -42: «كما هو معلومٌ في العهد القديم، كان لإعطاءِ اسمٍ جديدٍ للشّخصِ علاقةٌ مباشرةٌ بالدّورِ الذي أُسنِدَ إليه في تاريخِ الخلاص».[3]

رابعًا: ذهب بعض المستشرقين إلى أنّ اسمَ «عيسى» من الممكن أن يكونَ الشّكلَ الذي كان معروفًا في الحجازِ في القرن السّابع. ومن ذلك قول المستشرقِ فرنكل إنّ اسمَ عيسى قد يكون الصُّورةَ المتداولةَ بين عربِ الحجازِ قبل البعثةِ لاسم «يشوع»؛ فإنّ العربَ كانوا أحيانًا يُضيفُون العَيْنَ إلى أوائلِ الكلماتِ ذات الأَصلِ الآراميّ، وأمّا إسقاطُ العَينِ الأخيرةِ من يَشُوع، فقد فَعَلَهُ اليهودُ، في «يشو»، وتشهدُ له أيضًا الشَّذراتُ المانويّة للغوك ترك Kokturkish (قوم من الترك الرحّل).[4] وذهب مستشرقون آخرون إلى أنّ اسمَ «يسوع» قد قُلِبَ، كظاهرةِ قَلْبِ بعضِ الأسماءِ الإلهيّةِ في بلاد الرافدين القديمة: مثال: إن-زو إلى زو-إن.[5]

خامسًا: شكّكَ بعضُ الباحثين في أنّ اسمَ المسيحِ ابنِ مريمَ: «يشوع» على الحقيقة؛ فإنّ التّلمودَ مثلًا يُسمّيهِ «ישו» (يشو)، كما أنّ المؤرّخَ اليهوديَّ الذي عاش

---

(1) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ/ 1994م، 4/ 318.

(2) المصدر السابق.

(3) Raymond Brown, *The Gospel according to John (I-XII): introduction, translation, and notes*, New York: Doubleday, 1966, p.80.

(4) Arthur Jeffery, *The Foreign Vocabulary of the Qur'ān*, pp.219-220.

(5) See Neal Robinson, art. "Jesus", Jane Dammen McAuliffe, *Encyclopaedia of the Qur'ān*, 3/8.

في القرن الأَوّلِ، يوسيفوس، قد استعملَ اسم «إيسوس» اليونانيّ مقابلًا لأسماءٍ ثلاثةٍ مختلفةٍ في الكتابِ المقدّسِ غير اسمِ يشوع: يشوي יִשְׁוִי (1صموئيل 14/ 49)، وأبيشوع אֲבִישׁוּעַ (1أخبار الأيام 6/ 4)، وويشوَا יִשְׁוָה (تكوين 46/ 17).[1]

وتقول «موسوعةُ القرآنِ» الاستشراقيّة: «ليس من المؤكَّدِ أنّ الاسمَ الأصليَّ ليسوعَ هو يشوع... من الممكنِ أن يكون الاسمُ الأصليُّ ليسوع في الحقيقة هو عيسى».[2] وإنْ رَجَّحت أنّ اسم «عيسى» شكلٌ عربيٌّ للاسمِ كما هو بين النَّصارى المتحدّثين بالسريانية.[3]

وخلاصة الكلام في هذه الشبهة أنّ التسليم أنّ اسم المسيح هو «يشوع» لا «عيسى»، لا يطعن في النقل القرآني؛ لأنّه لا يُتصوّر ابتداءً أن يُخطئ في اسم المسيح من كان كتابه يُظهر معرفة بكثير من تفاصيل سيرة مقدَّس النصارى؛ ولذلك لم ير عامة المستشرقين في اختلاف الاسمين تهمة للقرآن.

---

(1) Ibid., 3/9.

(2) "It is not certain that Jesus' original name was Yēshūa... It is just possible that Īsā was actually Jesus' original name" Neal Robinson, art. "Jesus", Ibid., 3/10.

(3) Ibid.

يوسف النجار

الاعتراض:

في قصة المسيحِ في القرآنِ حديثٌ مُفَصَّلٌ عن مريمَ والمسيحِ، دون ذِكْرٍ ليوسفَ النّجّار خطيبِ مريمَ، رغم أهمّيّتِهِ في خبرِ المسيحِ.

الجواب:

إننا لا نجد ليوسفَ النّجّارِ ذِكْرًا في القرآنِ الكريمِ ولا في الأحاديثِ النبويّةِ، كما أنّ الروايةَ القرآنيّةَ تنطلِقُ بنا من كفالة مريم، إلى حملها العذريّ، وريبةِ قومِها في ذلك، دون إشارةٍ إلى اتّهام الخطيبِ بهذه الفعلةِ، مكتفيةً بتنزيهِ مريمَ عن فِعْلِ الفاحشةِ: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨﴾ (مريم/ 28).

كما أنّ القرآن لمّا ذكر أمر الاقتراعِ على مريمَ، أشار إلى أنّه اقتراعٌ لكفالَتِها ممّن سيقومُ مقامَ والِدِها: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٤٤﴾ (آل عمران/ 44). في حين أنّ التُّراثَ النّصرانيَّ -كما في إنجيل يعقول الأوّليّ- يقرّر أنّ الاقتراعَ كان للزّواج من مريمَ، وقد آل أمرُ الذين أَلْقَوْا أقلامَهُم إلى أن يفوزَ قلمُ يوسفَ النّجّارِ.

وليس من عادةِ الخَبَرِ القرآنيِّ إغفالُ الشخصيّات الرئيسة في قصصه، وليس هناك داعٍ من سياقٍ لإنكار وجود يوسف النجار. وهو ما يلزمنا أن نقرّر أنّ «الصَّمْتَ في زمنِ الحاجة إلى البيانِ؛ بيانٌ»، وبيانُه هو إنكارُ تاريخيّةِ شخصيّةِ «خطيبِ مريمَ».

وبالنّظر في الكتاب المقدّسِ نفسِه؛ يستبينُ لنا صوابُ الرّوايةِ القرآنيّةِ وبطلان تاريخيّةِ شخصيّةِ يوسفَ النجّارِ المذكور في الأناجيلِ؛ لأسبابٍ عديدةٍ من أهمِّها:

- إنجيلُ مرقسَ الذي هو أقدمُ الأناجيلِ الأربعة تأليفًا، لم يُشِر البتّةَ إلى يوسفَ النجّارِ.
- نَسَبُ يوسفَ النّجّارِ في الأناجيلِ مضطرب؛ فوالِدُهُ في إنجيلِ متّى 1/ 16 اسمُه يعقوب، في حين أنّ اسمَ والِدِهِ في إنجيل لوقا 3/ 23: هالي.

- اخْتَلَفَت الأناجيلُ في موطِنِ يوسفَ النجّار؛ فهو في إنجيل متّى 2/ 1 من بيت لحم، في حين أنّه في إنجيل لوقا 1/ 26 من الناصرة.
- أشار إنجيل يوحنا إلى يوسفَ كشخصيّةٍ لها علاقةٌ بالمسيحِ في 1/ 45: «ثُمَّ وَجَدَ فِيلِبُّسُ نَثَنَائِيلَ، فَقَالَ لَهُ: «وَجَدْنَا الَّذِي كَتَبَ عَنْهُ مُوسَى فِي النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءُ فِي كُتُبِهِمْ وَهُوَ يَسُوعُ ابْنُ يُوسُفَ مِنَ النَّاصِرَةِ.».. لكنّنا نعلمُ أنَّ العهدَ القديمَ لم يُشِرْ البتّةَ إلى شخصٍ اسمُه «يسوع ابن يوسف من النّاصرةِ» «ישוע בן יוסף מנצרת».
- لو كانت مريمُ مخطوبةً ليوسفَ النجّارِ وثَبَتَ حَملُهَا أمامَ النَّاسِ؛ لوجبَ طِبْقَ الشّريعةِ اليهوديّة رَجْمُها (تثنية 22/ 23-24)، وهو ما لم يكنْ.
- الأهم: تنصُّ شريعةُ اليهود على منعِ المرأةِ من الزَّواجِ من غيرِ سِبْطِها: «وَكُلُّ بِنْتٍ وَرِثَتْ نَصِيبًا مِنْ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَكُونُ امْرَأَةً لِوَاحِدٍ مِنْ عَشِيرَةِ سِبْطِ أَبِيهَا، لِكَيْ يَرِثَ بَنُو إِسْرَائِيلَ كُلُّ وَاحِدٍ نَصِيبَ آبَائِهِ» (العدد 36/ 8).

ويُفهم في المقابل من إنجيل لوقا أنّ مريمَ هارونيّة؛ إذ إنّها قريبةُ إليصابات الهارونيّة (لوقا 1/ 5، 1/ 36). وذكَرَ قِدّيسُ الكنيسةِ هيبوليتس[1] أَنَّ أُمَّ مريمَ وأُمَّ إليصابات كانتا أُخْتَيْنِ.[2] وأمّا يوسف النجّار فهو على دعوى العهد الجديدِ من نَسْلِ داود (متّى 1/ 6-16، لوقا 3/ 23-31)؛ مما يعني مَنْعَ زواجِهما طبقَ شريعةِ اليهودِ.

لقد نفى القرآنُ الكريمُ ضِمْنًا هذا الزَّواجَ، وبرَّأَ مريمَ أمامَ قومِها الذين كانوا يعتقدون ديانةً وجوبَ رَجْمِ الزّانيةِ المخطوبةِ، بمعجزةِ كلامِ ابْنِها في المَهْدِ؛ فكانت الرّوايةُ متناسقةً ومتكاملةً، متجاوزةً أخطاءَ الأناجيلِ وتناقُضَها مع العهدِ القديمِ.

(1) هيبوليتوس (170م-236م): لاهوتي وأحد قدّيسي الكنيسة.
(2) انظر عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن ضد منتقديه، ص 171

المسجد الأقصى

الاعتراض:

جاء في القرآنِ في خبرِ إسراءِ نبيّ الإسلام -ﷺ-: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ (الإسراء/ 1). وخَبَرُ القرآنِ أَنَّ خاتمةَ الإسراءِ (أي المسيرِ ليلًا) كانت في «المسجدِ الأقصى» لا يَصِحُّ؛ لأَنَّ المسجدَ الأقصى الذي نعرِفُه اليومَ، بِجُدْرانِهِ وسُقُفِهِ، لم يكن موجودًا زمن نبيّ الإسلامِ -ﷺ-، وقد بُنِيَ بَعْدَهُ، في العصرِ الإسلاميِّ اللَّاحقِ.

الجواب:

استنكار عبارةِ «المسجد الأقصى» في القرآنِ، أَصْلُهُ الشَّكُّ في أَصالةِ النصِّ القرآنيِّ، والغَلَطُ في فهمِ عبارةِ «مسجد» في لسانِ العربِ. وهو ما سنشرحُهُ في النُّقطتَيْنِ التّاليتَيْنِ:

أَوّلًا: لا يمكن أن تكونَ آيةُ سورةِ الإسراءِ مُشْكِلةً، بداهةً؛ فإنّها إما أن تكون معروفةً زمنَ الصَّحابةِ أو هي كُتِبَتْ بَعْدَهُ:

أ. وجودُ الآيةِ زمنَ الصَّحابةِ لا يستقيم مع استشكالها؛ لأنّ الصَّحابةَ قد دخَلُوا القُدسَ زمنَ عُمرَ -رضي الله عنه-، بشهادةِ المراجع غير الإسلاميّة؛ إذ جاء -مثلًا- في وثيقةٍ معاصرةٍ لفتحِ المسلمين لبيتِ المقدِسِ، هذا النصُّ: «دخل الساراسيّون [=المسلمون] الكَفَرةُ مدينةَ السيّدِ المسيحِ المقدّسةَ، أورشليم، بإذن اللهِ وعقابًا على إهمالنا الكبيرِ، وسارَعُوا على الفورِ إلى المكان الذي يُسمّى مبنى العاصمةِ. أَخَذُوا معهم رِجالًا، بعضُهم عنوةً، وآخرون بمحضِ إرادتهم، لتنظيفِ المكانِ وبناء ذلك الشّيءِ الملعونِ المخصَّصِ لصلواتهم والذي يُسمُّونه مَسْجِدًا.»[1] ولم

(1) Robert G. Hoyland, *Seeing Islam as Others Saw It: A Survey and Evaluation of Christian, Jewish and Zoroastrian Writings on Early Islam*, Princeton, N.J.: Darwin Press, 1997, p.63.

يستشكلْ أَحدٌ من الصَّحابةِ أو التّابعين آيةَ سورةِ الإسراءِ، رغم ما عندنا من تراثٍ وافرٍ في اختلافِ الصّحابةِ والتّابعين في التّفسيرِ والفِقْهِ.

ب. لا يمكنُ أن يُسَلَّمَ أنّ الآيةَ قد أُلْحِقَتْ في سورةِ الإسراءِ بعد عصر عبد الملكِ بن مروان؛ لأنّ الآيةَ ثابتةٌ بالتّواترِ في جميعِ قراءاتِ القرآنِ، وفي جميع مخطوطاتِ سورة الإسراءِ المتاحة.

ثانيًا: كلمةُ «مسجد» لا تعني ضرورةَ البناءَ المُسَقَّف، والذي تَحُدُّهُ جُدرانٌ من جوانِبِهِ؛ فإنّ كلمةَ «مسجِدِ» اسمُ مكانٍ لما يُسْجَدُ فيه، كما أنّ المكانَ الذي يُرْتَعُ فيه يُسمَّى «مَرْتَعًا»، والمكان الذي يُنْزَلُ فيه يُسمَّى «مَنزِلًا». ولذلك فكلُّ مكانٍ يُسْجَدُ فيه يُسّمى مَسْجِدًا.

ويؤكّد ذلك الآتي:

- قال الرسول -ﷺ-: «أُعْطِيْتُ خَمْسًا لم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا؛ فَأَيّما رَجُل من أُمَّتي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ... الحديث».[1] فقد جُعِلَت الأرضُ مَسْجدًا؛ بأنْ أُحِلَّ للمسلمِ أنْ يُصلّيَ في أيِّ بُقعةٍ من الأرض شاءَ.
- من المعلوم أنّ دُورَ العِبادةِ عند النَّصارى لا تُسمَّى عُرْفًا «مساجد»؛ ومع ذلك جاءَ في القرآنِ عن قوم فِتيةِ أَهْلِ الكَهْفِ: ﴿فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ (الكهف/ 21). فسُمّيَ المكان الذي يَتَعَبَّدُون فيه بالسُّجُودِ، مَسْجِدًا.

ولذلك فالمكان الذي بُنِيَ فيه ما يُعرفُ اليومَ بالمسجدِ الأقصى، كان مكانًا للعِبادةِ؛ يُسْجَدُ فيه للهِ -سبحانه- قبلَ البعثةِ الخاتمةِ؛ فقد بناهُ سليمان -عليه السَّلام-؛ قبل أن تذهبَ حجارةُ بُنْيانِهِ لاحقًا؛ فعن أبي ذَرٍّ -رضي الله عنه- قال: قلتُ: يا رسول اللهِ،

(1) رواه البخاري، كتاب التيمم، (ح/ 328)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، (ح/ 1343).

أيُّ مسجدٍ وُضِعَ في الأرضِ أَوَّل؟ قال: المسجدُ الحرام. قال: قلت: ثم أيّ؟ قال: المسجدُ الأقصى: قلتُ: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنةً...[1]

(1) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلًا، (ح/ 3186).

الباب الثالث:

أمم وأقوام

تكرّر في القصصِ القرآنيِّ خبرُ الأمم السالفة، بدءًا بقصّة آدم -عليه السَّلام-، وانتهاءً بأحداثٍ قريبة من زمن البعثة النبويّة الخاتمة، كقصّة أهل الكهفِ، وقصّة أصحاب الفيل. وفي هذه الأخبار دروس ومواعظ جمّة؛ إذ إنّها كاشفة لسنن التاريخ والسلطان الإلهي على مجرياته، وإبراز لحقائق الإيمان، وفضح لأوزار الكفر والإجرام؛ فالقارئ بتمعّن للقصص القرآني عن الأمم الدائرة، قادر على أن يفهم التاريخ وحركته، والحركة وفلسفتها، وفسلفة الوجود وأثرها. قال ابن تيمية: «وإنما قصّ الله علينا قصص من قبلنا من الأمم، لتكون عبرة لنا؛ فنشبّه حالنا بحالهم، ونقيس أواخر الأمم بأوائلها؛ فيكون للمؤمن من المتأخّرين شبه بما كان للمؤمن من المتقدمين، ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان. كما قال تعالى لمّا قصّ قصّة يوسف مفصّلة، وأجمل قصص الأنبياء. ثم قال: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (يوسف/ 111)».[1]

وقد سعى المنصّرون والمستشرقون منذ زمنٍ بعيد في الطّعنِ في القرآن من جهة تفاصيلِ ما جاء عن الأمم التي سيق خبرها في الآيات، أو حتى التّشكيكِ في وجودها التاريخيِّ، في كُتُبِهم، ومقالاتهم، ومناظراتهم، ومحاضراتهم. ثم اجتمع معهم على ذلك الملاحدة في الغرب والشرق، إثر سيادة النَفَس الشكوكي في البحث التاريخي عامة، والأركيولوجي خاصة، حتّى صار جحد خبر الماضين عادة عند الكتّاب والخطباء، خاصة ما تعلّق منه بالخبر الديني أو اقترن بذكر المعجزات والخوارق؛ فإنّ العقل المادي يُنكر المعجزات ابتداءً، ولا يرضى أن تكون محلّ قبول؛ فالقانون الطبيعي حاكم بلا انقطاع.

وقد تتبّعتُ ما تكرَّرَ من شُبهاتٍ في هذا الباب، خاصّةً ما الْتَقَطَهُ الملاحدةُ الشَّعبيُّون العربُ؛ لعرض أوجهِ المعارضة أو الاستشكالِ، قبل تفصيلِ الجوابِ، ببيانِ الدلالاتِ القرآنيّةِ، مع سَبْرِ الحقائق التاريخيّةِ الصّلبةِ المتعلّقة بهؤلاء الأقوام؛ حتّى يخرج القارئ بجوابٍ مُتَّزِنٍ، غير ذي شَطَطٍ، ولا تدليسٍ.

---

(1) ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مجمع الملك فهد، 1415هـ، 28/ 425.

السامريون قبل عصرهم

الاعتراض:

جاء في القرآن: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾﴾ (طه/ 83-89).

ونِسبةُ السّامريِّ إلى عصر موسى -عليه السَّلام- غلطٌ؛ لأنّ «السامريَّ» كلمةٌ ما كانت لتستعملَ قبل سنة 772 ق.م، ودليل ذلك ما جاء في الفصل 17 من سِفرِ الملوك الثاني من أنّ شَلْمَنْأَسَر ملكَ آشور حاصر مدينة السّامرةِ ثلاثَ سنواتٍ. ثم قام ملكٌ آخر لآشور (سرجون الثاني) بعد سنواتٍ بسبي الإسرائيليّين إلى آشورَ، وأتى بأقوام وثنيّين ليحلُّوا مكان الإسرائيليّين (2ملوك 17/ 24)؛ فالسّامريُّون هم سُكّانُ السّامرةِ الجُدُد الوثنيُّون. ولذلك لا يصحُّ القولُ إنّ هناك سامِريًّا عاش زمن موسى -عليه السَّلام-. والسّامريُّون طائفةٌ لا علاقة لها ببني إسرائيل كليّةً؛ فهم جِنْسٌ أو أجناسٌ أُخرى.

الجواب:[1]

لم يَرِدْ ذِكرُ ما يُستدلُّ به للقول إنّ السّامريّين قد ظهروا كإِثْنِيَّةٍ في القرن الثامن سوى ما فُهِم من الفصل 17 من سِفرِ الملوك الثاني. وهذا الفصلُ هو عُمدةُ المنصّرين

(1) من الأبحاث التي تمت الإفادة منها في هذا الجواب، الدراسة التالية:
Islamic Awareness, The "Samaritan" Error In The Qur'an?, 24th February 2013
<https://www.islamic-awareness.org/quran/contrad/external/samaritan>.

والمستشرقين والملحدين الطّاعنين في القرآن في أَصلِ السّامريّين. والاستدلالُ به فاسدٌ نصًّا ودلالةً، من أوجهٍ:

أولًا: مُؤلِّفُ سِفرِ الملوك الثاني، مجهولٌ. ورغم أنّ التُّراثَ اليهوديَّ يزعم أنّ المؤلّفَ هو إرمياء، إلّا أنّ الباحثين منذ القرن السادس عشر قدَّمُوا فرضيّاتٍ أُخرى، كقول القِسّيسِ أندرياس ماسيوس Andreas Masius وسبينوزا إنّ عِزْرا هو مُؤلِّفُ هذا السِّفر. وأشهرُ النّظريّاتِ ما اقترحَهُ النّاقِدُ الألمانيُّ مارتن نوث Martin Noth من أنّ المؤلّفَ مجهولٌ من القرن السّادسِ قبل الميلادِ؛ لاعتمادِهِ لغةَ سِفرِ التّثنيةِ ولاهوتهُ.[1] وقد تمَّ تطوير هذه النظريّةِ لاحقًا بالقول إنّ النصَّ قد تمَّ تحريره مرّتين. ومن آخر ما نُشِر في الدّفاع عن التّحريرِ الثُّنائيِّ ما كَتَبَهُ كُلٌّ من ف.م. كروس F. M. Cross في بحثه «The Themes of the Book of Kings and the Structure of the Deuteronomistic History»[2]، والناقد ر.د. نيلسون R. D. Nelson في أُطروحتِه للدّكتوراه المنشورةِ سنة 1981 تحت عنوان: «The Double Redaction of the Deuteronomistic History». وعامة النقّادِ اليومَ على أنّ المؤلّفَ مجهولٌ، وأنّ الكتابَ قد تمّ تحريرُه أكثر من مرّة، وربما كان تأليفُه الأوّلُ في حدود 600 ق.م.[3]

ثانيًا: اعتمد مَنْ أَعَدَّ سِفرَ الملوك الأول والثاني على مجموعةٍ من الوثائقِ المندثرةِ التي لا نعرِفُ عن موثوقيّتِها اليومَ شيئًا، مثل «أخبار الأيام لملوك إسرائيل» (2ملوك 1/ 18) و«أخبار الأيام لملوك يهوذا» (2ملوك 14/ 18). ويُنَبِّهُنا كوغان وتدمور في شرحِهِما لِسِفرِ الملوك الثاني إلى أنّه «في العديد من المواضع، تَمَّتْ إعادةُ تحريرِ الاقتباسات وتعديلها وفقًا لوجهةِ النَّظَرِ المفاهيميَّةِ العامَّةِ للتاريخ التَّثْنِويِّ».[4]

(1) Noth, *Überlieferungsgeschichtliche Studien: Die sammelnden und bearbeitenden Geschichtswerke im Alten Testament*, 3rd ed. Tübingen: M. Niemeyer, 1967

(2) In Frank Moore Cross, *Canaanite Myth and Hebrew Epic*, Harvard University Press, 2009, pp.274-290.

(3) Norman H. Snaith, *The Interpreter's Bible: Kings. Chronicles. Ezra. Nehemiah. Esther, Job* New York: Abingdon-Cokesbury Press, 1951, 3/3-4.

(4) M. Cogan & H. Tadmor, *II Kings: A new translation with introduction and commentary*. Includes index, New Haven; London: Yale University Press, 2008, p.4.

ثالثًا: تسليمُنا -جدَلًا- أَنَّ سِفرَ الملوك الثاني يجعلُ السَّامريِّين من أصلٍ وَثنيٍّ، وأَنّهم قد ظَهرُوا بعد موسى -عليه السَّلام-، لا يمنح هذا القولَ شرعيّةً؛ لأنّ من عادةِ كُتّابِ أَسفارِ العهدِ القديم الطَّعْنُ في نَسَبِ مُخالِفِيهم، كما هو فِعْلُهم مع العمونيّين والموآبيّين؛ إذ زعموا أنّ أَصْلَهُم من زِنا محارم؛ من زنا لوط -عليه السَّلام- بابْنَتَيْهِ: «وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ. وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ. هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجِعُ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلًا». فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا. وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدِ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِيَ مِنْ أَبِينَا نَسْلًا». فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا، فَحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. فَوَلَدَتِ الْبِكْرُ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوآبَ»، وَهُوَ أَبُو الْمُوآبِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ. وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «بِنْ عَمِّي»، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ.» (تكوين 19/ 30-38).

وقد عَلَّقَت الباحثةُ سونج مي بارك Song-Mi Park على النصِّ السّابقِ بقولها: «لم يُستخدم أَصلُ قِصّةِ عمونَ وموآبَ فقط للاستخفافِ بعمونَ وموآبَ، وإنّما استُخْدِمَ أيضًا لإظهارِ التّبايُنِ بينهما وبين إسرائيلَ الأُمّةِ النّقيّةِ المختارةِ من اللهِ.»[1]

والنَّاظِرُ في التّاريخِ الإسرائيليِّ، يرى أنّه بعد عصر سليمانَ -عليه السَّلام- حيث كان لبني إسرائيلَ دولةٌ واحدة، انقسَمَ بنو إسرائيلَ إلى مملكة يهوذا، وعاصِمَتُها أورشليم، ومملكةِ إسرائيل التي انتهت إلى أن تكون عاصمتها السَّامرةُ. وقد استمرّ الصِّراعُ بين المملكتَيْنِ قرنَيْنِ حتّى دَمَّرَ الآشوريُّون مملكة إسرائيل. والتاريخ اليهوديُّ

(1) Song-Mi Suzie Park, "Israel in its Neighboring Context", in Susan Niditch, ed. *The Wiley Blackwell Companion to Ancient Israel*, John Wiley & Sons, 2016, p36

المحفوظُ اليومَ، هو من رواية اليهوذيّين لا أصحابِ مملكةِ إسرائيل. ولذلك قال لستر غراب -أستاذُ اليهوديّة المبكّرةِ في جامعة هال-: «لا تزال أُصولُ جماعةِ [السّامريّين] وطائفَتُهم الدينيّةُ غيرَ مؤكَّدةٍ. الأُصول وفقًا لتفسيرات سفرِ الملوك الثاني 17 (أجانبُ وثنيُّون تمَّ جَلْبُهم من الخارج) ويوسيفوس (كَهَنةٌ مُنْشَقُّون من القدس) هي نتاجُ تَحَيُّزٍ كبيرٍ ولا يمكن قَبُولُها كما هي».[1]

رابعًا: جاء خبرُ سَبْيِ سُكّانِ السّامرةِ في الوثائق الآشوريّةِ؛ إذ تخبرنا هذه الوثائقُ أنّ سرجون الثاني قام بِسَبْيِ 27290 سجينًا من السَّامرةِ. ونحن لو قَبِلْنا هذا الرقم، رغم عِلْمنا بالمبالغات الموجودة في الوثائق الآشوريّة؛ فسننتهي إلى أنَّ عامّةَ سُكّان السّامرةِ لم يُغادروها؛ لأنّ هذا العددَ الذي سَبَاهُ سرجون الثاني لا يتجاوز 5 ٪ من سُكّان المملكةِ الشّماليّةِ ذلك الحين، بعد عِلْمنا أنّ عدد سُكّان المملكة الشماليّةِ حِيْنَها كان في حدود 800 ألفِ ساكنٍ على تقديرِ رولون دو فو.[2] وفي هذا يقول أ.د. كراون A. D. Crown في كتابه: «السّامريُّون واليهود: إعادةُ النَّظَرِ في أُصولِ السَّامريِّين»: «إذا كان ذلك صحيحًا، فإنّهُ يعني ترحيل ما بين 3 ٪ و 4 ٪ من السُّكّانِ».[3]

خامسًا: السَّامريُّون يقولون إنّهم من نَسْلِ يوسفَ -عليه السَّلام-.[4] وذاك يُفَسِّرُ حضور بعضِهم مع موسى -عليه السَّلام-؛ إذ هُمْ من بني إسرائيلَ/ يعقوبَ -عليه السَّلام-.

سادسًا: السَّامريُّون لا يَرُدُّون أنفسَهم إلى منطقةِ السّامرةِ، وإنّما يَرَوْنَ أَنَّ اسمَهُم يعود إلى جذر «حرس». فهم يقولون إنّ كلمةَ «السَّامريون» الواردة في 2ملوك 17/ 29: «فَكَانَتْ كُلُّ أُمَّةٍ تَعْمَلُ آلِهَتَهَا وَوَضَعُوهَا فِي بُيُوتِ الْمُرْتَفَعَاتِ الَّتِي عَمِلَهَا السَّامِرِيُّونَ» تدلُّ على ساكني السّامرةِ، وهي في الأَصلِ العِبريِّ «שֹׁמְרֹנִים» [شُومْرونِيمْ]؛ نسبةً إلى

(1) L. L. Grabbe, "Betwixt and Between: The Samaritans in The Hasmonean Period" in P. R. Davies & J. M. Halligan, eds. *Second Temple Studies III: Studies in Political, Class and Material Culture*, Sheffield Academic Press: Sheffield (UK), p. 215.

(2) R. de Vaux, *Ancient Israel: Its Life and Institutions*, Wm. B. Eerdmans Publishing Co., 1997, p. 66.

(3) R. J. Coggins, *Samaritans and Jews: The Origins of Samaritanism Reconsidered*, Basil Blackwell: Oxford, 1975, pp. 17-18.

(4) Genesis Rabbah. 94

السّامرةِ، وأَمَّا هم فاسمُهُمْ «שֹׁמְרִים» [شَمْرِيمْ]؛[1] بمعنى حَفَظة أو حرّاس [الحقيقة]. وفي ذلك تقول الموسوعةُ اليهوديّةُ: «يَستخدِمُ الكتابُ المقدّسُ اسمَ شومرونيم مرّةً واحدةً، في الملوك الثاني 17/ 29، ولكن هذا ربما يعني سُكّانَ السَّامرةِ Samarians لا السَّامريّين Samaritans . السَّامريُّون أنفسُهم لا يستخدمون هذا الاسمَ على الإطلاقِ؛ فَلَطالما أَطلَقُوا على أنفسِهم اسمَ شمريم، أي «حُرَّاس» أو «مراقبو» الحقيقة = האמת، كلا الشَّكْلَيْنِ القصير والطويل قيدَ الاستخدامِ المستمرِّ في سِجِلَّاتهم التاريخيَّةِ. وقد كانوا ينظرون إلى اسمِ شُومْرونِيمْ على أنّه يدلُّ على سُكّانِ مدينةِ السّامرةِ التي بناها عُمري».[2]

كما قال ت.ر. هوبس في شرحه لِسِفرِ الملوك الثاني: «من الحكمةِ التّمييزُ بين جماعة السّامريّين الدينيّةِ التي فَقَدْنا أُصولَها، والجماعةِ التي في الشَّمالِ كَكُلٍّ... مصطلح שמרנים لا يُشِيرُ إلى طائفةٍ دينيّةٍ.»[3]

ولذلك جاء في تفسير الكتابِ المقدَّسِ «New Bible commentary»: «رغم أنّ بعض ترجماتِ الكتاب المقدس (RSV وNEB) تشير إلى «Samaritans» «في العدد 29، أصابت ترجمة NIV بالإشارة إلى «أهل السَّامرةِ». لا يوجدُ دليلٌ على وجودِ أيّ صِلةٍ بين المذكورِين في هذا العددِ والطّائفةِ اللَّاحقةِ (التّوحيديَّةِ بِدِقَّةٍ) من السَّامريّين التي سنلتقي بها في العهد الجديد. المؤرِّخُ اليهوديُّ يوسيفوس -الذي كتب في القرنِ الأوّلِ الميلاديِّ- أثَّرَ لِفترةٍ طويلةٍ في ترجمةِ هذا المقطعِ بأكملِهِ وتفسيرِهِ، من خلالِ الادّعاءِ بأنّ السامريّين في زَمَنِهِ قد انْحَدَرُوا من الأجانبِ الذين جَلَبَتْهُمْ آشورُ. ليس لِدَعْوى يوسيفوس أساسٌ تاريخيٌّ، وهي تعكِسُ ببساطةِ التَّحَيُّزَ ضدَّ السّامريّين في عصرِهِ. لكن على أي حال، ليس شعبُ السَّامرةِ في العدد 29 أجانبَ قادمين من

(1) J. Macdonald, The Samaritan Chronicle No. II (Or Sepher Ha-Yamim) From Joshua To Nebuchadnezzar, 1969, Beihefte Zur Zeitschrift Für Die Alttestamentliche Wissenschaft - Volume 107, Walter de Gruyter & Co.: Berlin, I Kings XII-XXII, I, C*, p. 163. (Cited in Islamic Awareness, 'The "Samaritan" Error In The Qur'an?').

(2) Art. "Samaritans" in *Encyclopaedia Judaica*, 1972, Volume 14, Encyclopaedia Judaica Jerusalem, col. 728.

(3) T. R. Hobbs, 2 *Kings*, Dallas: Word, Incorporated, 2002, p.238.

الخارج، وإنّما هم سُكّانُ إسرائيلَ الذين استولى الأجانبُ على أماكنِ عبادتهم».[1] فكلمةُ «السّامريُّون» في 2ملوك 17/ 29، هي إذن خَبَرٌ عن سُكّانِ السَّامرةِ وليست اسمًا لطائفةِ السّامريّين.

سابعًا: النُّقوشُ المسماريَّةُ مُصَرِّحةٌ بوجود «السّامرةِ» قبلَ السَّبْيِ في القرن الثّامنِ، وهو ما يمنع القولَ إنَّ السّامريّين قد نَشَؤُوا بعد استقدامِ وثنيّين إلى السامرةِ لاحقًا. ولذلك ختمَ صاحبُ[2] بحثِ «طائفةُ السّامرةِ بين الرّفضِ اليهوديِّ وحقيقةُ النُّصوصِ الآشوريَّةِ» دراسَتَهُ -بعد سَرْدِ الشّهاداتِ المسماريَّةِ القديمةِ-: «نستنتجُ من أغلبِ النُّصوصِ المعروضةِ أنّ كاتِبَ النصِّ المسماريِّ «الآشوريِّ» يذكرُ (بلادَ السّامرةِ)، وهذا يدلُّ على أَنَّ السّامريّين كانوا موجودين في المنطقةِ من قبل وقوعِ السَّبْيِ الآشوريِّ، وفي بعض النُّصوصِ نجد أنّ الكاتبَ الآشوريَّ يفيد بأنّ أهلَ السّامرةِ الذين بقوا فيها سُمِحَ لهم بإرجاعِ ممتلكاتهم، وفي نصوص أُخرى نجد أنّ الآشوريّين قاموا بإجلاءِ سائر السُّكَّانِ، بل يقول: «أَفْنَيْتُ مِنْ سُكّانها 27290[3] شخصًا وجهَّزْتُ بينهم جُنُودًا»، مما يدلُّ على أنّ الفناءَ كان قد وقع على بعضٍ منهم أو سائرِهم. ويُرجِّحُ الباحثُ سيد فرج راشد أنّ مجموعَ المسبيين لا يمكن أن يمثّل سائر سُكّان مملكة إسرائيل التي تضمُّ عشرةً من أسباطِ إسرائيل، وأنّ السّبي كان مقتصرًا على الكَهَنةِ والقادةِ فقط، ويؤكّد ذلك طلبُ السّامرةِ بأن يرسِلَ الآشوريُّون كاهنًا لهم يُعَلِّمُهُمْ أحكام الدِّينِ، **وهذا يدلُّ على أنَّ السّامرةَ كانوا من الإسرائيليّين**. ونحن نُرجِّحُ حسب النُّصوصِ المسماريّةِ أنّ السّامريّين إسرائيليُّو الأصلِ والدّيانةِ، وهذا الأمرُ لا يروقُ لليهودِ الذين حاولوا إخراجَ السّامريّين من الإطار الدينيِّ والعِرقيِّ الإسرائيليِّ من خلال ادِّعائهم بأنّ السّامريّين هم من أبناءِ السُّلالاتِ التي جاء بها الآشوريُّون إلى منطقةِ السّامرةِ، وهذا ما جاءت به الدّراساتُ النقديّةُ الحديثةُ للتّوراةِ».[4]

(1) D. A. Carson, *New Bible Commentary: 21st century edition*. Rev. ed., Leicester, England; Downers Grove, Ill., USA: Inter-Varsity Press, 1970, 2 Ki 17:24.

(2) د:نهاد حسن حجي الشمري: رئيس قسم الدراسات الشرقية في كلية الآداب في جامعة واسط.

(3) في أصل المقال: «270-290». ولعل ذلك خطأ مطبعيّ.

(4) نهاد حسن حجي الشمري، طائفة السامرة بين الرفض اليهودي وحقيقة النصوص الآشورية، دراسات تاريخية، العدد 47، ص 54.

ثامنًا: ممّا يُؤكِّدُ أَنَّ خَبَرَ 2ملوك 17 لا يمكن أن يكون متعلّقًا بالسّامريّين؛ أنّ دراسة عقائدِ السّامرةِ لا تُظْهِرُ أَصْلًا وَثَنِيًّا لهم. وهو ما اعترفَ به معجمُ الكتابِ المقدّسِ: «New Bible Dictionary»: «لا شيءَ ممّا هو معروفٌ عن الدّيانةِ السّامريّةِ وممارَسَتِها اللّاحقةِ يُوحِي بالتّأثيرِ الوَثَنِيِّ لـ 2ملوك 17 أو عِزْرا 4».[1]

تاسعًا: لا دليلَ على أنّ السّامريّين المتأخّرين قد سَكَنُوا السّامرةَ. وفي هذا يقول معجمُ الكتابِ المقدّسِ: «New Bible Dictionary»: لا يوجدُ دليلٌ على أنّ السّامريّين المتأخّرين قد سَكَنُوا السّامرةَ. على النّقيضِ من ذلك، تدلُّ كلُّ الإشاراتِ الأُولى بوضوحٍ على سَكَنِهِمْ في شكيم [نابلس]».[2] علما أنّ أحدَ مصادرِ يوسيفوس يُشيرُ إلى السّامريّين أَنّهم شكيميُّون.[3]

عاشرًا: أَثْبَتَ بحثٌ جِيْنِيٌّ حديثٌ عن السّامريّين (وهم طائفةٌ تُعَدُّ الأعلى في العالَمِ في زواجِ الأقاربِ، وتَرْكِ الزَّواجِ من الجماعاتِ الأُخرى) وجودَ علاقة نسبيّة عاليةٍ مع بقيّةِ اليهودِ.[4]

خُلاصةُ القولِ ما قَرَّرَهُ النّاقِدُ النصرانيُّ بوب روبنسون: «**جُلُّ كتاباتِ النّقّاد حول تاريخِ السّامريّين تَتَّفِقُ أنّه لا توجدُ إحالاتٌ إليهم في نصِّ العهدِ القديمِ**».[5] وذاك يُسْقِطُ الشُّبهةَ التي تعتمِدُ في تخطئةِ القرآنِ على ما جاء في 2ملوك 17.

(1) Art. "Samaritans" in J. D. Douglas, ed. *New Bible Dictionary*, Inter-Varsity Press: Leiceste, 1984, p. 1062.

(2) Ibid.

(3) *Ant*. 11.340–347.

(4) P. Shen, T. Lavi, T. Kivisild, V. Chou, D. Sengun, D. Gefel, I. Shpirer, E. Woolf, J. Hillel, M. W. Feldman & P. J. Oefner, "Reconstruction of Patrilineages and Matrilineages of Samaritans and Other Israeli Populations From Y-Chromosome and Mitochondrial DNA Sequence Variation", *Human Mutation*, 2004, Volume 24, p. 248.

(5) Bob Robinson, *Jesus and the Religions*, Wipf and Stock Publishers, 2012, p.168.

ثمود قبل عصرهم

الاعتراض:

جاء في القرآن على لسانِ رجلٍ مؤمنٍ من آل فرعونَ زمنَ النبيِّ موسى (-عليه السَّلام-): ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ (غافر/ 31). والآيةُ بذلك دالّةٌ أنّ قوم ثمودَ قد عاشوا قبل موسى -عليه السَّلام-، في الألفيّةِ الثانية قبل الميلادِ.

وجاء أيضًا في القرآن أَنَّ قوم ثمودَ الذين بُعِثَ إليهم صالحٌ -عليه السَّلام- قد أُبيدُوا. ففي القرآنِ عن موقفِ ثمودَ من نَبِيِّهِمْ صالحٍ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾﴾ (الشمس/ 14). كما جاء في القرآن: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾﴾ (النجم/ 50-52).

ولكنّ التاريخ يُخبرنا أنّ السجلّاتِ التاريخيّةَ تذكر أنّ ثمود كانوا موجودين في شمال الجزيرة العربيّةِ في القرن الثامنِ قبل الميلادِ.

الجواب:

الردُّ على هذه الشُّبهةِ من وجهين:

الوجه الأول: يُخبرنا التاريخ أنّ قومَ ثمودَ قد انتشروا في مناطقَ واسعةٍ من الأرض، في الشّامِ وشمالِ الجزيرة العربية وجنوبِها حتى اليمن. والنّذارة النبويّةُ في ذاك الزّمنِ مِنَ البعيدِ أَنْ تَشْمَلَ تلكَ المناطقَ الواسعةَ في الحياة الرّعويةِ للثّموديّين. ولذلك فَخَبَرُ القرآنِ مُتعلّقٌ بإرسال نبيٍّ إلى قومِ ثمودَ في منطقة الحِجْرِ شمالَ الجزيرةِ العربية فقط؛ ولذلك وصفَ القرآنُ المعذَّبينَ بأنّهم أهلُ الحِجْرِ لا كُلّ الثّموديّين. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ (الحجر/ 80-84).

وحتّى لو قلنا إنّ رسالةَ صالحٍ -عليه السَّلام- كانت لقوم ثمودَ كُلِّهم؛ فإنّ ذلك لا يمنَعُ أنّ الرسالةَ لم تَبلُغْ إلّا الّذينَ عاشوا في الحِجر. ولا عذابَ إلّا لمن بَلَغَتْهُ الرِّسالةُ. فمن كانوا من ثمودَ خارجَ الحِجْرِ لم يُصِبْهُم العذابُ.

الوجه الثاني: القول إنّ الثَّموديّين كُلَّهم عاشوا في الحِجْر زمن صالحٍ -عليه السَّلام-، لا يَنْصُرُ شُبهةَ المعترِضين؛ فإنّه ليس في القرآنِ أنّ قومَ ثمودَ قد أُبيدُوا كُلّهم؛ فقد جاء في القرآنِ الخَبَرُ عن وجودِ طائفةٍ مُؤْمِنةٍ مع نبيّ الله صالحٍ -عليه السَّلام-: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ (الأعراف/ 75-76).

وما نزل العذابُ إلّا بالكافرين، عقوبةً لهم على كُفْرِهم. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ (هود/ 66). وهذا العذابُ هو الذي يُفَسِّرُ أَنَّ الثَّموديِّين لم يظهروا بوضوحٍ في التّاريخ إلّا في الأَلفيّةِ الأُولى قبل الميلاد رغم أنّ صالحًا -عليه السَّلام- قد عاش في الألفيّةِ الثانيةِ قبلَ الميلادِ.

ولذلك فقوله تعالى: ﴿وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾﴾ (النجم/ 51) لا يدلُّ على هلاك ثمودَ كُلِّهم؛ لما سَبَقَ من نجاةِ صالِحيْهِم. وهو ما يزداد ظهورًا ببيان أنَّ حال قوم نوحٍ كحالِ عادٍ الأُولى وثمودَ: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾. ومعلوم أنّ من كانوا في السّفينةِ مع نوحٍ -عليه السَّلام-، قد نَجَوْا من عذابِ الطُّوفانِ.

ومرورُ قرونٍ مديدةٍ بين عصرِ صالحٍ -عليه السَّلام- والقرنِ الثامن قبل الميلاد الذي جاء فيه في حوليّات سرجون الثاني خَبَرُ محاربة الآشوريّين للثّموديّين وغيرهم، كفيلٌ بظهور طائفةٍ قَبَلِيَّةٍ منَ الثّموديّين. عِلْمًا أنّ هذه المَعركةَ قد انتهت بانتصار الآشوريّين؛ بما يظهر أنّ ثمودَ ما كانوا بالكثرةِ العظيمةِ. وقد وُصِفَ الثّموديُّون في هذا النصِّ التاريخيِّ بأنّهم جماعةٌ من سُكّانِ الصَّحراءِ، العربِ، الذين لا يدفعون جِزْيةً لِمَلِكٍ.[1]

(1) Israel Eph'al, *The Ancient Arabs: Nomads on the Borders of the Fertile Crescent, 9th—5th Centuries B.C*, Leiden: Brill, 1982, p.36.

يأجوج ومأجوج

الاعتراض:

حديث القرآن عن «يأجوج ومأجوج» مُشكِلٌ من أَوْجُهٍ:

الوجه الأَوّلُ: تسميةُ «يأجوج ومأجوج» القرآنيّةُ، مأخوذةٌ من سِفرِ الرُّؤْيا 20/ 8 في العهد الجديد: «يَخْرُجُ لِيُضِلَّ الأُمَمَ الَّذِينَ فِي أَرْبَعِ زَوَايَا الأَرْضِ: جُوجَ وَمَاجُوجَ، لِيَجْمَعَهُمْ لِلْحَرْبِ، الَّذِينَ عَدَدُهُمْ مِثْلُ رَمْلِ الْبَحْرِ»؛ أي إنّ أَصْلَها كتابٌ نصرانيٌّ من آخِرِ القرن الأول الميلاديِّ، في حين أنّنا نقرأُ في سِفرِ حزقيال 38/ 2 الأقدم منه بِقُرونٍ أنّ جوج (يأجوج) اسمُ شخصٍ، وماجوج (مأجوج) اسمُ أَرْضٍ: «يَا ابْنَ آدَمَ، اجْعَلْ وَجْهَكَ عَلَى جُوجٍ، أَرْضِ مَاجُوجَ رَئِيسِ رُوشٍ مَاشِكَ وَتُوبَالَ، وَتَنَبَّأْ عَلَيْهِ».

الوجه الثاني: جاء في بعضِ التّفاسيرِ القرآنيّةِ أنّ يأجوجَ ومأجوجَ كائناتٌ غيرُ بشريّةٍ، وذاك من جِنْسِ أساطيرِ الأوّلين.

الوجه الثّالث: جاء في الحديث أنّ يأجوج ومأجوج يَسْعَوْنَ جهدَهُم إلى إحداثِ فجوةٍ في السَّدِّ، وكلّما حَفَرُوا ثغرةً، عاد السدُّ كما كان. وهذا يعني أنّ هذه القبيلةَ محصورةٌ وراء السدِّ إلى اليوم. ونحن اليومَ بإمكاننا أن نرى الأرضَ كلَّها، وما رأينا قومًا قد حُوصروا وراءَ سدٍّ.

الجواب:

أولًا: اسمُ يأجوجَ ومأجوجَ كان معروفًا **بِصُوَرٍ مختلفةٍ في تراثِ أهلِ الكتاب**، وليس وجهٌ منها حُجّة على الآخَرِ؛ فإنّ سِفرَ التّكوينِ 10/ 2 يذكر أنّ ماجوج رَجُلٌ من نَسْلِ نوحٍ -عليه السّلام-، على خلافِ ما جاء في سِفرِ حزقيال من أنّ ماجوج اسمُ أرضٍ. وهو ما جاء أيضًا في سِفرِ اليوبيلات. وفي التّوراةِ السّامريّةِ والترجمة السبعينيّةِ اليونانيّةِ للتّوراةِ تُوْضَعُ أحيانًا كلمة «جوج» (يأجوج) مكانَ كلمةٍ أُخرى، أو تُوضعُ «ماجوج» (مأجوج) مكانَ «جوج».[1]

---

(1) J. Lust, "Magog" in Van der Toorn, *et al.*, eds. *Dictionary of deities and demons in the Bible*, Brill, 1999, pp. 536-537.

ثم إنّ المخطوطةَ 4Q523 (القرن الثاني قبل الميلاد) المكتَشفةَ ضمن لفائفِ قُمرانَ في القرنِ الماضي، فيها عبارةُ: «גוג ומגוג» «جوج وماجوج». كما أَنَّ اسمَ «جوج وماجوج» قد جاء في الكتابِ الثالث لِنُبوءاتِ سِبيلين Sibylline Oracles الذي يعودُ أيضًا إلى القرنِ الثاني قبلَ الميلادِ. ومن الشّائعِ في الأدبيّاتِ الترجوميّةِ والحاخاميّةِ استعمالُ عبارة «جوج وماجوج».(1)

ثانيًا: خبرُ يأجوج وماجوج عند أهلِ الكتابِ جاء قبل نزول القرآنِ. وهم في كُتبِ الأوَّلِين، مجموعةٌ من البَشَرِ لا كائناتٌ أُسْطُوريّةٌ. وليس في القرآن ما يدلُّ على أنّ يأجوج ومأجوج على غيرِ تلك الصّفةِ. ويبدو أنّ اسمَ «يأجوج ومأجوج» مرتبِطٌ بطبيعةِ همجيّةِ هؤلاء القومِ وإثارتهم للفوضى، وإنْ تعدَّدَتْ أعراقُهم. قال الباحثُ رؤوف أبو سعدة في الكشفِ عن هذه الفِرقةِ من النَّاسِ، بالنَّظَرِ في تسمِيَتِها: «فُسِّرَتْ «يأجوج ومأجوج» في القرآنِ بالتّعريب: الذين يَؤُجُّ بعضُهم بعضًا، ويَسْتَفِزُّ بعضُهم بعضًا، ويموجُ بعضُهم في بعضٍ، كما قال -عزَّ وجلَّ- فيهم: ﴿وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ﴾ (الكهف/ 99). والموجُ على المصدريّةِ من ماجَ/ يموجُ/ مَوْجًا، هو من الاختلاطِ والاضطرابِ، فهو تفسيرٌ بالتّصويرِ، كما قال في موضعٍ آخَرَ: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾ (الأنبياء/ 96) كنايةً عن مدى الاختلاطِ والاضطرابِ. وفي الاختلاطِ والاضطرابِ فسادٌ وإفسادٌ، ومن هذا قولُ الّذين استعانوا ذا القَرْنَيْنِ عليهم: ﴿إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (الكهف 94)».(2)

وما سبقَ يُوافِقُ ما قالَهُ الباحثُ أندرو أندرسون عن السكيثيّين الذين قال يوسيفوس إنّهم شعبُ مأجوجَ؛ فقد كتبَ أندرسون أنّ «مصطلح السكيثيّين في الجغرافيا القديمةِ يشمَلُ عَمَليًّا -دون تمييزِ الأعراقِ والأُصولِ- كُلَّ الشَّعْبِ الهَمَجِيِّ عند حدودِ الجهةِ الشماليّةِ لحضارتنا».(3)

(1) H. J. de Jonge, Johannes Tromp, eds. *The Book of Ezekiel and Its Influence*, England: Ashgate Publishing, 2007, p.169.

(2) رؤوف أبو سعدة، العلم الأعجمي في القرآن مفسرًا بالقرآن، 1/ 116

(3) Andrew Runni Anderson, *Alexander's Gate, Gog and Magog, and the Enclosed Nations*, Medieval academy of America, 1932, p.8.

ولذلك فنحن أمامَ أُمّةٍ من النّاسِ هَمَجِيَّةٍ تعيشُ على الأرضِ. وقد أشارَ الشيخُ السّعديُّ إلى أنّ يأجوجَ ومأجوجَ من جِنْسِ التُّرْكِ، وجيرانِهِمْ، وأَبْناءِ عُمُومَتِهِم، وأنّ ما يوجدُ من الآثارِ الدّالّةِ على مُخالَفَتِهِمْ لِصفاتِ الآدميّين؛ فَكَذِبٌ مُناقِضٌ لِلأدِلّةِ الصّحيحةِ. فَمَسَاكِنُهُم الأَصليّةُ في شمالي آسيا، وتحديدًا: مَنْغُوليا، وشرقيّ تُركِستان.[1]

وقد جاء التّصريحُ ببشريَّةِ يأجوج ومأجوج في الحديثِ الذي أخرجَهُ الإمامُ أحمدُ -بِسَنَدٍ صحيحٍ- عن الرسول -ﷺ-: «إنّكم تقولون لا عدوّ! ولا تزالون تُقاتِلُون عَدُوًّا حتى تقاتلون يأجوج ومأجوج، عِراضُ الوُجُوهِ، صِغَارُ العُيُونِ، صُهْبُ الشّعافِ، مِنْ كُلِّ حَدبٍ يَنْسِلُون، كَأَنَّ وُجُوهَهُم المجانُّ المطرَّقةُ».[2]

ثالثًا: روى الترمذيُّ وابنُ حبّانَ والحاكمُ عن قَتادةَ عن أبي رافعٍ من حديثِ أبي هريرةَ عن النبيِّ -ﷺ- في السّدِّ. قال: يَحْفرونه كلَّ يوم؛ حتى إذا كادوا يخرقُونَهُ، قال الذي عليهم: ارْجِعُوا فستخرقونه غدًا. فَيُعِيْدُهُ اللهُ كَأَشَدِّ ما كان. حتى إذا بَلَغَ مُدَّتهم، وأراد الله أن يَبْعَثَهُم على النَّاسِ، قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غدًا، إنْ شاءَ اللهُ. واسْتَثْنَى. قال: فيرجِعُون؛ فيجدونه كهيئَتِهِ حين تَرَكُوهُ؛ فيخرقونه فيخرجون على النَّاسِ...»

هذا الخبرُ الذي يذكُرُ أنَّ يأجوجَ ومأجوجَ وراءَ السَّدِّ إلى اليوم، وأنهم لا يزالون يحفرون، ولن يُفْتَحَ عليهم إلّا آخرَ الزَّمانِ، **ضعيفٌ لا يَصِحُّ عند التّحقيق؛ إذ إنَّ مدارَهُ على قَتَادةَ بنِ دعامةَ عن أبي رافعٍ.** وقد نفى شعبةُ بنُ الحجّاجِ، تلميذُ قَتَادةَ وأعرف النّاسِ به، سماعَ قَتَادةَ من أبي رافعٍ.[3] كما أنكرَ سماعَ قتادة من أبي رافعٍ أئمّةٌ آخرون كيحيى بن مَعِينٍ[4] والإمامِ أحمدَ[5] والإمام أبي داود السّجستانيِّ.[6]

---

(1) عبد الرحمن السعدي، يأجوج ومأجوج، نسخة إلكترونية.

(2) أحمد بن حنبل، المسند، (5/ 271)

(3) ابن رجب الحنبلي، شرح علل الترمذي، تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد، الزرقاء، مكتبة المنار، 1407هـ - 1987م، 2/ 790.

(4) العلائي، جامع التحصيل في أحكام المراسيل، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب، 1407هـ/ 1986م، ص255.

(5) خالد الرباط وآخرون، الجامع لعلوم الإمام أحمد - الرجال، الفيوم: دار الفلاح، 1430 هـ - 2009 م، 17/ 227.

(6) أبو داود، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، 1430هـ/ 2009م، 7/ 488. ولعلّ البخاري خالفهم بإخراجه حديثًا (غير هذا) بهذا الإسناد (وآخر أيضًا معلّق).

ثم إنّ هذا الحديثَ قد رَوَى نحوَهُ عبد بن حميد من طريقِ عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، موقوفًا على أبي هريرة. وهو إسنادٌ أقوى من روايةِ قتادةَ المرفوعةِ إلى الرّسولِ -ﷺ-كما قاله العقيليُّ-.[1] وهو حديثٌ صحيحُ الإسنادِ. وليس من قول الرّسولِ -ﷺ-. وإنّما هو قولُ صحابيٍّ.[2]

وأمّا استدلال بعضِ الكُتّابِ بقولِهِ تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾ (الكهف/ 98-99) للقول إنَّ السَّدَّ يمنع يأجوجَ ومأجوجَ من الخروج حتّى آخرِ الزّمانِ؛ فلا يَستقيم؛ إذ يَدُلُّ قولُه تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ (الأنبياء/ 96) على أنّ يأجوجَ ومأجوجَ عندما يخرجون للإفسادِ في الأرضِ، يكونُ خروجُهم من أماكنَ كثيرةٍ، لا مِنْ سَدٍّ صغيرٍ بين جبَلَيْنِ.

وقد قال الفقيهُ المحدّث محمد أنور الكشميريّ في شرحِهِ لصحيحِ البخاريّ: «إنَّ سدَّ ذِي القرنين قد انْدَكَّ اليومَ، وليس في القرآنِ وَعْدٌ ببقائِهِ إلى يومِ خروجِ يأجوج ومأجوج، ولا خَبَرَ بكونه مانعًا من خُروجِهِم، ولكنَّهُ من تَبَادُرِ الأوهام فقط، فإنّه قال: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾، ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ إلخ، فلهم خُروجٌ مرّةً بعدَ مرّةٍ، وقد خرجُوا قبل ذلك أيضًا، وأفْسدُوا في الأرض بما يُسْتعاذُ مِنْهُ. نعم يكون لهم الخروجُ الموعودُ في آخرِ الزَّمانِ، وذلك أَشَدُّها، وليس في القرآنِ أنّ هذا الخروجَ يكون عُقَيْبَ الانْدِكاكِ مُتَّصِلًا، بل فيه وَعْدٌ بانْدِكاكِهِ فقط، فقد انْدَكَّ كما وعد. أمّا أنَّ خُروجَهم موعودٌ بعد انْدِكاكِهِ بدونِ فَصْلٍ، فلا حَرْفَ فِيهِ».[3]

وقال القاسميُّ في تفسيرِهِ: «فإذا سُلِّمَ أنَّ سَدَّ ذِي القرنينِ المذكورَ في هذه الآيةِ غيرُ موجودٍ الآنَ، فربّما كان ذلك ناشئًا من ثورةٍ بركانيّةٍ خُسِفَتْ به وأزَالَتْ آثارَهُ. ولا يوجدُ في القرآنِ ما يَدُلُّ على بقائِهِ إلى يومِ القيامةِ. أمّا قولُه تعالى: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي

---

(1) العقيلي، الضعفاء الكبير، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، بيروت: دار الكتب العلمية، 1404 هـ/ 1984م، 2/ 285.

(2) انظر حاكم عبيسان المطيري، أثر فيه نظر دراسة نقدية حديثية تفسيرية لحديث (إن يأجوج يحفرون السد) < http://www.dr-hakem.com/portals/Content/?info=TlRRMUpsTjFZbEJoWjJVbU1RPT0rdQ==.jsp >.

(3) محمد أنور الكشميري، فيض الباري على صحيح البخاري، 4/ 23.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾؛ فمعناه أَنَّ هذا السَّدَّ رحمةٌ من الله بالأُمم القريبةِ منه؛ لمنعِ غاراتِ يأجوجَ ومأجوجَ عنهم، ولكن يجب عليهم أن يَفْهَمُوا أَنَّهُ مع مَتَانَتِهِ وصَلابَتِهِ لا يمكن أن يُقاوِمَ مَشيئةَ الله القويِّ القديرِ، فإنَّ بقاءَهُ إنّما هو بفضلِ الله. ولكن إذا قامت القيامةُ وأراد الله فَناءَ هذا العالم، فلا هذا السَّدُّ ولا غيرُه من الجبالِ الرَّاسياتِ يمكنها أن تَقِفَ عثرةً لحظةً واحدةً أَمام قدرةِ الله، بل يَدُكُّها جمعاء دكًّا في لَمْحِ البَصَرِ. **فَمُرادُ ذي القرنين بهذا القولِ تَنْبيهُ تلكَ الأُمم على عدم الاغترارِ بمَنَاعَةِ هذا السَّدِّ، أو الإعجابِ والغرور بقوتهم**؛ فإنّها لا شيءَ يُذْكَرُ بجانِبِ قوّةِ الله. فلا يَصِحُّ أن يُستنتجَ من ذلك أنّ هذا السّدَّ يبقى إلى يوم القيامةِ، بل صريحُهُ أنّه إذا قامت القيامةُ في أيّ وقتٍ كان، وكان هذا السدُّ موجودًا، دَكَّهُ اللهُ دَكًّا. وأما إذا تَأَخَّرَتْ؛ فيجوزُ أنْ يُدَكَّ قبلَها بأسبابٍ أُخرى؛ كالزَّلازلِ إذا قَدُمَ عهدُه؛ وكالثّوراتِ البركانيّةِ كما قُلْنا».[1]

كما تحدّث الشيخُ السعديُّ -المفسّر- في شأن موعد خروجِ يأجوجَ ومأجوجَ، فأشار إلى أنّ:

- «ابتداءُ خُروجِهم وقعَ في وقتِ النّبيِّ -ﷺ-، وبخبرِهِ: «فُتِحَ اليومَ من رَدْمِ يأجوجَ ومأجوجَ مِثْلُ هذهِ» وحَلَّقَ الإبهامَ والسَّبَّابَةَ. ثمّ لم يزل ذلك الفتحُ يزدادُ، حتى زال الرَّدْمُ وانْدَكَّ.
- المخترعاتُ الحديثةُ، والصّناعاتُ الراقية، مَكَّنَتْهُم من تجاوزِ الحواجزِ الطّبيعيّةِ الأُخرى، فانْفَتَحُوا على النَّاسِ من كلِّ مكانٍ، فَبَرَزُوا من فوقِ رُؤُوسِ الجِبالِ، ونَفَذُوا من فوقِ مُتونِ البِحارِ، وصَعَدُوا في جَوّ السَّماءِ، وصاروا ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾، ولم يعودوا محصورين خلفَ الرَّدْمِ لا يطلع عليهم أحدٌ.
- انفتاحُ يأجوجَ ومأجوجَ، وخروجُهم الابتدائيُّ قد وقعَ، وحصلَ منهم الإفسادُ في الأرضِ على النّاسِ عُمومًا، وعلى المسلمين والعَرَبِ خُصوصًا، كفتنةِ التَّتارِ، في المشرقِ، وغزواتِ المجار في بلاد أُوربّة.

(1) جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق: محمد السود، بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ، 7/ 75.

• خروجُهم في آخرِ الزّمانِ، الموصوفُ في حديثِ النّواس بن سمعان، بعد فتنةِ المسيحِ الدّجّال لا يدلُّ على أنّهم لم يخرجوا قبلَ ذلك، إذ المرادُ بالخروجِ التّحوُّلَ من محلٍّ إلى محلٍّ آخرَ، وليس ابتداءَ الخروجِ.»[1]

(1) السعدي، رسالتان في فتنة الدجال ويأجوج ومأجوج، تحقيق: أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي، نسخة إلكترونية

أصحابُ الأخدودِ وشُهداءُ نَجْرانَ

الاعتراض:

جاء في القرآن: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠﴾ (البروج/ 4-10). والقرآن هنا يتحدّثُ عن قصّةِ «شُهداءِ نَجْرانَ» المعروفةِ في تاريخِ الكنيسةِ؛ لكنّه جعلها قصّةً لمؤمنين مُوَحِّدِينَ. وهذا من «اختطافِ» القرآنِ لِقَصَصِ الأُممِ الأُخرى لخدمةِ أَغْراضِهِ اللّاهوتيّةِ.

الجواب:

هذه الشّبهةُ نموذجٌ جيّدٌ لإنشاءِ شُبهةٍ؛ لمجرّدِ تَلَقّي معلومةٍ غيرِ مُحَقَّقةٍ:

أوّلًا: نحن لا نُنْكِرُ أنّ مَنْ يُسمَّون بـ«شهداءِ نجرانَ» لم يكونوا مُوحِّدين في حدودِ كُلّ ما وَصَلَنا عنهم،[1] ولا نملِكُ إلى اليوم ما يشير إلى وجودِ مُوحِّدين في تلك المجزرةِ؛ فقد كان القتلى يَعَاقِبةً مُثَلِّثةً. وقد قاتَلَهُم وقَتَلَهُم الملكُ ذو نواس اليهوديُّ، آخرُ الملوك الحِمْيَرِيِّين، سنة 518م أو 523م.

ونسلّم أنّ من المفسّرين المسلمين من رَبَطُوا بين آياتِ سُورةِ البُرُوجِ و«شُهداءِ نجرانَ». لكنّنا لا نُسَلِّمُ أنّ خبرَ سُورةِ البُرُوجِ يُشيرُ إلى قصّةِ هؤلاءِ «الشُّهداءِ»؛ إذ لم تُصَرِّحِ الآياتُ بذلك. ولا يُدانُ القرآنُ بما يقولُهُ مَنْ ليس بمعصومٍ عند المسلمين.

---

(1) تقول الباحثة كوثر محمد علي: «لا توجد دلائل يقينية تؤكّد أنّ شهداء نجران كانوا على التوحيد الخالص لله -عزّ وجلّ-، وكلّ الشواهد المذكورة في المصادر القديمة تدلّ على أنّهم كانوا يؤمنون بعقيدة التثليث... أضف إلى ذلك أنّ الشواهد الأثريّة في نجران القديمة تؤيّد استقرار مجتمع وثنيٍّ، وآخرَ مسيحيٍّ، ولا تدلّ على استقرار مجتمع على التّوحيدِ الخالص، سواءٌ كان على المسيحيّةِ الصحيحةِ أو علىّ الحنيفيّةِ ملّةِ إبراهيم -عليه السّلام-» كوثر محمّد علي، حادثة الأخدود بين المصادر العربية والمصادر القديمة، دراسةٌ تاريخيّةٌ حضاريّةٌ ، أطروحة ماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، 1436هـ/ 2015م ص 587-588.

ثانيًا: قال الطبريُّ: «وقد اختَلَفَ أهلُ العِلمِ في أصحابِ الأُخدودِ؛ مَنْ هُمْ؟».[1] وأَهَمُّ هذه الأقوالِ:

الأَوَّلُ: روى مُسْلِم بِسَنَدِهِ عن صهيبٍ أنَّ رسولَ الله -ﷺ- قال: «كان مَلِكٌ فيمن كان قبلَكُم. وكان له ساحِرٌ. فلمّا كَبِرَ قال لِلملكِ: إنّي قد كَبِرْتُ؛ فابْعَثْ إليَّ غُلامًا أُعَلِّمُه السِّحْرَ. فبعث إليه غلامًا يعلّمه. فكان في طريقِهِ، إذا سلَكَ، راهِبٌ. فقَعَدَ إليه وسَمِعَ كلامَهُ؛ فَأَعْجَبَهُ، فكان إذا أتى السَّاحِرَ مرَّ بالرّاهبِ وقعدَ إليه، فإذا أتى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ فَشَكا ذلك إلى الرّاهبِ. فقال: إذا خَشِيْتَ السّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَني أَهْلِي، وإذا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَني السَّاحِرُ.

فبينما هو كذلك إذ أتى على دابّةٍ عظيمةٍ قد حَبَسَت الناس، فقال: اليومَ أعلمُ آلسَّاحِرُ أفضلُ أم الراهبُ أفضلُ؟ فأخذ حَجَرًا، فقال: اللهمّ إن كان أمرُ الراهبِ أحبّ إليك من أمر السّاحرِ فاقتُلْ هذه الدّابّةَ؛ حتى يمضي الناس، فرماها فَقَتَلَها، ومضى الناس فأتى الراهبَ فأخبرَهُ. فقال له الراهبُ: أي بني أنت اليومَ أفضلُ منّي؛ قد بلَغَ من أمرك ما أرى، وإنّك ستُبْتَلى، فإن ابْتُلِيْتَ فلا تدلَّ عَلَيَّ. وكان الغلامُ يُبرِئُ الأَكْمَهَ والأبرصَ ويُداوي النّاسَ من سائرِ الأدواءِ، فسمعَ جليسٌ للملكِ - كان قد عَمِيَ - فأتاه بهدايا كثيرةٍ، فقال: ما ههنا لك أجمعُ إنْ أنت شَفَيْتَنِي، فقال: إنّي لا أشفِي أحدًا! إنما يشفِي اللهُ، فإنْ أنت آمنْتَ بالله، دعوتُ اللهَ فَشَفاكَ؟ فآمنَ باللهِ فَشَفاهُ اللهُ، فأتى الملكَ فجلس إليه كما كان يجلِسُ، فقال له الملكُ: مَنْ رَدَّ عليك بَصَركَ؟ قال: ربي، قال: ولك ربٌّ غيري؟ قال: ربّي وربُّكَ الله! فأخَذهُ فلم يَزَلْ يُعذِّبُهُ حتى دلَّ على الغلام؛ فَجِيْءَ بالغُلامِ، فقال له المِلكُ: أي بنيّ قد بلغ من سِحْرِكَ ما تُبرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وتفعلُ وتفعلَ؟! فقال: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي اللهُ، فأَخَذَهُ فلم يزلْ يُعذّبه، حتى دلَّ على الراهبِ، فَجِيْءَ بالراهب فقيل له: ارجِعْ عن دِيْنِكَ، فَأَبى. فدعا بالمنشارِ فَوُضِعَ المنشارُ على مَفرِقِ رأسِهِ؛ فَشَقَّهُ حتى وقعَ شِقَّاهُ، ثمّ جيءَ بجليسِ الملكِ فقيل له: ارجِعْ عن دِيْنِكَ، فأبى فَوُضِعَ المنشارُ في مَفْرِقِ رأسِهِ؛ فَشَقَّهُ به حتى وقع شِقاه،

[1] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 24/ 270.

ثم جيء بالغلامِ فقيل له: ارجِعْ عن دِيْنِكَ، فأبى؛ فدَفَعَهُ إلى نَفَرٍ من أصحابِهِ، فقال: اذهبوا به إلى جَبَلِ كذا وكذا، فاصْعَدُوا به الجبلَ فإذا بلغْتُم ذروَتَهُ؛ فإن رجعَ عن دِيْنِهِ وإلا فاطْرَحُوهُ. فذهَبُوا به فصعدوا به الجبلَ، فقال: اللهمّ اكْفِنِيْهِمْ بما شِئْتَ! فرَجَفَ بهم الجَبَلُ؛ فسَقَطُوا. وجاء يمشي إلى الملكِ؛ فقال له الملك: ما فعل أصحابُكَ؟ قال: كَفَانِيْهِم اللهُ! فدَفَعَهُ إلى نَفَرٍ من أصحابِهِ، فقال: اذهبوا به فاحْمِلُوهُ في قُرْقُورٍ، فتوسَّطُوا به البحر؛ فإن رجع عن دينه وإلّا فاقذِفُوه، فذهبوا به فقال: اللهمّ! اكْفِنِيْهِمْ بما شِئْتَ، فانْكَفَأَتْ بهم السّفينةُ فَغَرِقُوا وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فَعَلَ أصحابُكَ؟ قال: كَفانِيْهِم اللهُ! فقال لِلملِكِ: إنّكَ لستَ بقاتلي حتى تفعل ما آمُرُكَ به، قال: وما هو؟ قال: تَجْمَعُ النَّاسَ في صَعِيدٍ واحِدٍ، وتَصْلُبُنِي على جِذْعٍ، ثم خُذْ سَهْمًا من كِنانَتِي ثم ضع السَّهمَ في كَبِدِ القَوْسِ، ثم قُلْ: باسم اللهِ ربِّ الغُلَام، ثم ارْمِنِي؛ فإنك إذا فعلتَ ذلك قَتَلْتَني. فَجَمَعَ النَّاسَ في صعيدٍ واحد، وصَلَبَهُ على جِذْعٍ، ثم أَخَذَ سَهْمًا من كِنانَتِهِ ثم وضَعَ السَّهْمَ في كَبِدِ القَوسِ، ثم قال: باسم اللهِ ربِّ الغُلام، ثم رَماهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ في صُدْغِهِ فوضع يده في صُدْغِهِ في موضع السَّهمِ فماتَ. فقالَ النَّاسُ: آمَنَّا بربِّ الغُلامِ، آمَنَّا بربِّ الغُلامِ، آمَنَّا بربِّ الغُلامِ.

فأتى الملك فقيل له: أَرَأَيْتَ ما كُنتَ تَحْذَرُ؟ قد واللهِ نَزَلَ بك حَذَرُكَ؛ قد آمنَ النَّاسُ، فأمرَ بالأُخدودِ في أَفْواهِ السِّكَكِ فَخُدَّت، وأَضْرَمَ النِّيران؛ وقال: من لم يرجِعْ عن دِيْنِهِ فَأَحْمُوهُ فيها، أو قيل له: اقْتَحِمْ، ففَعَلُوا حتى جاءت امرأةٌ ومَعَها صَبِيٌّ لها فتَقَاعَسَتْ أنْ تَقَعَ فيها، فقال لها الغلامُ: يا أُمَّهْ! اصْبِرِيْ؛ فإنَّكِ على الحقّ».[1]

وليس في حديثِ مسلمٍ رَبْطٌ لِقِصَّةِ الغُلام بآياتِ قصّةِ أصحابِ الأُخدودِ.

القول الثاني: أصحابُ الأخدودِ قومٌ من المجوسِ. قال ابنُ كثير: «وقد اختلَفَ أهلُ التّفسيرِ في أهلِ هذه القِصّةِ مَنْ هُمْ؛ فَعَنْ عليٍّ -رضي الله عنه- أنّهم أهلُ فارسَ حين أراد مَلِكُهُم تحليلَ تزويجِ المحارمِ؛ فامْتَنَعَ عليه عُلماؤُهم؛ فَعَمَدَ إلى حَفرِ أُخدودٍ؛ فَقَذَفَ فيه مَنْ أنْكَرَ عليهِ منهم، واستَمَرَّ فيهم تحليلُ المحارمِ إلى اليومِ»[2]

---

(1) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، (ح/ 5327).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 8/ 366.

القول الثّالث: أنّهُمْ قومٌ من بني إسرائيلَ. روى الطبريُّ بِسَنَدِهِ عن ابنِ عبّاسٍ قال: هم ناسٌ من بني إسرائيل خَدُّوا أُخدودًا في الأرضِ، ثم أَوْقَدُوا فيها نارًا، ثم أقامُوا على ذلك الأُخدودِ رجالًا ونساءً، فَعُرِضُوا عليها، وزَعَمُوا أنّه دانيال وأصحابُهُ».[1]

ثالثًا: حديثُ القرآنِ عن **الأُخدودِ المملوءِ نارًا لمعاقبةِ المخالفين، لم يُعْرَفْ قبلَ الإسلام في قِصّةِ «شُهداءِ نجرانَ»**. وقد دَرَسَتْ إحدى الباحثاتِ قصّةَ أصحابِ الأُخدودِ القرآنيّةَ وقِصّةَ «شُهداءِ نجرانَ» في أقدم الوثائقِ التاريخيّةِ في بحثٍ قيّم عُنوانُه: «حادثةُ الأُخدودِ بين المصادر العربيّةِ والمصادر القديمةِ، دراسةٌ تاريخيّةٌ حضاريّةٌ». وقَرَّرَتْ بعد بحثٍ مُستفيضٍ في المصادرِ النَّقْشِيَّةِ والكَنَسِيَّةِ والسّريانيّةِ، أنّه «استنادًا إلى كلّ ما سبق، لم يعرف (الأخدود) كحادثة تاريخيّة إلا في القرآن الكريم، وفي موضع واحد منه، في سورة البروج. ولم تذكر المصادر القديمة -التي بين أيدينا- والتي تؤكد حدوث اضطهاد ديني، حفر أخدود مليء بالنار طرحت فيه جماعة من المؤمنين بالله تعالى، كما أنّ أهم تفاصيل حادثة القرآن الكريم تتضارب مع ما ورد في تلك المصادر التي تصوّر الحادثة على أنّها صراع بين اليهود والنصارى، أو بين المجوس وأهل الكتاب».[2]

وأما الأُخدودُ المرتبط بنجران وأهلها، فتقولُ فيه هذه الباحثةُ: «**يجد هذا الرأيُ ما يُؤَيِّدُهُ في المصادرِ التي تُوثِّقُ الصّراعَ الدّينيَّ في القرن السّادسِ، حيثُ يُشير كِتابُ الحِمْيَرِيِّين إلى أنَّ الملكَ الحِمْيَرِيَّ عَسْكَرَ خارجَ المدينةِ، وأَلْقى الجُثَثَ في خَنْدَقٍ خارِجَها، وتَدُلُّ نتائجُ التّنقيبِ على وجودِ أُخدودٍ في محيطِ المدينةِ. ولكنْ لا تقول الوثائقُ السّريانيّةُ بإشعالِ النّيرانِ في تلكِ المواقعِ. ولا تُبَيِّنُ نتائجُ الكَشْفِ الأَثَرِيِّ وجودَ آثارِ رمادٍ أو عظامٍ بشريّةٍ محروقةٍ فيها**».[3]

رابعًا: عامّةُ المستشرقين لا يَنْسبُون قِصّةَ أَصحابِ الأُخدودِ القرآنيّة إلى قِصّةِ «شُهداءِ نجرانَ». فقد جاء مثلًا في «موسوعةِ القرآنِ» الاستشراقيّةِ: «اقترحَ البحثُ

---

(1) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 24/ 272.
(2) كوثر محمد علي، حادثة الأخدود بين المصادر العربية والمصادر القديمة، دراسة تاريخية حضارية، ص 505.
(3) المصدر السابق، ص 574.

الحديثُ تفسيراتٍ أُخرى. يمكن أن تكون قِصّةُ أهلِ الخندقِ المذكورةِ في القرآنِ إشارةً إلى الرّجالِ الموجودين في أتُونِ النّارِ في دانيال 3/ 15 وما بعدَهُ، كما سبق للطّبري ومُفَسِّرين آخَرين بالفعل اقتراحُه. بدلًا من ذلك، قد تشير القصّةُ إلى أشخاصٍ مَن قريشٍ قُتِلُوا على يدَ جيشِ النبيِّ في بدرٍ. وقد تكون القصّةُ أيضًا مجرَّدَ إشارةٍ عامّةٍ إلى أولئك الملعونين في الجحيم». [1]

(1) Roberto Tottoli, 'People of the Ditch', *Encyclopaedia of the Qur'ān*, Jane Dammen McAuliffe, 4/44.

الباب الرابع:

قصص وأعراف

الدليل الأبرز على ربّانيّة القرآن -بعد إعجازه البلاغي أو معه في المرتبة نفسها- ما في القرآن من أخبار السالفين، بذكر التفاصيل الدقيقة التي لا يعرف عامتها إلّا الأحبار أو الرهبان الذين عكفوا على قراءة كتبهم الدينيّة في جزيرة العرب زمن البعثة. ومن أظهر أوجه العلم بتفاصيل الأمم السابقة، ما جاء من تفاصيل تذكر دقائق قصص النبيين وأقوامهم. وهي تفاصيل تتعلّق بالخبر التاريخي، والجوهر العقدي، ومآلات الصراع بين الحقّ والباطل. فجمع الخبر القرآني بذلك الإعجاز في القالب (البلاغة) والمضمون (السرد التاريخي).

وفي المقابل، لم يكتفِ المنصّرون والمستشرقون بردِّ بعضِ قصصِ القرآنِ جُملةً، وإنّما اهتمُّوا أيضًا بنقدِ التفاصيلِ الدّاخليةِ لهذه الأخبارِ؛ فَتَتَبَّعُوا كلَّ ما فيها، طَلَبًا لإثباتِ بَشَريَّةِ القرآنِ وردِّ رَبَّانِيَّتِهِ أو إعجازِهِ في الإنباءِ عن أخبارِ الأوّلين. ولم يتركوا في هذا الشأنِ خَبَرًا إلّا وسَعَوْا أن يجِدُوا فيه أو في ظِلالِهِ ما يُستَنْكَرُ؛ فناقَشُوا مسائلَ قالوا إنّها تُخالِفُ حقائقَ التّاريخِ؛ لمخالفتها -بزعْمِهم- ما دَلَّتْ عليه الآثارُ، أو لأنّ المعلومَ من الآثارِ لم يشهد لها؛ فجعَلُوا نُطْقَ التّاريخِ وصَمْتَهُ حُجّةً لِنَفْيِ تاريخيَّةِ تفاصيلَ وَرَدَتْ في القصصِ القرآنيِّ. كما زَعَمُوا أنّ القرآنَ قد نقلَ أخْبارًا أُسطوريّةً باطلة، أَلْبَسَها ثوبَ الحقيقةِ. فاجْتَمَعَتْ على القرآنِ بذلك كُلُّ تُهمةٍ.

وقد وقع في تصديقِ تُهَمِ المنصّرين والمستشرقين مَنْ رَضِيَ الاستعجالَ، وقَنَعَ بسماعِ عَريضةِ التُّهمةِ، دون أن يبحثَ بِجِدٍّ في خَبَرِ التّاريخِ القديم، ومخالَفَتِهِ لمنصوصِ القرآنِ؛ لِظَنِّهِ أنَّ الوُثوقيّةَ التي أَظْهَرَها خُصومُ القرآنِ، لا يمكن أن تعود إلّا إلى يقينٍ جازمٍ في ما استَنَدُوا إليهِ من دعوى. والعَجَلةُ في تصديقِ التّهمةِ أَمرٌ مُنْكَرٌ؛ فإنّ هذه السِّجالاتِ تُحَرِّكُها في كثيرٍ من الأحيانِ دُوغمائيّاتُ الحَماسِيِّينَ، حتّى وإنْ أَلْبَسُوها ظاهِرًا ثوبَ العِلميّةِ والوفاءِ لِلحقِّ.

وواجِبُنا هنا أن نعرضَ التُّهمةَ كما تبدو على لسانِ أَصحابِها، ونُتْبِعَ التّهمةَ بالنَّظَرِ الجادِّ؛ لِلكشفِ عن حقيقةِ ما قيلَ، ومَبْلَغِهِ من الحقِّ؛ في ضوءِ الدلالاتِ اللُّغويّةِ للقرآنِ، وحقائقِ التّاريخِ.

عالَميَّةُ الطُّوفانِ

الاعتراض:

جاء في القرآنِ أَنَّ طُوفانًا عَالَمِيًّا أَصابَ قومَ نُوحٍ -عليه السَّلام-. وهذا أمرٌ لا يَشْهَدُ له التّاريخُ، ولا يَقْبَلُهُ العِلمُ؛ لأنّ طوفانًا يَغْمُرُ الأَرضَ كُلَّها؛ لا بُدَّ أنْ يُفْنِيَ كلَّ أنواعِ الحياةِ مرّةً واحدةً.

الجواب:

تناولنا تاريخيّةَ نُوحٍ -عليه السَّلام- والطُّوفانَ في غيرِ هذا الكتابِ.[1] وبعيدًا عن مناقشة الجانب العِلميِّ للطُّوفانِ العالَمِيِّ، واحتمال حِفظِ الحياةِ بإرادةِ الله لا السُّنن الطّبيعيّةِ، لا نَجِدُ في القرآنِ نصًّا قاطِعًا في دِلالَتِهِ على عالميّة الطُّوفانِ. ولذلك قال المفسِّرُ ابنُ عطيّةَ (ت 542هـ) في تفسيرِهِ: «المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»: «وقولُهُ تعالى: ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ يقتضي أَنَّهُ أَغْرَقَ قومَ نُوحٍ وأُمَّتَهُ ومُكَذِّبِيْهِ، **وليس في ذلك نصٌّ على أنّ الغَرَقَ عَمَّ جميعَ أهلِ الأَرضِ**».[2]

كما قال الألوسيُّ (ت 1270هـ) في تفسيره «روح المعاني»: «والذي يميلُ القلبُ إليهِ أَنَّ الطُّوفانَ لم يَكُنْ عامًّا- كما قال به البعضُ- وأنّه -عليه السَّلام- لم يُؤْمَرْ بِحَمْلِ ما جَرَت العادةُ بِتَكَوُّنِهِ من عُفُونةِ الأَرضِ كالفَأْرِ والحَشَراتِ، بل أُمِرَ بحمل ما يحتاج إليهِ إذا نجا ومن مَعَهُ من الغَرَقِ لِئَلَّا يَغْتَمُّوا لِفَقْدِه ويتكلَّفُوا مَشَقَّةَ جَلْبِه من الأصقاعِ النائية التي لم يَصِلْهَا الغَرَقُ؛ فكأنّه قِيْلَ: قُلْنَا احْمِلْ فيها من كُلِّ ما تحتاجونه إذا نَجَوْتُمْ زوجَيْنِ اثنَيْنِ».[3]

---

(1) سامي عامري، الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الأركيولوجي، شبهات وردود، الكويت: مركز تكوين، 2021، ص441-467.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ، 4/ 477.

(3) شهاب الدين الألوسي، روح المعاني، 6/ 253.

والاستدلالُ لعالميّةِ الطُّوفانِ بقوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢﴾ (القمر/ 12)، ليس بالقويّ؛ فإنَّ كلمةَ «الأرضِ» في القرآنِ قد تُطْلَقُ للدّلالةِ على أرضٍ مخصوصةٍ، أو بعض الأرض لا كلّها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (يوسف/ 21)، ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (يونس/ 83). والأرضُ في الآيتَيْنِ السّابقتَيْنِ هي مِصْرُ، لا كُلُّ الأرضِ.

ولا يُسْعِفُ قولُ نُوحٍ -عليه السَّلام-: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦﴾ (نوح/ 26) من يرى عالميَّةَ الطُّوفان؛ إذ بالإضافةِ إلى أنَّ «الأرضَ» لا تعني ضرورةً كُلَّ الأرضِ، أُرْسِلَ نُوحٌ -عليه السَّلام- إلى قومِهِ فقط: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١﴾ (نوح/ 1)، فكيف يدعو على أهلِ الأرضِ كُلِّهم بالهلاكِ لأنّهم لم يستجيبوا له؟!

وقد كانت غَضْبَةُ نوح عليه السلام أنّه أَتى كُلَّ بابٍ لِلنُّصْحِ دون استجابةٍ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧﴾ (نوح/ 5-7).[1] ولذلك جاء ذِكْرُ العذابِ مَخْصُوصًا في سورةِ النَّجْم: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ۝٥١ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۝٥٢﴾ (النجم/ 50-52)؛ فالعذابُ لم يشمَلِ البَشَرَ كُلَّهم، وإنمّا أصابَ قومَ نُوحٍ -عليه السَّلام- وَحْدَهُم.

ولا يَنْصُرُ قولُهُ تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝٧٧﴾ (الصافات/ 77) من يرى عالميّةَ الطُّوفانِ؛ إذ الآية تحتمِلُ أكثرَ من توجيهٍ. قال الألوسيّ: «والحَصْرُ في الآيةِ بالنّسبةِ إلى مَنْ في السّفينةِ ممّن عَدَا أولادِهِ وأزواجهم؛ فكأنّهُ قِيلَ: وجعَلْنا ذُرّيّتَهُ هم الباقين لا ذُرِّيَّةَ مَنْ مَعَهُ في السّفينةِ، وهو لا يستلزِمُ عدمَ بقاءِ ذُرِيّةِ مَنْ لم يكن معه، وكان في بعضِ الأقطارِ الشّاسعةِ التي لم تَصِلْ إليها الدّعوةُ ولم يستوجِبْ أَهْلَها الغَرَقُ

---

(1) لا دليل من القرآن أو السنّة أنّ قوم نوح -عليه السَّلام- هم البشر الوحيدون على الأرض قبل الطوفان. ثمّ إن نوحًا -عليه السَّلام- قد عاش أكثر من 950 عامًا، وهو ما يقابل عمر عشرات الأجيال المتعاقبة (الجيل الواحد في حدود 20 سنة)، وفي مثل هذا العدد من السنين يتفرّق الناس -عادة- إلى قبائل كثيرة، ويضطرهم الترحال وحال البداوة إلى الانتقال إلى أراضٍ متباعدة يعمرونها.

كَأَهْلِ الصّينِ فيما يزعمون، ويجوزُ أن تكون قائلة بالعمومِ وتجعلُ الحَصْرَ بالنّسبةِ إلى المُغْرَقين وتلتزِمُ القول بأنّه لم يَبْقَ عَقِبٌ لِأَحدٍ من أهلِ السّفينةِ هو من ذريّةِ أحدٍ من المغرَقين، أي: وجعلنا ذُريّتَهُ هم الباقين لا ذُريّةَ أحدٍ غيرِهِ من المغرَقين».[1] وقال ابنُ عطيّةَ: «وقالت فِرقةٌ: إنَّ اللهَ تعالى أبقى ذُريّةَ نُوحٍ، ومَدَّ نَسْلَهُ، وباركَ في ضِئْضِئِهِ، وليس الأمرُ بأنّ أهلَ الأرضِ انْحَصرُوا إلى نَسْلِهِ، بل في الأُمم مَنْ لا يَرْجِعُ إليه.»[2]

وأمّا الاستدلالُ بما جاء في الحديث أنّ نوحًا هو أوّلُ الرُّسُلِ[3]، فلا يَدُلُّ على عُموم رِسالَتِهِ، وإنّما يدلُّ على أَوَّلِيَّةِ رسالتِهِ؛ فهو أوّلُ رسولٍ، ومَنْ سَبَقُوهُ كانوا أنبياءَ. ولا تَلازُمَ بين أَوَّلِيَّةِ الرسالة وعُمُومِها إلى البَشَرِ.

والنّاظِرُ في الآياتِ القرآنيّةِ لَعَلَّهُ ينتهي إلى إقليميّةِ الطُّوفانِ في القرآنِ؛ لِسَبَبَيْنِ:

أوّلًا: قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ (الإسراء/ 15). قال ابنُ عطيّةَ: «قالتْ فِرقةٌ هي الجمهورُ: هذا في حُكمِ الدُّنيا، أي إنّ اللهَ لا يُهلِكُ أُمّةً بعذابٍ إلّا من بعدِ الرّسالةِ إليهم والإنذارِ».[4] فلا عذابَ لِقومٍ في الدُّنيا -على قولِ جمهورِ المفسرّين- حتّى يُرْسَلَ إليهم رسولٌ. ومعلومٌ أنَّ الرسولَ -ﷺ- قد تَفَرّدَ عن بقيّةِ الأنبياءِ السّابقين له بِعُمومِ الرّسالةِ لجميعِ البَشَرِ، وأمّا بعثةُ مَنْ سَبَقُوهُ فهي محدودةٌ بأقوامِهِمْ، خاصّةٌ بهم.[5] ويلزم ممّا سَبَقَ أنْ تكون عُقوبةُ الطُّوفانِ خاصّةً بقومِ نُوحٍ -عليه السّلام-؛ إذ إنَّ بعْثَتَهُ كانت مخصوصةً بأهلِ منطقةٍ في بلادِ الرّافِدَيْنِ. وقد جاء الخَبَرُ القرآنيُّ في أنّ العقوبةَ كانت بالمكذّبين دون غيرِهم: ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝٧٣﴾ (يونس/ 73).

---

(1) الألوسي، روح المعاني، 12/ 96.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 4/ 477.

(3) حديث الشفاعة، وفيه: «.. فيأتون نُوحًا، فيقولون: يا نُوحُ، أنتَ أوّلُ الرُّسُلِ إلى أهلِ الأرض..» (رواه البخاري، كتاب، باب ذريّة مَنْ حَمَلْنا مع نوح، (ح/ 4527)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجَنّة منزلة فيها، (ح/ 287).

(4) ابن عطية، المحرّر الوجيز، 3/ 444.

(5) قال -ﷺ-: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً». رواه البخاري، كتاب التيمم، باب إذا لم يجد ماءً ولا ترابًا، (ح/ 328)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة في ثوب واحد وصفة لبسه، (ح/ 521).

ثانيًا: قال تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾ (هود/ 48). والأقربُ لِظاهرِ قولِهِ تعالى: ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ أنّ هناك أممًا أُخرى لم يَمَسَّها الطُّوفانُ كانت مُعاصرةً لِنُوح -عليه السَّلام-.

قوم لوط وأسبقيتهم في الشذوذ

الاعتراض:

جاء في القرآن: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (العنكبوت/ 28). والقولُ إنّ قومَ لُوطٍ أَوّلُ من مارسَ اللِّواطَ في العالَمِينَ ليس عليه الدّليلُ، بل اللِّواطُ موجودٌ في الإنسِ قبلَ عَصْرِهِ.

الجواب:

جوابُ هذا الاعتراضِ من وَجْهَيْنِ:

أَوّلًا: لا توجدُ دلالةٌ قاطعةٌ على وُجودِ اللِّواطِ في البَشَرِ في الألفيّةِ الثالثة قبل الميلاد، وما قبلَها. والبَيِّنَة على من ادَّعى. وإذا قام الدليل الحاسم على وجود هذه الظاهرة بين البشر في الزمن القديم، صدّقنا ذلك، دون تردّد.

ثانيًا: خَبَرُ الآية 28 من سورة العنكبوت ليس -ضرورة- في بيان أنّ قومَ لُوطٍ -عليه السَّلام-أَوّلُ مَنْ أتى فاحشةَ اللِّواطِ من الخَلْقِ؛ لثلاثة أسبابٍ:

أ - كلامُ لُوطٍ -عليه السَّلامُ-، يُفَسِّرُ بعضُه بعضًا؛ فإنّ للآيةِ السابقةِ تَتِمَّةً؛ إذ يقول لُوطٌ: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ﴾؛ فالفاحشةُ التي لم يُسْبَقْ قومُ لُوطٍ -عليه السَّلام-إليها هي مُنْكَراتٌ مُجْتَمِعَةٌ: الشُّذوذُ وقطعُ السَّبيلِ وإتيانُ المُنْكَرِ في نادِيْهِم.

ب - إنكارُ لُوطٍ -عليه السَّلام- على قومِهِ إتيانَ الرّجالِ، يحتمل أنّه من جهةِ المجاهرةِ بهذا الفِعلِ القبيحِ، والإسراف فيه؛ حتّى صار طابعًا للقومِ؛ فقد تَرَكُوا النّساءَ، وزَهِدُوا فيهنَّ، وصاروا كُلُّهم إلى اشتهاءِ الذُّكُورِ.

ت- سَبْقُ العالمين في القرآنِ، قد يُقْصَدُ به سبق أهلِ عصرِ المتحدِّثِ دون غيرِهم؛ فقد روى الطبريُّ عن التّابعيِّ مجاهدٍ في تفسيرِ قولِهِ تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ

أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ إنّ العالَمِيْنَ هنا أَهْلُ عصرِ موسى -عليه السَّلام-: «يعني: أهلَ ذلك الزّمانِ».[1] وقال ابن تيمية: «وقد يُراد بالعالمين أهل زَمَنٍ واحدٍ، كما في قولِهِ: ﴿ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ (الدُّخَان/ 32).»[2]

(1) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 8/ 282.

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ/ 1995م، 4/ 367.

دَرَاهِمُ في عصرِ يُوسفَ النبيّ

الاعتراض:

جاء في القرآنِ: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ ۖ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ (يوسف/ 19-21).

والشّهادةُ أنّ النّاسَ زمن النبيِّ يُوسفَ كانوا يتعاملون بالعُمْلاتِ المعدنيّةِ (الدّراهم)، باطِلٌ تاريخيًّا؛ إذ لم تَظهر العُملات النقديّة إلّا في الألفيّةِ الأولى قبل الميلاد. ووَصْفُ هذه الدّراهم أنّها معدودةٌ، مؤكّدٌ أنّ النصَّ القرآنيَّ يتحدّث عن عُملاتٍ نقديّة.

الجواب:[1]

أوّلًا: الدِّرهمُ عند العرب زمنَ البعثةِ كُلُّ عُمْلةٍ فِضِّيّةٍ، أو مِقْدارُ وَزْنٍ. وفي ذلك تقولُ «الموسوعة الإيرانيّة»: «دِرْهَمْ:... وَحْدةٌ من العُمْلات الفضّيّةِ، ووحدةٌ لِلوَزْنِ... بالنسبةِ للمسلمين في العصرِ الكلاسيكيِّ، كانت كلُّ عُمْلةٍ فضّيّةٍ تُعَدّ درهمًا، وكان الدّرهمُ أيضًا وَحْدةً نقدِيّةً قد تمثّل أو لا تُمثّل بعملة متداولةٍ. الدّرهمُ أيضًا وَحْدةُ وَزْنٍ صغيرة لا تُساوي عادةً وزن الدّرهم النّقديّ».[2]

وهو ما جاء أيضًا في «موسوعةِ الإسلام» الاستشراقيّة: «درهم: 1 - اسمٌ لِوَزْنٍ مُشتقّ من اليونانيّةِ δραχμν ... - 2 الوَحْدةُ الفِضّيّةُ في النّظام النقديّ العربيّ منذ ظهور الإسلامِ وصولًا إلى العصرِ المغوليّ».[3]

---

(1) أفدت في هذا الجواب، من بحث:
Islamic Awareness, Dirham" In The Time Of Joseph?, 7th April 2006.
< https://www.islamic-awareness.org/quran/contrad/external/dirham>.

(2) "Dirham" in E. Yarshater, ed. *Encyclopædia Iranica*, Volume VII, Mazda Publishers: Costa Mesa, 1996, pp. 424-426.

(3) G. C. Miles, "Dirham" in B. Lewis, Ch. Pellat and J. Schacht, eds. *Encyclopaedia of Islam* (New Edition), 1965, Volume II, E. J. Brill , 1965, p. 319.

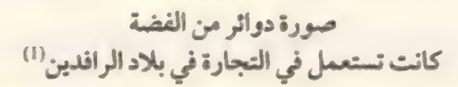
والنّاظرُ في القصّةِ التوراتيّةِ في شأنِ ثَمَنِ بيعِ يُوسفَ -عليه السَّلام-، يرى أنّ ثَمَنَ يوسفَ كان عشرين قطعةً من الفِضّةِ: «وَاجْتَازَ رِجَالٌ مِدْيَانِيُّونَ تُجَّارٌ، فَسَحَبُوا يُوسُفَ وَأَصْعَدُوهُ مِنَ الْبِئْرِ، وَبَاعُوا يُوسُفَ لِلإِسْمَاعِيلِيِّينَ بِعِشْرِينَ مِنَ الْفِضَّةِ. فَأَتَوْا بِيُوسُفَ إِلَى مِصْرَ.» (تكوين 37/ 28). فهذه الفضّة، قد جاء التّعبيرُ عنها في القرآن بما عَهِدَهُ العربُ: دراهم.

ثانيًا: كانت المعادنُ النّفيسةُ في الأمم السّالفةِ تُستعمَلُ للتّبادلِ التّجاريِّ. وطريق استعمالِ هذه العُمْلات يكون بوَزْنها. فيُقال إنّ ثَمَنَ كذا، عَدَدُ كذا من الوزنات الذهبيّة أو الفضيّةِ. وهو ما نجدُ صَداهُ في سِفرِ التكوين 23/ 14-16: «فَأَجَابَ عِفْرُونُ إِبْرَاهِيمَ قَائِلًا لَهُ: «يَا سَيِّدِي، اسْمَعْنِي. أَرْضٌ بِأَرْبَعِ مِئَةِ شَاقِلِ فِضَّةٍ، مَا هِيَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ؟ فَادْفِنْ مَيْتَكَ». فَسَمِعَ إِبْرَاهِيمُ لِعِفْرُونَ، وَوَزَنَ إِبْرَاهِيمُ لِعِفْرُونَ الْفِضَّةَ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي مَسَامِعِ بَنِي حِثَّ. أَرْبَعَ مِئَةِ شَاقِلِ فِضَّةٍ جَائِزَةٍ عِنْدَ التُّجَّار». و«شاقل» وحدة قديمة، من الفعل السّامِيِّ «شقل» المعبِّرِ عن الثّقلِ، والكلمة تُقابِلُ تَأْثِيلِيًّا في العربيّةِ «ثقل». وهذه الكلمةُ، تُعبِّرُ عن الوزنِ أو العُمْلةِ، وهي معروفةٌ منذ الألفيّةِ الثالثة قبل الميلاد في بلاد الرافدين كَوَزْنٍ من الأوزانِ.[1] وقد جاء الحديث عن هذا المبلغِ في قصّةِ إبراهيم -عليه السَّلام- بكلمة «وَزْنٍ» دلالةً على طريقِ معرفةِ قِيْمَتِها، وبالعَدَدِ (أربع مئة) دلالةً على عَدَدِ الأوزانِ.

والتّعبيرُ عن الثَّمَنِ بعددِ الوزناتِ موجودٌ أيضًا في العهدِ الجديد؛ فنقرأُ مثلًا في إنجيلِ متّى 25/ 15: «فَأَعْطَى وَاحِدًا خَمْسَ وَزَنَاتٍ، وَآخَرَ وَزْنَتَيْنِ، وَآخَرَ وَزْنَةً. كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ. وَسَافَرَ لِلْوَقْتِ». كلمة «وزنة» هنا هي «τάλαντον»، وهي تعني وزنًا، ويختلِفُ هذا الوزنُ من بلادٍ إلى أُخرى ومن زمنٍ إلى آخرَ، أو هو مبلغٌ من المالِ يُساوي وَزْنةً ما. ولذلك فالتّعبيرُ عن الثَّمَنِ بعددِ وزناتِ الفضّة ليس مُنْكَرًا، خاصّةً أنّ

(1) Mary Ellen Snodgrass, *Coins and Currency: An Historical Encyclopedia*, Jefferson: McFarland & Company, Incorporated Publishers, 2019, p.281.

الفضّةَ كانت تُحفَظُ غالبًا في شكلِ دوائرَ، وربّما كان حِفْظُها في هذا الشّكلِ مُراعِيًا لوزن كلّ وَحدة.



صورة دوائر من الفضة
كانت تستعمل في التجارة في بلاد الرافدين[1]



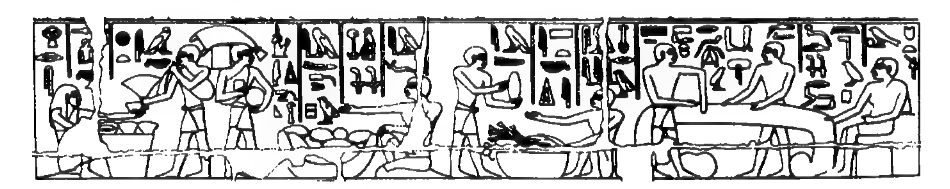
ويُخبرنا عالم المصريّات كنث كتشن عن ثمنِ العَبِيدِ في مصرَ القديمةِ، بقولِهِ: «كان سعرُ العبيدِ بالشّاقل (شيكل) الفِضّيّ. نحن نعلم من مصادرِ الشرقِ الأدنى القديمة سعرَ العبيدِ ببعض التفاصيلِ لفترةٍ تدومُ حوالي 2000 سنة، من 2400 ق م حتى 400 ق م. في عهدِ إمبراطوريّةِ أكاد (2371-2191 قبل الميلاد)، كان العبدُ اللّائقُ يُقتنى بـ 10-15 شاقلًا فضيًّا، على الرغم من انخفاضِ السّعر قليلًا إلى 10 شاقلات خلالَ سُلالة أُورَ الثالثة (2113-2006 قبل الميلاد). في الألفية الثانية قبل الميلاد، خلال الفترة البابليّةِ المبكّرة، ارتفعَ سعرُ العبيدِ إلى حوالي 20 شاقلًا، كما هو معلومٌ من قوانين حمورابي ووثائقِ من ماري وأماكن أُخرى من القرنين التاسع عشر والثامن

(1) M. A. Powell, "A Contribution to the History of Money in Mesopotamia Prior to the Invention of Coinage" in B. Hruška & G. Komoróczy, *Festschrift Lubor Matouš* - II, 1978, 1978, Assyriologia V, Budapest, Plate II A, p. 240.

عشر قبل الميلاد. بحلول القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد، ارتفع السِّعرُ في نوزي وأوغاريت إلى 30 شاقلًا وأحيانًا أكثر من ذلك. بعد خمسمائةِ سنةٍ، كانت أسواقُ العبيدِ الآشوريّةُ تطلُبُ من 50 إلى 60 شاقلًا ثمنًا للعبيدِ. وفي الإمبراطورية الفارسيةِ (القرنان الخامس والرابع قبل الميلاد)، أدّى التضخُّمُ المرتفعُ إلى ارتفاعِ الأسعارِ إلى 90 و120 شاقلًا».[1]

ثالثًا: هناك قرائنُ على استعمالِ العُمْلةِ النّقديّةِ في الألفيّةِ الثانيةِ قبلَ الميلادِ في مصرَ؛ فإنّ الآثارَ القديمةَ تشير إلى معاملات ماليّةٍ، يُدفع فيها بالـ«شت» والـ«دِبن» على صورةِ فِضّةٍ وغيرِها. وقد كانت هذه العُمْلاتُ تُعَدُّ ولا تُوزَنُ. ومن ذلك ما جاء في قبرِ ني عنخ خنوم وخنوم حتب بمنطقةِ سقارة، وهما موظّفان كبيران عاشا في القرن 25 قبل الميلاد. فقد جاءت في واحدةٍ من الصُّورِ في المقبرةِ صورةُ بائِعَيْنِ يحملان ملابسَ للبيعِ، ومكتوب: «...أذرع من القماش مقابل 6 شت».[2]

صورة البائعين (على اليمين)
قبر ني عنخ خنوم وخنوم حتب[3]



كما جاء في نُصْبِ الكرنكِ للملكةِ أحمس نفرتاري التي عاشت القرنَ السادس عشر قبل الميلاد، في زمن قريبٍ جدًّا من زمنِ يُوسفَ -عليه السَّلام-، نصٌّ عن أنّ 1010 شت يساوي «ذهب: 160، فضة: 250، نحاس:...»[4]

(1) Kenneth Kitchen, "The Patriarchal Age: Myth or History?" in *Biblical Archaeology Review* 21.2 (1995): 48, 50, 52-57, 88, 90, 92, 94. <https://www.baslibrary.org/biblical-archaeology-review/21/2/3>.

(2) A. M. Moussa & H. Altenmüller, Das Grab Des Nianchchnum Und Chnumhotep, 1977, Archäologische Veröffentlichungen, 1977, p.85.

(3) Ibid., 24-25

(4) T. Logan, "The Jmyt-pr Document: Form, Function, And Significance", in *Journal of the American Research Center in Egypt*, 2000, Volume 37, 63.

وقد انتهى عالم المصريّاتِ ياروسلاف تشرني Jaroslav Černý إلى أنّ الـ«شت» «كانت قطعةً معدنيّةً مستديرةً مُسطّحةً تساوي 1/ 12 دبن، أي حوالي 7.6 جرام وَزْنًا، وربما مع نقشٍ يُشيرُ إلى هذا الوزن أو اسم الجِهةِ المصدرةِ له... وإذا كان الأمر كذلك، فـ«القطعةُ» كانت عَمَليًّا عُمْلة coin».[1]

وخلاصة الجواب، هو أنّ الخبر القرآني عن الدراهم زمن يوسف عليه السلام ليس مستنكرًا من الناحية التاريخية؛ سواء قلنا إنّ الدرهم هنا هو: وزنة من فضّة أو عملة نقديّة فضيّة؛ **فالدرهم في العرف العربي زمن البعثة يشمل المعنيين السابقين.**

(1) J. Černý, "Prices and Wages in The Ramesside Period", in *Journal of World History* (Cahiers D'Histoire Mondiale), 1954, Volume 1, No. 4, p. 912.

سنوات مجاعة مصر

الاعتراض:

جاء في قصّةِ النبيِّ يُوسفَ -عليه السَّلام- في القرآن إخبارُ هذا النبيّ الملكِ أنّ مصرَ ستصيبُها مجاعةٌ لسبعِ سنين. وهو ما جاء أيضًا في «لوحةِ المجاعةِ» عن سبعِ سنواتِ قحطٍ في مصر في عصرِ الفرعونِ زوسر.

الجواب:

أوّلًا: «لوحةُ المجاعةِ» «Famine Stela»، أثَرٌ تاريخيٌّ كُتِبَ على قطعةِ غرانيت كبيرةٍ بالهيروغليفيّةِ. وهي موجودةٌ في جزيرةِ سهيل جنوبي مدينة أسوان. وقد نقل كريستوفر رولستون -المتخصّصُ في النُّقوشِ القديمةِ- الإجماعَ على أنّ هذه اللَّوحةَ مُزَيَّفةٌ forgery لا تعود إلى عصرِ الفرعونِ زوسر (الألفية الثالثة قبل الميلاد) الذي تَدَّعِي أنّها قد كُتِبَتْ في عَصْرِهِ.[1]

وعامّةُ العُلماءِ على أنّ هذه اللَّوحةَ قد كُتِبَت في عصرٍ متأخّرٍ جدًّا، في العصرِ البَطْلَمِيِّ في القرونِ الميلاديّةِ الثلاث الأخيرةِ.[2] وهي بذلك متأخّرةٌ بِقُرونٍ عن زمنِ يوسفَ -عليه السَّلام- وزمن تأليفِ التّوراةِ اليهوديّةِ (سِفرِ التّكوين). ولا يُحتَجُّ بالمتأخّرِ على المتقدِّمِ في دعوى الاقتباسِ.

ثانيًا: ليس في «لوحةِ المجاعةِ» من مشابهةٍ لقصّةِ يوسفَ -عليه السَّلام- الغنيّةِ بالفصولِ والتّفاصيلِ، سوى ظهورِ القحطِ لسبعِ سنواتٍ في مصر. وليس بعد ذلك أيُّ تَشَابُهٍ؛ فلا نجِدُ قصّةَ السّجينِ، ولا المنامِ بتفاصيلِهِ، وتأويلاته، ولا سنواتِ الرَّخاءِ قبلَ القحطِ... فقصّةُ هذه اللّوحةِ أنّ مصرَ قد أُصِيبَتْ بسبعِ سنين من القحطِ والاضطرابِ الاجتماعيِّ، وإثرَهَا ظَهَرَ الإلهُ خنوم في منامٍ لِلفرعونِ ووَعَدَهُ بإنهاءِ القحطِ، ووَصَفَ

(1) Christopher Rollston, "Forging history: from antiquity to the modern period", in Matthew T. Rutz, Morag Kersel, eds. *Archaeologies of Text: Archaeology, Technology, and Ethics*, Oxford: Oxbow Books, 2014, p.180.

(2) Gnuse, *Dreams and Dream Reports in the Writings of Josephus*, Leiden, Brill, 2018, p.66.

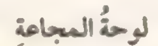
له طريقَ بناءِ المعبدِ. ولِشُكْرِ نِعمةِ خنوم قامَ الفرعونُ بإعادةِ بناء المعبدِ في جزيرة إلفنتين.

وخلاصةُ القِصّةِ[1] «أنّه حدثَ في العام الثامن عشر من حُكمِ الملك زوسر وفي أيّامِ الحاكمِ مادير رئيس معابدِ الجنوب وأميرِ النُّوبيّين في آبو، أنْ زادَ ضِيقُ البلادِ بعد أنْ عَزَّ الفيضانُ عليها سبعَ سنين، فَقَلَّت الحبوبُ وتَضاءَلَت المحاصيلُ، واستشعرَ شُيوخُ البلادِ وشبابُها وأطفالُها آلامَ المجاعةِ. حتى الملكُ نفسُه لَحِقَهُ الهمُّ وأرادَ أن يَتَحَرَّى الأُصولَ والأسبابَ لما لَحِقَ ببلدِهِ من بلاءٍ، فاستدعى رئيسَ الكَهَنةِ المرتّلِين إيمحوتب وطلب إليه أن يتعرّفَ على مَنْبَعِ النَّهرِ والإلهِ الذي يجمعُ ماءَهُ. فاختَلى إيمحوتب بمخطوطاتِه، وعاد إلى الملكِ يخبِرُهُ بأنّ ثمّةَ قريةً تُسيطِرُ على النَّهرِ والنَّبعِ تُسمّى آبو، تُعَدُّ بدايةَ البدايةِ وحاضرةَ الإقليمِ الأوَّلِ، وعندها يوجد المنْبَعان اللّذان يَصْدُرُ عنهما كُلُّ خيرٍ، وهي المهدُ الذي ينشأُ الفيضانُ عنده ويتَجَمَّعُ. ولما سمع زوسر هذه الفتوى سارَعَ بتقديمِ الأضاحي والقرابين لأربابِ وربّاتِ آبو (أسوان الحالية وإن اقتصر اسمُها بعد ذلك على جزيرة أسوان). غير أنّه لمَّا جَنَّ الليلُ عليه، رأى فيما يرى النَّائِمُ الإلهَ ختوم مُشَكّلِ البَشَرِ من صَلْصالٍ يُحَدِّثُهُ جهرةً، ويقول له: «أنا ختوم خالِقُكَ، أنا مَنْ يُرسِلُ يديهِ من ورائِكَ لِأَكْفلَ لكَ التّأييدَ وأَهَبَ بَدَنَكَ العافيةَ. أنا الذي أَوْجَدَ اليابسةَ، ووَهَبَكَ أحجارَ الجرانيت منذُ القِدَم؛ فشادَ النَّاسُ بها المعابدَ وجَدَّدُوا بها المُنْهَدِمَ، أنا نونُ العظيمُ الموجودُ منذُ الأَزَلِ، أَنا الفَيَضانُ الذي يرفعُ حينما يشاءُ. ولما أفاقَ الملِكُ أَيْقَنَ بأنّ صاحبَ السّيطرةِ على منطقة أبو هو «خنوم» دون سواهُ، وأَمَرَ بأنْ تُوْقَفَ بعضُ خيراتِ المنطقةِ لِصالِحِهِ وَحْدَهُ، وأن يُجْعَلَ لمعبده الحقُّ في الحصول على العُشْرِ من صيدِ السَّمَكِ والطُّيُورِ وأعمالِ المحاجِرِ والمتاجِرِ بمنطقتِهِ. وأصدرَ مرسومًا خاصًّا يُحَدِّدُ دائرةَ نفوذِ الإلهِ خنوم، وخاطَبَهُ فيه قائلًا: «جعلتُ حَدَّكَ الغربيَّ جبالَ مانون، وحدَّكَ الشرقيَّ جبال بخت، من آبو إلى المحرقةِ اثني عشر

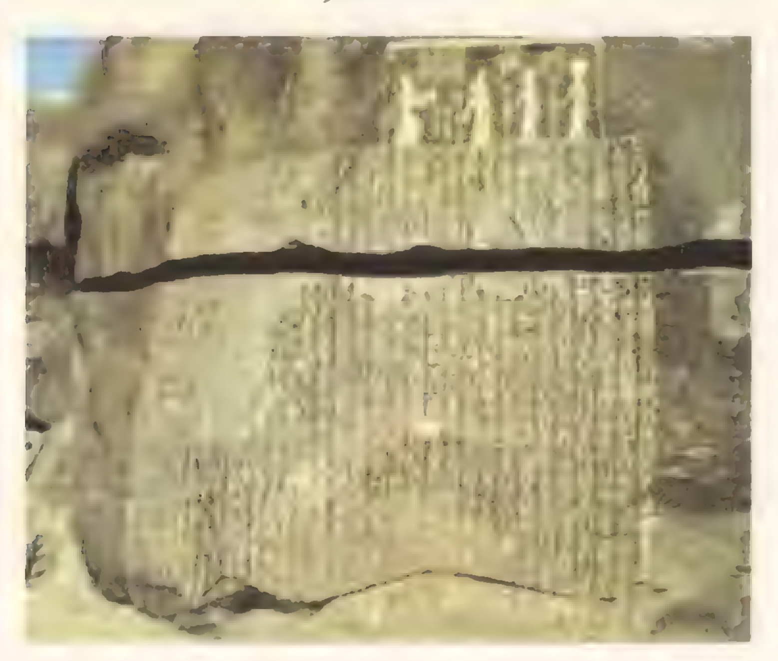
(1) ترجم عالم المصريات الفرنسي بول برجيه نصّ النقش، مع هوامش تفسيرية للكلمات الهيروغليفية: .
Paul Barguet, *La stèle de la Famine, à Séhel*, Caire: Imprimerie de l'Institut français d'archéologie orientale, 1953.

فرسخًا، بما في ذلك الضفة الشرقية والضفة الغربية، من أراضي الزراعة ودروب الصحراء ومجرى النهر وكل مكان يقع في دائرة الفراسخ المذكورة آنفًا».[1]

ثالثًا: رقم «سبعة» يتكرَّرُ كثيرًا في القصصِ القديمة؛ لِرَمْزِيته على الكثرةِ غيرِ الفاحشةِ. ولم يكنْ لِلقصّةِ أَنْ تَذْكُرَ كثرةً فاحشةً؛ لأنَّ هذه القَصةَ قد جاءت لبيانِ أنَّ المجاعةَ آذَتِ النَّاسَ ولم تُبِدْهُم، ولم تُلْجِئْهُم إلى الهجرةِ؛ ولذلك فالكثرةُ التي تليقُ بهذا الأمرِ، دون عشرِ سنواتٍ.



لوحةُ المجاعةِ



(1) عبد العزيز صالح، الشرق الادنى القديم مصر القديمة، مكتبة الأنجلو المصري، 2006، ص150-151.

قِصّةُ يُوسفَ وقِصّةُ الأَخَوَيْنِ

الاعتراض:

جاء في القرآنِ خَبَرُ مُراودةِ زوجةِ عَزِيْزِ مِصْرَ للنبيِّ يُوسفَ -عليه السَّلام-. وهي قِصّةٌ غيرُ تاريخيّةٍ، مُقْتَبَسةٌ من القِصّةِ المصريّةِ «قصّة الأَخَوَيْنِ» «Tale of Two Brothers» التي تعودُ إلى عصرِ الفرعونِ سيتي الثاني الذي حكَمَ من 1200 إلى 1194 ق.م.

الجواب:

دعوى اقتباسِ قصّةِ سِفرِ التّكوينِ من «قصّة الأَخَوَيْنِ» خَبَرَ يُوسفَ -عليه السَّلام- مع زوجةِ مَنْ اشْتَرَاهُ في مصرَ، ادَّعاها بعضُ الكُتّابِ ممّن لهم نُزوعٌ غالٍ لإثباتِ مُطابقةِ كُلِّ قَصَصِ التّوراةِ لِقصصِ السّابقين. وعامّةُ النقّاد على أنّه لا علاقةَ لِقِصّةِ يُوسفَ -عليه السَّلام- بقصّةِ الأَخَوَيْنِ؛ إذ ليس بين القِصَّتَيْنِ من تَشَابُهٍ حقيقيٍّ سوى إغواءِ امرأةٍ لِرَجُلٍ؛ وهو تشابُهٌ لا يُمكِنُ أن تُقامَ عليهِ أُطروحةُ التّشابُه.

وخلاصةُ القصّةِ أَنَّ أَخَوَيْنِ اسمُهُما أنبو [أنوبيس] وباتا، كانا يعيشان معًا، ويتعاونان في الزّراعةِ وتربيةِ الأغنام. قامتْ زوجةُ أنبو يومًا بمحاولةِ إغواء باتا، ولما امْتَنَعَ عنها باتا، أَبْلَغَتْ زَوْجَها أَنَّ أَخاهُ قد تَحَرَّشَ بها وضَرَبَها لمّا لم تَسْتَجِبْ له. اغتاظَ أنبو، وحاول قتلَ أَخِيهِ الذي قَرَّرَ الهَرَبَ. دعا باتا الإلهَ رع-حوراختي أن يُنْقِذَهُ. واستجاب الإلهُ دعاءَهُ؛ فخَلَقَ بين الأَخَوَيْنِ بحيرةً مملوءةً تماسيحَ؛ وهو ما أتاح لباتا أن يُبْلِغَ أخاه القِصّةَ الحقيقيّةَ، من بعيدٍ. ولتأكيد براءَتِهِ قام بِقَطْعِ عُضوِهِ التّناسُلِيِّ، ورَمَاهُ في الماء. وقال لأَخِيهِ إنّه مسافِرٌ إلى وادي الأرز حيث سَيَضَعُ قَلْبَهُ فوقَ شَجَرةِ أرزٍ؛ حتّى إذا وَجَدَ أَخُوهُ قلبَهُ عادتْ إلى باتا الحياةُ. وعندها أَدْرَكَ أنبو حقيقةَ فِرْيَةِ زَوْجَتِهِ، فَقَتَلَها.

بنى باتا لنفسِه بيتًا، وأَكْرَمَتْهُ الآلهةُ بزوجةٍ جميلةٍ، ولكنّ جَمَالَ هذه الزّوجةِ كان سَبَبًا لبحثِ الفرعونِ عنها. ولمّا وَجَدَها أَخَذَها إلى قَصْرِهِ. وعندما أَخْبَرَتْهُ عن الشَّجَرةِ التي وَضَعَ زوجُها عليها قَلْبَهُ، قام الفرعونُ بِقَطْعِها؛ فماتَ باتا.

خرجَ أنبو باحثًا عن وادي الأرز الذي يمكُثُ فيه أَخُوهُ، وبعد جهدٍ وصَبْرٍ، وجدَ قَلْبَ أَخِيهِ؛ فقام بوضْعِهِ في إناءٍ باردٍ كما هي وَصِيَّةُ أَخِيهِ؛ فعاد باتا إلى الحياةِ، وتَشَكَّلَ في صُورةِ ثَوْرٍ، ودخلَ قصرَ الفرعونِ ليرى زَوْجَتَهُ. ولمّا أَدْرَكَتْ زوجتُهُ أَمرَهُ، طَلَبَتْ من الفرعون أن تأكلَ كَبِدَ هذا الثّورِ. وعندما ذُبِحَ الثَّورُ؛ سقَطَتْ منهُ قطرتان من الدَّمِ، فَنَبَتَتْ منهما شَجَرتان. وكان باتا أَحَدَ الشَّجَرَتَيْنِ. وعندها طَلَبَتْ زوجةُ باتا من الفرعونِ أنْ يَقْطَعَهُما لِيَصْنَعَ منهما أَثاثًا. ولمّا قَطَعَهُما، دَخَلَتْ قِطعةُ خَشَبٍ فَمَ الزَّوْجَةِ، فَصَارَتْ حُبْلى، ثمّ أَنْجَبَتْ ولدًا صار وَلِيًّا للعهدِ؛ وهو باتا نفسُه. ولمّا مات الفرعونُ، خَلَفَ باتا الفرعونَ في الحُكم، ونَصَّبَ أنبو وليًّا للعهدِ. وانتهت القصّةُ نهايةً سعيدةً؛ باجتماعِ الأَخَوَيْنِ مَرَّةً أُخرى.[1]

دعوى الاقتباسِ هنا، مَرْدُودةٌ من أَوْجُهٍ:

أَوّلًا: خَبَرُ الإغواءِ في قِصّةِ الأَخَوَيْنِ لم يأْخُذْ من القِصّةِ المصريّةِ سوى 30 سطرًا من القصّة التي يبلُغُ حَجْمُها 330 سطرًا في ترجمة غاردينر.[2]

ثانيًا: الخلافُ بين القِصَّتَيْنِ ظاهِرٌ في كلِّ شيءٍ: في الأبطالِ، وأسمائِهِم، وترتيبِ الأحداثِ، وفُصُولِ القِصّةِ، وتداعياتها، والحِكْمةِ من ورائها، وعلاقةِ الخَبَرِ بالنّبوّةِ... كما أَكّدَتْ عالمةُ المصريّاتِ سوزن ت. هوليس Susan T. Hollis في مقارنةٍ بين خَبَرِ يُوسفَ -عليه السّلام- وقصّةِ الأَخَوَيْنِ أنّ القِصّةَ التّوراتيّةَ تدورُ حول طبائعَ بَشَرِيّةٍ وتمجيدِ الربِّ الواحِدِ، في حين أَنَّ قصّةَ الأَخَوَيْنِ تَتَعَلَّقُ بالآلهةِ، وإن كانت آلهةً تعيشُ على الأرضِ في صُورةِ بَشَرٍ.[3]

ثالثًا: قِصّةُ إِغواءِ زوجةِ العزيزِ للرجلِ المملوكِ لزوجها لا تُشابِهُ قِصّةَ إِغواءِ المرأةِ لأخي زَوْجِها؛ فهناك اختلافٌ في الأطرافِ، والعلاقةِ بينهم، وردّة فِعلِ المتَّهَمِ والزَّوجِ...

---

(1) Susan T. Hollis, *The Ancient Egyptian "tale of Two Brothers": A Mythological, Relgious, Literary, and Historico-political Study*, Bannerstone Press, 2008.

(2) Hoffmeier, *Israel in Egypt*, p.80

(3) Ibid.

رابعًا: أَمرُ إِغواءِ امرأةٍ لِرَجُلٍ في مصرَ (وغيرها) ليس من النّوادِرِ التاريخيّةِ التي تَدْفَعُ القارئَ للرَّبْطِ بين القصص المختلفةِ.

خامسًا: من أَعْجَبِ الأُمورِ في دعوى التّشابُهِ هذه، أن يُقالَ باقتباسِ سِفرِ التّكوينِ من نصٍّ يعودُ إلى زمنٍ قريبٍ أو مُطابقٍ لِعصرِ موسى -عليه السَّلام-. **ووجْهُ العَجَبِ هو أنّ عامة دعاوى المطابقةِ تقومُ على أَنَّ سفرَ التّكوينِ كلّه ملّفق، وأنّه قد أُلِّفَ بعد قرابةِ خمسةِ قُرونٍ أو أكثرَ من زمنِ موسى -عليه السَّلام-**، وأنّ كلَّ ما في هذا السفر أساطيرُ كُتِبَتْ في فلسطينَ القديمةَ. والقولُ إنّ سِفرَ التّكوينِ قد اقتبسَ من «قِصّةِ الأَخَوَيْنِ» خَبَرَ يُوسفَ -عليه السَّلام-، لَزِمَ منه أنَّ سِفرَ التّكوينِ قد أُلِّفَ في عَصْرِ موسى -عليه السَّلام-؛ وبذلك تَصِحُّ نِسبةُ هذا السِّفْرِ إِليهِ!

بَرْدِيَّةُ قِصّةِ الأَخَوَيْنِ
المتحفُ البريطانيُّ

الصَّلْبُ في زَمَنِ الفَراعِنةِ

الاعتراض:

جاء في القرآن أنّ فرعونَ قال لِلسَّحَرةِ الَّذين آمنوا بموسى (-عليه السَّلام-): ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾ (طه/ 71). والمنسوب هنا إلى فرعونَ لا يَصِحُّ تاريخيًّا؛ إذ إنّ القَتْلَ صَلْبًا لم يُعْرَفْ عقوبةً للمجرمين إلّا بعد قرونٍ من عَصْرِ موسى -عليه السَّلام-.

الجواب:[1]

جوابُ الاعتراضِ الذي يُقَرِّرُ أَنَّ الصَّلْبَ لم يكن معروفًا زمنَ فرعونِ موسى -عليه السَّلام-، كامِنٌ في معرفةِ معنى «الصَّلْبِ» والصَّلِيْبِ»، ثم ربطُ ذلك بالعقوبات الجنائيّةِ زمن الفراعنةِ. وهو ما سنتناوله في النّقاطِ التالية:

أَوّلًا: كلمةُ صَلْبِ وصَلِيْبِ وَرَدَتا بالحروفِ نفسِها في التُّراثِ السّريانيِّ والآراميِّ السّابقِ للبعثةِ: «صلب» «صليبا». وإذا سَلَّمْنا مع آرثر جفري أنّ أَصْلَ «صلب» القرآنيّةَ من اللِّسانِ الآراميِّ والسّريانيِّ[2]؛ فَعَلَيْنا عندها أن نبحثَ في معناها في ذاك التُّراثِ أو الأَصلِ الذي استقى منه ذاك التُّراثُ المعنى.

صليبٌ في الآراميّةِ: استُعْمِلَتْ كلمة «צְלִיבָא» (صْلِيبا) في ترجوم أنقلوس תַּרְגּוּם אֻנְקְלוֹס -الذي يعود إلى ما قبل البعثةِ المحمّديّةِ-، في مقابلِ كلمةِ خَشَبةٍ في نصِّ تثنية 21/ 22: «وَإِذَا كَانَ عَلَى إِنْسَانٍ خَطِيَّةٌ حَقُّهَا الْمَوْتُ، فَقُتِلَ وَعَلَّقْتَهُ عَلَى خَشَبَةٍ». فَدَلَّ ذلك على أنّ كلمةَ صَلِيْبِ تُطْلَقُ على الخَشَبةِ (وغيرِها). عِلْمًا أنّ الكلمةَ المقابلةَ لِفِعْلِ «تَعَلَّقَ» في هذا النصِّ في ترجوم أنقلوس هي «תִצְלוֹב» (تِصلوب). وقد عَلَّقَ

---

(1) أفدت في هذا الجواب من البحث التالي:
Islamic Awareness, Crucifixion Or ‘Crucifiction’ In Ancient Egypt?, 23rd January 2009
< https://www.islamic-awareness.org/quran/contrad/external/crucify.html>.
(2) Arthur Jeffery, *The Foreign Vocabulary of the Qur'an*, p.197.

صاحبُ مُعجم عِبْرِيَّةِ التّوراةِ -الأشهر- جزنيوس على عبارةِ «عَلَّقَ على خَشَبةٍ» في النصِّ العبريِّ لسفرِ التّثنية 21/ 22 وتكوين 40/ 19 (حيث تفسيرُ يُوسفَ -عليه السَّلام- حُلْمَ السّجِينِ الذي معه، وأنّه يُعَلَّقُ على خَشَبةٍ)، وإستير 7/ 10 و5/ 14 أنّنا هنا إزاء تعبيرٍ يُقصد به «تعليقُ المرءِ على عَصا».[1]

كما جاءت كلمة «צְלִיבִין» [صْلِيبين] بمعنى صلبان كمقابل لكلمة «أخشاب» في ترجوم يوناثان في ترجمتِهِ الآراميّةِ لنصِّ يشوع 10/ 26: «وَضَرَبَهُمْ يَشُوعُ بَعْدَ ذلِكَ وَقَتَلَهُمْ وَعَلَّقَهُمْ عَلَى خَمْسِ خَشَبٍ».

وجاء في التّلمودِ الفلسطينيِّ[2]: «هات العَصا» «אייתי לצליבה» [إيتي لصليبا].

صليب في السريانيّةِ: كلمةُ «ܨܠܝܒܐ» [صليبا] السريانية تُستخدَمُ في ترجمةِ البشيطا كمقابلٍ لكلمةِ خَشَبةٍ اليونانيّةِ في العهدِ الجديدِ في نصِّ الرّسالةِ الأُولى لبطرس 2/ 24: «الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ ܠܨܠܝܒܐ (لَصليبَا)»...

صليب في اليونانيّةِ: كلمةُ «صليب» في يونانيّةِ العهدِ الجديدِ هي «σταυρὸν» [ستورون]. وتعريفاتُ المعاجم تدلُّ على أنّ المعنى الأوّليَّ للكلمةِ، «عَصا»:

جاء في مُعجمِ الكتابِ المقدّسِ The Illustrated Bible Dictionary: «تعني الكلمةُ اليونانيّةُ المقابِلةُ «للصّليبِ» (stauros ؛ فعل stauroo ؛ لاتينية crux، crucifigo، «أنا أربطُ إلى الصَّلِيبِ») في المقامِ الأوّلِ وَتَدًا عَمُودِيًّا أو عارِضةً، وفي المقامِ الثّاني تعني العَصا أو العارِضةَ المستخدمةَ أداةً لِلعِقابِ والإِعدامِ».[3]

وجاء في مُعجمِ الكتابِ المقدّسِ Vine's Expository Dictionary Of New Testament Words: تشير كلمة Stauros في المقامِ الأوّلِ إلى»وَتَدٍ عَمُودِيٍّ أو عَصا» عليه يُسَمَّرُ المجرمون للإِعدامِ».[4]

(1) Gesenius, *Gesenius's Hebrew and Chaldee Lexicon to the Old Testament Scriptures*, London: Samuel Bagster, p.DCCCLXV

(2) PTSan23.c:56[2]

(3) Art. "Cross, Crucifixion", J. D. Douglas, ed. *The Illustrated Bible Dictionary*, Inter-Varsity Press: Leicester, 1980, p. 342.

(4) Art. "Cross, Crucify", *Vine's Expository Dictionary of New Testament Words*, Thomas Nelson, 2015, p.103.

وجاء في مُعجمِ الكتابِ المقدّسِ Hastings' Dictionary Of The Bible:
«المصطلح اليوناني الذي تَمَّتْ ترجمتُهُ إلى «صَلِيب» في الترجمةِ الإنجليزيّةِ للعهدِ الجديدِ هو stauros (stauroo = «صَلَب»)، وله معنى أوسعُ مما نُعطِيهِ عادةً لاستخدام «صليب»؛ إذ يُستعمَلُ لِوَتَدٍ واحِدٍ أو عارِضةٍ مُنْتَصِبةٍ، وكذلك لِصَلِيبٍ مُكَوَّنٍ من عارِضَتَيْنِ».[1]

وأمّا كلمةُ صَليبٍ في الإنجليزيّةِ: «Cross»؛ فأَصْلُها من اللّاتينيّةِ «crux». يقول مُعجَمُ الإنجليزيّةِ Merriam-Webster's Word Histories: «المعنى الأَصليُّ لكلمةِ crux في اللّاتينيّةِ الكلاسيكيّةِ هو أداةٌ لِلتَّعذِيبِ، سواءٌ كانت مِشْنَقةً أو صَلِيبًا أو وَتَدًا».[2]

فالصَّلْبُ إذن يكون بالتّعليقِ على خَشَبةٍ أو خَشَبَتَيْنِ مُتَعامِدَتَيْنِ. وفي ذلك يقول مُعجمُ الكتابِ المقدّسِ الشّهير Anchor Bible Dictionary تحت مادّةِ «صَلْب»: فِعْلُ تَسمير أو رَبْط ضحيّةٍ حَيّةٍ أو في بعض الأحيان شَخْص مَيِّت بِصَلِيبٍ أو وَتَدٍ (stauros أو skolops) أو شَجَرة (xylon)».[3]

كما يكون الصَّلبُ بالخَوْزَقةِ بأن تُدْخَلَ الخَشَبةُ في جَسَدِ المصْلُوبِ مِنْ جِهةٍ وتخرجَ مِنْ جهةٍ أُخرى. وهو ما أَكَّدَتْهُ الموسوعةُ البريطانيّةُ تحت مادة «صَلْب» بقولها: «تطوَّرَ الصَّلْبُ عن طريقةِ إعدامٍ يَتِمُّ من خلالها تَثْبيتُ الضَّحيَّةِ على خَشَبةٍ عَمُوديّةٍ؛ إمّا عن طريق خَوْزَقَتِهِ عليها أو عن طريقِ رَبْطِهِ بها بأَحْزِمةٍ».[4]

ثانيًا: لم يفهمِ العربُ أنّ الصَّلْبَ يكون حَصْرًا على خَشَبَتَيْنِ؛ وذاك يَظْهَرُ من محاولةِ ابنِ منظورٍ تأْثِيلَ فِعلِ «صلب» في العربيّةِ بِرَدِّهِ إلى الوَدَكِ، لا تَعامُدِ خَشَبَتَيْنِ؛ فقد قال: «الصّلب: مصدرُ صَلَبَهُ يَصْلُبُهُ صَلْبًا، وأَصْلُه من الصَّلِيبِ، وهو الوَدَكُ. وفي حديثِ عليٍّ أنّه اسْتُفْتِيَ في استعمالِ صَلِيبِ الموتى في الدّلاء والسُّفُنِ فَأَبى عليهم،

(1) Art. "Cross", in J. Hastings *et al.*, *A Dictionary of Bible, Dealing with its Language, Literature and Contents, Including The Biblical Theology*, Volume I, T. & T. Clarke: Edinburgh, 1898, p. 528.
(2) "Crucifixion", *The Merriam-Webster New Book of Word Histories*, 1989-1995 Merriam-Webster, Inc.
(3) G. G. O'Collins, art. "Crucifixion" in D. N. Freedman, ed. *Anchor Bible Dictionary*, 1/1207.
(4) Art. "Crucifixion", *New Catholic Encyclopaedia*, 1981, Volume IV, The Catholic University of America: Washington, p. 485.

وبه سُمِّيَ المصلوبُ لما يسيلُ من وَدَكِهِ. والصَّلْبُ هذه القِتْلَةُ المعروفةُ مُشتَقٌّ من ذلك؛ لأنَّ وَدَكَهُ وصديدَهُ يَسِيلُ».[1] وهو اجتهادٌ، وإن كان يبدو بعيدًا؛ لحضور مادة الكلمة في الآراميّةِ، إلا أنّه يكشِفُ أنّ فَهْمَ العربِ للصّلبِ وآلتِهِ غير مُقتَرِنٍ ضرورةً بالتعليقِ على خَشَبَتَيْنِ متعامِدَتَيْنِ.

ثالثًا: الأدلّةُ التّاريخيّةُ تشهد أنّ الصّلبَ كان معروفًا عند المصريّين. وهو ما قرَّرَتْهُ الموسوعةُ اليهوديّةُ Encyclopaedia Judaica: «هناك تقاريرُ عن عملياتِ صَلْبٍ من المصادر الآشوريّةِ والمصريّةِ والفارسيّةِ واليونانيّةِ والبيونيّةِ والرومانيّة».[2]

رابعًا: العبارةُ القرآنيّةُ عجيبةٌ؛ حَيَّرَت المفسّرين؛ إذ لم تَقُلْ «وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ على جذوع النَّخْل»، وإنّما قالت ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾؛ فكأنّ هناك تداخلًا بين الصَّلِيبِ والمصلُوبِ، فالصّليبُ يخترِقُ المصلوب. والنّاظِرُ في الصَّلْبِ زمنَ الفراعنةِ يُلاحِظُ أنّه كان بوضعِ المصلوبِ فوق خَشَبةٍ؛ فتكون هي فيه. وهذه صُورةٌ للصَّلْبِ على جذعِ الشَّجَرِ كما في كتاب «حُكْم الفرعون، والجريمةُ والعِقابُ في مصرَ القديمة».[3]



(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة «صلب».

(2) "Crucifixion" in *Encyclopaedia Judaica*, Volume 5, Encyclopaedia Judaica Jerusalem, 1971, col. 1134.

(3) Joyce A Tyldesley, *Judgement of the Pharaoh: crime and punishment in Ancient Egypt*, London: Phoenix, 2001, p.65.

اهبِطوا مِصْرًا

الاعتراض:

جاء في القرآن: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ (البقرة/ 61).

تقرير القرآنِ أنّ بني إسرائيل قد دخلوا مصرَ زمنَ موسى -عليه السَّلام-بعد خروجهم منها، لا يَصِحُّ؛ إذْ إنّ ذلك يُخالِفُ التّوراةَ التي لم تُخْبِرْ بعودتهم إلى مصر، كما أنّه يبعدُ أن يعود بنو إسرائيل إلى مصرَ بعد هروبهم من الفرعونِ.

الجواب:

الاعتراضُ على القرآن بالزّعمِ أنّ الآيةَ 61 من سورة البقرة مخبرةٌ أنّ بني إسرائيل قد رجعوا إلى مصرَ بعد خروجهم منها، مُنْكَرٌ من أَوْجُهٍ:

أَوّلًا: كلمةُ «مصرًا» في الآية، تحتمِلُ الدّلالةَ على معنى: «البلد» بإطلاقٍ، دون تحديدٍ لموضعٍ ما. قال الإمامُ ابن كثير: «قال ابن عبّاسٍ ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا﴾، قال: مصر من الأمصار، رواه ابنُ أبي حاتم من حديثِ أبي سعيد البَقّالِ سعيدِ بنِ المَرْزُبانِ عن عَكْرِمةَ عَنْهُ. قال ورُوِيَ عن السّدِّيّ وقَتَادةَ والربيعِ بن أنسٍ نحوُ ذلك... والحقُّ أنّ المرادَ مصرٌ من الأمصارِ كما رُوِيَ عن ابن عبّاسٍ وغيره، والمعنى على ذلك؛ لأنّ موسى -عليه السّلام- يقول لهم هذا الذي سَأَلْتُمْ ليس بأمرٍ عَزِيزٍ، بل هو كثيرٌ في أيِّ بَلَدٍ دَخَلْتُموها وجدتموه، فليس يساوي مع دناءَتِهِ وكثرتِهِ في الأمصارِ أن أسألَ الله فيه.»[1]

ثانيًا: لا إشكالَ أنْ تكون مصرُ في الآية مصرَ بلدِ القِبْطِ؛ فإنّ المعنى هنا يُحْمَلُ على التّوبيخِ؛ إذ إنّ هذا القولَ من موسى -عليه السَّلام-قد جاء بعد تَذَمُّرِ بني إسرائيل

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1/ 282.

من نعمةِ الأَكلِ الصّحّيِّ اللَّذيذِ الذي أكرمهم الله به، بلا تعبٍ، فصاروا يطلبون من موسى -عليه السَّلام- ما كانوا يأكلونه أيّامَ الفَقْرِ والفاقةِ. قال ابن عاشور: «ويَكُونُ قَولُ مُوسى لَهُمُ اهْبِطُوا مِصْرًا أَمْرًا قُصِدَ مِنهُ التَّهْدِيدُ عَلى تَذَكُّرِهِمْ أيّامَ ذُلِّهِمْ وعَنائِهِمْ وتَمَنِّيهِمُ الرُّجُوعَ لِتِلكَ المَعِيشَةِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ لَهُمُ ارْجِعُوا إلى ما كُنتُم فِيهِ إذْ لَم تَقْدِرُوا قَدْرَ الفَضائِلِ النَّفسيَّةِ ونِعمَةِ الحُرِّيَّةِ والاستِقلالِ».[1]

ثالثًا: ليس في الآيةِ أنّ بني إسرائيلَ قد عادوا إلى مصرَ، أيًّا كان معنى «مصرًا» في الآية؛ فإنّ خبرَ القرآنِ هنا هو نَقْلٌ لكلامٍ قالَهُ موسى -عليه السَّلام- لبني إسرائيلَ، وليس هو وصفٌ لِدُخولِ بني إسرائيلَ مصرَ أو مصرًا من الأمصارِ. ولم يرِدْ في القرآنِ أنّ بني إسرائيل قد عادوا فِعلًا إلى مصرَ؛ وإنّما جاء صريحُ الخَبَرِ أنّهم بقوا في التِّيهِ أربعين سنةً: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ (المائدة/ 24-26).

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 1/ 525.

وراثة بني إسرائيل

الاعتراض:

جاء في سُورةِ الدُّخانِ: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٢٦﴾ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدۡ نَجَّيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرۡعَوۡنَۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيٗا مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ (الدخان/ 22-31).

وجاء في سُورةِ الشُّعَراءِ: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ (الشعراء/ 52-59).

ويُفهم من النَّقْلَيْنِ السّابقَيْنِ أنّ بني إسرائيلَ قد عادوا إلى مصرَ، وأَخذُوا ثروات مصر من أهلها. وهو ما لا يَصِحُّ تاريخيًّا.

الجواب:

ليس في الآيتَيْنِ السّابقتين وجهٌ لوجوب صَرْفِهِما إلى المعنى الذي استَنْكَرَهُ المعترِضُ.

قال ابن عاشور في آية سورة الدُّخَان: «عَطْفٌ على «تَرَكُوا» أي تَرَكُوها وأَوْرَثْناها غيرَهُم، أي لِفرعونَ الذي وَلِيَ بعدَ موتِ «منفطا» وسُمِّيَ «صفطا منفطا» وهو أَحَدُ أُمراءِ فرعون «منفطا» تَزَوَّجَ ابنةَ منفطا المسماة «طُوسير» التي خَلَفَتْ أَباها «منفطا» على عرشِ مصرَ، ولكونه من غيرِ نَسْلِ فرعونَ وُصِفَ هو وجُنْدُه بقومٍ آخرين، وليس المراد بقولِهِ قومًا آخرين قومًا من بني إسرائيل، أَلا ترى أَنّه أُعِيدَ الاسمُ الظّاهرُ في قولِهِ عَقِبهِ ولقد نَجّينا بني إسرائيل، ولم يَقُلْ ولقد نَجّيْناهُم.

ووَقَعَ في آيةِ الشُّعراءِ ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾. والمراد هنالك أَنَّ أنواعًا ممّا أَخْرَجْنا منه قومَ فرعون أورثناها بني إسرائيل، ولم يقصد أنواعِ تلك الأشياءِ في خُصوصِ أرضِ فرعون.

ومناسبةُ ذلك هنالك أنَّ القَوْمَيْنِ أُخْرِجا ممّا كانا فيه، فَسُلِبَ أَحَدُ الفريقين ما كان له دون إعادةٍ لأنَّهم هَلَكُوا، وأُعْطِيَ الفريقُ الآخرُ أمثال ذلك في أرضِ فلسطين، ففي قولِهِ وأَوْرَثْناها تشبيهٌ بليغٌ وانْظُر آيةَ سُورةِ الشُّعَراءِ.»[1]

وقال -رَحِمَهُ اللهُ- في تفسيرِهِ سُورةَ الشُّعَراءِ: «وجملةُ ﴿ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾» معترضةٌ أيضًا والواو اعتراضيّةٌ وليست عطفًا لأجزاءِ القِصّةِ لما سَتَعْلَمُهُ. والإيراثُ جعلُ أَحَدٍ وارِثًا. وأَصلُهُ إعطاءُ مالِ الميتِ ويُطْلَقُ على إعطاء ما كان ملْكًا لغير المعطَى بفتحِ الطَّاء كما قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ الأعراف 137، أيْ أَوْرَثْنا بني إسرائيلَ أَرضَ الشَّام، وقال: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ فاطر 32. والمعنى أَنَّ اللهَ أَرْزَأَ أَعداءَ موسى ما كان لهم من نعيمٍ إذْ أَهْلَكَهُم وأَعْطى بني إسرائيلَ خيراتٍ مِثْلَها لم تكنْ لهم، وليس المرادُ أنّه أَعْطى بني إسرائيل ما كان بيدِ فرعونَ وقومِهِ من الجنّاتِ والعُيونِ والكُنُوزِ، لأنّ بني إسرائيلَ فارَقُوا أرضَ مصرَ حينئذٍ وما رَجَعُوا إليها كما يدلُّ عليه قولُهُ في سورة الدُّخَانِ 28 ﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾».[2]

وخلاصةُ قولِ الشّيخِ ابن عاشور في الآيتين السابقتين، أنّ آيةَ سورةِ الدُّخَانِ في أنّ مَنْ حَكَمُوا مصرَ بعد هلاكِ حاكِمِ مصرَ زمن موسى -عليه السَّلام- قد وَرِثُوا ما تَرَكَهُ سَلَفُهُم. وأمّا آيةُ سُورةِ الشعراء ففي أنّ اللهَ -سبحانه- قد عَوَّضَ بني إسرائيلَ بعد خُروجِهم من مصرَ؛ فَأَوْرَثَهُم في الشَّامِ جِنْسَ الخيراتِ التي تَرَكُوها في مصرَ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 25/ 303.
(2) المصدر السابق، 19/ 133.

بنو إسرائيل، الملوك

الاعتراض:

يقول القرآن: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾. ومعلومٌ أنّ الملوكَ في بني إسرائيلَ قد ظهروا بعدَ عصرِ موسى -عليه السَّلام-، لا قبلَهُ.

الجواب:

لم يَقُلْ موسى -عليه السَّلام- لِقومِهِ إنّ اللهَ -سبحانه- قد جَعَلَ فيكُمْ مُلُوكًا، وإنّما قال: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾؛ فدلَّ ذلك على أنّ الحديثَ هنا ليس عن الملوكِ بالمعنى السّياسيّ، وإنّما بمعنى من تَوَفَّرتْ لهم النِّعَمُ. وهو المعنى الذي فَهِمَهُ الصَّحابةُ والتّابعون.

قال ابنُ كثير: «قال عبد الرّزاق عن ابنِ عبّاسٍ في قولِهِ ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾. قال: الْخَادِمُ وَالْمَرْأَةُ وَالْبَيْتُ. وعنه قال: كان الرَّجُلُ من بني إسرائيلَ إذا كان له الزَّوجةُ والخادِمُ والدَّارُ سُمِّيَ مَلِكًا.

وقال ابنُ جريرٍ عن عبد اللّه بن عمروِ بن العاصِ وسأَلَهُ رجلٌ فقالَ: أَلَسْنَا مِنْ فُقَراءِ المهاجرين؟ فقال عبدُ اللّهِ: أَلَكَ امرأَةٌ تَأْوِيْ إليها؟ قال: نَعَمْ، قال: أَلَكَ مَسْكَنٌ تَسْكُنُهُ؟ قال:نَعَمْ، قال: فَأَنْتَ من الأَغْنِياءِ. فقال: إنَّ لي خَادِمًا، قال: فَأَنْتَ من المُلُوكِ.

وقال الحسنُ البصريُّ: هل المُلْكُ إلّا مَرْكَبٌ وخادِمٌ ودارٌ، ورواه ابنُ جريرٍ.

وقال السُّدّيُّ في قولِه: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾. قال: يملكُ الرّجلُ منكم نفسَهُ ومالَهُ وأهلَهُ، وقد ورد في الحديثِ: «مَنْ أَصْبحَ منكم مُعافى في جَسَدِهِ، آمنًا في سِرْبِهِ، عنده قُوتُ يومِهِ، فكأنّما حِيزَتْ له الدُّنيا بِحَذَافِيرِها». لفظُ الحديثِ عند الترمذي وابن ماجةَ عن عبدِ اللّهِ بن محصن: «مَنْ أَصبحَ منكم آمنًا في سِرْبِهِ مُعافى في جَسَدِهِ، عنده قُوتُ يومِهِ، فكأنّما حِيزَتْ له الدُّنيا بِحَذَافِيرِها».»[1]

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3/ 73.

وإشكالُ ذِكْرِ «الملوك» في غيرِ زمانهم، واقعٌ في الكتابِ المقدّس؛ فقد جاء في سِفرِ التّكوينِ 36/ 31: «وَهؤُلاَءِ هُمُ الْمُلُوكُ الَّذِينَ مَلَكُوا فِي أَرْضِ أَدُومَ، قَبْلَمَا مَلَكَ مَلِكٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ». وهو أَحَدُ النُّصوصِ المستدلّ بها لرفضِ نِسبةِ الكتبِ الخمسةِ إلى موسى -عليه السَّلام-؛ فإنّ ملوكَ بني إسرائيل كلّهم عاشوا بعد موسى -عليه السَّلام-. وجَلِيٌّ أنّ مَنْ كَتَبَ هذا النصَّ قد عاش زمنَ مُلوكِ بني إسرائيلَ أو بعدَهُ.

ملابِسُ الحربِ السّابِغة

الاعتراض:

جاء في القرآن: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ (سبأ/ 10-11). وقد قال المفسّرون إنّ السّابغاتِ في الآيةِ هي الدُّروعُ؛ فقد كانت في زمانِه من صفائحَ، غير أنّه هو كان يَصْنَعُها لَيِّنةً، سابغةً. والتّاريخُ يُخبرنا أنّ هذا النوع من الدُّروعِ لم يظهرْ إلَّا بعد قرونٍ من عصرِ داود النبيّ!

الجواب:

تقوم هذه الشُّبهةُ على مغالطةٍ وغُموضٍ؛ أمّا المغالطةُ فافتراضُ عِلْمنا بدقةٍ بعصرِ بدايةِ استعمالِ الدُّروعِ الحديديّةِ السّابغةِ، وأمّا الغُموضُ ففي عدمِ بيانِ وجهِ استبعادِ وجودِ دُروعٍ حديديّةٍ في جيشِ داودَ -عليه السّلام-؛ أي هل الإشكالُ في وُجودِ دُروعٍ سابغةٍ، أم في وُجودِ دُروعٍ سابغةٍ حديديّةٍ. والشّائعُ على كلّ حالٍ في الشُّبهاتِ الإلحاديّةِ إنكارُ وجودِ الدُّروعِ السّابغةِ كُلِّها. وجوابُنا في النقاط التاليةِ:

أوّلًا: القطعُ بأنّ الدُّروعَ لم تكن سابغةً زمنَ داود -عليه السّلام- ليس عليه دليلٌ قاطعٌ؛ فإنّ صَمْتَ الآثارِ ليس حُجّةً؛ خاصّةً أنّنا لا نعرِفُ أيَّ شيءٍ عن جيشِ داود وسليمان -عليهما السّلام- من الآثارِ.

ثانيًا: بدأ العصرُ الحديديُّ بعد العصرِ البرونزيّ مباشرةً، وفيه بدأ الاستعمالُ العامُّ للحديدِ. وقد بدأ في حدود 1200 ق.م،[1] أي قبلَ ميلادِ داود -عليه السّلام- بأكثرَ من قرنٍ كاملٍ. ولذلك لا وجهَ لاستبعادِ الحديدِ في القرنِ العاشرِ قبل الميلادِ لصناعةِ الدُّروعِ وغيرِ ذلك من عَتادِ الحربِ. والبحثُ الأركيولوجيُّ قد دلَّ على أنّ 50٪ من الأسلحةِ المستعمَلةِ في عصرَيْ داودَ وسليمانَ -عليهما السّلام- كانت من حديدٍ.[2]

---

(1) Richard A. Gabriel, *The Great Armies of Antiquity*, Praeger, 2002, p.20

(2) Thomas Nelson, *The Chronological Study Bible*, Thomas Nelson, 2008, p.308.

بل إنّ رسائلَ تلّ العَمارنة منتصفَ القرنِ الرابعَ عشرَ قبلَ الميلادِ تَذْكُرُ وجودَ أسلحةٍ من حديدٍ.[1]

ثالثًا: صناعةُ الدّروعِ السّابغةِ من قِطعٍ معدنيّةٍ Scale armour قبل قرونٍ من عصرِ داودَ -عليه السّلام-، أمرٌ معلومٌ؛ فقد اكتُشِفَت هذه الدُّروعُ في قبرِ كينمون الذي عاش في مصرَ في زمنِ حُكْمِ أمنحتب الثاني في القرن الخامسَ عشرَ قبلَ الميلادِ.[2]

رابعًا: الإمبراطوريّةُ الآشوريّةُ التي ظهرَتْ بدايةً من القرنِ العاشر قبل الميلاد، أَدْخَلَتْ في بداياتها الدّروعَ الجلديّةَ المغطّاةَ بصفائحَ صغيرةٍ من حديدٍ متتابعةٍ، ملتصقةٍ بالجِلدِ تحتها، حتى تكون مَرِنةً، تَسْهُلُ الحركةُ معها.[3] وفي القرن الثامن قبل الميلاد جهَّزَ سرجون الثاني جيشَهُ كذلك بأسلحةٍ حديديّةٍ.[4]

خامسًا: ثبوتُ أنّ الدّروعَ السّابغةَ لم تظهرْ إلّا بعد زمن داود -عليه السّلام-؛ لا يطعَنُ في الخبرِ القرآنيِّ؛ إذ إنّ الحديث بِرُمَّتِهِ عن الخوارِقِ التي أُوْتِيَها داودُ -عليه السّلام-: تأويبُ (تسبيحُ) الجبالِ مع داودَ -عليه السّلام-، وتأويبُ الطَّيرِ، وإلانةُ الحديدِ دون مَشَقَّةٍ.. فيكون صُنْعُ هذه السّابغاتِ من معجزاتِ داودَ -عليه السّلام- أيضًا على هذا الوجهِ. ومما يَنْصُرُ ذلك ما جاء في سورة الأنبياء/ 80: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾. قال الحسنُ البصريُّ وقَتَادةُ والأَعمشُ وغيرهم كان لا يحتاج أَنْ يُدْخِلَهُ نارًا، ولا يَضْرِبَهُ بِمِطْرقةٍ، بل كان يَفْتِلُهُ بيدِهِ مثلَ الخُيُوطِ.[5]

فالآيةُ تُخبِرُ أنّ اللهَ عَلَّمَ داودَ -عليه السّلام- صُنْعَ هذه الدُّروعِ، وأنّ ذلك ليس من كَسْبِ داودَ -عليه السّلام-؛ وهي بذلك تحتمل وَجْهَيْنِ من التفسير؛ إمّا تعليم داودَ -عليه السّلام- ما لم يَعْلَمْهُ أحدٌ قبلَهُ، أو تعليمه ما لم يكن هو يَعْلَمُهُ، وإن عَلِمَهُ غيرُه.

(1) Daniel Howard, *Bronze Age Military Equipment*, Barnsley: Pen & Sword Military, 2011, pp.45-46.
(2) Ibid., 70.
(3) Richard A. Gabriel, *The Great Armies of Antiquity*, p.21.
(4) Ibid., 130.

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 6/ 497.

وعلى الوجهِ الأَوَّلِ من هذا التّفسير، يَصِحُّ القولُ إنّ اللهَ -جلَّ وعلا- قد علّم داودَ -عليه السَّلام- ما لم يَعْرِفْهُ البَشَرُ إِلَّا بَعْدَهُ. وبذلك يسقطُ الاعتراضُ.

عُلُوُّ أتباعِ المسيحِ

الاعتراض:

جاء في القرآن: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (آل عمران/ 55). ومعلوم أنّ أتباعَ المسيحِ من الموحّدين لم ينتصِرُوا على خُصُومِهم؛ فقد صاروا أَقِلِّيَّةً منذ القرن الثاني.

الجواب:

الإنكارُ على القرآنِ بدعوى إخبارِهِ أنّ النصارى الموحّدين قد غَلَبُوا النَّصارى المثلِّثةَ وغيرَهم منذ عصر المسيحِ، مُنْكَرٌ من وجهينِ:

أولًا: افتراض خطأِ القرآن -عند من يُنْكِرُ ربّانيّتَهُ- في الآية 55 من سورةِ آل عمران، بالإخبار بالعُلُوِّ الماديِّ للموحّدين من النّصارى على النّصارى المثلّثةِ، غيرُ مُتَصَوَّرٍ من ناحيةٍ مبدئيّةٍ؛ لأنَّ عُلُوَّ المثلِّثةِ على غيرِهم كان معلومًا في مكّةَ زمن البعثةِ؛ فهم نصارى نجران، ونصارى الشام، ونصارى الحبشة... وفي القرآن نكيرٌ شديدٌ على النّصارى المثلِّثةِ عند كلِّ خَبَرٍ عن النّصارى زمنَ البعثةِ؛ بما يؤكِّدُ أنّ مَنْ «جاء» بالقرآن عالمٌ بحقيقةِ واقعِ استفحالِ الشِّركِ في النّصارى.

ثانيًا: الآية 55 من سورة آل عمران حمّالةُ أَوجُهٍ؛ ولذلك اختلفَ في دلالَتِها علماءُ الإسلام. وأهمُّها:

أ. العُلُوُّ المادِّيُّ:

عُلُوُّ كُلِّ من انْتَسَبَ للمسيحِ على خَصْمِهِ، كُلٌّ تبعًا لِقُرْبِهِ من المسيح؛ فالنَّصارى كان لهم علوٌّ على اليهودِ، والمسلمون لهم علوٌّ على النَّصارى في عامّةِ تاريخهم الطّويل. قال ابن تيميّةَ: «وأما قولُهُ تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (آل عمران/ 55)، فهذا حقٌّ كما أخبرَ اللهُ به؛ فمن اتّبَعَ المسيح -عليه السَّلام-، جعلَهُ

اللهُ فوقَ الذين كفروا إلى يوم القيامةِ، وكان الذين اتَّبَعُوهُ على دينِهِ الذي لم يُبَدَّلْ، قد جعلهم الله فوقَ اليهود وأيضًا، فالنَّصارى فوقَ اليهودِ الذين كفروا به إلى يومِ القيامةِ. وأَمَّا المسلمون فهم مؤمنون به، ليسوا كافرين به، بل لمّا بدَّلَ النَّصارى دينَهُ، وبعثَ اللهُ محمَّدًا -ﷺ- بدين الله الذي بُعِثَ به المسيحُ وغيرُه من الأنبياء، جعل الله محمَّدًا وأُمَّتَهُ فوق النَّصارى إلى يوم القيامة ... فكلُّ من كان أَتَمَّ إيمانًا باللهِ ورُسُلِهِ كان أحقَّ بنصرِ اللهِ تعالى.»[1]

ورجّح المستشرق غبريال رينولدز أنّ الآية خطاب إلى المسيح أنّ الذين سيتبعونه [بالانتساب إليه] أي النصارى، سيكونون فوق الذين كفروا به [أي حاربوه في عصره] أي اليهود.[2] وكذلك كان.

ب. العلوُّ بالإيمانِ والحُجّةِ:

إيمانُ الذين اتَّبَعُوا المسيحَ، وصدَّقُوا بالتّوحيدِ، وعَمِلُوا بمقتضياته، حجّةٌ لهم أمامَ الخلقِ؛ فلا يغلِبُهمْ أحدٌ في معركةِ الحُجّةِ، وإن قُدِرَ لهم حين الاستضعافِ أن يُهزَمُوا في نزاعِ السّلاحِ؛ فهم بحجَّتِهِمْ، فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة. وعلى هذا القولِ كثيرٌ من المفسّرين.

---

(1) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن وعبد العزيز بن إبراهيم وحمدان بن محمد، بلاد الحرمين: دار العاصمة، 1419هـ / 1999م، 2/ 178-179.

(2) Gabriel Said Reynolds, *The Qur'an and Its Biblical Subtext*, Routledge, 2010, p.125.

خدمةُ مريمَ في الهيكلِ

الاعتراض:

جاء في القرآن: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾ (سورة آل عمران/ الآية 35)، ولكنْ لم يكنِ اليهودُ في القرن الأوّلِ الميلاديِّ ينذُرون الإناثَ للهيكلِ.

كما أخطأ القرآن في دعوى أنّ مريم كانت في محراب الهيكل، أي قدس الأقداس: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (آل عمران/ 37)؛ فإنّ قدس الأقداس لا تقترب منه النساء. والقرآن قد نقل هذه الدعوى عن إنجيل يعقوب الأبوكريفي.

الجواب:

هذا الاعتراضُ باطلٌ من جهةِ فهمِ النصِّ، ومن جهةِ صحّةِ الادّعاءِ التاريخيِّ:

أوّلًا: كان نَذْرُ مريمَ قبلَ معرفةِ جنسِ الوليدِ، إذ جاء في الآية التالية مباشرة: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ (آل عمران/ 35). فهذه الآية تُظهِرُ أنَّ أُمَّ مريمَ قد فُوجِئتْ بوضعِ أُنثى لا ذَكَر؛ إذ لم تكن تَنْتَظِرُ ذلك؛ وفي قولها «وذُرِّيَّتها» دلالةٌ على أنّها لم تَنوِ أَنْ تُنْذِرها لِلهيكلِ، أو أنّها لم تنذرها طولَ عُمْرِها للهيكلِ، وإنّما نَذَرَتْها لفترةٍ موقوتةٍ؛ إذ إنّ المنذوراتِ كاملَ عُمرهِنَّ للهيكلِ، لا يَتَزَوَّجْنَ.

ثانيًا: قال تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ (آل عمران/ 37). وكفالةُ زكريا لمريمَ في طُفُولَتِها تزيدُ وجاهةَ القولَ إنّ مريمَ لم تَكُنْ منذورةً للهيكلِ، وإنّما كانت في بيتِ زكريًّا ليرعاها.

ثالثًا: على القولِ إنّ مريم قد نُذِرَتْ فترةً من عُمرِها للهيكلِ؛ تبقى الشُّبهةُ مردودةً من النّاحيةِ التاريخيّةِ؛ إذ إنّ النِّساءَ لم يُمْنَعْنَ من خِدمةِ الهيكلِ، وهو ما أَثْبَتَتْهُ النّاقدةُ اليهوديّةُ تال إلن Tal Ilan -أستاذُ الدّراساتِ اليهوديّةِ في الجامعةِ الحرّةِ في ألمانيا،

وأبرزُ المتخصِّصاتِ اليومَ في دراساتِ المرأةِ واليهوديَّةِ التلموديّةِ- عند حديثِها عن حياكةِ النّساءِ لِحِجابِ الهيكلِ، وممَّا استدَلَّتْ به ما جاء في توسفتا شقاليم 2/ 6 [1]: «النِّساءُ اللَّواتي يحِكنَ حِجابَ الهيكلِ .. يَأْخُذْنَ رَوَاتِبَهُنَّ من مساهمةِ الغُرفةِ». فهو نصٌّ يتحدَّثُ عن الطّريقةِ التي تستخلِصُ بها النِّساءُ العاملاتُ في الهياكلِ أُجُورَهُنَّ من ضرائبِ الهيكلِ زمنَ المسيحِ ابنِ مريمَ -عليهما السَّلام-.

وأكَّدَتْ تال إلن هذه الحقيقةَ من النّاحيةِ التاريخيّةِ بما جاءَ في رؤيا باروخ السريانيّةِ، وهو سِفرٌ أبوكريفي أُلِّفَ بعد مُدّةٍ قصيرةٍ من هدْمِ الهيكلِ سنة 70م، وقد جاء في الفصلِ العاشرِ منه أنّ الحياةَ من غيرِ الهيكلِ لا قيمةَ لها، وقال باروخُ في الأعدادِ الأخيرةِ من هذا الفصل 10/ 18-19:

«أيُّها الكَهَنةُ خُذُوا مفاتيحَ المقدَّسِ،
وارْمُوها إلى أَعْلَى سَمَاءٍ،
وأَعْطُوها إلى الربِّ وقُولُوا:
«احْفَظْ بَيْتَكَ بِنَفْسِكَ،
لأنَّهُ قد اكتُشِفَ أنَّنا وُكَلاءُ مُزَيَّفُون.»
وعَذَارَاكَ اللَّواتي يحِكن الكَتَّانَ النَّاعِمَ،
والحَرِيرَ مع ذَهَبِ أُوفير،
عَجِّلْ وخُذْ كُلَّ شَيْءٍ،
وارْمِهِ في النَّارِ ...»

يتحدّث هذا النصّ الذي يُعَدُّ وثيقةً تاريخيّةً مُهِمَّةً عن حالِ الهيكلِ زمنَ المسيحِ، عن العَذَارى اللَّواتي في الهيكلِ، واللَّواتي يَقُمْنَ هناك بالخِدمةِ، وفي كلمة «عَذَارى» دلالةٌ على أنّهنَّ منذُوراتٌ لِلخدمةِ في الهيكلِ، مُنْقَطِعاتٌ عن الدُّنيا لذلك؛ فلا يَعْرِفْنَ الزَّواجَ. وكما تقول تال إلن فإنّ هذه «الإشارةَ من الواضحِ أنّ لها تَعَلُّقًا بسياقِ

(1) التوسفتا: عمل تشريعي مكمّل للمشناه، وهو أشبه بالتذييل عليه.

شَعَائِرِيٌّ. النِّساءُ اللَّواتي وُصِفْنَ هنا بأنّهنَّ عَذَارى، هُنَّ الأعضاءُ الرسميَّاتُ الوحيداتُ المذكوراتُ بجانبِ الكَهَنَةِ.»[1]

كما أَثْبَتَتْ إِلَن أنّ المشناه نفسَها كانت تَذْكُرُ النِّساءَ مِنْ بين من يَخْدِمْنَ في الهيكلِ[2]، واستدلَّ النّاقِدُ س. ليبرمان S. Lieberman بإنجيلِ يعقوبَ الأَوَّلِيِّ لإثباتِ المسألة نفسها المتعلّقة بوجود نساءٍ في خدمةِ الهيكلِ.[3]

وختَمَ سَتيفين دونالد نوريس Steven Donald Norris نِقاشَهُ لمنكري وُجودِ عَذَارى منذوراتٍ للهيكلِ زمنَ المسيحِ، بعد ذِكْرِ ما يُبْطِلُ الاعتراضَ من المصادرِ اليهوديّةِ والنصرانيّةِ القريبةِ من زمنِ المسيحِ: «من الواضحِ وجودُ نظام في الهيكلِ لِعَذَارى الهيكلِ زمنَ ولادةِ مريمَ العَذْراء ... وقد شَهِدَ آباءُ الكنيسةِ وملَفّاناتُها الذين عاشوا في القرن التالي بأنّ العذراءَ مريمَ قُدِّمت إلى الهيكلِ وخدَمَتْ هناك من سنِّ الثالثةِ حتى سنِّ الرابعةَ عشرةَ كما هو في إنجيلِ يعقوب الأوّليّ. والادّعاءُ بأنّ عَذَارى المعبدِ كُنَّ أُسطورةً من أساطيرِ الأساقِفةِ الكاثوليكِ المهووسين بالعُزُوبةِ، لا يَصْمُدُ أمامَ النّقدِ. وقد سَجَّلَ الكتابُ المقدّسُ والتُّراثُ اليهوديُّ أنه كانت هناك عَذَارى مكرّسات لهنَّ علاقةٌ بالهيكلِ. وقد لا نعلمُ الكثيرَ عنهنّ، لكنّنا نعلم أنهنّ وُجِدْنَ».[4]

ومما يضاف في هذا الشأن أنّ الرُّومَ الكاثوليك والأرثودكس يحتفلون منذ القرون الوسطى بـ«عَرْض مريم العذراء المباركة» كما هو المسمّى في الغربِ أو «دخول الثيوتوكوس[5] الأقدس إلى الهيكل». وهو احتفالٌ شعائريٌّ بإدخال مريم إلى الهيكلِ حين كان لها من العُمرِ ثلاثُ سنواتٍ.[6]، ويُعَدُّ هذا الاحتفالُ، واحدًا من أهمّ الاحتفالات الكُبرى للكنيسةِ الشرقيّةِ - إلى جنبِ الفصح وعيد الميلاد.[7]

---

(1) Tal Ilan, *Mine and Yours are Hers: retrieving women's history from Rabbinic literature*, Leiden: Brill, 1997, p.140

(2) Ibid., 140-142.

(3) See S. Lieberman, *Hellenism in Jewish Palestine*, New York: 1962 (Cited in, Tal Ilan, Ibid)

(4) Steven Donald Norris, *Unraveling the Family History of Jesus*, WestBow Press, 2016, p.3.

(5) ثيوتوكوس Θεοτόκος: لقب أطلق على مريم، وأُقِرّت قانونيّته في مجمع أفسس (431م)، وهو مكوّن من كلمتين يونانيتين، وتعنيان في مجموعهما: والدة الإله.

(6) See F. Holweck, '*Feast of the Presentation of the Blessed Virgin Mary*,' in *The Catholic Encyclopedia*, 12/400

(7) See J. K. Elliott, *Apocryphal Jesus, legends of the Early Church*, Oxford: Oxford University Press, 2008, p.32.

رابعًا: لا دليل على أنّ «المحراب» في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ (آل عمران/ 37) هو قدس الأقداس؛ لأسباب، منها:

أ- كلمة «محراب» أعجمية الأصل -على الأرجح-؛ فإنّ ردّها إلى جذر «ح-ر-ب» العربي بعيد. وما قيل من أنّ كلمة «محراب» أصلها المكان الذي يُحارب فيه المرءُ الشيطانَ بالعبادة، ظاهر فيه التكلّف. وأقرب مقابل في اللغات الساميّة الأخرى لكلمة «محراب» العربية: ምኵራብ (مكرُب) بمعنى «هيكل» في الأثيوبية، و𐩣𐩫𐩧𐩨 (مكرب) في العربية الجنوبية بالمعنى نفسه، أو 𐩣𐩢𐩧𐩨 (محرب) في العربية الجنوبية، بمعنى مكان ما في القصر يُتلقّى فيه الوحي.[1] وذهب المستشرق غبريال رينولدز إلى أنّ محراب مريم من «محرام» في الأثيوبية، من الجذر السامي «ح-ر-م» المستعمل للأمور أو المواضع المقدّسة، وبالتالي فكلمة «محراب» في القرآن تقابل «محرام» في الأثيوبية، بمعنى المزار أو الهيكل.[2]

فلسنا هنا أمام كلمة تعني اصطلاحًا «قدس الأقداس». وليس في العبرية التوراتية ما يُقابل «محراب» العربية بحروف الصوامت نفسها.

وأمّا استعمال كلمة «محراب» للمكان المعروف اليوم في مساجد المسلمين، فقد قال فيه الشيخ ابن عاشور: «وأما إطلاق المحراب على الموضع من المسجد الذي يقف فيه الإمام الذي يؤمّ الناس، يُجعل مثل كوة غير نافذة واصلة إلى أرض المسجد في حائط القبلة يقف الإمام تحته، فتسمية ذلك محرابًا تسمية حديثة ولم أقف على تعيين الزمن الذي ابتدئ فيه إطلاق اسم المحراب على هذا الموقف. واتخاذ المحاريب في المساجد حدث في المائة الثانية».[3]

ب- جاءت كلمة «محراب» في مواضع مختلفة في القرآن:

---

(1) G. Fehervari, "Miḥrāb", in Encyclopaedia of Islam, C.E. Bosworth, et al., Leiden: Brill, 1993, 7/7, Martin R. Zammit, *A Comparative Lexical Study of Qur'ānic Arabic*, Leiden: Brill, 2002, p.136.
(2) Gabriel Said Reynolds, *The Qur'an and Its Biblical Subtext*, p.142.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 22/ 160.

- ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ﴾ (آل عمران/ 39).
- ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ (مريم/ 11).
- ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾ (ص/ 21).
- ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ (سبأ/ 13).

والمعنى الذي من الممكن أن تدلّ عليه كلمة «محراب» في الآيات السابقة مع الآية 37 من سورة آل عمران/ 37 (مع استثناء آية سورة سبأ، لظاهر مخالفتها للباقي[1])؛ هو الغرفة، أو مكان الصلاة في أقصى تخصيص ممكن. ولذلك تكرّرت الإشارة في المعاجم العربيّة إلى أنّ من أهم معاني كلمة «محراب»: الغرفة.[2]

ت- قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾﴾ (ص/ 21-22) حجّة على المنصّرين من وجهين:

- تسوّرُ قوم على داود عليه السلام المحراب للدخول عليه، وطلب حكمه، لا يوافق حال قدس الأقداس الذي لا يحقّ دخوله إلّا لرئيس الكهنة الذي لا يجوز له ذلك إلّا في يوم واحد، هو يوم الغفران יוֹם כִּפּוּר (سفر اللاويين 16).
- داود عليه السلام لم يكن رئيس الكهنة؛ إذ إنّ رئيس الكهنة لا بدّ أن يكون من بني لاوي، وقد كان داود عليه السلام من سبط يهوذا. وبالتالي فالمحراب في الآية هو غير قدس الأقداس؛ إذ لا يدخل قدس الأقداس إلّا رئيس الكهنة.

ث- لا يلزم من التسليم بأنّ المحراب القرآني يوافق قدس الأقداس، تخطئة القرآن؛ فإنّ كلمة «دبير» «דְּבִיר» التي كانت تُطلق على قدس الأقداس في الكتاب المقدس، كانت تُطلق أيضًا على الهيكل كلّه. فقد جاء في مقالة: «محراب» في

---

(1) قال ابن عاشور: «وَالْمَحَارِيبُ: جَمْعُ مِحْرَابٍ، وَهُوَ الْحِصْنُ الَّذِي يُحَارَبُ مِنْهُ الْعَدُوُّ وَالْمُهَاجِمُ لِلْمَدِينَةِ، أَوْ لِأَنَّهُ يُرْمَى مِنْ شُرُفَاتِهِ بِالْحِرَابِ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى الْقَصْرِ الْحَصِينِ. وَقَدْ سَمَّوْا قُصُورَ غُمْدَانَ فِي الْيَمَنِ مَحَارِيبَ غُمْدَانَ. وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الْمُرَادُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ. ثُمَّ أُطْلِقَ الْمِحْرَابُ عَلَى الَّذِي يُخْتَلَى فِيهِ لِلْعِبَادَةِ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمَسْجِدِ الْخَاصِّ، قَالَ تَعَالَى: فَنادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرابِ وَتَقَدَّمَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ (39). وَكَانَ لِدَاوُدَ مِحْرَابٌ يَجْلِسُ فِيهِ لِلْعِبَادَةِ قَالَ تَعَالَى: وَهَلْ أَتاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ فِي سُورَةِ ص» (المصدر السابق).

(2) عثمان إسماعيل، معجم ألفاظ القرآن الكريم في علوم الحضارة، الرباط: الهلال العربية، 1414هـ/ 1994م، ص154.

«قاموس الكتاب المقدس»: «مؤخر الهيكل أو قدس الأقداس. هذه الكلمة ترجمة للكلمة العبرية «دبير» «דְּבִיר» التي تعني مؤخّر. وقد وردت هذه الكلمة في الترجمة العربية في (1 ملوك 6/ 5، 19؛ 8/ 6؛ مزمور 28/ 2). **ومن دراسة هذه الشواهد يتضح أنّها استُعملت كناية عن قدس الأقداس أو الهيكل كله.**»[1]

ج-إنجيل يعقوب الأوّلي نفسه جعل معجزة مريم الواردة في الآية 37 من سورة آل عمران في الهيكل لا في قدس الأقداس:

وكانت مريم مربّاة كحمامة في هيكل الربّ، وكانت تتلقّى طعامًا من يد الملائكة.[2]	ἦν δὲ Μαριὰμ ὡσεὶ περιστερὰ νεμομένη ἐν τῷ ναῷ κυρίου καὶ ἐλάμβανε τροφὴν ἐκ χειρὸς ἀγγέλου

وجاء ذكر إطعام الملائكة لمريم مرة أخرى في هذا الإنجيل على لسان يوسف النجار، مع ذكر دخولها قدس الأقداس، لكن دون ربط الإطعام بقدس الأقداس: «فنهض يوسف ودعا مريم وقال لها أنت التى رُبّيت فى قدس الأقداس، وتلقيتِ الطعام من يد ملاك. لماذا فعلت هذا ونسيتِ الرب إلهك؟»؛ فذكر يوسف النجار منّتين اثنتين من الله جلّ وعلا على مريم، دون أن يجعل الإطعام في قدس الأقداس.

ح-ينقل التراث النصراني للكاثوليك وللكنيسة الأرثوذكسية الشرقية أنّ مريم قد دخلت قدس الأقداس.[3] وفُسِر ذلك -رغم مخالفته للشريعة اليهوديّة- بأنّ الكهنة قد سمحوا لمريم أن تدخل قدس الأقداس بعدما رأوا ما أوتيت من خوارق. وبعيدًا عن تفسير الآية القرآنية في هذا المقام، لا يبعد أن يخالف اليهود شريعتهم؛ فهذا دأبهم طوال تاريخهم. وفعلهم ذلك مع مريم غير بعيد، إذا كانوا قد رأوا ما آتاها الله من كرامات.

---

(1) بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص 297.

(2) إسكندر شديد (تعريب)، الأناجيل المنحولة، عوسطا: دير سيدة النصر، 2004، ص37.
George T. Zervos, *The Protevangelium of James: Critical Questions of the Text and Full Collations of the Greek Manuscripts*: Volume 2, London: Bloomsbury Publishing, 2022, p.83.

(3) See Scott Hahn, Leon Suprenant, eds. Scripture and the Mystery of the Mother of God, Emmaus Road Publishing, 2002, p.177.

كلامُ المسيحِ في المهدِ

الاعتراض:

جاء في القرآن: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًۭٔا فَرِيًّۭا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍۢ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّۭا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّۭا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّۭا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّۭا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًۭا شَقِيًّۭا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّۭا ﴿٣٣﴾﴾ (مريم/ 72–33).

والحقّ أن كلامَ المسيحِ في المهدِ خُرافةٌ لم تذكرها الأناجيلُ الأربعةُ للكنيسةِ، وإنّما ورَدَتْ في إنجيلٍ مُزيَّفٍ، اسمُهُ الإنجيلُ العربيُّ، كُتِبَ في القرنِ السّادسِ أو الخامس، قبيل ميلاد نبيِّ الإسلام -ﷺ-.

الجواب:

جاء في «إنجيل الطُّفولة العربيِّ»: «قد وجدنا في كتابِ يوسيفوس رئيسِ الكَهَنةِ الذي كان على عهدِ المسيحِ -وقد قال أُناسٌ إنّه قايافا- قال هذا إنّ يسوعَ تكلّمَ وهو حين كان في المهدِ. وقال لمريم أُمِّهِ: «إنّي أنا هو يسوع ابنُ اللهِ الكلمة الذي ولدتيني كما بَشَّرَكِ جبرايل الملاكُ، وأبي أرْسَلَني لخلاصِ العالَم.»[1]

ادّعى المنصِّرُ تسديل أنّ القصّةَ القرآنيّةَ لكلام المسيحِ في المهدِ مُقْتَبَسةٌ من إنجيلِ الطُّفولةِ العربيِّ، غير أنّه لم يجد مناصًا من الاعترافِ بأنّ الأسلوبَ العربيَّ لهذا الإنجيلِ سيىء جِدًّا إلى درجةٍ يَعْسُرُ معها القولُ إنّه يعودُ في لغتِهِ العربيّة إلى زمنِ الرّسول -ﷺ-[2]، ثم قال إنّ الراجح أنّ هذا الإنجيلَ قد كُتِبَ باللُّغةِ القِبطيّةِ، ولأنّ

(1) Ioannis Caroli Thilo, *Codex Apocryphus Novi Testamenti*, Vogel, 1832, p.66.
(2) See St. Tisdall, *The Original Sources of the Qur'an, London: Society for The Promotion of Christian Knowledge*, 1911, p.170

نبيَّ الإسلام -ﷺ- قد تزوّجَ مريمَ القبطيّةَ، فلا شكَّ أنّها قد بَلَّغَتْهُ ما عَلِمَتْهُ من هذا الإنجيلِ ظنًّا منها أنّهُ من الإنجيلِ الصَّحيحِ.(1)

وقبلَ الردِّ لا بُدَّ من التّنبيهِ أنّ هذا الإنجيلَ قد سُميّ إنجيلَ الطُّفولةِ العربيّ، لا لأنّه قد أُلِّفَ باللُّغة العربيّةِ، وإنّما -كما يقول ستيفن ديفيز Stevan Davies- لأنّ نسخة له باللُّغة العربيّةِ كانت متاحةً في القرنِ السابعَ عشَرَ، ومنها تمَّ إصدارُ أوّلِ طبعةٍ أوروبيّةٍ، وأصبحَ هذا الإنجيلُ بسبب هذه الطّبعةِ معروفًا في الدّوائرِ الأكاديميّة، وأضاف أنّه «لا يُؤمِنُ النقّادُ عامّةً أنّه قد أُلِّفَ باللُّغةِ العربيّة ... تَسْمِيةُ هذا النصِّ بإنجيلِ الطُّفولةِ العربيِّ يُعطي انطباعًا خاطئًا أنّ الكتابَ أَصْلُهُ من البلاد العربيّة وأنّه يحتوي بصورةٍ خاصّةٍ موادَّ عربيّةً، وليس الأمرُ كذلك».(2)

وأمّا الجواب؛ فينتظم في النقاط التالية:

أولًا: اعترافُ تسديل بغيابِ ترجمةٍ عربيّةٍ لإنجيلِ الطُّفولةِ العربيِّ زمنَ البعثةِ؛ كافٍ بذاتِهِ لإبطالِ دعوى الاقتباسِ.

ثانيًا: تزوّجَ الرسولُ -ﷺ- مارية القبطيّة في السنةِ السّابعةِ بعد الهجرةِ(3)، أي قبل وفاتِهِ -ﷺ- بثلاثِ سنواتٍ، وكانت عامّةُ سُورِ القرآن، بما فيها سورةُ مريمَ، قد نزلَتْ قبلَ ذلك.

ثالثًا: اعترفَ تسديل بأنّ إنجيلَ الطُّفولةِ العربيّ لم يكن يُنْظَرُ إليه كوحيٍ من أيٍّ من الفِرقِ النصرانيّةِ(4)؛ فكيف تُخطئُ ماريّة القبطيّةُ باعتقادِها أنّه هو الإنجيلُ الصَّحيحُ؟!

رابعًا: شاع بين الكُتّابِ القولُ إنّ أوّلَ من أشارَ إلى وجودِ إنجيلِ الطُّفولةِ هو يشوعدد المروزيُّ في القرن التاسع، في تعليقِهِ على إنجيلِ متّى، ولكنْ بمراجعةِ هذا التّفسير لا نجدُ أدنى إحالةٍ إلى هذا الإنجيلِ.(5)

---

(1) Ibid., 170-171.

(2) See Stevan Davies, *The Infancy Gospels of Jesus: apocryphal tales From the childhoods of Mary and Jesus*, Vermont: SkyLight Paths Publishing, 2009 , p.xxv

(3) انظر ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ت: علي محمد البجاوي، بيروت: دار الجيل، ط1، 1412هـ، 8/ 111

(4) See St. Clair Tisdall, *The Original Sources of the Qur'an*, p.171

(5) يغلب على الدراسات النقدية للأسفار الأبوكريفية في المكتبة الغربية التكرار دون مراجعة الأصول.

خامسًا: رغم أنّ عددًا من المراجعِ الأجنبيّةِ تَرُدُّ زمنَ تأليفِ هذا الإنجيلِ إلى ما قبلَ البعثةِ النبويّةِ -بقليلٍ- إلاّ أنّ حُجّتَها -الحقيقيةَ- الوحيدةَ المكرّرةَ صراحةً، هي أنّ القرآنَ الكريمَ قد أوردَ تفاصيلَ مُشابهةً لما جاء في هذا الإنجيلِ؛ فصار محلُّ النّزاعِ بيننا وبين المخالِفين هو عينُ الحُجّةِ عندهم. ويظهر هذا الأمرُ بصورةٍ فاضحةٍ في قول «الموسوعةِ الكاثوليكيّةِ»: «من المستحيلِ التّأكُّدُ من تاريخِ تأليفِهِ، لكن من المحتملِ أنه قد تمَّ تأليفُهُ قبل العصرِ المحمّديِّ»![1]

وقد اعترف الناقد الدكتور ريدل Riddle -أحدُ أكبرِ العلماءِ الأمريكان المتخصّصين في دراساتِ العهد الجديد في زمانِهِ- بغيابِ الأدلّةِ المباشرةِ التي يمكن من خلالها تحديدُ تاريخِ تأليفِ هذا الإنجيلِ، في قوله: «لا توجدُ معطياتٌ كافيةٌ لتحديدِ الزّمنِ الذي أُلِّفَ فيه أو جُمِعَ فيه هذا الإنجيل بدقّةٍ.»[2] ولذلك عرّف به وبمخطوطاته دون أن يورد له تاريخ تأليفٍ.

سادسًا: الزّعمُ بأنّ إنجيلَ الطّفولةِ العربيّ قد عُرِّب قبل البعثة النبويّةِ بقليلٍ، وَعَدُّهُ مصدرًا للروايةِ القرآنيّة، يتعارض مع (أ) الحركةِ البطيئةِ لتعريبِ الأبوكريفا (ب) في بيئةٍ لم تعرف بعدُ الأناجيلَ القانونيّةَ في ترجمَتِها العربيّةِ، (ت) بالإضافة إلى أنّ هذا الإنجيلَ ليس له أنصارٌ ابتداءً من الطّوائفِ الأرثوذكسيّةِ أو المهرطقةِ.

سابعًا: النقّادُ الذين درسوا هذا الإنجيلَ دراسةً فيلولوجيّة جادّة، ذهبوا إلى أنّه قد أُلِّفَ بعد البعثةِ النبويّة؛ حتّى إنّ المستشرقَ الشّهيرَ، والمتَّهمَ بموقِفِهِ السّلبيِّ ضدّ الإسلامِ، مرجليوث Margoliouth[3] لمّا كتب مقالَهُ في الردّ على مقالِ فرنك فوستر Frank Foster[4]: «هل الإسلامُ هرطقةٌ مسيحيّةٌ؟»[5]، أَنْكَرَ عليه بِشِدَّةٍ دعواهُ

---

(1) *The Catholic Encyclopedia*, New York: Robert Appleton, 1907, 1/607

(2) "There are not sufficient data for fixing with any accuracy the time at which it was composed or compiled" (Alexander Roberts, and James Donaldson, eds. *Apocryphal Gospels, Acts and Revelations*, Edinburgh: T. & T. Clark, 1870, 16/xi)

(3) مرجليوث (1858م-1940م): من أعلام المستشرقين. عمل لفترة قصيرة قسيسًا. أستاذ اللغة العربيّة في جامعة أوكسفورد. أحد المساهمين في كتابة دائرة المعارف الإسلاميّة المتحاملة على الإسلام.

(4) فرنك فوستر (1851م-1935م): قسيس أمريكي، درّس الفلسفة وتاريخ الكنيسة.

(5) نشر في مجلة العالم الإسلامي The Moslem World، مجلد 22، العدد الثاني، ص 126-133

أنّ إنجيلَ الطُّفولةِ العربيّ قد أُلِّفَ قبلَ البعثةِ النبويّةِ، قائلًا: «عندما قال الدكتور فوستر إنّ الإنجيلَ العربيَّ لِطُفولةِ المخلِّصِ كان مصدرًا لِمَقْطعٍ أو مَقْطَعَيْنِ من القرآن» وإنّ «تاريخَ هذه الوثيقةِ... يعود إلى ما قبلَ ظهورِ محمّدٍ في أقصى تقديرٍ متأخّرٍ» فإنه يبعد عن الظنّ أنّه قد أخذ تصديقَ النقّادِ المتخصّصين في العربيّةِ على هذَيْنِ الاجتهادَيْنِ. فالنقّادُ الذين يُعَدُّون حُجّةً اليومَ يُقَدِّرُون أَنَّ هذا الإنجيلَ قد أَخَذَ قِصّةَ حديثِ المسيحِ في المهدِ من القرآنِ. وبما أَنَّ لُغَةَ هذا الكتابِ مُتأثِّرةٌ بصورةٍ واضحةٍ بالقرآنِ؛ فإنّ هذا القولَ هو الرّاجحُ.»[1]

ورغم أنّ فوستر قد استاءَ جدًّا من تعقيبِ مرجليوث على مقالِهِ، ممّا اضطرَّهُ إلى أن يردَّ عليه في العددِ التالي من مجلّة «العالم الإسلامي»، إلاّ أنّه مع ذلك قد أعلنَ أنّه مستعِدٌّ أن يحذفَ من مقالِهِ السّابقِ ما ادّعاه من أنّ إنجيلَ الطُّفولةِ العربيّ قد أُلِّفَ قبلَ الإسلام، إقرارًا منه أنّ كلامَ المستشرقِ مرجليوث أهلٌ لأن يكون حُجّةً في هذا البابِ.[2]

وممن صرَّحَ من النقّادِ أنّ هذا الإنجيلَ قد أُلِّفَ بعدَ الإسلامِ، بنيامين هاريس كوبر Benjamin Harris Cowper الذي نَسَبَهُ إلى القرنِ الثامن أو التاسع[3]، وهو نفسُ ما قَرَّرَهُ النّاقِدُ طوني شارترند-بورك Tony Chartrand–Burke في أُطروحتِه للدّكتوراه التي ناقَشَها منذُ سنواتٍ قليلةٍ في جامعة تورنتو[4]، ولعلَّ رأيَهُ يُمَثِّلُ قولَ آخرِ الأبحاثِ الأكاديميّةِ الغربيّةِ في هذا الموضوعِ، خاصّةً مع ما تَمَيَّزَتْ به هذه الأُطروحةُ من استيعابٍ جَيِّدٍ لخريطةِ مخطوطاتِ أَناجيلِ الطُّفولةِ، وتاريخِها، وعلاقاتها البينيّةِ. وقد نَقَلَتْ النّاقدةُ ماري دزون Mary Dzon[5] رأيَهُ في أحدثِ دراسةٍ منشورةٍ لها، مُقِرَّةً له.[6]

---

(1) David S. Margoliouth, '*Is Islam a Christian Heresy?,*' in *The Moslem World*, 1933, V.23, p.9

(2) See Frank Hugh Foster, '*Reply to professor Margoliouth's Article, Jan, 1933,*' in *The Moslem World*, April 1933, Volume 23, p.198

(3) See B. Harris Cowper, *The Apocryphal Gospels and Other Documents Relating to the History of Christ*, Edinburgh: Williams and Norgate, 1870, 3rd edition, p.171

(4) See Tony Chartrand-Burke, *The Infancy Gospel of Thomas: The Text, its Origins, and its Transmission*, Ph.D. thesis, University of Toronto, 2001, p.127 (manuscript)

(5) ماري دزون: أستاذ أدب القرون الوسطى في جامعة تنسي. متخصصة في الأدب الديني الإنجليزي الأوسط. تُعِدّ الآن دراسة حول صور طفولة المسيح في أواخر القرون الوسطى.

(6) See Mary Dzon, "*Cecily Neville and the Apocryphal Infantia salvatoris* in *the Middle Ages*," in *Mediaeval Studies* 71 (2009), p.265

ثامنًا: لإنجيلِ الطُّفولةِ العربيِّ مخطوطتان اثنتان فقط: [1]

مخطوطة لورنتيانوس: لا يختلف النقّادُ في أنّ مخطوطةَ لورنتيانوس متأخّرةٌ عن عصر البعثةِ النبويّةِ؛ إذ تكثُرُ فيها المصطلحات الإسلاميّةُ؛ فقد بدأَتْ مثلًا بـ: «بسم الله الرحمن الرحيم. كان على عهد موسى النبيِّ -عليه السَّلام-...»، وجاءت فيها عباراتٌ إسلاميّةٌ؛ مثل «إمام» مكان كاهن، و«المعتزلة» مكان الفِرّيسيّين ...[2] والمخطوطة تعود إلى سنة 1299م.[3]

مخطوطة سايك: تَعَلَّقَتْ آمالُ المنصّرين لإثباتِ سَبْقِ إنجيلِ الطُّفولةِ العربيِّ عصرَ البعثةِ النبويةِ، بالمخطوطةِ التي نشرها هـ. سايك H. Sike مع ترجمةٍ لاتينيّةٍ سنة 1695م. ووَجْهُ الاحتجاجِ بهذه المخطوطةِ لا يعود إلى أنّه قد ثبتَ أنّها قد كُتِبَتْ قبلَ البعثةِ، وإنّما لأنّنا لا نعلم متّى كُتِبتْ لأنّها كانت غيرَ متاحةٍ بين يدي الباحثين.

وبِتَتَبُّعِ أَثَرِ المخطوطةِ، اكْتَشَفْتُ أنّ المستشرقةَ كورنليا ب . هورن Cornelia B. Horn قد أشارَتْ إلى أنّ مخطوطةَ سايك قد ضاعَتْ (وهو المشهور عنها في الدّوائرِ العِلميّةِ) أو هي موجودةٌ في مكتبةِ (Bodleian Library) في جامعة أوكسفورد، تحت ترتيبِ (MS Or. 350). وقد مَنَّ اللهُ علينا[4] بالتّواصُلِ مع المكتبةِ، وتَبَيَّنَ لنا أنَّها هي مخطوطةُ سايك بدلالةِ أنّه قد أُلحِقَتْ بها في آخِرِها رسالةٌ لـهمفري ونلي Humfrey Wanley يقول فيها إنّه قد اشترى هذه المخطوطةَ من سايك الذي اشتراها من جاكوب غليوس Jacob Golius الذي جاء بها من تركيا. كما أنّ نصَّ هذه المخطوطةِ مُطابِقٌ للنصِّ العربيِّ الذي نَشَرَهُ سايك[5] بما يرفَعُ كُلَّ رِيبةٍ في الموضوعِ.

---

(1) Cornelia B. Horn, "Arabic Infancy Gospel" in *Encyclopedia of the Bible and its Reception*, Dale C Allison, Jr.; Hans-Josef Klauck; *et al*., eds. Berlin: De Gruyter, cop. 2012, 2/590

(2) Mario E. Provera, *Il Vangelo arabo dell'Infanzia: secondo il ms. laurenziano orientale (n. 387)*, Gerusalemme: Franciscan Print, 1973, pp.35-36

(3) Cornelia B. Horn, "Arabic Infancy Gospel", 2/591.

(4) تواصل الأستاذ فيصل عازر رئيس مؤسستنا: «مبادرة البحث العلمي للمذاهب المعاصرة والأديان» -جزاه الله خيرًا- مع المكتبة. واستلم منها صورة عن النسخة.

(5) النص العربي لهذا الإنجيل المعروض على النت هو ترجمة عن الإنجليزية أو الفرنسية وليس هو النص في لغته الأصلية. النص العربي الذي نشره سايك متاح في كتاب:
.Giles, *The Uncanonical Gospels and Other Writings*, London: D. Nutt. 1852, 1/12-32

وقد كانت المفاجأةُ أنّ هذه المخطوطةَ متأخّرةٌ جدًّا عن زمنِ البعثة النبويّة؛ إذ إنّها كما يظهر أمامكم بوضوحٍ قد كُتِبَتْ بِخَطٍّ عربيٍّ متطوّرٍ، حتى لكأنّه خَطٌّ من خُطُوطِنا اليومَ، مع الإعجام الواضِحِ.

= ولذلك لا يمكنُ أن يَدَّعِي أَحَدٌ بعد اليوم وُجود مخطوطةٍ لإنجيلِ الطُّفولةِ العربيِّ قبلَ الإسلامِ.

صورةٌ من مخطوطة سايك
الصفحة الأولى

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد
نبتدي بعون الله وحسن توفيقه ونكتب
كتاب عجايب سيدنا وربنا ومخلصنا يسوع
المسيح المدعو انجيل الطفولية بسلام
من الرب امين قد وجدنا في كتاب يوسيفوس
رييس الكهنة الذي كان على عهد المسيح وقد قال
الناس انه قايلا قال هذا ان يسوع تكلم وهو
حين كان في المهد وقال لمريم امه اني انا هو
يسوع ابن الله الكلمة الذي ولدتيني كما بشرك
جبرايل الملاك وابي ارسلني لخلاص العالم وفي
سنة ثلاثمايه وتسعه من سنين الاسكندر امر اغسطوس
ان يكتتب كل انسان في بلده فقام يوسف
واخذ مريم خطيبته ومضى الى بيت

الصفحة الثانية

المقدس وجا الى بيت لحم ليكتتب مع اهل
بليته في قريته فلما بلغوا المغاره قالت
مريم ليوسف انه قد حان وقت الولاده.
وليس يمكنني المسير الى القريه ولكن
ندخل الى هذه المغاره وهذا كان وقت
غروب الشمس. فاما يوسف فانه مضى
عاجلا ليحضر لها امراه تكون عندها
فبينما هو في ذلك اذ لمح عجوز عبرانيه
من اورشليم فقال لها يا مباركه هلمي فادخلي
هذه المغاره. فان فيها امراه تريد ان تلد.
فجات العجوز ويوسف معها الى المغاره
وكانت الشمس قد غربت فدخلاها.
فاذا هي مملوءه انوار احسن من السرج
والقناديل واعظم من نور الشمس والطفل

تاسعًا: هناك قرائنُ من داخلِ نصِّ إنجيلِ الطُّفولةِ العربيِّ، تُؤيِّدُ أنّه أُلِّفَ بعد البعثةِ النبويّةِ، منها:

أ. ذكر عالِمُ الأديانِ والقِسّيسُ المنصِّرُ جيوفري بارندر Geoffrey Parrinder[1] في الفصلِ الذي اختار له عنوان «ابن مريم» في كتابه «يسوع في القرآن»، أنّ القرآن الكريمَ قد ذكر لقبَ «ابن مريم» سِتًّا وعشرين مرّةً، في حين لم يردْ هذا اللّقبُ في الكتابِ المقدّسِ غير مرّةٍ واحدة[2]، وأنّ هذا اللّقبَ لم يُستعمَلْ في الكنيسةِ المبكّرةِ عامّةً، ولا ذِكْرَ له في الأدبيّات النصرانيّةِ الأرثوذكسيّة[3] بعد كتابةِ العهدِ الجديد، وإن كان من الممكنِ أن يكون قد استُعْمِلَ مرّاتٍ قليلة جِدًّا، ولم تستعمِلْهُ حتّى الكتاباتُ الأبوكريفيّةُ والهرطقيّةُ إلاّ قليلًا. وبالنّظرِ في مجموعةِ الأسفارِ الأبوكريفيّة التي جَمَعَها م. ر. جيمس؛ نلاحِظُ أنّ لقبَ «ابن مريم» لم يَرِدْ بصورةٍ بارزةٍ في غيرِ إنجيلِ الطُّفولةِ السريانيِّ والعربيِّ. ثم قال: «تاريخ تأليف هذا الإنجيلِ غيرُ معروفٍ على القَطْعِ، رغم أنّ الطّبعةَ الفرنسيّةَ التي حررّها ب. بيترز تقول إنّ القصصَ في هذا الكتابِ «لا بد أنّها كانت معروفةً بصورةٍ مبكّرةٍ بين العربِ المسيحيّين لأنّها قد دَخَلَتِ القرآنَ». من الممكن **تحدّي هذا التّقرير** لأنّه وإن كانت بعضُ هذه القصص لها مُوازٍ في القرآن بصورةٍ ما، إلّا أنّ القصصَ التي تَسْتَعْمِلُ لقبَ ابنِ مريمَ لا نظيرَ لها في القرآنِ. ومن الممكن أن يكون إنجيلُ الطُّفولةِ العربيّ **قد أُلّف بعد الإسلامِ، وتَأَثّرَ بالعُرْفِ الإسلاميِّ**، وإنْ كان مِنْ خَلْفِهِ النصُّ السريانيُّ الأقدمُ.»[4]

---

(1) جيوفري بارندر (1910م2005–م): أستاذ علم الأديان المقارن في كليّة (كنج) بلندن، وقسيس ميثودوستي. له أكثر من ثلاثين كتابًا. عمل سنوات طويلة في التنصير في أكثر من بلد. رأس عددًا من المؤسسات المتخصصة في دراسة أديان العالم.

(2) مرقس 6/ 3: «أليس هذا هو النجار ابن مريم»، الغريب هنا أنّ هذا المقطع قد ورد في صورة مختلفة في بقيّة العهد الجديد: متّى 13/ 55: «أليس هو ابن النجار؟ أليست أمه تدعى مريم»، لوقا 4/ 22: «أليس هذا ابن يوسف؟».

(3) الأرثوذكسيّة: أي التي تتبع تعاليم المسيح (بزعمها)، في مقابل الهراطقة وكنائسهم. وتستعمل «الأرثوذكسية» أيضًا كمصطلح للدلالة على الكنائس التي تقول بمذهب الطبيعة الواحدة، وليس ذاك مقصوده هنا.

(4) Geoffrey Parrinder, *Jesus in the Qur'an*, p.27

ب. إنجيلُ الطُّفولةِ العربيّ هو أوّلُ وثيقةٍ تحدّثَتْ عن حِفظِ غُرْلةِ المسيحِ بعد خِتانِه، وإذا عَلِمْنا أنّ الاحتفالَ بعيدِ (خِتانِ الربِّ!) والخرافات الكثيرة المتعلّقة بحفظِ هذه القطعةِ من الجِلْدِ كان مُنْتَشِرًا في القرونِ الوُسْطى[1]، وأنّ أوّلَ ذِكْرٍ لهذه القطعةِ المحفوظةِ كان في القرنِ الثامن[2] -وإن كان الاحتفالُ بعيدِ الخِتانِ سابقًا لها ببضعةِ قُرونٍ- مالَ اعتقادُنا أكثرَ لِنِسبةِ هذا الإنجيلِ إلى القرنِ الثّامنِ أو ما بعدَهُ؛ لأنّ المنطِقَ التاريخيَّ يستدعي أن يكون هذا الإنجيلُ الأبوكريفيّ خاضعًا لانتشارِ هذه الخرافةِ لا مُنْشِئًا لها؛ إذ إنّه إنجيلٌ أبوكريفي لا تُعْرَفُ طائفةٌ تَتَبَنَّاهُ، وقد وُجِدَ في زمنٍ اسْتَقَرَّتْ فيه قداسةُ الأناجيلِ الأربعةِ؛ فأنْ يكون مُسايِرًا في روايتِهِ للخرافات المنتشرةِ، أقرب لِلمنطقِ من أن يكون مُنْشِئًا لها مع ما عُلِمَ من فقدانه لِلسُّلطانِ الدّينيِّ أو الأدبيِّ في الزَّمنِ الذي ظهر فيه.

عاشرًا: اعترضَ يوحنّا الدمشقيُّ في القرن الثامنِ الميلاديِّ على كثيرٍ من التّفاصيلِ القرآنيّةِ في أمر المسيحِ وقصص الأنبياءِ، إلاّ أنّه رغم ثقافَتِهِ الموسوعيّةِ ومعرفَتِهِ المستفيضةِ بالفِرق المهرطقةِ وكُتُبِها المقدّسةِ، لم يُشِرْ أدنى إشارة في كتابِهِ «ينابيع المعرفة» إلى التّشابُهِ المزعومِ بين القرآنِ الكريم وإنجيلِ الطُّفولةِ (العربيِّ). وهو ما يظهر أيضًا في واحدٍ من أشهرِ المؤلّفاتِ الطّاعنةِ في الإسلامِ والتي أفاضَ فيها مؤلّفها في ذِكرِ ما يستنكِرُهُ من الأمورِ التي وَرَدَتْ في القرآنِ الكريم والسنّةِ النبويّةِ، وهو المسمّى بـ«رسالة عبد الله بن إسمعيلَ الهاشميّ إلى عبدِ المسيحِ بن إسحقَ الكِنْديّ يدعوه بها إلى الإسلام؛ ورسالةُ عبدِ المسيحِ إلى الهاشميِّ يردُّ بها عليه ويدعُوهُ إلى النصرانيّةِ» . وهو كتاب أُلِّفَ في القرن العاشر الميلاديّ[3]، وتُرْجِمَ إلى اللاتينيّةِ في القرن الثاني عشر على يد بُطرسَ الطُّلَيطِليِّ.

(1) بلغ الهوس بهذه القطعة من العضو الذكري ليسوع أنّ قدّيسة الكنيسة Catherine of Siena قد ادّعت أنّ المسيح قد اتخذها عروسًا وكانت هذه القطعة من الجلد هي خاتم العرس! (انظر Barbara G. Walker, *The Woman's Encyclopedia of Myths and Secrets*, New York: HarperCollins, 1983, p. 795)

(2) See Stuart B. Schwartz, *Implicit Understandings*, New York: Cambridge University Press, 1994, pp.578-579

(3) See Avery Cardinal Dulles, *A History of Apologetics*, San Francisco: Ignatius Press, 2005 , p.95

الحادي عشر: ذكر النّاقِدُ مونتاغ رودز جيمس Montague Rhodes james في كتابِهِ الشّهيرِ «العهد الجديد الأبوكريفي» أنّ مقدّمةَ هذا الإنجيلِ- وهي تَضُمُّ معجزةَ نُطْقِ المسيحِ في المهد- ليست أَصْلِيّةً في هذا الإنجيلِ، وإنّما تَمَّتْ **إضافتها لاحقًا!**[1] وقد صرّحَ النّاقِدُ رولاند هـ. ورث Roland H. Worth في حقّ إنجيلِ الطُّفولةِ العربيِّ بأنّه «ربّما تَعَرَّضَ النصُّ إلى **تَوَسُّعٍ كبيرٍ وتغييرٍ من الذين تَوَلَّوْا تَرْجَمَتَهُ**؛ حتّى يُوافِقَ بصورةٍ أفضلَ تَصَوُّرَ من سيقرؤونه وأفكارَهم المسبَقةَ.»[2]

وأمّا غيابُ ذِكْرِ حديثِ المسيحِ في المهدِ عن الأناجيلِ الأربعةِ؛ فليس بعجيبٍ؛ لأسبابٍ:

أوّلًا: هذه الأناجيلُ لم يَكْتُبْها شُهُودُ عيانٍ؛ باتّفاقِ النُّقّادِ. قال دافيد لاندري عن الأناجيلِ: «يَتَّفِقُ العلماءُ اليومَ بشكلٍ عامٍّ على أنَّ مُؤَلِّفيها الفِعْلِيِّين غير معروفين لنا على الأرجح».[3]

ثانيًا: لم يَرِدْ ذِكْرُ خبرِ ميلادِ المسيحِ وطُفولَتِهِ إلّا في إنجيلِ متّى وإنجيلِ لوقا. ولم يتحدَّثْ مرقس ويوحنّا إلّا عن الجزءِ المتأخّرِ جدًّا من حياةِ المسيحِ. والأرجحُ أنّ ذلك سَبَبُهُ الضّعفُ الشّديدُ للتُّراثِ الشَّفَهِيِّ المحفوظِ عن ميلادِ المسيحِ وطُفولَتِهِ.

ثالثًا: هناك تعارضٌ واضحٌ في خَبَرِ ميلادِ المسيحِ وطُفُولَتِهِ بين إنجيلِ متّى وإنجيلِ لوقا؛ حتّى قال بارت إيرمان في مقدّمةِ عَرْضِهِ لبعضِ الاختلافاتِ الظّاهرةِ بينهما: «القِصَّتانِ نفسُهما ليستا مُتناغِمَتَيْنِ على الإطلاقِ. لا يقتصر الأمرُ على أنّهما يرويان قصصًا عن كيفيةِ ولادةِ يسوع يُخالِفُ بها أحدُهما الآخرَ بصورة كليّة، وإنّما يبدو أنّ بعضَ الاختلافاتِ لا يمكن التّوفيقُ بينَها».[4]

(1) Montague Rhodes James, *The Apocryphal New Testament*, Oxford: Clarendon Press, 1985, p.80

(2) Roland H. Worth, *Alternative Lives of Jesus: noncanonical accounts through the early Middle Ages*, North Carolina: McFarland, 2003, p.28

(3) «Scholars today generally agree that their actual authors are mostly unknown to us", David t. Landry, 'Jesus and the Gospels', in Mark McInroy, Michael J. Hollerich, eds. *The Christian Theological Tradition*, New York: Routledge, 2020, 4th edition, p.107

(4) Bart D. Ehrman, *Jesus, Interrupted: Revealing the Hidden Contradictions in the Bible (And Why We Don't Know About Them)*, Harper Collins, 2009, p.30.

رابعًا: هناك تعارضٌ بين قصّةِ ميلادِ المسيحِ وطُفُولَتِهِ من جهةٍ، وبقيّةِ قِصّتِهِ في الأناجيلِ من جهةٍ أُخرى؛ حتى قال ريموند براون: «شُكِّلَ قصصُ دعوةِ المسيحِ في التّراثِ المسيحيِّ دون معرفةِ مادّةِ أخبارِ الطُّفُولةِ».[1]

خامسًا: إنجيلُ لوقا نفسُه فيه اضطرابٌ عجيبٌ في شأنِ ميلادِ المسيحِ؛ فإنَّ الفصلَ الثاني منه يجعل يوسفَ النجّار والِدَ المسيحِ -في المخطوطاتِ الأقدمِ-؛ ولذلك علّقَ فرنسوا بوفون François Bovon في شرحِهِ لإنجيل لوقا على اختيار مؤلِّفِ إنجيلِ لوقا استعمالَ عبارةِ: «وَالِدِهِ» لوصف يوسف النجّار، بقوله إنّ ذلك «على الأرجحِ علامة على أنّنا عند مصدرٍ لم يَعْرِفْ بعدُ الميلادَ العُذرِيَّ، كما هو الأمرُ أيضًا في المقاطعِ الأُخرى للفصلِ الثاني من إنجيل لوقا».[2] أي إنّ مُؤلِّفَ إنجيلِ لوقا قد اعتمد على مصادرَ مختلفةٍ لقصّةِ ميلادِ المسيحِ، منها مصادرُ تُنْكِرُ ميلادَهُ العُذْرِيَّ.

---

(1) Raymond Brown, *The Birth of the Messiah*, p.32.

(2) "Il est plus probable que nous sommes ici sur la piste d'une source qui, comme les autres péricopes de Lc 2, ne connaissait pas encore la naissance virginale". François Bovon, *L'Evangile Selon Saint Luc. (1, 1-9, 50)*, Genève: Labor et Fides, 2007, p.143.

صَلْبُ المسيحِ

الاعتراض:

جاء في القرآن: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ (النساء/ 157-158). وإنكارُ الصّلبِ مُخالِفٌ لما أَثبَتَتْهُ الأناجيلُ الأربعةُ ولإجماعِ النقّادِ اليومَ.

الجواب:

تقوم هذه الشّبهةُ على دعوى صلابةِ الشّهادةِ التاريخيّةِ لِقصّةِ صَلْب المسيح، وغيابِ ما يُعارِض ذلك من شهاداتِ التّاريخِ القديم. والردّ من أَوْجُهٍ:

أَوّلًا: نحن لا نملِكُ أربعَ شهاداتٍ تعودُ إلى القرنِ الأوّلِ عن صَلْبِ المسيحِ كما هي دعوى الكنيسةِ؛ وإنّما أمامَنا شهادةٌ واحدةٌ من القرنِ الأوّلِ، هي شهادةُ إنجيلِ مرقس، وقد أَعَادَ مؤلِّفُ إنجيل متّى ومؤلِّفُ إنجيلِ لوقا صِياغَتَها مع شيءٍ من الزّياداتِ، باتّفاقِ عامّةِ النّقّادِ؛ وأمّا إنجيلُ يوحنّا؛ فالشّكُّ قائمٌ في شأنِ تأليفِهِ في القرنِ الأوّلِ. ومن أَدْخَلَهُ في القرن الأوّل، جَعَلَهُ آخِرَهُ.

كما شهدَ برتن ماك Burton Mack[1] أنّه «لا توجدُ إشارةٌ إلى موتِ المسيحِ صَلْبًا في المادّةِ السّابقةِ (لإنجيل) مرقس المتعلّقة بعيسى.»[2] وهو هنا يُقرِّرُ ما عليه فريق ممَنْ يؤمنون بوجود مادّةٍ افتراضيّةٍ أُولى تُسمّى «Quelle» كانت متداولةً قبل ظهورِ الأناجيلِ الرسميّةِ الحاليّةِ.[3] ويلفت ستيفن ج. بيترسون نظرنا إلى أمر هام في قوله: «يخبرنا «Quelle» -بجانب إنجيل توما- أنّه لم يختر كل المسيحيين موت يسوع

---

(1) برتن ماك: أستاذ متقاعد من (Claremont School of Theology) في كاليفورنيا. من أعلام المتخصصين اليوم في أصول النصرانيّة، والنصرانيّة المبكرة.

(2) Burton Mack, *Who Wrote the New Testament?*, New York: HarperCollins, 1995, p.87

(3) كان القول سابقًا بين الباحثين إنّ «Quelle» تضم خبر صلب المسيح عليه السلام وقيامته من الموت. ثم ظهر القول بين فريق من الباحثين إنّ «Quelle» لا تضمّ خبر الصلب والقيامة.

See Robert E van Voorst, *Jesus outside the New Testament: an introduction to the ancient evidence*, Grand Rapids, Mich.: Eerdmans, 2000, p.173.

وقيامته نقطة مركزية لتفكيرهم اللاهوتي».[1] وذاك ما يجعلنا نشكّك في موافقة الجيل الأوّل لأتباع المسيح عليه السلام للكنيسة بعد ذلك في شأن خبر الصلب ودلالته.

ثانيًا: أناجيلُ الكنيسةِ ليست حُجّةً قاطعةً في البحثِ التاريخيِّ؛ لأنّها مجهولةُ المؤلِّفِ، وبلا أسانيدَ إلى عصرِ المسيحِ، بالإضافةِ إلى ما فيها من أخطاءٍ تاريخيّةٍ.[2]

ثالثًا: الاختلافُ بين الأناجيلِ فاحِشٌ، وهو أَشَدُّ ما يكون فُحْشًا في قِصّةِ صَلْبِ المسيحِ.[3] وذاك ما يزيد شَكَّنا في مصداقيّةِ هذه الأناجيلِ في شأنِ قِصّةِ الصَّلْبِ.

رابعًا: النصُّ الوحيدُ -خارج العهد الجديد- في القرنِ الأوّلِ الذي شَهِدَ لِصَلْبِ المسيحِ، هو نصُّ يوسيفوس.[4] والاستدلالُ به لإثباتِ صَلْبِ المسيحِ، مُنْكَرٌ؛ لأسبابٍ:

- الإجماعُ العِلميُّ أنّ هذا النصَّ على صُورتِهِ الحاليّةِ، لا يمكن أن يكونَ من تأليفِ يوسيفوس[5]؛ لما فيه من تمجيدٍ لعيسى -عليه السَّلام- أنّه المسيحُ المنتظَرُ، وأنّه يبدو أنّه أعلى من أن يكون إنسانًا، وأنّه قد قامَ من الموتِ كما هي نُبوءَةُ الأنبياءِ السابقين عنه. وتلك أحكامٌ لا يمكن أن تصدرَ عن يهوديٍّ في شأن عيسى -عليه السَّلام-. ولذلك اختلفَ النّقّادُ في شأنِ هذا النصِّ؛ فذهب فريقٌ من النقّادِ إلى أنّ هذا المقطَعَ برمَّتِهِ مُخْتَلَقٌ، وذهب عامّةُ النّقّادِ إلى أنّ في ألفاظه تحريفًا.
- حتّى لو كانت شهادةُ يوسيفوس محرّفةً وغيرَ مُخْتَلَقةٍ؛ فسيبقى أنّه لا سبيلَ لمعرفةِ صُورةِ الشّهادةِ الأَصِيلةِ؛ فإنّ أَقدَمَ مخطوطةٍ لكتاب: «عاديات اليهودِ» تعودُ إلى قرابةِ عشرةِ قُرونٍ بعد عصرِ تأليف الكتاب.[6] وذاك داعٍ لِعُسْرِ معرفةِ

(1) S. Patterson, "Q, the lost Qospel," *BibleRev* 9 Ocotber 19930, 62.

(2) انظر في الأخطاء التاريخية في الأناجيل:
Robert M. Price, *Holy fable, Volume 2*, Mindvendor, 2017.

(3) See Bart D. Ehrman, *Jesus, Interrupted: Revealing the Hidden Contradictions in the Bible*, pp.23 ff.

(4) *Antiquities* 18. 3.3.

(5) Amy-Jill Levine, Marc Zvi Brettler, *The Jewish Annotated New Testament*, Oxford: Oxford University Pres, 2011, p.576.

(6) Guy N. Deutsch, "The Illustration of Josephus' Manuscripts", in Louis Feldman, Gōhei Hata, eds. *Josephus, Judaism and Christianity*, Brill, 1987, pp.398-410.

الأصيلِ من الدّخيلِ من الكلماتِ. ولذلك قال مارك بريتر Marc Brettler وإيمي-جيل لفاين Amy-Jill Levine: «العلماءُ مختلفون حول كيفيّةِ إعادةِ بناءِ النصِّ الأصليِّ للمقطَعِ بصورةٍ دقيقةٍ.»[1]

- حتى لو سَلَّمْنا أن يوسيفوس قد كتب أنَّ المسيحَ قد صُلِبَ فليست شهادَتُه بشيءٍ، فقد كَتَبَ ذلك نهاية القرنِ الأوّل، لا عن مُعاينةٍ، وإنما نقلًا عن الشّائع في فلسطين، ونحن لا نُنْكِرُ أنّ القولَ بِصَلْبِ المسيحِ كان مُشْتَهِرًا حينَها؛ فلم تُضِفْ هذه الشّهادةُ المنسوبةُ إلى يوسيفوس شيئًا إلى حُجّةِ المخالِفِ.

خامسًا: ليس في إنكارِ صَلْبِ المسيحِ في الخَبَرِ القرآنيِّ، مصلحةٌ للدّعوةِ الإسلاميّةِ؛ حّتى يُقال إنّ القرآنَ قد حَرَّفَ الخَبَرَ القديمَ؛ خدمةً لمصلحةٍ خاصّةٍ. قال القاضي عبد الجبار: «وتَأَمَّلْ إلى إقدامِهِ [=الرسول -ﷺ-] على أُمّتَيْنِ عظيمَتَيْنِ من أهلِ التّحصيلِ والعَقْلِ، قد أَجْمَعُوا على أمرٍ وسَبَقُوهُ في الزّمانِ، وهو أَشَدُّ النَّاسِ حِرْصًا على تآلفهم وإجابَتِهِم واستمالَتِهِم، فَأَكْذَبَهُم وردَّهُم، ولو كان مُتَقَوِّلًا لَتَهَيَّبَ ولم يُقْدِمْ على ذلك خوفًا من أن يكون الأمرُ كما قالوا وكما ادَّعَوْا؛ فَيَبِيْنَ كَذِبُهُ ويرجعَ عنه مَنْ قد تَبِعَهُ، لأنّ الأنبياء يجوزُ أن يُقْتَلُوا ويُصْلَبُوا، بل قد قُتِلَ قومٌ منهم.

وأيضًا، فليسَ في قتلِ المسيحِ طعنٌ عليه ولا قدحٌ في أمرِهِ، وما به حاجةٌ الى مُخالَفَتِهِم في ذلك، بلِ قد كان ينبغي أن يكون إلى تصديقهم في ذلك أَحْوج، ليكون تَشْنِيْعُهُ على النّصارى أَوْلى، لأنّهم قد اعتَقَدُوا فيه أنّهُ إلهٌ وربٌّ وقد رَأَوْهُ أسيرًا مقهورًا في يدِ عَدُوِّهِ ومصلُوبًا ومقتولًا، ويزيد شناعته على اليهود لأنّهم قد قَتَلُوا نَبِيًّا آخرَ مضافًا إلى غيرِهِ من الأنبياءِ الذين قد قَتَلُوهم قبلَ المسيحِ. فَتَجَنَّبَ -ﷺ- هذا كلّه مع الحاجة إليه، وقال: قد ادَّعَوْا أنّهم قد عَلِمُوا ذلك وليسوا به عالمين ولا مُتّفِقِين، وما معهم فيه إلّا الظنّ؛ فقال: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾؛ أي ليس ثَمَّ يقينٌ ولا سُكونُ نَفْسٍ، تقولُ العربُ في الخَبَرِ المتيَقَّنِ

(1) Amy-Jill Levine, Marc Zvi Brettler, *The Jewish Annotated New Testament*, p.576.

قَتَلْتُهُ عِلْمًا وقَتَلْتُهُ يَقِينًا. ثم قال: «بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ» أي صانَهُ وعَظَّمَهُ أن تَنالَهُ يدُ عَدُوِّهِ بالقتل والصَّلْبِ، لأنّ الظنَّ قد يَصْدُقُ تارةً، وقد تجتمعُ الجماعةُ الكبيرةُ فَتُصَدِّقَ المخبِرَ الواحدَ من طريقِ حُسنِ الظنِّ بخَبَرِهِ، ويكونُ قد صدقَ فيما أَخْبَرَ، فيكونوا صادقين وإن لم يَعْلَمُوا صِدْقَهُ، وإن ظَنُّوا أنّ اعتقادَهم لذلك عِلْمٌ. فانْظُرْ إلى ذلك كيف بَيَّنَهُ من كُلِّ وَجْهٍ».[1]

إنّ نفيَ الصّلبِ يزيدُ في مباعدةِ الشّقّةِ بين الإسلام والنصرانيّة ويُقلّصُ من جاذبيّتِهِ عند عامّةِ النّصارى، كما أنّ اليهودَ قد اتّخذوا قصّة الصلب حجّة ضد نبوّة عيسى عليه السلام[2] ؛ معتمدين في ذلك على ما جاء في سِفرِ التّثنيةِ 18/ 18-20.[3]

سادسًا: ليس في القرآنِ إنكارٌ صريحٌ لقصّة الصّلبِ التي شاهَدَها النّاسُ ورَأَوْا فيها رَجُلًا مُعَلَّقًا عقوبةً له من الرُّومان. وقد ذهب عامّةُ علماءِ الإسلامِ إلى وجودِ صَلْبٍ ومَصْلُوبٍ على صورةِ المسيحِ. فالخبرُ القرآنيُّ -على هذا التفسير- لا يُعارِضُ إثباتَ عمليّةِ الصّلبِ، ولا أنّ النّاسَ رأوا المسيحَ مَصْلُوبًا، وإنّما الخلافُ هنا منحصِرٌ في أمرٍ واحدٍ فقط، وهو حقيقةُ من يحمِلُ صورةَ المسيحِ على الصّليبِ. وحلُّ هذا الخلافِ يكون أساسًا بالنّظرِ في أحداثِ ما بعد الصّلبِ لأنّه عندها فقط قد يكون من الممكن لنا أنْ نُمَيِّزَ المسيحَ الحقيقيَّ من شَبِيهِهِ المصلوبِ إنْ وُجِدَ.

سابعًا: تقولُ الكنيسةُ إنّ الأناجيلَ لا تُظهِرُ أدنى شكٍّ في شأن حقيقةِ المصلوبِ بعد أحداثِ الصّلبِ. وتُنْكِرُ وجود أيّ جَدَلٍ في هذا الأمر ذاك الحين. في حين نَجِدُ في القرآنِ تنبيهًا إلى وجود اختلافاتٍ مُبكّرةٍ بين النَّصارى حول خَبَرِ صَلْبِ المسيح في قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ

(1) القاضي عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، القاهرة: دار المصطفى، 1/ 123

(2) يؤمن النصارى بألوهيّة المسيّح ونبوّته؛ لأنّ المسيح قد وُصف بالنبوّة في العهد الجديد غير مرّة، كما أنّ عددًا من النصوص التي وردت في العهد القديم وزعم النصارى أنّها نبوءات عن المسيح، تقرّر بشريّة المتحدّث عنه ونبوّته.

(3) «لهذا أقيم لهم نبيًا من بين إخوتهم مثلك، وأضع كلامي في فمه، فيخاطبهم بكل ما آمره به. فيكون أن كل من يعصي كلامي الذي يتكلم به باسمي، فأنا أحاسبه. وأما النبي الذي يتجبر فينطق باسمي بما لم آمره أن يتكلم به، أو يتنبأ باسم آلهة أخرى، فإنه حتمًا يموت.»

وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ ﴾ (النساء/ 157).

والنّاظِرُ في الأناجيلِ الرسميّةِ، سيدرِكُ أنّ دعوى الكنيسةِ لا تَصِحُّ؛ لأنّها غيرُ دقيقةٍ في فحصِ النُّصوصِ؛ فقد انتهى أقدمُ أناجيلِ الكنيسةِ، إنجيل مرقس عند العدد الثامنِ من الفصلِ السادس عشر -على قولِ عامّة النّقّادِ- .[1] وأمّا تَتِمّةُ الحديثِ في هذا الإنجيلِ؛ فهي غيرُ أصيلةٍ؛ وبالتالي فإنّ خاتمةَ المسيحِ في إنجيلِ مرقس لا تتجاوز تفاصيلُها الآتي: بعد أحداثِ الصّلبِ، زار بعضُ النّسوةِ قبرَ المسيحِ، ولم يَجِدْنَ فيه «جَسَدَ» المسيحِ المصلوبِ، وإنّما وَجَدْنَ شابًّا جالِسًا في القبْرِ أَخْبَرَهُنَّ أنّ المسيحَ قد قام من الموتِ، وأَمَرَهُنَّ أنْ يَقُلْنَ لتلاميذِ المسيح أن يَلْقَوْهُ في الجليلِ «فَخَرَجْنَ سَرِيعًا وَهَرَبْنَ مِنَ الْقَبْرِ، لأَنَّ الرِّعْدَةَ وَالْحَيْرَةَ أَخَذَتَاهُنَّ. وَلَمْ يَقُلْنَ لأَحَدٍ شَيْئًا لأَنَّهُنَّ كُنَّ خَائِفَاتٍ». وهي نهايةٌ تُعْلِمُنا أنّ النّساءَ كَتَمْنَ خاتمةَ المسيحِ، ولم يَقُلْنَ لأَحَدٍ شيئًا. وهو ما يدلُّ على أنّ **مؤلِّفَ هذا الإنجيلِ كان يعتقدُ أنّ خاتمةَ المسيح بَقِيَتْ سِرًّا، وأنّ ما يُتَداوَلُ في زمانِهِ لا أَصلَ له؛ لأنّ مَنْ ذَهَبْنَ إلى القَبْرِ لم يُخْبِرْنَ أَحَدًا بما انتهى إليه أمرُ المسيحِ.**

وممّا يؤكِّدُ الاضطرابَ والشّكَّ في أحداثِ ما بعد الصّلبِ إخبارُ إنجيلِ متّى لنا في ختامِهِ أنّ رجالَ الدِّينِ اليهودَ قد تآمروا مع حُرَّاسِ قَبْرِ المسيحِ بعد أن اخْتَفَى جَسَدُ المسيحِ إِثْرَ صَلْبِهِ ودَفْنِهِ (بدعوى أنّه قام من القبرِ)؛ لِنَشْرِ دعوى أنّ التلاميذَ قد سَرَقُوا جَسَدَ المسيحِ، «فَشَاعَ هذَا الْقَوْلُ عِنْدَ الْيَهُودِ إِلَى هذَا الْيَوْمِ» (متّى 28/ 15). فالروايةُ المنتشرةُ بين اليهودِ هي أنَّ التلاميذَ قد سَرَقُوا «جسد» المسيحِ؛ وبالتالي لم يتأكّدِ **اليهودُ بعد أحداثَ الصّلبِ أنَّ المصلوبَ هو المسيحُ نفسُه.**

فَأَمْرُ المسيحِ بعد قِصّةِ الصَّلْبِ لم يَكُنْ فيهِ خَبَرٌ يُوْثَقُ فيه؛ ولذلك اختَلَقَ أكثرُ من فريقٍ دعوى وجودِ سِرٍّ ما، سواءٌ أَكانَ السِّرُّ كَتْمَ خَبَرِ ما كان أو تآمُر اليهود لتقديم روايةٍ أُخرى غير ما كان.

---

(1) Comfort, *New Testament Text and Translation Commentary*, Carol Stream (Ill.): Tyndale House Publishers, Inc., cop. 2008, p.160.

ثامنًا: هناك قرائنُ من داخلِ الأناجيلِ الرسميّةِ يُستأْنَسُ بها على أنّ المصلوبَ شخصٌ آخرُ غير المسيح. وهي ثلاثة أنواع:[1]

أ: قرائنُ قبلَ قِصّةِ الصَّلْبِ:

خبرُ المسيحِ قبلَ الصّلبِ واضحٌ في أنّ المسيحَ كان يُعِدُّ نفسَهُ للتَّخَلُّصِ من سعيِ خُصومِهِ للقبضِ عليه؛ فقد تَخَفَّى في ضيعةِ جَثْسَيْمَانِي، وطلبَ من تلاميذِهِ أن يستَعِدُّوا للمواجهةِ بالبقاءِ مُتَيَقِّظين ليلًا، وأن يحمِلُوا سُيُوفًا للدِّفاعِ عنه. وكان هو يُصَلِّي ويدعو الله حتّى لا يتمكَّنَ منه الأعداءُ. «ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلًا وَخَرَّ عَلَى الأَرْضِ، وَكَانَ يُصَلِّي لِكَيْ تَعْبُرَ عَنْهُ السَّاعَةُ إِنْ أَمْكَنَ. وَقَالَ: «يَا أَبَا الآبُ، كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَكَ، فَأَجِزْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ. وَلكِنْ لِيَكُنْ لاَ مَا أُرِيدُ أَنَا، بَلْ مَا تُرِيدُ أَنْتَ» (مرقس 14/ 35-36). كما جاء في إنجيل لوقا 22/ 42-43: «قَائِلًا: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ. وَلكِنْ لِتَكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ». وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيهِ.» بما يدعم استجابةَ الدُّعاءِ.

ب: قرائنُ في قِصّةِ الصَّلْبِ والقيامة:

عناصرُ قِصّةِ الصّلبِ، هي القبضُ على المسيحِ، ومُحاكَمَتُه، وتعلِيقُه على الصّليبِ، وقِيامَتُه من الموتِ بعد الصّلبِ. وفي كلٍّ منها قرينةٌ على أنّ المصلوبَ غيرُ المسيحِ:

- القبضُ على المسيحِ: لمّا رأى المسيحُ مَنْ كانوا يطلُبون القبضَ عليه، قال لهم: «مَنْ تَطْلُبُونَ؟» أَجَابُوهُ: «يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ». قَالَ لَهُمْ: «أَنَا هُوَ». وَكَانَ يَهُوذَا مُسَلِّمُهُ أَيْضًا وَاقِفًا مَعَهُمْ. فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ: «إِنِّي أَنَا هُوَ»، رَجَعُوا إِلَى الْوَرَاءِ وَسَقَطُوا عَلَى الأَرْضِ. فَسَأَلَهُمْ أَيْضًا: «مَنْ تَطْلُبُونَ؟» فَقَالُوا: «يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ». أَجَابَ يَسُوع: «قَدْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي أَنَا هُوَ. فَإِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي فَدَعُوا هؤُلاَءِ يَذْهَبُونَ» (يوحنا 18/ 4-8). فكأنّ صورةَ المسيحِ قد الْتَبَسَتْ على القومِ، حتّى شَكُّوا في صُورتِهِ.
- محاكمةُ المسيحِ: لم يُظْهِرِ الشّخصُ الذي قُبِضَ عليه ما يُوحِي أنّه المسيحُ الذي كان يُجري المعجزاتِ في كلِّ مكانٍ، ويُدافِعُ عن عقيدتِهِ في كلِّ محفلٍ؛ وكأنّه أُوصِيَ ألَّا يُظْهِرَ حقيقةَ حالِهِ (مع تضارُبِ الأناجيلِ هنا في التّفاصيل)؛ فنقرأُ

---

(1) انظر منقذ السقار، هل افتدانا المسيح على الصليب؟، دار الإسلام للنشر والتوزيع، 1428هـ/ 2007م، ص115-128.

في إنجيل لوقا 23/ 8-11 -مثلًا-: «وَأَمَّا هِيرُودُسُ فَلَمَّا رَأَى يَسُوعَ فَرِحَ جِدًّا، لأَنَّهُ كَانَ يُرِيدُ مِنْ زَمَانٍ طَوِيلٍ أَنْ يَرَاهُ، لِسَمَاعِهِ عَنْهُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً، وَتَرَجَّى أَنْ يَرَى آيَةً تُصْنَعُ مِنْهُ. وَسَأَلَهُ بِكَلاَمٍ كَثِيرٍ فَلَمْ يُجِبْهُ بِشَيْءٍ. وَوَقَفَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ بِاشْتِدَادٍ، فَاحْتَقَرَهُ هِيرُودُسُ مَعَ عَسْكَرِهِ وَاسْتَهْزَأَ بِهِ، وَأَلْبَسَهُ لِبَاسًا لاَمِعًا، وَرَدَّهُ إِلَى بِيلاَطُسَ.»

- تعليقُ المسيحِ: على القولِ بِنُبُوَّةِ المسيحِ أو بُنُوَّتِهِ، لا يستقيمُ أن يكونَ المسيحُ هو الصّارخُ على الصّليبِ: «إلهي إلهي، لماذا تَرَكْتَنِي» (مرقس 15/ 34، متى 27/ 46)؛ فإنّ هذه صرخةُ جَزَعٍ، واعتراضٍ على اللهِ أنّه -سبحانه- قد أَخْلَفَ وَعْدَهُ!
- قيامةُ المسيحِ: لو أنّ المسيحَ الحقيقيّ قد صُلِبَ حقًّا؛ لرأينا تفصيلَ ما وَقَعَ لِجَسَدِهِ بعد إدخالِ المصلوبِ القَبْرَ في أقدمِ الأناجيلِ، ولكنّ إنجيلَ مرقس ينتهي عند العدد 8 من الفصل 16، دون ذكرِ ما كان من المسيحِ بعد حادثةِ الصّلبِ والدّفنِ، رغم الأهميّةِ العظيمةِ لهذا الأمرِ، خاصّةً أنّ التلاميذ أنفسَهم قد أظهروا تَشَكُّكَهُمْ في أكثرَ منْ خَبَرٍ كان لهم مع المسيحِ، بالإضافةِ إلى مركزيّةِ عقيدةِ قيامةِ المسيحِ من الموتِ عند القائلين بِصَلْبِهِ.

ت: قرائنُ في خوارقِ المسيحِ عند الأزماتِ

سيرةُ المسيحِ في أناجيلِ الكنيسةِ، مُخبِرةٌ أنّه قد أُوتي القُدرةَ على اجتنابِ الأذى، والاختفاءِ عند اللّحظاتِ العَصِيبةِ، أو المهمّةِ، بطريقةٍ خارقةٍ، لم يشتهر بها أحدٌ قبلَهُ، ومن نُصوصِ سيرتهِ في هذا الباب:

- «فَامْتَلأَ غَضَبًا جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ حِينَ سَمِعُوا هذَا، فَقَامُوا وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، وَجَاءُوا بِهِ إِلَى حَافَّةِ الْجَبَلِ الَّذِي كَانَتْ مَدِينَتُهُمْ مَبْنِيَّةً عَلَيْهِ حَتَّى يَطْرَحُوهُ إِلَى أَسْفَلٍ. أَمَّا هُوَ فَجَازَ فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى. وَانْحَدَرَ إِلَى كَفْرِنَاحُومَ، مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ، وَكَانَ يُعَلِّمُهُمْ فِي السُّبُوتِ.» (لوقا 4/ 28-31).
- «قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ». فَرَفَعُوا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. أَمَّا يَسُوعُ فَاخْتَفَى وَخَرَجَ مِنَ الْهَيْكَلِ مُجْتَازًا فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى هكَذَا.» (يوحنا 8/ 58-59).

- «فَنَادَى يَسُوعُ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ قِائِلًا: «تَعْرِفُونَنِي وَتَعْرِفُونَ مِنْ أَيْنَ أَنَا، وَمِنْ نَفْسِي لَمْ آتِ، بَلِ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَقٌّ، الَّذِي أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ. أَنَا أَعْرِفُهُ لأَنِّي مِنْهُ، وَهُوَ أَرْسَلَنِي». فَطَلَبُوا أَنْ يُمْسِكُوهُ، وَلَمْ يُلْقِ أَحَدٌ يَدًا عَلَيْهِ، لأَنَّ سَاعَتَهُ لَمْ تَكُنْ قَدْ جَاءَتْ بَعْدُ.» (يوحنا 7/ 28-30).
- «فَطَلَبُوا أَيْضًا أَنْ يُمْسِكُوهُ فَخَرَجَ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَمَضَى أَيْضًا إِلَى عَبْرِ الأُرْدُنِّ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ فِيهِ أَوَّلًا وَمَكَثَ هُنَاكَ.» (يوحنا 10/ 39-40).

كما أظهر المسيحُ قُدرةً على تغييرِ شَكْلِهِ، أو دُخولِ البيوتِ من غيرِ أبوابِها:

- «وَبَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ أَخَذَ يَسُوعُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا أَخَاهُ وَصَعِدَ بِهِمْ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ مُنْفَرِدِينَ. وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، وَأَضَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالنُّورِ.» (متى 17/ 1-2).
- «وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِهذَا وَقَفَ يَسُوعُ نَفْسُهُ فِي وَسْطِهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: «سَلاَمٌ لَكُمْ!» فَجَزِعُوا وَخَافُوا، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ نَظَرُوا رُوحًا.» (لوقا 24/ 36-37).

وأخفى المسيحُ شكلَهُ بخارقةٍ، بعد قِصّةِ الصَّلْبِ؛ فلم يعرِفْهُ أَحَدٌ لِأَوَّلِ وَهْلةٍ:

- «وَلَمَّا قَالَتْ هذَا الْتَفَتَتْ إِلَى الْوَرَاءِ، فَنَظَرَتْ يَسُوعَ وَاقِفًا، وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ يَسُوعُ. قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا امْرَأَةُ، لِمَاذَا تَبْكِينَ؟ مَنْ تَطْلُبِينَ؟» فَظَنَّتْ تِلْكَ أَنَّهُ الْبُسْتَانِيُّ» (يوحنا 20/ 14-15).
- «وَإِذَا اثْنَانِ مِنْهُمْ كَانَا مُنْطَلِقَيْنِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ إِلَى قَرْيَةٍ بَعِيدَةٍ عَنْ أُورُشَلِيمَ سِتِّينَ غَلْوَةً، اسْمُهَا «عِمْوَاسُ». وَكَانَا يَتَكَلَّمَانِ بَعْضُهُمَا مَعَ بَعْضٍ عَنْ جَمِيعِ هذِهِ الْحَوَادِثِ. وَفِيمَا هُمَا يَتَكَلَّمَانِ وَيَتَحَاوَرَانِ، اقْتَرَبَ إِلَيْهِمَا يَسُوعُ نَفْسُهُ وَكَانَ يَمْشِي مَعَهُمَا. وَلكِنْ أُمْسِكَتْ أَعْيُنُهُمَا عَنْ مَعْرِفَتِهِ... فَلَمَّا اتَّكَأَ مَعَهُمَا، أَخَذَ خُبْزًا وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَنَاوَلَهُمَا، فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَرَفَاهُ ثُمَّ اخْتَفَى عَنْهُمَا» (لوقا 24/ 13-31).
- «وَلَمَّا كَانَ الصُّبْحُ، وَقَفَ يَسُوعُ عَلَى الشَّاطِئِ. وَلكِنَّ التَّلاَمِيذَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ يَسُوعُ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «يَا غِلْمَانُ أَلَعَلَّ عِنْدَكُمْ إِدَامًا؟». أَجَابُوهُ: «لاَ!» فَقَالَ

لَهُمْ: «أَلْقُوا الشَّبَكَةَ إِلَى جَانِبِ السَّفِينَةِ الأَيْمَنِ فَتَجِدُوا». فَأَلْقَوْا، وَلَمْ يَعُودُوا يَقْدِرُونَ أَنْ يَجْذِبُوهَا مِنْ كَثْرَةِ السَّمَكِ. فَقَالَ ذلِكَ التِّلْمِيذُ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ لِبُطْرُسَ: «هُوَ الرَّبُّ!».» (يوحنا 21/ 4-7).

تاسعًا: هناك قرائنُ من خارجِ الأناجيلِ الرسميّةِ على أنّ المصلوبَ شخصٌ آخرُ غير المسيح. أهمُّها وجودُ عقيدةٍ واسعةِ الانتشارِ في القرن الثاني تُقَرِّرُ أنّ المسيحَ لم يُصْلَبْ، وإنّما صُلِبَ شخصٌ آخرُ. وقد شهد النّاقِدُ دنيس إريك نينهام D.E. Nineham لذلك بقوله: «في الوقتِ الذي كُتِبَ فيه الإنجيلُ الرّابعُ[1] (100م- 125 م) كان الادّعاءُ بأنّ سمعان قد حَلَّ محلَّ يسوعَ وصُلِبَ بدلًا عنه، لا يزالُ ساريًا في الدّوائرِ الغُنُوصِيَّةِ التي كانت لها الشُّهرةُ فيما بعد.»[2]

وقد كتب إيرينيئوس في نهايةِ القرنِ الثاني أنَّ الباسيليديّين الهراطقةَ يؤمنون أنّ المسيحَ «ظهر على الأرضِ كإنسانٍ ... وصنعَ المعجزاتِ. لذلك لم يُعانِ هو نفسُه من الموت، ولكنّ سمعان الرّجلَ القيرواني أُكْرِهَ على حَمْلِ الصّليبِ عِوَضًا عنه، وقد صار على صُورةِ المسيح بواسطته، حتى يُعتقَدَ أنّه يسوعُ، وأنّه قد صُلِبَ بسببِ الجهلِ أو خَطَأً، في حين أَخَذَ يسوعُ نفسُه صورةَ سمعان، ووقَفَ جانبًا، يضحَكُ عليهم».[3]

كما جاء في «دائرة المعارف الكتابيّةِ» عن أوريجانوس أنّه «يذكرُ تقليدًا كان شائعًا في عهدِهِ [القرن الثالث] بأنّ يسوعَ كان يستطيعُ في حياتِهِ أنْ يُغَيِّرَ شَكْلَهُ وَقْتَما وكَيْفَما يشاء، ويقول إنّ هذا كان السببَ في ضرورةِ قبلة يهوذا الخائن (انظر مرقس 16/ 9 و12)».[4]

وقد اكتُشِفَتْ في نجع حمّادي في مصر سنة 1945م مجموعةُ كتاباتٍ دينيّةٍ لفِرَقٍ نصرانيّةٍ مهرطقةٍ، منها رؤيا بطرس التي وُجِدَتْ في مخطوطةٍ تعود إلى القرن الرابعِ، ويُقال إنَّ نَصَّها يرجعُ إلى نهاية القرن الثاني أو بداية الثالث.[5] وقد جاء في سِفرِ رؤيا بطرس: «قال لي المُخَلِّصُ: «الذي رَأَيْتَهُ على الشَّجرةِ سعيدًا ويضحَكُ، هذا هو يسوعُ

(1) إنجيل يوحنا
(2) D.E. Nineham, *Saint Mark*, Penguin Books, 1969, p.422
(3) *Against Heresies* 1.24.4
(4) صموئيل حبيب وآخرون، دائرة المعارف الكتابية، 1/ 40-41.
(5) Richard Bauckham, *The Christian World Around the New Testament*, Mohr Siebeck, 2017, p.576.

الحَيُّ، ولكنَّ هذا الشَّخْصَ الّذي يَضَعُون المسامِيرَ في لَحْمِ يَدَيْهِ وقَدَمَيْهِ، هو البديلُ الذي أُصِيبَ بِالخِزْيِ». [1]

وجاء في «السِّفرِ الثّاني لشيت الأكبر» -الذي وُجِدَ أيضًا في مخطوطاتِ نجع حمّادي، ويعود أصله إلى نهاية القرن الثاني أو بداية الثالث[2]- على لسانِ المسيحِ: «كان شخصًا آخر... الذي شَرِبَ المرارةَ والخَلَّ، لم يكن أنا... كان آخر، سمعان الذي حَمَلَ الصَّلِيْبَ فوقَ كَتِفِهِ.... وكنتُ أنا مُبتَهِجًا في العُلا ... أَضْحَكُ من جَهْلِهِمْ.»[3]

عاشرًا: ادَّعى المنصّرون أنّ القرآنَ قد نَقَلَ صَلْبَ الشَّبِيهِ من عقائدِ النَّصارى الغُنُوصِيِّين. وجوابُنا:

أ. لا نملِكُ معرفةً بالعقائدِ الموصومةِ بالهرطقةِ في القرنِ الأوّلِ، وما بَلَغَنا عنها في القرن الثاني قليلٌ، على صورةِ شَذَراتٍ في كتاباتِ مَنْ رَدُّوا عليهم. ولنا أنْ نُشَكِّكَ في أن تكون الغُنُوصِيَّةُ هي التي خَلَقَتْ مذهبَ صَلْبِ الشَّبِيهِ؛ فإنّه لا يَبْعُدُ أن تكون الفِرقُ الغُنُوصِيَّةُ قد دافَعَتْ عن هذا الخَبَرِ الشّائعِ؛ بتوظيفِهِ ضمن رؤيَتِها العَقَدِيَّةِ، لا أنّها قد اخْتَلَقَتْهُ لِنُصْرةِ عَقِيدتها.

ب. لا توجدُ حُجّةٌ تاريخيّةٌ على أنّ النصرانيّةَ الأرثوذكسيةَ (أي المنتصرة في مَجْمَعِ نيقية في القرنِ الرابع) هي الأقربُ إلى المسيحِ التّاريخيِّ في كلّ الأمر. يقول النّاقِدُ بارت إيرمان: «ما عُرِفَ فيما بعد بالأرثوذكسيّةِ، كان ببساطةٍ واحدًا من بين عَدَدٍ من التفسيراتِ المتنافسةِ للمسيحيّةِ في الفترة المبكّرةِ. لم يكن تفسيرًا بَدَهِيًّا ولا وُجهةَ نَظَرٍ رسوليّة أَصلية. في الواقع، منذ زمنِ العهدِ الجديد، كانت المسيحيّةُ متنوّعةً بشكلٍ ملحوظٍ في تعابيرها اللّاهوتيّةِ». [4]

ت. لا يوجد دليلٌ مادّيٌّ واحدٌ على شيوع -بله وجودِ- الفِرَقِ الغُنُوصِيَّةِ وأناجيلِها في الجزيرةِ العربيّةِ زمنَ البعثةِ. يقول المستشرق ج. م. رودويل- في مقدّمةِ

---

(1) James Robinson, ed. *The Nag Hammadi Library in English*, Leiden: BRILL, Jan 1, 1996, p.377.

(2) Birger A. Pearson, *Ancient Gnosticism: Traditions and Literature*, Augsburg Fortress Publishers, 2007, p.242.

(3) Ibid., 365.

(4) Bart Ehrman, *The Orthodox Corruption of Scripture*, p.8.

ترجمته الإنجليزيّة الشهيرةِ للقرآنِ الكريمِ-: «لقد افتُرِض أَنَّ مُحمّدًا قد اشتَقَّ كثيرًا من مفاهيمِهِ عن النصرانيّةِ من الغُنُوصِيَّةِ، وأنّ القرآنَ قد أشار إلى الفِرَقِ الغُنُوصِيَّةِ الكثيرةِ عندما قال إنّ المسيحيّين ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ (الأنعام/ 159). إنّ دعوى اختلاط الأمرِ على محمّدٍ بين الغُنُوصِيَّةِ والمسيحيّةِ، يَفْتَرِضُ أن يكون انتشارُ الغُنُوصِيَّةِ في البلادِ العربيّةِ أكثرَ عالميّةً ممّا هو في تَصَوُّرِنا لحقيقةِ تَوَسُّعِ الغُنُوصِيَّةِ. وفي الحقيقةِ، نحن لا نملك على الإطلاقِ أيَّ حُجّةٍ تاريخيّةٍ لافتراضِ أنّ عقائدَ هؤلاء الهراطقةِ كانت تُعَلَّمُ أو تُعْتَنَقُ في البلادِ العربيّة. وإنّه لمِن المؤكَّدِ، من جهةٍ أُخرى، أنَّ الباسيليديّين والفالنتانيّين والفِرَقَ الهرطقيّةَ الأُخرى قد ماتَتْ أو أُعِيدَ استيعابُها مرّةً أُخرى في الكنيسةِ الأرثوذكسيّةِ عند منتصفِ القرنِ الخامسِ، واختَفَتْ من مصرَ في القرنِ السّادسِ».[1] وقد نقلَ عنه هذا التقرير -مُقِرًّا له- المستشرقُ المنصِّرُ توماس باتريك هوغز في مُعجمِهِ للمصطلحاتِ الإسلاميّة.[2]

ث. لم تكن الفِرَقُ الغُنُوصِيَّةُ ذاتَ جاذبيّةٍ في القرنِ السابعِ الميلادي؛ فليس هناك مبرِّرٌ للاقتباسِ منها، وقد انتشرَ في كُتُبِ آباءِ الكنيسةِ التّحذيرُ من هذه الفِرَقِ والتّشويه المتَعَمَّد لمقولاتها الدينيّةِ.

ج. لم تكنْ قَضِيّةُ صَلْبِ المسيحِ من العقائدِ الجَدَلِيّةِ في القرن السّابع الميلادي، وإنّما كان النّزاعُ حول طبيعةِ النّاسوتِ واللّاهوتِ في المسيحِ، اجتماعهما وامتزاجهما، خاصّةً بعد الموقفِ الشّديدِ الذي اتُّخِذَ ضِدَّ نُسْطُورَ والنّساطِرةِ...

ح. عامّةُ الأناجيلِ الغُنُوصِيَّةِ التي أَنْكَرَتْ صَلْبَ المسيحِ، بَنَتْ ذلك على أنَّ المسيحَ ليسَ لهُ جَسَدٌ بَشَرِيٌّ؛ وإنّما هو مجرَّدُ مَظْهرٍ تُبْصِرُهُ العَيْنُ دون أن يكون له لَحْمٌ وعَظْمٌ، وهو مذهبُ الفِرَقِ (الدّوسيتيّة)[3] الغُنُوصِيَّةِ التي تَرُدُّ

(1) J. M. Rodwell, *The Koran*, London: J.M. Dent & Sons, ltd., 1913, pp.9-10

(2) See Thomas Patrick Hughes, *The Dictionary of Islam,* p.515

(3) الدوسيتيّة: من الكلمة اليونانية δοκεω (دوكيو) أي «بدا» «ظهر»؛ وهو اعتقاد أنّ المسيح لم يكن له جسد بشري، وأنّه لم يتألّم ولم يصلب؛ لأنّ جسده ليس إلاّ مظهرًا (يبدو) للعين ولا حقيقة مادية له. وأصل هذا الاعتقاد هو اعتبار (المادة) شرًّا؛ ولذلك فإنّه لا يستساغ أن يتّخذ الإله جسدًا ماديًا. (Walter A. Elwell, ed. *Evangelical Dictionary of Theology,* Michigan: Baker Book House, 1984, p. 326; Peter M. J. Stravinskas, *Catholic Dictionary,* Indiana: Our Sunday Visitor Publishing, 2002 , p.270

الصّلْبَ لا من بابِ إنكارِ أن يكون الصَّلْبُ من أحداثِ التّاريخِ، وإنما لأنّ المسيحَ لم يكن له جَسَدٌ، وأنّه كان مجرّد مَظْهرٍ تُبْصِرُهُ العَيْنُ دون كيانٍ ماديٍّ على الحقيقةِ، في حين ذهبَتْ فِرَقٌ غُنُوصِيَّةٌ أُخرى إلى ردِّ الصّلْبِ من باب التّمييزِ بين يسوعَ البَشَرِ والمسيحِ الإلهِ؛ إذ لمّا صُلِبَ يسوعُ البَشَرِ كان المسيحُ الإلهيُّ يشهدُ الحَدَثَ كَمُتَفَرِّجٍ.[1] وليس يَجِدُ المرءُ البتّة هذَيْنِ التّصوُّرَيْنِ في النُّصُوصِ القرآنيّةِ أو النبويّةِ المتعلّقةِ بالمسيحِ -عليه السّلامُ-.

خ. الخلافُ حول صَلْبِ المسيحِ ليس علامة فارقة بين الغُنُوصِيَّةِ وغيرِها، وهذا إنجيلُ يوحنّا قد رُمِيَ من طَرَفِ عددٍ من النّقّادِ بالغُنُوصِيَّةِ[2]، ومع ذلك هو يقولُ بِصَلْبِهِ. ويقول النّاقِدُ جيرارد ستيفان سلويان Gerard Stephen Sloyan من وَحْيِ النُّصوصِ الغُنُوصِيَّةِ المتاحةِ؛ إنّه «لا بُدَّ أن نلاحظَ أنّه ليست كُلُّ الشّواهدِ الغُنُوصِيَّةِ تذهبُ إلى أمرِ إنكارِ الصّلْبِ. فبعض الوثائقِ المتاحة تُظْهِرُ نفسَها على أنّها في تَوَافُقٍ مع الشّاهدِ الإنجيليِّ.»[3]

د. لا يوجد في التفاسيرِ والإسرائيليّاتِ الواردةِ في شرحِ الآية 157 من سورةِ النّساءِ ما يُظْهِرُ عِلْمَ المفسّرين أو أهلِ الكِتابِ المهتدين إلى الإسلام بما ورد في الأناجيلِ غيرِ الرسميّةِ، سواءٌ تلك المتلَبِّسةُ بالغُنُوصِيَّةِ أو غيرها[4]، عِلْمًا أنّ تفسيرَ هذه الآيةِ قد كان مصدرًا للكثيرِ من الرواياتِ المتضاربة عن قِصّةِ صَلْبِ المسيحِ ورَفْعِهِ. ومعلومٌ أنّ عامّةَ التّفاسيرِ تَذْكُرُ رواياتٍ تَتَحَدَّثُ عن تلميذٍ للمسيحِ وَقَعَ عليهِ الشَّبَهُ بِرِضًا منهُ فِداءً للمسيحِ، بما لا يَتَّفِقُ مع القِصّةِ الدّوسيتيّةِ.

---

(1) See Bart Ehrman, *Peter, Paul, and Mary Magdalene: the Followers of Jesus in History and Legend*, New York: Oxford University Press, 2006, p.46

(2) بل ذهب ريتشارد هووبر Richard Hooper إلى أنّ العديد من الأرثودكس في القرن الثاني قد ذهبوا إلى اتهام هذا الإنجيل بأنّه هرطقي لاستعماله مصطلحات وتصوّرات، وربما أيضًا لاهوتًا، بحسب الفكر الغنوصي.
(Richard Hooper, *The Crucifixion of Mary Magdalene: The Historical Tradition of the First Apostle and the Ancient Church's Compaign to Suppress it*, AZ: Sanctuary Publications, 2005, p.216)

(3) Gerard Stephen Sloyan, *The Crucifixion of Jesus: history, myth, faith*, Minneapolis: Fortress Press, 1995, p.203

(4) انظر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 6/ 12-17، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1/ 643، السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، 2/ 727-732.

الحادي عشر: قال المنصّرون: كيف يسمحُ اللهُ أنْ يُخْدَعَ التّلاميذُ في أمرِ الصّلبِ رغم أنّهم مُكَلَّفُون بمتابعةِ رسالةِ المسيحِ وبلاغِها للنَّاسِ؟

الجواب هو:

أ. نحن لا نعلم مِنْ مصدرٍ تاريخيٍّ موثوقٍ ما عَلِمَهُ التّلاميذُ من أَمرِ المصلوبِ. والاستدلالُ بالصَّمْتِ في هذا المقام لا يَجُوزُ.

ب. إذاعةُ التّلاميذِ خَبَرَ صَلْبِ شَبيهٍ لِلمسيحِ مكانَ المسيحِ، **مدعاةٌ لِتحريضِ اليهودِ والرُّومانِ على اضطهاد التّلاميذِ** بحثًا عن المسيحِ المختفي إِثْرَ نجاتِهِ من الصَّلْبِ.

ت. بِعثةُ المسيحِ كانت بثلاثةِ أُمورٍ رئيسةٍ: الدَّعوةُ إلى التّوحيدِ، بإفرادِ الله بالطاعةِ، وإباحةُ بعضِ ما مَنَعَتْهُ التّوراةُ، والبِشارةُ بالنبيِّ الخَاتَم. والوَحْيُ لم يَقْضِ بِكُفْرِ من ظَنَّ صَلْبَ المسيحِ (قبل نُزُولِ القرآن)، وإنّما كَلَّفَ بني إسرائيلَ بالإيمانِ بالنّبيِّ عيسى -عليه السَّلام- وما دعا إليه في الأُمورِ الثّلاثة السّابقةِ. ولذلك فلا حاجة للتّلاميذ أن يُخْبِرُوا بني إسرائيلَ الذين بُعِثَ إليهم المسيحُ في القرنِ الأوّل أنّ المسيحَ قد نجا من القَتْلِ، أو أنْ يُذِيعُوا هذا الخبرَ بين جميعِ النَّاسِ؛ فالعِبرةُ باتِّباعِ رسالَتِه.

قصّةُ أهلِ الكهفِ

الاعتراض:

قصّةُ الفِتْيةِ الذين دَخَلُوا الكهفَ، مُعْتزِلين قومَهم، ونومهم في هذا الكهفِ سنواتٍ طويلة، والتي جاءَ ذِكرُها في سورة الكهفِ، عليها اعتراضاتٌ:

الاعتراض الأوّل: قِصّةُ أهلِ الكهفِ جوابٌ لِسؤالٍ قَدَّمَهُ اليهودُ لنبيّ الإسلامِ -ﷺ-. وقد جاءت الرّوايةُ عن ابنِ عبّاسٍ، فيما يرويهِ عنه الطبريُّ، قال: بَعَثَتْ قُرَيشٌ النَّضرَ بنَ الحارث، وعُقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ إلى أَحبارِ يَهُودَ بالمدينةِ؛ فقالوا لهم: سَلُوْهُم عن مُحمّدٍ، وَصِفُوا لهم صِفَتَهُ، وأَخْبِرُوهم بقولِهِ، فإنّهم أهلُ الكتابِ الأوّلِ، وعندهم عِلمُ ما ليس عندنا من عِلمِ الأَنبياءِ، فَخَرَجا حتى قَدِما المدينةَ، فسألوا أحبارَ يهودَ عن رسول اللهِ -ﷺ-، ووَصَفُوا لهم أَمرَهُ وبعضَ قولِهِ، وقالا إنّكم أهلُ التّوراةِ، وقد جئناكم لِتُخْبرونا عن صاحِبِنا هذا، قال: فقالَتْ لهم أحبارُ يهود: سَلُوهُ عن ثلاثٍ نَأْمُرُكُم بهنَّ، فإنْ أَخْبَرَكُمْ بهنَّ فهو نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وإن لمْ يَفْعَلْ فالرَّجُلُ مُتَقَوِّلٌ، فَرَوْا فيهِ رَأْيَكُمْ: سَلُوهُ عن فِتْيةٍ ذَهَبُوا في الدَّهْرِ الأَوَّلِ، ما كان من أَمْرِهِمْ فإنّه قد كان لهم حديثٌ عَجِيبٌ. وسَلُوهُ عن رَجُلٍ طَوَّافٍ، بَلَغَ مشارقَ الأرضِ ومغارِبَها، ما كان نَبَؤُهُ؟ وسَلُوهُ عن الرُّوحِ ما هو؟ فإن أَخْبَرَكُمْ بذلك، فإنّهُ نَبِيٌّ فاتَّبِعُوهُ، وإنْ هو لم يخبركم، فهو رَجُلٌ مُتَقَوِّلٌ، فاصْنَعُوا في أَمْرِهِ ما بَدَا لَكُمْ.»

وقد كان جواب نبيِّ الإسلامِ -ﷺ- عن سؤالِ اليهودِ، بأنْ ذَكَرَ قِصّةً وَقَعَتْ لِلنَّصارى؛ فيها خارقةٌ لبعضِ المؤمنين بالمسيحِ. واليهودُ لا يؤمنون بصلاحِ النَّصارى، ويُنْكِرُونَ أنْ يُكْرِمَهُم الله بالخوارقِ. ولذلك فجوابُ نبيِّ الإسلامِ -ﷺ- خطأٌ؛ إذ لم يَعْرِف القِصّةَ التي طَلَبَها اليهودُ.

الاعتراض الثاني: قِصّةُ أهلِ الكهفِ أُسطورةٌ ساذجةٌ يُكَذِّبُها العِلمُ الحديثُ الذي لا يَعْتَرِفُ بِخُرافةِ نومِ إنسانٍ عشراتِ السِّنين أو مئاتِ السِّنين.

الاعتراضُ الثّالث: أَوّلُ مَنْ نَقَلَ قِصّةَ النِّيام السّبعةِ هو يعقوب السروجيّ السُّوريُّ. وقِصّةُ النِّيامِ السّبعة قد وَقَعَتْ -كما يقول التُّراثُ النصرانيُّ- في أفسس باليونان. والعِلْمُ أَنَّ يعقوبَ السّروجيَّ هو أَوّلُ مَنْ ذَكَرَها، يدلُّ على أنّه اخْتَلَقَها؛ لأنّه عاش بعيدًا عن مسرحِ الأحداثِ، ولم يَذْكُرْها قبلَهُ المؤرّخون اليونان رغم أنّ أفسس كانت يونانيّةَ اللِّسانِ.

الاعتراض الرابع: القرآن يخبرُ أنّ أهلَ الكهف قد لبثُوا 309 سنوات: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ۝٢٥﴾ (الكهف/ 25)، في حين أنّ الفتيةَ قد دخلوا الكهفَ في حدود سنة 250م واستيقظوا قرابة سنة 450. بما يلزم منه أنهم قد لَبِثُوا أقلَّ من ذلك قُرابةَ مئةِ سنةٍ.

الاعتراض الخامس: القصّةُ النصرانيّةُ تُثبِتُ أنّ شباب أهلِ الكهفِ مُثَلِّثةٌ وليسوا مُوحِّدين؛ فكيف يزعمُ القرآنُ أنّهم على التّوحيد؟!

الجواب:

كثرةُ الاعتراضات على قصّةِ أهلِ الكهفِ في القرآنِ، لا تدلُّ على صلابةِ المعارضةِ، وإنّما تكشِفُ أنّ العَجَلةَ في الحديث عن الخبرِ التاريخيِّ في القرآن، تُورِثُ المتحدِّثَ سُوءَ الظنِّ في ما يقرأُ. ولذلك على طالبِ الحقِّ، أن يَتَأنّى قبل أن يَنْسِبَ إلى القرآنِ أو التّاريخِ أمرًا ما.

ووفاءً للجوابِ بحقِّ التفصيل المباشر والصّريحِ؛ سنُجيبُ عن كلِّ اعتراضٍ على حدةٍ.

جواب الاعتراض الأول:

أَوّلًا: سببُ نزولِ سورة الكهف المذكور في الاعتراض السّابقِ، لا يَصِحُّ؛ ففيه شيخٌ لم يُسَمَّ؛ ولذلك لم يُورِدْهُ المهتمُّون بصحيحِ أسباب النُّزول.[1] فلِلْحديثِ طريقان:

---

(1) انظر مثلًا: مقبل بن هادي الوادعي، الصحيح المسند من أسباب النزول، صنعاء: مكتبة صنعاء العصرية، 1425هـ/ 2004م، سليم بن عيد الهلالي ومحمد بن موسى آل نصر، الاستيعاب في بيان الأسباب، الدمّام: دار ابن الجوزي، 1425هـ، عصام الحميدان، الصحيح من أسباب النزول، بيروت: مؤسسة الريان، 1420هـ/ 1999م.

- الأوّلُ من طريقِ ابنِ إسحاقَ (وعنه الطبريُّ والبيهقيُّ): «حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاس أَنَّ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ بَعَثُوا النَّضرَ بْنَ الْحَارِثِ، وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، إِلَى أَحْبَارِ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ، وَقَالُوا لَهُمْ: سَلُوهُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ، وَصِفُوا لَهُمْ صِفَتَهُ، وَأَخْبِرُوهُمْ بِقَوْلِهِ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ، وَعِنْدَهُمْ عِلْمُ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ .فَخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا الْمَدِينَةَ، فَسَأَلُوا أَحْبَارَ الْيَهُودِ عَنْ رَسُولِ اللهِ -ﷺ-، وَوَصَفُوا لَهُمْ أَمْرَهُ، بِبَعْضِ قَوْلِهِ، فَقَالَتْ لَهُمْ أَحْبَارُ يَهُودَ: سَلُوهُ عَنْ ثَلَاثٍ نَأْمُرُكُمْ بِهِنَّ فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِهِنَّ فَهُوَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَالرَّجُلُ مُتَقَوِّلٌ، فَرَوْا فِيهِ رَأْيَكُمْ، سَلُوهُ عَنْ فِتْيَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ، مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ، فَإِنَّهُ كَانَ لَهُمْ حَدِيثٌ عَجِيبٌ، وَسَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ قَدْ بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَمَا كَانَ نبؤه، وَسَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ مَا هُوَ... ثُمَّ جَاءَهُ جِبْرِيلُ -عليه السَّلام- مِنَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- بِسُورَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، فِيهَا مُعَاتَبَتُهُ إِيَّاهُ عَلَى حُزْنِهِ، وَخَبَرُ مَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الْفِتْيَةِ، وَالرَّجُلِ الطَّوَّافِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا». قال ابنُ حَجَرٍ -مُضَعِّفًا للحديثِ بِعِلَّتَيْنِ؛ جَهالة راوٍ ونكارة المَتْنِ-: «هذا حديثٌ غريبٌ، لولا هذا المبهَم لكان سَنَدُهُ حَسَنًا، لكنّ فيه ما يُنْكَرُ وهو السُّؤال عن الرُّوح ونزول الآية فيها، وأنّ ذلك وقع بمكّةَ. والثّابتُ في الصّحيحين أنّ ذلك كان بالمدينةِ؛ وَقَعَ مُصَرَّحًا به في رواية ابنِ مسعودٍ.»[1]
- ذكر السُّيوطيُّ أنّ هذا الحديثَ قد رواهُ أبو نعيم في الدّلائلِ من طريقِ السُّدِّيِّ الصّغيرِ عن الكَلْبيّ عن أبي صَالح عن ابْنِ عَبَّاس.[2] والسّدّيُّ الصغيرُ، أحدُ

(1) ابن حجر، موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، صبحي السيد جاسم السامرائي، الرياض: مكتبة الرشد، 1414هـ - 1993 م، 2/ 70- 71.
(2) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، بيروت: دار الفكر، د.ت، 5/ 357-358.

المتروكين. اتَّهَمَهُ الأَئِمَّةُ بالكَذِب. قال البخاريُّ: «لَا يُكْتَبُ حَدِيثُهُ الْبَتَّةَ»،[1] وقال النَّسَائيُّ: «مُحَمَّد بن مَرْوَان الْكُوفِيّ يروي عَن الكَلْبِيِّ، مَتْرُوكُ الحَدِيثِ».[2]

ثانيًا: جاء في سُورةِ الكهفِ أنّ سببَ ذِكْرِ قِصّةِ ذي القرنين، جوابُ سؤالٍ طُرِحَ على الرّسولِ -ﷺ-. قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾ (الكهف/ 83). ولم يَرِدْ مثلُ ذلك في قصّةِ أهلِ الكهفِ في سورةِ الكهفِ. وليس في السُّورةِ ما يدلُّ بصورةٍ بيِّنةٍ على أنَّ سَوْقَ قِصّةِ هؤلاءِ الفِتيةِ كان جوابًا عنْ سُؤالٍ.

ثالثًا: ما جاء في قصّةِ أهلِ الكهفِ يشير إلى أنّ غايةَ القِصّةِ تعليمُ الرسول -ﷺ- وأُمَّتَهُ من بعدِهِ أَلَّا عَجَبَ من قُدرةِ الله وفَضْلِهِ؛ فإنّ اللهَ على كلّ شيءٍ قديرٌ؛ إذ تبدأُ القصّةُ بقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾ (الكهف/ 9).

جواب الاعتراض الثاني:

لا علاقة للعِلمِ بإثباتِ الخوارقِ أو نَفْيِها؛ فإنَّ العِلمَ يبحث في العَمَلِ المنتظم للقوانينِ لا خَرْقِها. والإيمانُ بالخوارقِ فرعٌ عن الإيمانِ بمن يملك خرقَها (الله -سبحانه-)؛ فإذا آمنَ المرءُ باللهِ، امتنعَ عليه أن يُنكِرَ القُدرةَ على خرقِ قوانين الطّبيعةِ.[3]

جواب الاعتراض الثالث:

أَوّلًا: يعقوبُ السّروجيُّ وُلِدَ في تركيا (بتقسيمها الحديث)، وقد تَعَلَّمَ في مدرسةِ الرّها (أرفة اليوم)، وفيها صار أُسْقُفًا. ومنطقةُ أفسس هي اليوم أيضًا في تركيا، وإن كانت قديمًا داخِلةً في حُدودِ اليونان القديمةِ. والمسافةُ بين الرّها وأفسس، وإن كانت كبيرة، إلّا أنّها لا تجعلُ من روايةِ يعقوبَ السّروجيِّ لقصّةِ النِّيامِ السّبعةِ أمرًا مُنْكَرًا،

(1) البخاري، الضعفاء الصغير، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، حلب، دار الوعي، 1396هـ، ص 105.
(2) النسائي، الضعفاء والمتروكون، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، حلب، دار الوعي، 1396هـ، ص93.
(3) انظر في جدل المعجزات والعقل والعلم، ومناقشة معارضات سبينوزا وهيوم: سامي عامري، براهين النبوة، لندن: مركز تكوين، 1439هـ/ 2017م، ص 47-62.

خاصّةً أَنَّ يعقوبَ السّروجيّ كان واسع المعرفةِ بحالِ النّصارى، وكثيرَ الكتابةِ، ومُعتَنِيًا بالخوارقِ، ما صحّ منها وما لم يَصِحَّ.

أفسس وأرفة في خريطة تركيا الحديثة



ثانيًا: ذهب عددٌ من النّقّادِ إلى أنّ ما كَتَبَهُ يعقوبُ السّروجيُّ له أصلٌ سابقٌ عن وثيقةٍ يونانيّةٍ، ومن هؤلاءِ المستشرقُ بيتر فن دير هورست.[1] وقد دافع عن أصلِ يونانيّةِ القصّةِ، غيرُه، مثل المستشرق ب. بيترز،[2] وآخرين،[3] بل هو الرأي الأوسعُ قَبُولًا كما يَنقُلُهُ المستشرقُ سيدني غريفث Sidney Griffith، بقوله: «**الرأيُ السّائدُ حاليًّا** هو أنَّ سِجِلَّ بقائهم الخارق على قيدِ الحياةِ بعد أكثرَ من ثلاثمائةِ عامٍ من وضعهم في القبر[4]، قد تمَّ تأليفه لأوّلِ مرّةٍ باللّغةِ اليونانيّةِ من قِبَلِ الأُسقُفِ ستيفن من أفسس بين عامَي 448 و450م».[5] علمًا أنّ يعقوبَ السّروجيَّ قد ذَكَرَ أنَّ قِصّةَ أصحابِ الكهفِ

(1) Pieter W. van der Horst, "Pious Long-Sleepers in Greek, Jewish, and Christian Antiquity", in Pious Long-Sleepers in Pagan, Jewish and Christian Antiquity, Leiden: Brill, cop. 2014, p.261.

(2) P. Peeters, "Le texte original de la Passion des Septs Dormants," Analecta Bollandiana 41 (1923) 369-385.

(3) See Koch, Die Siebenschläferlegende, ihr Ursprung und ihre Verbreitung. Eine mythologisch literaturgeschichtliche Studie, Leipzig: Reissner, 1883, pp.2-3, 84-87, and E. Honigmann, "Stephen of Ephesus (April 15, 448 - Oct. 29, 451) and the Legend of the Seven Sleepers" In E. Honigmann, ed., *Patristic Studies*, p.131.

(4) أي الكهف.

(5) Sidney Griffith, 'Christian Lore and the Arabic Qur'ān: The 'Companions of the Cave' in Surat al-Kahf and in Syriac Christian tradition', in Gabriel S. Reynolds, ed. *The Qur'an in its historical context*, London: Routledge, 2007, p.120

قد وَقَعَتْ أحداثُها الأخيرةُ في مُلكِ ثيودوسيوس الثاني الذي انتهى حُكمُهُ بوفاتِهِ سنة 450م.[1]

ثالثًا: رغم رفضِ المستشرق بيتر فن دير هورست لتاريخيّةِ القِصّةِ، ومحاولة تفسيرِ ظهورِها بالقولِ إنّها قصّةٌ اخْتَلَقَها أُسْقُفُ أفسس ستيفن (448-451م) لإكساب نفسِهِ شرعيّةً دينيّةً؛ إلّا أنّه أضافَ -في تعليقٍ مُهِمٍّ- حول ستيفن والقصّة: «من الصّعب أن نرى كيف تَمَكَّنَ ستيفن من إقناعِ شعبِهِ بمصداقيّةِ القِصّةِ، ولكنْ لا بُدَّ أنَّ شيئًا «مُعْجزًا»[2] قد حَدَثَ؛ لأنَّ علماءَ الآثارِ قد أَثْبَتُوا أنَّ بناءَ الكنيسةِ العظيمةِ في موضعِ الكهفِ قد بدأ في منتصفِ القرنِ الخامسِ، مباشرةً بعد «الحَدَثِ»». [3]

إنّ وجود فِتيةٍ أَخْبَرُوا غيرَهم أنّهم نامُوا سنواتٍ في الكهفِ بصورةٍ مُعجزةٍ، أمرٌ شواهِدُهُ التّاريخيّةُ قويّةٌ، حتّى عند من يرفُضُ المعجزاتِ أو يكذِّبُ الإعجازَ في هذه القصّةِ؛ حتى إنّ الباحثَ هونجمان قال: «يبدو أنّه من المؤكّدِ أنّه في منتصفِ القرن الخامس، اعتَقَدَ سبعةٌ من شبابِ أفسس حقًّا، أو حاولوا إقناعَ الآخرين، أنّهم تَعَرَّضُوا للاضطهاد في زمنِ دقيانوس».[4]

رابعًا: يَظهرُ في الخبرِ القرآنيِّ أنّ مَنْ جاء بالقرآنِ عالِمٌ بخبر أهلِ الكهفِ، واختلافِ النّصارى حول التفاصيل؛ حتى قال المستشرق سدني غريفث في ختامِ دراستِهِ لقصّةِ أهل الكهف القرآنيّةِ: «لا يلاحظُ المرءُ فقط إلمامَ القرآن بتفاصيلِ القِصّةِ والأفهام المختلفةِ لها، بل يلاحظ أيضًا الطّريقةَ التي يُزِيلُ بها القرآنُ من جهةٍ الإطارَ المسيحيَّ ويُقدِّمُ من جهة أُخرى مفهومًا إسلاميًّا».[5]

جواب الاعتراض الرابع:

أَوّلًا: دعوى النّصارى أنّ فِتية الكهفِ قد وُلِدوا سنة 250، لا إسناد لها صحيحٌ يُحتجُّ به على القرآنِ، خاصّةً أنّ الاختلافَ في القصّة يشمل أسماءَ الفِتيةِ، وعدَدَهُم،

(1) Sidney Griffith, "Christian Lore and the Arabic Qur'ān", p.126

(2) 'miraculous'

(3) Pieter W. van der Horst, "Pious Long-Sleepers in Greek, Jewish, and Christian Antiquity", p.264.

(4) Honigmann, "Stephen of Ephesus", p.142

(5) Sidney Griffith, 'Christian Lore and the Arabic Qur'an", p.130.

واسمَ الجَبَلِ الذي كان فيه الكهفُ، واسمَ المدينةِ التي كانوا فيها، وعددَ السَّنواتِ التي ناموا أثناءها، وغير ذلك من التفاصيل.(1) والذين رَوَوْا لنا القصّةَ، قد شاهدوا الفِتيةَ بعد قَوْمَتِهم، لا عند دُخُولِهِمُ الكهفَ.

ثانيًا: هناك رواياتٌ نصرانيّةٌ عن قصّة هؤلاء الفِتيةِ تجعل لُبْثَهم في الكهفِ أكثر من 309 سنين، ومنها الروايةُ الشّهيرة لجريجوري التوري Gregory of Tours (538–594م)؛ إذ تجعل مدّة نوم الفِتيةِ 373 سنة.(2)

ثالثًا: دعوى أنّ القرآنَ قد ذكرَ أنّ مُدّةَ لُبْثِ الفِتيةِ نيامًا 309 سنواتٍ، محلُّ خلافٍ بين مُفسّري القرآنِ منذُ القرن الأوّل الهجريِّ. قال الألوسيُّ في تفسيرِهِ: «وقال جَمعٌ [من المفسرين]: إنَّ الجملةَ [=وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا] من كلام أهلِ الكتابِ؛ فهي من مَقُول: سيقولون السّابق، وما بينهما اعتراض».(3) أي إنّ طائفةً من المفسّرين قد قالوا إنّنا لا نجدُ في القرآنِ أنّ الفِتيةَ قد لَبِثُوا في الكهفِ 309 سنوات، وإنّما في القرآنِ إخبارٌ أنّ من النَّصارى من يقولُ إنّ الفِتيةَ قد لَبِثُوا تلك المدَّةَ في الكهفِ.

وقد روى الطبريُّ عن قتادةَ التّابعيِّ، قوله: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ هذا قولُ أهلِ الكتاب، فَرَدَّهُ اللهُ عليهم فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.(4)

كما روى الطبريُّ عن قتادةَ أنّ مصحفَ ابن مسعودٍ فيه قراءةُ: «وَقَالُوا: وَلَبِثُوا». قال قتادةُ: «يعني أنه قال النَّاسُ، ألا ترى أنه قال: «قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا».».(5)

جواب الاعتراض الخامس:

أَوّلًا: القولُ إنّ الفِتيةَ كانوا مُثلِّثةً، دعوى يَدَّعِيها النَّصارى. ولسنا نملِكُ شهاداتٍ مباشرة ممّن شَهِدُوا الحدثَ، وإنّما وَصَلَنا خبرُ القصّةِ بوساطةِ شخصيّاتٍ متأخّرةٍ متعصّبةٍ للكنيسةِ، كيعقوبَ السّروجيِّ وغيرِه.

---

(1) Pieter W. van der Horst, "Pious Long-Sleepers in Greek, Jewish, and Christian Antiquity", p.262.
(2) L. Santucci, S. Klimaszewski, *Legendy chrześcijańskie*, Warszawa 1988, p. 133.
(3) الألوسي، روح المعاني، 8/ 239.
(4) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 15/ 229.
(5) المصدر السابق.

ثانيًا: في الخبرِ الإسلاميِّ إيماءةٌ إلى أنّ الذين نشروا القصّةَ كانوا على غيرِ منهَجِهم؛ فقد جاء في سورة الكهفِ، بعد اكتشافِ أهل أفسس فتيةَ الكهفِ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾ (الكهف/ 21). وقد سمّى المؤرّخ زكريا ريتور Zacharias Rhetor (توفي 536م) في كتابه «التاريخ الكنسي» ما بُني على الفتية «ܒܝܬ ܨܠܘܬܐ» (بيت صلوتا) أي بيت صلاة.[1] ونبيُّ الإسلامِ -ﷺ- قد ذكر أنّ اتّخاذَ القُبورِ مساجدَ عادةُ اليهودِ والنَّصارى المنحرفين. قال رسول الله -ﷺ- في مَرَضِهِ الأخير: «لعن اللهُ اليهودَ والنَّصارى اتَّخَذُوا قُبُورَ أنبيائِهم مساجدَ».[2] ويُفهم من ذلك أنّ من بَنَوْا المسجدَ من ضُلّالِ النَّصارى لا صالحيهم. والآيةُ بذلك ليس فيها أنَّ أهلَ أفسس في القرن الخامس كانوا مُوحِّدين. ونَقْلُ النَّاسِ عقيدةَ هؤلاء الفِتيةِ أنّها التّوحيدُ بعيدٌ، إنْ أَقَرُّوا بالطَّابعِ الخارقِ للقصّةِ؛ لأنّ ذلك سيصرِفُ النَّاسَ عن عقيدةِ الكنيسةِ المثلِّثةِ.

---

(1) *Historia Ecclesiastica*, 121- 122.

(2) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، (ح/ 1265)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، (ح/ 529).

أصحاب الفيل

الاعتراض:

جاء القرآن: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [سورة الفِيل]. والتراث الإسلامي على أنّ هذه القصّة قد وَقَعَتْ سنة ميلادِ نبيِّ الإِسلام -ﷺ-.

وهنا اعتراضات:

الاعتراض الأوّل: القول إنّ أبرهةَ قد غزا مكّةَ سنة ميلاد نبيِّ الإسلامِ -ﷺ-، أي سنة 571م، باطلٌ؛ فإنَّ أبرهةَ قد تُوفّي قبل ذلك التاريخ.

الاعتراض الثاني: نَقْشُ (ريكمانز 506= مريغان1) الذي يَذْكُرُ غزوَ أبرهةَ قلب الجزيرة العربيّةَ، هو النّقشُ الوحيدُ الذي يُفِيدُ دخول أبرهةَ هذه البلاد، وهو يعود إلى سنة 552م. وفيه أَنَّ أبرهةَ توقّفَ على بُعدِ أميالٍ من مكَّةَ، وأرسل حملاتٍ متفرّقةً من هناك، ثم عاد مُنتصِرًا إثر ذلك.

الاعتراض الثالث: لم تدخل الفيلةُ قلب جزيرة العربِ لعدم الحاجة إليها في تلك الأرض الصّحراويّةِ.

الاعتراض الرابع: التفاصيلُ المذكورةُ في الكتبِ الإسلامية أَنَّ أبرهةَ أراد هَدْمَ الكعبةِ بعد بنائِهِ كنيسةً في اليمنِ أراد صَرْفَ النَّاسِ إليها؛ غيرُ منطقيٍّ؛ فإنَّ مَنْ كانوا يَحُجُّون إلى الكعبةِ وَثَنِيُّون، وحُجّاجُ/ زُوَّارُ كنيسةِ اليمنِ نصارى.

الجواب:

لا تقومُ الاعتراضاتُ السّابقةُ على العِلمِ بما جاء في السّيرةِ والتاريخ، وإنّما تقوم على الجهل بِمرويّاتِ السّيرةِ، وخبرِ أبرهَةَ والفيلةِ في اليمنِ وجزيرةِ العربِ.[1]

وتفصيل ذلك في النقاط التالية:

(1) زعم الكاتب يوسف زيدان -صاحب الشطحات التاريخية المشبوهة والمتكرّرة- أنّ قصّة أصحاب الفيل لا علاقة لها بأبرهة، وغزو مكّة، واستدلّ لذلك بأنّ القصّة عن «أصحاب الفيل» لا «صاحب الفيل» (أبرهة)، وأنّ القصّة وقعت

أَوّلًا: لا يَصِحُّ شيءٌ في أنّ الرسول -ﷺ- قد وُلِدَ عام غزوِ أبرهةَ مكّةَ. فقد جاء

قبل المسيح في معركة المكابيين اليهود حيث شاركت عدة فيلة في المعركة. كما زعم أنّ ربط سورة الفيل بأبرهة من صناعة وهب بن منبّه في رواياته المحفوظة في كتاب: «التيجان في ملوك حمير». واستنكر حماية قريش الوثنية من أبرهة النصراني الأقرب للإيمان الإسلامي. كما أشار إلى التشابه بين «مكّة» و«المكابيين». والتعليق على كلامه في النقاط التالية:

1 - أوحى زيدان للسامعين أنّ ما قرّره هنا، من اجتهاده في تدبّر القرآن. والحق هو أنّ هذه الدعوى جاء بها المستشرق الفرنسي دو بريمار الذي زعم في مقال نشره سنة 1998 أنّ سورة الفيل تشير إلى معركة القادسيّة (!) التي انتصر فيها «العرب» على الجيش الساساني سنة 15 هـ -بعد وفاة الرسول ﷺ!- (Alfred-Louis de Prémare, "Les éléphants de Qadisiyya", *Arabica*, 1998, 45, 261-269.)، ثم عاد سنة 2000 لنشر مقال آخر في الموضوع، زعم فيه أن سورة الفيل تفسير «مِدراشي» لسفر المكابيين الثالث ("Il voulut détruire le temple". L'attaque de la Ka'ba par les rois yéménites avant l'islam. Akhbâr et Histoire", *Journal Asiatique*, 2000, 288/2, 261-367). ولم تجد دعوى دو بريمار صدى في الساحة الاستشراقية؛ فقد رفضها عامة المستشرقين (قبلها دانيال بيك، وهو ليس بباحث أكاديمي ولا علاقة له علميًا بالدراسات الإسلامية، وغيوم دي).

2 - سُمّي جيش أبرهة بـ«أصحاب الفيل»؛ لأنّ الجيش هجم على مكّة مع فيل أو فيلة؛ فليست التسمية متعلّقة بأبرهة، وإنّما هي متعلّقة بجيشه.

3 - أبرز معركة بين المكابيين والسلوقيين من جهة بروز خبر الفيلة فيها بصورة لافتة، هي معركة بيت زكريا التي ذكرها سفر المكابيين الأول 6، والمؤرّخ يوسيفوس في القرن الأول في كتابين له («عاديات اليهود»، 12. 9 و«حروب اليهود» 1. 41-46). وقد هزم السلوقيون فيها اليهود لا العكس. ومشاركة الفيلة في المعارك الأخرى أقل ظهورًا.

4 - زعم زيدان أنّ الطير الأبابيل التي رمت جيش العدو، مذكورة في سفرَي المكابيين. وتلك دعوى لا تصحّ؛ فليس في سفرَي المكابيين شيء من ذلك. والأمر نفسه في سفر المكابيين الثالث. كما أنّه لا ذكر في الأسفار السابقة للحجارة النازلة من السماء على العدو. وهذا هو الأمر المميّز للقصّة القرآنية؛ فإنّ مشاركة الفيلة في الحروب لا تُعدّ من نوادر الأحداث.

5 - خبر معركة الفيل لم يتفرّد به وهب بن منبّه؛ فقد رواه أهل السير. وجاء في الصحيحين أنّ ﷺ النبي لما فتح الله عليه مكة قام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «إنّ الله حبس عن مكة الفيل، وسلّط عليها رسوله والمؤمنين». (رواه البخاري، كتاب في اللقطة، باب كيف تعرف لقطة أهل مكة، ح/ 2329، ومسلم ،كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها، إلا لمنشد، ح/ 2505).

6 - حماية الكعبة من هجمة أبرهة ليست في إكرام وثنيي مكّة وإنّما في إكرام كعبة إبراهيم عليه السلام، وإكرام النبي الذي سيبعث قريبًا ليحيي ملّة إبراهيم عليه السلام من جديد، وليردّ الكعبة إلى طهر التوحيد، ولتكون مكّة مبدأ تجديد ملّة إبراهيم عليه السلام.

7 - كلمة «مكابيين» تُطلق على يهوذا المكابي وإخوته، ثم صارت مرادفة للسلالة الحشمونية، فهي ليست اسمًا لمكانٍ: «مكّة»!

وقد أثار الشكوك حول تاريخية غزو أبرهة مكة أيضًا الكاتب العماني سعود الزدجالي، حتّى إنّ تصريحاته أثارت ضجّة إعلاميّة على وسائل التواصل. ومختصر التعليق على ما قاله، في النقاط التالية:

1 - طعنَ الزدجالي في خبر غزو أبرهة مكّة؛ بإهدار رواية الأخباريين كليّة، لما فيها من إشكالات تاريخيّة. وهذا منطق متطرف في التعامل مع الروايات التاريخية، ليس عليه أهل التحقيق؛ فإنّ الأخبار التاريخية، وإن تعارضت، أو تضمّنت دعاوى باطلة، لا تَسقط ضرورة بذلك؛ فعامة أخبار التاريخ القديم لا تخلو من تناقضات وأساطير، لامتزاج الأصيل بالخرافي فيها. ولو التزمنا هذا الطريق فسنهدم مناهج البحث التاريخي المعاصر، وسيتحوّل الإسكندر المقدوني -مثلًا- إلى شخصية أسطورية وهمية لكثرة التناقضات والأساطير في أخبارها. ولذلك يهتم النقّاد عند النظر في هذه المرويات بما يُسمّى «نواة الحقيقة» «kernel of truth» الكامنة في قلب الروايات المتضاربة. وذاك سبب قبول عامة المستشرقين رواية غزو أبرهة لمكّة -كما سيأتي بيانه-؛ إذ إنّ روايات الأخباريين -على ما فيها من اضطراب وأباطيل- تقوم على أصل تاريخي صحيح يفسّر ما وقع في مكّة والحجاز في السنوات القريبة من ميلاد الرسول ﷺ.

2 - تجاهل الزدجالي رواية البخاري التي تشير إلى غزو أبرهة مكّة، رغم أنّ الزدجالي يميّز بين منهج الأخباريين ومنهج المحدّثين (المؤرّخين، بعبارته).

3 - أسقط الزدجالي كتب السيرة النبويّة بتهمة الخضوع إلى الولاءات السياسيّة. وهي تهمة لا نكاد نجدها حتّى عند متطرّفي المستشرقين.

الخبرُ القائل إنّ ميلاده -ﷺ- قد كان عام الفِيلِ، في ثلاثِ رواياتٍ عن الصّحابةِ:

الرّوايةُ الأُولى رواها ابنُ سعدٍ والحاكِمُ وغيرهما عن ابنِ عبّاسٍ -رضي الله عنه- قال: «وُلِدَ رسولُ الله -ﷺ- يومَ الفِيلِ، يعني عام الفِيلِ». وفي الإسنادِ أبو إسحاقَ السّبيعيّ، وقد عَنْعَنَ، وهو مُدَلِّسٌ.(1)

الرّوايةُ الثّانيةُ رواها ابنُ إسحاقَ عن قيسِ بنِ مخرمةَ: «وُلِدتُ أنا ورسول الله -ﷺ- عامَ الفِيلِ». وفي إسنادِها المطّلبُ بنُ عبدِ اللهِ بن قيسِ بن مخرمةَ، وهو مجهولٌ، فقد تَفَرَّدَ بالرّوايةِ عنه ابنُ إسحاقَ.(2)

---

4 - أثنى الزدجالي -بسخاء- على كتب نصر حامد أبو زيد -المتّهم قضائيًا بالكفر، وعلميًا بالتناقض والتكلّف والأدلجة-، وجولدتسيهر -أشد المستشرقين حقدًا على الإسلام- في توجيهه القارئ العربي لفهم التراث الإسلامي وقراءة النص القرآني!

5 - عظّم الزدجالي ما قاله المسَيّح، وهو منصّر مغربي شعبوي، حاطب ليل، ينافح عن كلّ دعوى تريد هدم الإسلام، حتّى قال إنّ مكّة ليست في الحجاز، وإنّ «محمّد» ليس اسم نبي الإسلام وإنّما هو صفة للمسيح ابن مريم (!!)، مع جمّ متشاكس من الافتراءات المتطرّفة. واستدلّ الزدجالي بالمسيّح للقول إن أبرهة قد توفي في بدايات النصف الثاني من القرن السادس، رغم أنّه لا يوجد خبر تاريخي عن ذلك، كما نقل عنه أنّ تضاريس المنطقة لا تسمح بدخول الفيلة لها، رغم وجود أكثر من نقش في إثبات ذلك! والاستدلال بالمسيّح من متحدّث يدّعي «العلميّة» وينافح عن «الشك الديكارتي»، عجيب!

6 - عظّم الزدجالي أمر الحفريات في البحث التاريخي، رغم أنّ حفريات البلاد العربيّة، ضعيفة جدًا، ولا يُمكن أن تُبنى عليها قراءة علميّة جادة لتاريخ المنطقة.

7 - نادى الزدجالي «بالعدميّة التاريخية»، بقوله إنّ كلّ قراءة هي نتاج لبيئة وآليات إذا تغيّرت اختلفت معها القراءة. فالنصّ عنده من صناعة القارئ. وهو بذلك يُبشّر بشعار ما بعد الحداثة: «موت المؤلّف». ويدعو إلى «تسييل النصّ»، بما ينتهي إلى إعدامه.

8 - أوهم الزدجالي السامعين أنّ علماء الإسلام يسلّمون بما جاء في المرويات التاريخية دون تمحيص. وهي دعوى معلومة الفساد. وأخبرنا أنّ الواقدي متّهم بالكذب، وكأنّه يخبر بسرٍّ مكتوم!

9 - أنكر الزدجالي خبر غزو أبرهة مكّة لأنّه لم يرد في صحيح الشعر الجاهلي المحفوظ، وكأنّ البحث النقدي قد انتهى إلى حسم الأصيل من الدخيل في هذا الشعر (!!)، أو أنّ الثابت الأصيل من هذا الشعر -وهو قليل على مذهبه؛ إذ هو أبيات قلائل لكلّ شاعر- لا بدّ أن يكرّر خبر القصّة في كلّ قصيدة! وأهمل أنّ العرب كانت تؤرّخ لأحداث المنطقة بقصّة غزوة أبرهة، وهو أمر أعظم من كلّ قصيدة، في البحث التاريخي.

10 - زعم الزدجالي أن أبرهة آريوسيّ، وأنّ النقوش تشهد لذلك؛ ولذلك فتعظيم القرآن لهزيمة الآريوسي «الموحّد!» أمام الوثنيين لا يستقيم إسلاميًّا. وكلامه كذب على النقوش وعلى التاريخ؛ فليس في النقوش أو غيرها شاهد لآريوسية أبرهة! وليست الآريوسية على التوحيد! وسورة الفيل ليست في تمجيد انتصار الوثنيين على النصارى، وإنّما هي في بيان هزيمة معتدٍ على كعبة إبراهيم عليه السلام التي ستنطلق منها قريبًا الرسالة الخاتمة.

11 - استدلّ الزدجالي لإيمان أبرهة، بإيمان النجاشي؛ فهُمَا من أصول كنسيّة واحدة. وهذا تخليط؛ فإنّ روايات السيرة أنّ النجاشي كان على خلاف قومه في الموقف من طبيعة المسيح عليه السلام، وأنّه كان يكتم ذلك قبل إسلامه وبعده.

وخلاصة الكلام في دعاوى الزدجالي التي عرضها في حلقة يوتيوبية، هي أنّ الرجل متشنّج، فاقد للرصانة العلميّة في التعامل مع الخبر التاريخي، وينحو في اتّجاه الشكوكيّة المتطرّفة، ويعتمد -مع ذلك- على «دراسة» أحد المنصّرين الشعبويين.

(1) ابن حبّان، الثقات، الهند، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، 1393هـ/ 1973م، 5/ 177.

(2) بشار عواد معروف وشعيب الأرنؤوط، تحرير تقريب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بيروت: مؤسسة الرسالة، 3/ 386. كذا قال الدكتور بشار عوّاد معروف والشيخ شعيب الأرنؤوط في تعقيبهما على كتاب الإمام ابن حجر «تقريب التهذيب». وقد قال ابن حجر في هذا الراوي: مقبول. ومصطلح «المقبول» عند ابن حجر في «تقريب التهذيب»، تضعيفٌ للراوي، وأنّ روايته تُردّ إذا لم يُتابع.

الرّوايةُ الثّالثةُ رواها الحاكِمُ عن أبي الحُوَيْرِثِ قال: سمعتُ عبد الملكِ بنِ مروانَ يقولُ للقباث بن أشيم: يا قباث، أَنْتَ أَكْبَرُ أَمْ رسولُ اللهِ -ﷺ-، فقال: «بل رسولُ اللهِ -ﷺ- أَكبرُ مِنّي، وأَنا أَسَنُّ منهُ، ولد رسولُ اللهِ -ﷺ- عامَ الفِيلِ، وتَنَبّأَ على رأسِ الأربعين من الفيلِ.» والحديثُ ضعيفٌ. في سَنَدِهِ أبو الحويرث، وهو عبد الرحمن بن معاوية. وقد ترَكَهُ مالكٌ. والراوي عنه هو الزّبيرُ بن موسى المكّيّ، مستور الحال. والظاهر أنّ في السَّنَدِ سقطًا؛ فإنّ إسماعيلَ بنَ أبي أويسٍ لا يروي عن الزُّبيرِ بن موسى.[1]

وقد اختُلِفَ في سَنَةِ مولدِ الرسول -ﷺ- في مرويّات السّيرة. قال الماورديُّ: «واختُلِفَ في مولِدِه -عليه السَّلام- من عام الفيلِ على ثلاثةِ أقاويلَ: أحدُها: أنّ مولدَهُ بعد أربعينَ سنةٍ من عامِ الفيلِ، قاله مقاتلٌ. الثاني: بعد ثلاثٍ وعشرين سنةً منه. قالَهُ الكَلْبِيُّ وعبيد بن عمير. الثالثُ: أنّه عامَ الفيلِ».[2] وكلُّها ضعيفةٌ.

ثانيًا: كُلُّ الرّواياتِ في سبب غزو أبرهةَ مكّةَ لا تصِحُّ. قال أحدُ المحدّثين المعاصرين في سببِ مَسِيرِ أبرهةَ إلى الكعبةِ: «السّببُ هو مَسِيرُ أبرهةَ الحبشِيّ بجنده معه الفيلُ إلى بيتِ اللهِ الحرام لتخريبِهِ وهَدمِ الكعبةِ التي فيه حتّى تنصرِفَ وجوهُ النَّاسِ إلى بلادِهِ، والأسانيدُ بذلك وإن كانت منقطعة إلّا أنّ أهل السِّيَرِ تَلَقَّفُوها ونَقَلُوها في كُتُبِهم».[3] فهي أسانيدُ فيها انقطاعٌ، لا تقوم بها الحجّةُ، ولا يُستأنس بها إذا عارضها برهانٌ تاريخيٌّ.

وقد جاء في التّراثِ الإسلاميِّ ذِكْرُ أسبابٍ أُخرى لغزو أبرهة مكة، منها أنّ فِتيةً من قريشٍ دخلُوا الكنيسةَ التي بناها أبرهةُ في اليمنِ، فَأَجَّجُوا فيها نارًا، وكان يومًا فيه ريحٌ شديدةٌ، فاحتَرَقَتْ وتَلِفَتْ؛ ممّا أثار غضب أبرهةَ الذي قرّرَ أن ينتقِمَ من قريشٍ بهدْمِ مَعْبَدِها...[4] وليس على كلٍّ ما قيل دليلٌ تاريخيٌّ يُعتدُّ به.

---

(1) مقبل الوادعي، المستدرك على الصحيحين، وبذيله أوهام الحاكم التي سكت عليها الذهبي، القاهرة: دار الحرمين، 1417هـ/ 1997م، 4/ 60.

(2) الماوردي، النكت والعيون، 6/ 338.

(3) مصطفى العدوي، التسهيل لتأويل التنزيل، تفسير جزء عم، تفسير الجزء الأول، طنطا: مكتبة مكة، 1997م، ص 551-552

(4) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، دار الساقي، 1422هـ/ 2001م، 6/ 200.

ويرى د. محمد بيومي مهران -المتخّصص في التّاريخِ العربيّ القديم (والمصريّات)- أنّ لِحَمْلةِ أبرهةَ على مكّةَ أسبابًا سياسيّةً واقتصاديّةً في الدّرجة الأُولى، وأيضًا دينيّةً في خدمة العواملِ السياسيّةِ والاقتصاديّةِ؛ فإنّ سيطرةَ الحبشةِ على اليمن قد انتهت إلى أن أصبحَ الطّريقُ البَرّيُّ -عبر تهامةَ والحجازِ- الطريقَ الوحيدَ المفتوحَ أمام التّجارةِ، وكان لا بُدّ -بعد زوال النشاط اليمنيّ - أن يوجد من يسدّ هذا الفراغَ، ويقوم بدور الوسيطِ المحايدِ بين المتنازعين، لنقلِ التجارة. وكانت مكّةُ مرشّحةً أن تكون ذلك الوسيطَ؛ لِما تَمَتَّعَتْ به منذُ منتصف القرن الخامس الميلاديّ من مكانةٍ ساميةٍ بين عربِ الشّمالِ، ولكن لم ترضَ الحبشةُ عن هذا الحلّ؛ إذ كانت حريصةً على أن تحتكِرَ هذا المصدرَ الاقتصاديّ الهام لنفسِها، ومن ثم كانت حملةُ أبرهةَ للاستيلاءِ على مكّةَ. كما احتاج أيضًا الأحباشُ في اليمن الاتصال بحلفائهم البيزنطيّين في الشّمالِ، وبسط نفوذ النصرانيّةِ على المنطقة؛ بما يقتضي فرضَ الهيمنةِ السياسيّةِ -والدينيّةِ تبعًا لها- عليها؛ ولذلك ظهرت الحاجة إلى صرفِ العربِ عن دينهم الوثنيّ، وتنصيرهم؛ وبذلك ينصرفون عن مكّةَ إلى كنيسةِ أبرهةَ في اليمن.[1]

ثالثًا: دعوى أَنَّ نقشَ (ريكمانز 506) متعلّقٌ بحادثة الفيلِ التي جاء ذكرها في القرآن، انتصرَ لها المستشرق «الإسرائيلي!» م.ج. كيستر M.J. Kister، وهي دعوى تجاوَزَها الباحثون اليومَ، لِضَعْفِها البَيِّنِ.[2] ونصُّ هذا النَّقْشِ الذي نشرَتْهُ بعْثةُ المستشرق ريكمانز Ryckmans، لم يكن كاملًا؛ بسبب عدمِ وضوحِ عددٍ من كلماتِهِ. وقد قام الدكتور عبد المنعم سيد -أستاذ الآثار والتاريخ القديم في جامعة الملك عبد العزيز- بمراجعة النَّقْشِ نفسِه، وقراءةِ ما لم تُسَجِّلْهُ البعثةُ. ونَشَرَ في ذلك بحثًا عِلْميًّا، لخَّصَهُ في قولِه: «قام كاتبُ هذا البحث بزيارةٍ لمنطقةِ مريغان لمراجعة نسخةِ ركمانز ولتصويرِ الأجزاءِ غيرِ الواضحةِ في النّقشِ. وبفضلٍ من الله أمكنَ العُثورُ على

(1) محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، ص 401-404

(2) See Christien Julien Robin, "L'arabie dans le Coran. réexamen de quelques termes à la lumière des inscriptions préislamiques", in *Les Origines du Coran, le Coran des Origines*, Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 2015, pp. 28-48.

نقشٍ آخرَ صغيرٍ إلى جوارِ النّقشِ المذكور لم تَنْتَبِهْ إليه بعثةُ ركمانز، سَجَّلَهُ محاربٌ يُدعى «منسي بن ذرانح» حارب تحت قيادةِ أبرهةَ. وقد تَبيَّنَ لكاتبِ هذا البحث من دراستِهِ لِلنَّقْشَيْنِ، أنّ العباراتِ النّاقصةَ أو غيرَ الواضحةِ في النّقشِ الكبير هي لأسماءِ شهور وقبائلَ ومواقعَ ترتبِطُ ببعضها من حيث الزمانِ والمكانِ، وأنّ النّقشَ يروي أخبارَ صراعٍ قبليٍّ استغلَّهُ أبرهةُ الحبشيُّ في ضربِ أعدائِهِ من قبائلِ نجدٍ، وأنّ أسماءَ هذه القبائلِ والأماكنِ لا صلةَ بينها وبين تلك التي وردَتْ في الرّواياتِ العربيّةِ عن حملةِ الفيلِ. وأنّ النّقشَ يُسَجِّلُ أخبارَ حملةٍ أُخرى سبقَتْ حملةَ الفيلِ التي أشار إليها القرآنُ الكريم».[1]

وقد عُثِرَ على نَقْشٍ لحملةٍ قام بها أبرهةُ على جزيرةِ العربِ بعد غزوة سنة 552، وقد بلغَ فيها أبرهةُ مواضعَ كثيرةً، منها يثرِبُ (المدينة المنوّرة لاحقًا). وهو نقشُ (مريغان 3). وهو كَشْفٌ يُسقِطُ الاستدلالَ بنقشِ (ريكمانز 506) لنفيِ تاريخيّةِ معركة الفيلِ؛ لأنّه يُظهِرُ أنّ أبرهةَ قد غزا الحجازَ بعد سنة 552، وإن لم تكن تلك الغزوة هي غزوة مكّة.

رابعًا: يجهلُ المؤرّخون تاريخَ وفاةِ أبرهةَ، وهم في ذلك مضطربون؛ وهو عندهم بعد 552م، دون ضبطِ السّنةِ، لغيابِ الشّهادةِ التّاريخيّةِ على ذلك. وقد جاء في «قاموس السيرة الأثيوبية»: «لا توجد معلومات موثوقة حول تاريخ وفاة أبرهة رغم وجود تراث يحدّد ذلك مباشرة بعد رحلته إلى مكة».[2]

والإشكالُ الوحيدُ في وضعِ وفاة أبرهة سنة 571م، هو أنّ ذاك التّاريخَ لا يسمح بزمنٍ مديدٍ لِيَحْكُمَ فيه وَلَداهُ اللّذانِ حَكَما بعدَهُ: يكسوم ومسروق.[3] وليس ذاك بالاعتراضِ الحاسمِ في ردّ القولِ بوفاةِ أبرهةَ سنة 571م؛ خاصّةً مع الاضطرابِ في

(1) عبد المنعم سيد، هل يشير نقش أبرهة الحبشي عند بئر مريغان إلى حملة الفيل، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 3، 1410هـ1999-م، ص 71.

(2) Sergew Hable-Selassie, "Abraha ('Abraha)" art., The Dictionary of Ethiopian Biography: From early times to the end of the Zagwé dynasty c. 1270 A.D, Institute of Ethiopian Studies, Addis Ababa University, 1975.
< https://dacb.org/stories/ethiopia/abraha/>.

(3) F. E. Peters, *Muhammad and the Origins of Islam*, SUNY Press, 1994, p.99.

تواريخِ ما وقع بعده. ولعلَّ الأَولى التوقُّفُ في الحُكمِ، حتّى تَحْسِمَ الكشوفُ الأثريّةُ الأمرَ.

خامسًا: رغم أنّنا نجهلُ تفاصيلَ كثيرةً عن أبرهةَ وحُروبِهِ، إلّا أنّ المعلومَ منها يتوافقُ مع الرّوايةِ الإسلاميّةِ. وقد شهد بذلك الكتاب التأريخي الأكاديمي: The Oxford Handbook of Late Antiquity بالإشارة إلى النّقشِ الذي اكتُشِفَ سنة 2009 (مريغان 3). ففي هذا النّقشِ أعلنَ أبرهةُ أنّه قام بتمديدِ سُلطانِهِ ليشملَ الشّمالَ الشرقيَّ للجزيرةِ العربيّةِ، وشمالَ غربِها، ومنها منطقةُ يثربَ. وبذلك تمّ الاعترافُ بسلطانِهِ. «وقد أكّدَ التّراثُ الإسلاميُّ هذه النّقطةَ: فقد أوردَ قَصَصًا لتدخُّلِ أبرهةَ بصورةٍ مباشرةٍ في شؤون عدّةِ قبائلَ شمالي الجزيرة العربيّةِ.»[1]

سادسًا: لا يُنكِرُ عامّةُ الباحثين من غير المسلمين تاريخيّةَ هُجومِ أبرهةَ على الكعبةِ، وإن اختلفوا في ضبطِ سنةِ وقوعِ ذلك. ولذلك جاء في «معجم أوكسفورد للإسلام» تحت مقال «عام الفيل»: «**يعتقد المؤرّخون اليومَ** أنَّ هذا الحدثَ وقع قبلَ عَقْدٍ من ولادة محمّدٍ في أدنى تقديرٍ».[2] وقال دانيال بيك في كتابه: «تطوّر القرآن المبكّر» -بعد اعتراضه هو نفسه على تاريخية قصّة غزو أبرهة الكعبة-: «...مع ذلك، لا يزال **معظم النقّاد** -بصورة لافتة للنظر- يقبلون بسهولة قصة اعتداء أبرهة بالفيلة على مكّة باعتبارها حقيقة تاريخية ومحلّ إشارة أصلية للسورة رقم 105 من القرآن».[3]

ودافع كتابُ The Oxford Handbook of Late Antiquity عن تاريخيّة قصّة الفيل، بقوله: «... **معركة الفيلِ يمكن أن تكون سببَ انهيارِ هيمنةِ الحِمْيَرِيِّين**[4] على وسطِ شبهِ الجزيرةِ العربيّةِ. يمكن أن يرجعَ تاريخُ معركةِ الفيلِ هذه إلى ما بين 555 و 565، مع ترجيحِ قُرْبِها من 565، في نهايةِ عهدِ أبرهةَ. **يُقَدِّمُ فشلُ أبرهةَ عند مكّةَ تفسيرًا**

---

(1) Scott Fitzgerald Johnson, *The Oxford Handbook of Late Antiquity*, Oxford: Oxford University Press, 2015, p.287.

(2) John L. Esposito, ed., *The Oxford Dictionary of Islam*, Oxford: Oxford Univ. Press 2003, p.344.

(3) Daniel A Beck, *Evolution of the Early Qur'ān: From anonymous apocalypse to charismatic prophet*, New York: Peter Lang, 2008, p.8.

(4) كان أبرهة ملكًا لمملكة حِمير.

معقولًا للأَوْلَويَّةِ التي نالَتْها قُريشٌ التي هي قبيلةٌ فقيرةٌ وليست عظيمةَ العدَدِ، والتي تأَسَّسَتْ في منطقةٍ غيرِ مِضْيافةٍ».[1]

وحملةُ أبرهةَ مدعومةٌ بالتّراثِ العربيِّ الذي لم ينسَ هذه الحادثة، وظلَّ يَتَنَاقَلُها بعد بضعةِ عقودٍ، عند نزول سورةِ الفيلِ. واتّهامُ القرآنِ باختلاقِ قصّةٍ بهذه الضّخامةِ والوضوحِ، وإعادة تأريخِ أحداثِ العرب انطلاقًا منها، بعيدٌ جِدًّا، إذ إنّ الخبر القرآنيّ غير بعيدٍ عن أصلِ مبدأ التّأريخِ العربيِّ الجديدِ.

سابعًا: تربيةُ الفِيَلةِ عند الأثيوبيّين، أمرٌ معلومٌ؛ فقد شهدت «الموسوعةُ الأثيوبيّة» أنّ نُنوسوس -رسولَ الإمبراطورِ جستنيان- قد رأى في القرنِ السّادسِ في منطقة Aue بين إكسوم وعدوليس 5000 فيلٍ ترعى في سهلٍ كبيرٍ.[2] وأمّا استعمالُ الفِيَلةِ في الحروب؛ فقد شهد له فرانسيس أنفري في مقالَتِهِ: «حضارةُ أكسوم من القرن الأوّل إلى القرن السّابع»، في قوله إنّ «الأفيالَ الأثيوبيّةَ ذاتُ قيمةٍ كبيرةٍ منذ عهد «البطالمة»، إذ كانت الجيوشُ تستخدمها كنوعٍ من الدّبّاباتِ».[3] عِلْمًا أنّ أبرهةَ كان حاكِمًا على اليمنِ؛ وبالتالي فهو ليس بحاجةٍ إلى أن يبدأَ حملَتَهُ على مكّةَ من وراءِ البحرِ الأحمرِ.

ثامنًا: لا دليلَ من القرآنِ أو صحيحِ السّيرةِ أنّ غزوةَ أبرهةَ كانت مصحوبةً بمئات الفِيَلةِ أو الآلافِ منها؛ فكلمةُ «أصحاب الفيل» لا تمنع من أن يكون مع الجيشِ فيلٌ واحدٌ، سُمِّيَ به الجيشُ «أصحابَ الفيلِ»، أو هي فِيَلةٌ قليلةٌ. «والجمهور على أنّه فيل واحد»[4] كما هو نقلِ ابن عطيّة في تفسيره. وقد جاء في كُتُبِ التّراثِ أنّه كان في الحملةِ ثلاثةَ عشرَ فِيْلًا، أو اثنا عَشَرَ فِيْلًا، أو دون ذلك أو أكثر.[5] ولعلَّ أصلَ التّسميةِ لا يعود إلى كثرةِ الفِيَلةِ في الجيشِ وإنّما لغرابةِ أن يغزوَ مكّةَ في قلبِ الحجازِ جيشٌ فيه الفيلُ الذي لم يره فريقٌ واسعٌ من النَّاسِ من قبلُ.

---

(1) Ibid.

(2) Siegbert Uhlig, ed. *Encyclopaedia Aethiopica: D-Ha*, Harrassowitz, 2003, 2/256.

(3) فرانسيس أنفري، «حضارة أكسوم من القرن الأول الى القرن السابع»، في: تاريخ إفريقيا العام، إشراف: جمال مختار، اليونسكو، 1985، 2/ 384.

(4) ابن عطية، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 5/ 523.

(5) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 3/ 507.

تاسعًا: اكتُشِفَ مؤخّرًا ما يُرجِّحُ دخول أبرهةَ قلب الجزيرة العربية بِفِيَلةٍ،[1] فقد عَثَرَت البعثةُ الفرنسيّةُ السّعوديةُ سنة 2018 على نقشٍ عند آبارِ حمى، نجران، كُتِبَ عليه: «أبرهةُ زيبمان، مَلِك»، وكانت هذه البعثةُ قد عَثَرَتْ سنة 2014 بالقربِ منه (على بعد حوالي مئةِ مترٍ) على صُورَ ثلاثةِ فِيَلةٍ. وحتّى لو لم يَصِحَّ ربطُ الفِيَلةِ بحملةِ أبرهةَ؛ فيبقى مع ذلك أنّ هذا النّقشَ دالٌّ على دُخولِ الفِيَلةِ تلك المنطقةِ.

(1) المعلومات التالية، وصور النقوش، عن مقال منير أرباش، مؤرخ متخصص في النقوش، ومدير وحدة بحث في «المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي» (CNRS)، على موقع «ArcheOrient» الذي يُشرف عليه مجموعة من الباحثين من جامعة ليون 2 الفرنسية، لنشر الاكتشفات الأركيولوجية الحديثة والأبحاث.
Mounir Arbach, De la gravure rupestre aux traditions arabes et coranique, ArchéOrient - Le Blog, 4 octobre 2019, <https://archeorient.hypotheses.org/12504>.

نقشُ الفِيَلةِ في جَبَلِ ذباح، نجران
(تصوير البعثةِ السعوديةِ-الفرنسيّةِ)



صورة الفيل عن قرب
(تصوير البعثة السعودية-الفرنسية)



صورة الفيل وقائده
(تصوير البعثة السعودية-الفرنسية)



وسبق أن عَثر ج. دايتون J. Dayton في ستينيات القرن الميلادي الماضي، في وادي القرى، في العُلا، شماليّ المدينة، على نقشٍ لِفيلٍ كبيرٍ على صخرةٍ ضخمةٍ. علمًا أنّ الفِيَلةَ قد انقرضَتْ من شبهِ الجزيرة العربية، منذ قرابة 200 ألف سنةٍ. وهو ما يدلُّ عل أنّ هذه الفِيَلةَ واردةٌ إلى هذه المنطقة من منطقةٍ مجاورةٍ لها.

نقش العُلا[1]



(1) المصدر السابق.

الخاتمة

بعد تَتَبُّعِ الاعتراضاتِ التّاريخيّةِ على الأخبارِ القرآنيّةِ. لنا أن نَخْلُصَ إلى مجموعةٍ من النتائج المهمّةِ:

1. قبل المسارعة إلى تخطئةِ الخَبَرِ القرآنيِّ، لا بُدَّ من معرفةِ الأوجهِ الدّلاليّةِ الممكِنةِ للآياتِ القرآنيّةِ.
2. قبل المعاجَلةِ إلى الاستدلالِ بدعوى تاريخيّةٍ لِتَخْطِئةِ الخَبَرِ القرآنيِّ، لا بُدَّ من إثباتِ صِحّةِ الدَّعوى التاريخيّةِ.
3. عندما يحتمِلُ النصُّ القرآنيُّ -من الناحية اللُّغويّةِ الصّرفةِ- أكثرَ من معنى، يركنُ خصومُ الإسلام إلى المعنى الذي من الممكن أنْ يُعارَضَ بحقائقَ تاريخيّةٍ.
4. شُهرةُ تفسيرٍ ما لآية ما، لا يَلْزَمُ منها أنّها الوَجْهُ الوحيدُ لتفسيرِ الآيةِ؛ وكُلَّما زعمَ خصومُ الإسلام تخطئةَ القرآنِ لدلالتِهِ على معنًى ما شائع بين المسلمين، يَتَبَيَّنُ عند النَّظَرِ أنّ هناك أُوْجُهًا أُخرى في تفسيرِ الآيةِ محفوظة في كُتُبِ تفسيرِ الأئمّةِ الأعلام تَدفَعُ تُهمةَ الخطأ التّاريخيِّ عن القرآنِ.
5. يُسارِعُ خُصومُ الإسلام مرارًا إلى القطعِ بإثباتِ دَعاوى تاريخيّةٍ، استدلالًا بِصَمْتِ الآثارِ، دون تَمَهُّلٍ أو تواضُعٍ. ثم تأتي الشّواهِدُ التّاريخيّةُ لِتَنْقُضَ تلك الدَّعوى التاريخيّة.
6. وُجودُ آثارٍ لِلأُممِ السّالفةِ، لا يعني ضرورةَ أنّنا قادرون على معرفةِ عقائدِ أَهلِها وتاريخها؛ فإنَّ كثيرًا من هذه الآثارِ غيرُ مُبِينةٍ، ونُقُوشُها حَمَّالةُ أَوْجُهٍ؛ ولذلك يختلِفُ الآثاريُّون في معرفة ما تدلُّ عليه من خَبَرِ السّالفين.
7. النُّصوصُ التّاريخيّةُ القديمةُ التي كان يَكْتُبُها الحُكّامُ أو تُكْتَبُ تحت وِصايَتِهِمْ أو بِأَمْرِهِمْ، لا بُدَّ أن تُقْرَأَ بِحَذَرٍ؛ لأنّها ليست «وثائق تأريخيّة» لِعَصرِ هؤلاءِ الحُكّامِ، وإنّما هي منشوراتٌ دِعائيّةٌ لهم.

8. أَوْسَعُ أبوابِ الطَّعنِ في الخَبَرِ القرآنيِّ، ما جاء في خَبَرِ المسيحِ وأُمِّهِ -عليهما السَّلام-. وقد قامتِ الشُّبهاتُ في هذا الباب على نِسبةِ أُمورٍ إلى التّاريخ المبكِّرِ غيرِ مُتيَقَّنةٍ، أو اسْتَنَدَتْ إلى فَهْم سَطحِيٍّ لِلنصِّ القرآنيِّ، دون إدراكِ أنّ في القرآنِ مناقشةً لِلنّصارى بِلازِمِ مَذْهَبِهِمْ.

9. الاستدلالُ بالكتابِ المقدَّسِ لِتخطئةِ القرآنِ، بناءً على أَنَّهُ يُقدِّمُ الحقيقةَ التاريخيّةَ النِّهائيّةَ، يَغْفَلُ عن وجوبِ إثباتِ صِدْقِ الكِتابِ المقدَّسِ أَوَّلًا.

10. بعضُ الاعتراضاتِ التاريخيّةِ على الخَبَرِ التّاريخيِّ القرآنيِّ، تنتهي -بعد النَّظَرِ والسَّبْرِ التّاريخيِّ- إلى إثباتِ إعجازِ القرآنِ؛ بإثباتِهِ حقيقةً تاريخيّةً دقيقةً لم تكنْ معلومةً زمنَ البِعثة، أو حقيقة ما كان يَعْلَمُها إِلَّا قِلَّةٌ من أحبارِ أهلِ الكِتابِ.

تمّ، بحمد الله وفضله.

المراجع والمصادر

القرآن الكريم.

المراجع العربية

الكتب العربية

1. ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، [تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود]، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ/ 1994م.
2. إسكندر شديد (تعريب)، **الأناجيل المنحولة**، عوسطا: دير سيدة النصر، 2004.
3. الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415ه.
4. البخاري، **التاريخ الكبير**، [تحقيق: محمد بن صالح بن محمد الدباسي]، الرياض: الناشر المتميز للطباعة والنشر والتوزيع، 1440هـ/ 2019م.
5. البخاري، **الضعفاء الصغير**، [تحقيق: محمود إبراهيم زايد]، حلب، دار الوعي، 1396هـ.
6. بشار عواد معروف وشعيب الأرنؤوط، **تحرير تقريب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر** العسقلاني، بيروت: مؤسسة الرسالة.
7. بطرس عبد الملك وآخرون، **قاموس الكتاب المقدس**، القاهرة: دار الثقافة، 1995م.
8. بولس إلياس، **يسوع المسيح، شخصيته- تعاليمه**، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1963، ط2.
9. تادرس يعقوب ملطي، **الإنجيل بحسب القديس متّى**، كنيسة الشهيد مار جرجس بسبورتنج.
10. أبو تمام الطائي، **ديوان الحماسة (حماسة أبي تمام) برواية الجواليقي**، شرح أحمد حسن بسج، بيروت: دار الكتب العلمية، 2009.

11. ابن تيمية، **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**، [تحقيق: علي بن حسن وعبد العزيز بن إبراهيم وحمدان بن محمد]، بلاد الحرمين: دار العاصمة، 1419هـ/ 1999م

12. ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ/ 1995م.

13. جمال الدين القاسمي، **محاسن التأويل**، [تحقيق: محمد السود]، بيروت: دار الكتب العلمية، 1418ه.

14. جمال مختار، إشراف، **تاريخ إفريقيا العام**، اليونسكو، 1985.

15. جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب**، دار الساقي، 1422هـ/ 2001م.

16. حبيب سعيد، **المدخل إلى الكتاب المقدس**، القاهرة: دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية.

17. ابن حبّان، **الثقات**، الهند، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، 1393هـ/ 1973م.

18. ابن حبّان، **المجروحين من المحدثين**، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الرياض: دار الصّميعي، 1420هـ/ 2000م.

19. أبو حيان، **البحر المحيط**، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر، 1420هـ.

20. ابن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ت: علي محمد البجاوي، بيروت: دار الجيل، ط1، 1412هـ.

21. ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، بيروت: دار المعرفة، 1379هـ.

22. ابن حجر، **موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر**، [تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، صبحي السيد جاسم السامرائي]، الرياض: مكتبة الرشد، 1414 هـ - 1993 م.

23. خالد الرباط وآخرون، **الجامع لعلوم الإمام أحمد - الرجال**، الفيوم: دار الفلاح، 1430 هـ - 2009 م .

24. رؤوف أبو سعدة، **من إعجاز القرآن: العلم الأعجمي في القرآن مفسرا بالقرآن**، القاهرة: دار الهلال، 1994.

25. ابن رجب الحنبلي، **شرح علل الترمذي**، [تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد]، الزرقاء، مكتبة المنار، 1407هـ - 1987م.

26. الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، [تحقيق علي الهلالي وآخرين]، الكويت، 1421هـ/ 2001

27. الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ.

28. سامي عامري، **براهين النبوة**، لندن: مركز تكوين، 1439هـ/ 2017م.

29. سامي عامري، **العلم وحقائقه: بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل**، الكويت: مركز رواسخ، 2019.

30. سامي عامري، **الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الأركيولوجي، شبهات وردود**، الكويت: مركز تكوين، 2021.

31. سانو، **معجم مصطلحات أصول الفقه**، بيروت: دار الفكر المعاصر، 2000م.

32. السعدي، **رسالتان في فتنة الدجال ويأجوج ومأجوج**، [تحقيق: أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي]، نسخة إلكترونية

33. سليم بن عيد الهلالي ومحمد بن موسى آل نصر، **الاستيعاب في بيان الأسباب**، الدمّام: دار ابن الجوزي، 1425هـ.

34. عصام الحميدان، **الصحيح من أسباب النزول**، بيروت: مؤسسة الريان، 1420هـ/ 1999م.

35. سليم حسن، **الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة**، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1940م.

36. السموءل بن يحيى المغربيّ، **بذل المجهودِ في إفحامِ اليهودِ**، [تحقيق: عبد الوهاب طويلة]، دمشق: دار القلم، 1410هـ/ 1989م.

37. السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، بيروت: دار الفكر، د.ت.

38. الشوكاني، **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**، [تحقيق: أحمد عزو عناية]، دار الكتاب العربي، 1419هـ/ 1999م.

39. صموئيل حبيب وآخرون، **دائرة المعارف الكتابية**، القاهرة: دار الثقافة.

40. صموئيل يوسف، **المدخل إلى العهد القديم**، القاهرة: دار الثقافة، 1413هـ/ 1993.

41. الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار هجر، 1422هـ/ 2001م.

42. ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م.

43. عثمان إسماعيل، **معجم ألفاظ القرآن الكريم في علوم الحضارة**، الرباط: الهلال العربية، 1414هـ/ 1994م.

44. عبد الجليل شلبي، **مفتريات المبشرين على الإسلام**، الرياض: مكتبة المعارف، 1406هـ، 1985م، ط2.

45. عبد الرحمن بدوي، **دفاع عن القرآن ضد منتقديه**، تعريب: كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب والنشر، القاهرة: دار الجليل، 1417هـ/ 1997م.

46. عبد العزيز صالح، **الشرق الأدنى القديم مصر القديمة**، مكتبة الأنجلو المصري، 2006م.

47. العقيلي، **الضعفاء الكبير**، [تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي]، بيروت: دار الكتب العلمية، 1404 هـ/ 1984م.

48. ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، [تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد]، بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ.

49. العلائي، **جامع التحصيل في أحكام المراسيل**، [تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي]، عالم الكتب، 1407هـ/ 1986م.

50. أبو العلاء المعري، **اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي**، [تحقيق: محمد سعيد المولوي]، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1429 هـ - 2008 م.

51. فتحي محمد الزغبي، **تأثر اليهودية بالأديان الوثنية** (أطروحة دكتوراه)، طنطا: دار البشير، 1414هـ/ 1994م.

52. فخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ.

53. القاضي عبد الجبار، **تثبيت دلائل النبوة**، القاهرة: دار المصطفى.

54. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، [تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش]، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ - 1964 م.

55. القمص أنطونيوس فكري، **شرح الكتاب المقدس - العهد القديم**، نسخة إلكترونية.

56. كتشن، **مصداقية العهد القديم**، تعريب باسم الشرقاوي وأمير سامي، مصر الجديدة: باناريون، 2019.

57. ابن كثير، **البداية والنهاية**، القاهرة: مطبعة السعادة.

58. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، [تحقيق: سامي بن محمد السلامة]، دار طيبة، 1420 هـ/ 1999م.

59. كوثر محمد علي، **حادثة الأخدود بين المصادر العربية والمصادر القديمة**، دراسةٌ تاريخيّةٌ حضاريّةٌ، أطروحة ماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، 1436هـ/ 2015م.

60. ابن كمونة، **تنقيح الأبحاث للمِلَلِ الثَّلاث**، القاهرة: دار الأنصار، 1380هـ/ 1960م.

61. الماوردي، **النكت والعيون**، [تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم]، بيروت: دار الكتب العلمية.

62. أبو محمد بن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، القاهرة: مكتبة الخانجي.

63. محمد بن عبد الله بن بليهد، **صحيح الأخبار عمّا في بلاد العرب من الآثار**، د.ن.، 1418هـ، ط3.

64. محمد بيومي مهران، **الثورة الاجتماعية الأولى في مصر الفراعنة**، دار المعرفة الجامعية، 1419هـ/ 1999.

65. محمد خير رمضان يوسف، **ذو القرنين، القائد الفاتح والحاكم الصالح**، دمشق: دار القلم، 1415هـ/ 1994م.

66. محمد علي البار، **المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم**، دمشق: دار القلم، 1990م.

67. محمد عبد السميع بدير سيد، **شبهات المشككين حول القرآن الكريم وعلومه. ردٌ على كتاب: هل القرآن معصوم**، القاهرة: دار المعرفة، 2019.

68. مصطفى العدوي، **التسهيل لتأويل التنزيل، تفسير جزء عم، تفسير الجزء الأول**، طنطا: مكتبة مكة، 1997م.

69. معاذ عليان، **عبادة مريم في المسيحيّة والظهورات المريميّة**، القاهرة: مكتبة النافذة، 2009م.

70. مقبل الوادعي، **المستدرك على الصحيحين، وبذيله أوهام الحاكم التي سكت عليها الذهبي**، القاهرة: دار الحرمين، 1417هـ/ 1997م.

71. مقبل بن هادي الوادعي، **الصحيح المسند من أسباب النزول**، صنعاء: مكتبة صنعاء العصرية، 1425هـ/ 2004م.

72. منقذ السقار، **هل افتدانا المسيح على الصليب؟**، دار الإسلام للنشر والتوزيع، 1428هـ/ 2007م.

73. النسائي، **الضعفاء والمتروكون**، [تحقيق: محمود إبراهيم زايد]، حلب، دار الوعي، 1396هـ.

74. نهاد حسن حجي الشمري، **طائفة السامرة بين الرفض اليهودي وحقيقة النصوص الآشورية**، دراسات تاريخية، العدد 47.

75. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، بيروت: دار صادر.

76. يوسابيوس القيصري، **تاريخ الكنيسة**، تعريب القمص مرقس داود، القاهرة: مكتبة المحبة، 1979م.

الكتب الإنجليزية

1. E. A. Wallis Budge, ***An Egyptian Hieroglyphic Dictionary, With an Index of English Words, King List and Geographical List with Index, List of Hieroglyphic Characters, Coptic and Semitic Alphabets, etc.*.** London: John Murray, 1920.
2. Abraham Isaac Katsh, ***Judaism and the Koran: Biblical and Talmudic Backgrounds of the Koran and Its Commentaries***, A. S. Barnes, 1962.
3. Adam Clarke, ***The Holy Bible: Containing the Old and New Testaments***, J. Emory and B. Waugh, 1832.
4. Alberto R. W. Green, ***The Storm-God in the Ancient Near East***, Penn State Press, 2003.
5. Alexander Roberts, and James Donaldson, eds. ***Apocryphal Gospels, Acts and Revelations***, Edinburgh: T. & T. Clark, 1870.
6. Alexander Roberts, *Greek: **The Language of Christ and His Apostles***, London: Longmans, Green and Co., 1888.
7. Alfonso Maria de' Liguori, ***The Glories of Mary***, London, 1852.
8. Alister E. McGrath, ***Historical Theology: An Introduction to the History of Christian Thought***, John Wiley & Sons, 2012.
9. Al-Qirqisani, ***Kitāb al-Ānwār wal-Marāqib***, ed. Leon Nemoy, New York, 1939.

10. Amy-Jill Levine, Marc Zvi Brettler, ***The Jewish Annotated New Testament***, Oxford: Oxford University Pres, 2011.
11. Andrei A. Orlov, ***The Enoch-Metatron Tradition***, Mohr Siebeck, 2005.
12. Andrew Runni Anderson, ***Alexander's Gate, Gog and Magog, and the Enclosed Nations***, Medieval academy of America, 1932.
13. Andrews Norton, ***The Evidences of the Genuineness of the Gospels***, Boston: J. B. Russell, 1837.
14. Arthur Jeffery, ***The Foreign Vocabulary of the Qur'an***, Oriental Institute Baroda, 1938.
15. Augustin Calmet, ***Calmet's Dictionary of the Holy Bible***, Boston: Crocker and Brewster, 1832.
16. Austen Henry Layard, ***Nineveh and Its Remains***, New York: George P. Putnam & Company, 1854.
17. Avery Cardinal Dulles, ***A History of Apologetics***, San Francisco: Ignatius Press, 2005.
18. B. Davidson, ***The Book of Job***, Cambridge: University Press, 1889.
19. B. Harris Cowper, ***The Apocryphal Gospels and Other Documents Relating to the History of Christ***, Edinburgh: Williams and Norgate, 1870.
20. Barbara G. Walker, ***The Woman's Encyclopedia of Myths and Secrets***, New York: HarperCollins, 1983.
21. Bart D. Ehrman, ***Jesus, Interrupted: Revealing the Hidden Contradictions in the Bible (And Why We Don't Know About Them)***, Harper Collins, 2009.
22. Bart D. Ehrman, ***Lost Christianities: The Battles for Scripture and the Faiths We Never Knew***, Oxford: Oxford University Press, 2003.

23. Bart Ehrman, ***Did Jesus Exist?***, New York: HarperOne, 2013.
24. Bart Ehrman, ***Peter, Paul, and Mary Magdalene: the Followers of Jesus in History and Legend***, New York: Oxford University Press, 2006.
25. Birger A. Pearson, ***Ancient Gnosticism: Traditions and Literature***, Augsburg Fortress Publishers, 2007.
26. Bob Robinson, ***Jesus and the Religions***, Wipf and Stock Publishers, 2012.
27. Brian A. Brown, ***Three Testaments: Torah, Gospel, and Quran***, Lanham: Rowman & Littlefield, 2014.
28. Burton Mack, ***Who Wrote the New Testament?***, New York: HarperCollins, 1995, p.87
29. C. E. Bosworth, *et al*., eds. ***The Encyclopaedia of Islam***, Leiden: Brill, 1991.
30. C. H. Box, tr. ***The Apocalypse of Ezra***, London: Society for Promoting Christian Knowledge, 1917.
31. C. H. Box, tr. ***The Apocalypse of Ezra***, London: Society for Promoting Christian Knowledge, 1917.
32. Charles Freeman, ***The Greek Achievement: The Foundation of the Western World***, Penguin Publishing Group, 2000.
33. Charles Henry Hamilton Wright, ***Daniel and His Prophecies***, Williams and Norgate, 1906.
34. Charles James Ball, ed. ***The Variorum Teacher's Ed. of the Holy Bible***, Eyre, 1893.
35. Comfort, ***New Testament Text and Translation Commentary***, Carol Stream (Ill.): Tyndale House Publishers, Inc., cop. 2008.
36. Craig S. Keener, ***Acts: An Exegetical Commentary: Volume 3: 15:1-23:35***, Michigan: Baker Academic, 2014.

37. Crispin H.T. Fletcher-Louis, ***Luke-Acts: Angels, Christology and Soteriology***, Tubingen: Mohr Siebeck, 1997.
38. D. A. Carson, ***New Bible Commentary: 21st century edition***. Rev. ed., Leicester, England; Downers Grove, Ill., USA: Inter-Varsity Press, 1970.
39. D. N. Freedman, ed. ***The Anchor Yale Bible Dictionary***, New York: Doubleday, 1996.
40. D.E. Nineham, ***Saint Mark***, Penguin Books, 1969.
41. D.N.FreedmanandE.F.Campbell,eds.***BiblicalArchaeologist Reader 2***, New York: Doubleday, 1964, pp.166-169.
42. Dale C Allison, Jr.; Hans-Josef Klauck; *et al*., eds. ***Encyclopedia of the Bible and its Reception***, Berlin: De Gruyter, cop. 2012.
43. Daniel A Beck, *Evolution of the Early Qur'ān: From anonymous apocalypse to charismatic prophet*, New York: Peter Lang, 2008.
44. Daniel Howard, ***Bronze Age Military Equipment***, Barnsley: Pen & Sword Military, 2011.
45. DavidBenjaminKeldani,***MuhammadintheBible***,Dammam: Esbah, 2012.
46. David Bertaina, et al., eds. ***Heirs of the Apostles. Studies on Arabic Christianity in Honor of Sidney H. Griffith***, Leiden: Brill, 2019.
47. David E. Garland, **Luke**, Zondervan Academic, 2012.
48. E. M. Wherry, George Sale, ***A Comprehensive Commentary on the Qurán***, London: Kegan Paul, 1896.
49. E.A.W. Budge, **The History of Alexander the Great, being the Syriac version of the Pseudo-Callisthenes**, Amsterdam, Philo Press, 1976.

50. E.Fahlbusch & G. W. Bromiley, ***The Encyclopedia of Christianity***, Grand Rapids, Mich.; Leiden, Netherlands: Wm. B. Eerdmans.

51. E.J. van Donzel, Andrea Schmidt, eds. ***Gog and Magog in Early Eastern Christian and Islamic***, Leiden: Brill, 2010.

52. Eberhard Sauer, ***Dariali: The 'Caspian Gates' in the Caucasus from Antiquity to the Age of the Huns and the Middle Ages***, Oxford; Philadelphia: Oxbow Books, 2020.

53. Elizabeth Frood, **Biographical Texts from Ramessid Egypt**, Leiden: Brill, 2007.

54. F. E. Peters, ***Muhammad and the Origins of Islam***, SUNY Press, 1994.

55. Frank Moore Cross, ***Canaanite Myth and Hebrew Epic***, Harvard University Press, 2009.

56. Frederic William Farrar, ***The Expositor's Bible: The Book of Daniel***, Lulu, 2017.

57. G. Johannes Botterweck, *et al.*, ***Theological Dictionary of the Old Testament***, Wm. B. Eerdmans Publishing, 1974.

58. G. Scott Gleaves, ***Did Jesus Speak Greek? The Emerging Evidence of Greek Dominance in First-Century Palestine***, Cambridge, United Kingdom: James Clarke & Co., 2015.

59. Gabriel Said Reynolds, ed. ***New Perspectives on the Qur'an: The Qur'an in its Historical Context 2***, ed. London: Routledge, 2011.

60. Gabriel Said Reynolds, ed. ***The Qur'an in its Historical Context**, ed.*, New York: Routledge, 2008.

61. Geoffrey Parrinder, ***Jesus in the Qur'an***, Oxford: Oneworld Publications, 1996.

62. Geoffrey W. Bromiley, ***International Standard Bible Encyclopedia***, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 1982.

63. George T. Zervos, **The Protevangelium of James: Critical Questions of the Text and Full Collations of the Greek Manuscripts**: Volume 2, London: Bloomsbury Publishing, 2022.

64. Gerard Stephen Sloyan, ***The Crucifixion of Jesus: history, myth, faith***, Minneapolis: Fortress Press, 1995.

65. Gerd Lüdemann, ***Heretics: the other side of early Christianity***, London: SCM Press, 1996.

66. Gesenius, ***Gesenius's Hebrew and Chaldee Lexicon to the Old Testament Scriptures***, London: Samuel Bagster.

67. Giles, ***The Uncanonical Gospels and Other Writings***, London: D. Nutt. 1852.

68. Gnuse, ***Dreams and Dream Reports in the Writings of Josephus***, Leiden, Brill, 2018.

69. Gordon Darnell Newby, ***A History of the Jews of Arabia: From Ancient Times to Their Eclipse Under Islam***, Columbia, S.C.: University of South Carolina Press, 2009.

70. Gordon Newby, **A *Concise Encyclopedia of Islam***, New York: Oneworld Publications, 2013.

71. Grayson, ***Assyrian Rulers of the Early First Millennium BC: II (858–745 BC)***, Toronto: University of Toronto Press, 2002.

72. H. J. de Jonge, Johannes Tromp, eds. ***The Book of Ezekiel and Its Influence***, England: Ashgate Publishing, 2007.

73. Henry and Scott, ***Commentary Upon the Holy Bible, Isaiah to Malachi***, Religious Tract Society, 1843.

74. Herbert G. May and Bruce M. Metzger, eds. ***The New Oxford Annotated Bible with Apocrypha***, New York: Oxford University, 1973.

75. Herbert Marsh, ***An Illustration of the Hypothesis proposed in the Dissertation on the Origin and Composition of our Three First Canonical Gospels***, F & C Rivington, London; J. Deighton, Cambridge, 1803.
76. Israel Eph'al, ***The Ancient Arabs: Nomads on the Borders of the Fertile Crescent, 9th—5th Centuries B.C***, Leiden: Brill, 1982.
77. Israel Finkelstein and Amihai Mazar, ***The Quest for The Historical Israel, Debating Archaeology and the History of Early Israel***, Leiden: Brill, 2007.
78. Israel P. Loken, ***Esther, Loken Expositional Commentary***, Xulon Press, 2007.
79. J. D. Douglas, ed. ***New Bible Dictionary***, Inter-Varsity Press: Leiceste, 1984.
80. J. D. Douglas, ed. ***The Illustrated Bible Dictionary***, Inter-Varsity Press: Leicester, 1980.
81. J. I. Durham, ***Exodus***, Dallas: Word, 2002.
82. J. K. Elliott, ***The Apocryphal Jesus, Legends of the Early Church***, Oxford: Oxford University Press, 2008.
83. J. M. Rodwell, ***The Koran***, London: J.M. Dent & Sons, ltd., 1913.
84. J. Nolland, ***Luke 1:1-9:20***, Dallas: Word, Incorporated, 2002.
85. Karel Van Der Toorn, Bob Becking, Pieter W. Van Der Horst, eds. ***Dictionary of Deities and Demons in the Bible***, Leiden: Brill, 1999.
86. Jacob Reineggs, ***A General, Historical, and Topographical Description of Mount Caucasus***, London: C. Taylor, 1807.
87. James K. Hoffmeier, ***Israel in Egypt: The Evidence for the Authenticity of the Exodus Tradition***, Oxford: Oxford University Press, 1999.

88. James L. Kugel, ***Traditions of the Bible***, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1998.

89. James Robinson, ed. ***The Nag Hammadi Library in English***, Leiden: Brill, Jan 1, 1996.

90. Jane Dammen McAuliffe, ed. ***Encyclopedia of the Qur'an***, Leiden – Boston: Brill, 2006.

91. Jeremy Black, Anthony Green, *Gods*, ***Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia: An Illustrated Dictionary***, Austin Univ. of Texas Press, 2014.

92. Jess Nevins, ***The Evolution of the Costumed Avenger: The 4,000-Year History of the Superhero***, CA: Praeger, 2017.

93. Joel B. Green, et. al. eds., ***Dictionary of Jesus and the Gospels***, Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1992.

94. Johann Jakob Herzog, *et al*. ***The New Schaff-Herzog Encyclopedia of Religious Knowledge***, London: Funk and Wagnalls Company, 1909.

95. John Boardman, *et al*. eds. ***The Cambridge Ancient History, Volume 3, Part 1: The Prehistory of the Balkans, the Middle East and the Aegean World, Tenth to Eighth Centuries BC***, Cambridge: Cambridge University Press, 1982.

96. John Calvin, ***John Calvin's Bible Commentaries on Daniel 7- 12***, Jazzybee Verlag.

97. John Gill, ***An Exposition of the Old Testament***, London: Mathews and Leigh, 1810.

98. John H. Walton, ***Zondervan illustrated Bible backgrounds commentary. Volume 5, The Minor Prophets, Job, Psalms, Proverbs, Ecclesiastes, Song of Songs***, Grand Rapids: Zondervan, 2009.

99. John L Esposito, ed., ***The Oxford Dictionary of Islam***, Oxford: Oxford Univ. Press 2003.

100. John Longhorne and William Longhorne, ***Plutarch's Lives***, Translated from the Original Greek, with Notes, Dublin: T. Ewing, 1771.

101. John McClintock, James Strong, eds. ***Cyclopaedia of Biblical, Theological, and Ecclesiastical Literature***, Harper, 1894.

102. JohnS.Kloppenborg, ***Q,theEarliestGospel,anIntroduction to the Original Stories and Sayings of Jesus***, Louisville, London: Westminster John Knox Press. 2008.

103. Jon D. Levenson, ***Esther, a Commentary***, London: Westminster John Knox, 2004.

104. K. A. Kitchen, ***On the Reliability of the Old Testament***, Grand Rapids, Mich.: W.B. Eerdmans, 2006.

105. K. A. Kitchen, ***Pharaoh Triumphant: The Life and Times of Ramesses II, King of Egypt***, Aris & Phillips Ltd.: 1982.

106. Karel Van Der Toorn, Bob Becking, Pieter W. Van Der Horst, eds. ***Dictionary of Deities and Demons in the Bible***, Leiden: Brill, 1999.

107. Keil and Delitzsch, ***Commentary on the Old Testament***, Peabody, Massachusetts: Hendrickson Publishers, 2011.

108. Kuhrt and H. Sancisi-Weerdenburg, ***Achaemenid History III: Method and Theory***, Leiden: Brill, 1988.

109. L. Feliu, ***The God Dagan in Bronze Age Syria***, Leiden; Boston: Brill. 2003.

110. L. Kataja and R. Whiting, ***Decrees and Gifts of the Neo-Assyrian Period***, State Archives of Assyria XII, 1995.

111. LaithA.Jawad, ***TigrisandEuphratesRivers:TheirEnvironment from Headwaters to Mouth***, Springer Nature, 2021.

112. Lewis Sperry Chafer, ***Systematic Theology***, Dallas: Dallas Seminary Press, 1947.

113. Livingstone, *et al.* eds. ***Evangelicals and Science in Historical Perspective***, Oxford UP, 1999.

114. Lois k. Fuller, *et al.*, eds. ***The Language and Literature of the New Testament***, Leiden: Brill, 2017.

115. Louis Feldman, Gōhei Hata, eds. ***Josephus, Judaism and Christianity***, Brill, 1987.

116. M. Cogan & H. Tadmor, ***II Kings: A new translation with introduction and commentary*. Includes index**, New Haven; London: Yale University Press, 2008.

117. Mark McInroy, Michael J. Hollerich, eds. ***The Christian Theological Tradition***, New York: Routledge, 2020, 4th edition.

118. Mark Swanson, *et al.*, eds. ***The Encounter of Eastern Christianity with Early Islam***, Leiden; Boston: Brill, 2006.

119. Marie Vandenbeusch, Aude Semat, Margaret St. Claire Maitland, Margaret Todd Maitland, **Pharaoh: King of Ancient Egypt**, Yale University Press, 2016.

120. Martin R. Zammit, ***A Comparative Lexical Study of Qur'ānic Arabic***, Leiden: Brill, 2002

121. Mary Ellen Snodgrass, ***Coins and Currency: An Historical Encyclopedia***, Jefferson: McFarland & Company, Incorporated Publishers, 2019.

122. Matthew Black, ***Malachi: Growing & Changing Commentary***, Il: Living Hope Publications, 2018.

123. Matthew T. Rutz, Morag Kersel, eds. ***Archaeologies of Text: Archaeology, Technology, and Ethics***, Oxford: Oxbow Books, 2014.

124. Matthias Henze, Gabriele Boccaccini, eds. ***Fourth Ezra and Second Baruch: Reconstruction after the Fall***, Leiden: Brill, 2013.

125. Mehdi Azaiez, *et al.*, eds. ***The Qur'an Seminar Commentary / Le Qur'an Seminar***, Berlin; Boston: De Gruyter, 2017.

126. Michael P. Carroll, ***The Cult of the Virgin Mary: Psychological Origins***, Princeton University Press, 1992.

127. Mingana and A. S. Lewis, eds. ***Leaves From Three Ancient Qur'âns Possibly Pre-'Othmânic With a List of Their Variants,*** Cambridge: At The University Press, 1914.

128. Montague Rhodes james, ***The Apocryphal New Testament***, Oxford: Clarendon Press, 1985.

129. Morris Jastrow, ***The Religion of Babylonia and Assyria***, Boston: Ginn, 1898, p.632.

130. Nahum M. Sarna, ***Exodus***, Philadelphia: Jewish Publication Society, 1991.

131. Norman H. Snaith, ***The Interpreter's Bible: Kings. Chronicles. Ezra. Nehemiah. Esther, Job***, New York: Abingdon-Cokesbury Press, 1951.

132. Norman Yoffee, ed. ***The Cambridge World History: Volume 3, Early Cities in Comparative Perspective, 4000 BCE–1200 CE,*** Cambridge: Cambridge University Press, 2015.

133. Oliver Leaman, ed. ***The Qur'an: An Encyclopedia***, London: Taylor & Francis, 2006.

134. Orlando O. Espín, James B. Nickoloff, eds. ***An Introductory Dictionary of Theology and Religious Studies***, Liturgical Press, 2007.

135. Paul Allan Mirecki, Marvin W. Meyer, ***Magic and Ritual in the Ancient World***, Leiden: Brill, 2002.

136. Pieter A. Verhoef, ***The Books of Haggai and Malachi,*** Grand Rapids, Mich.: W.B. Eerdmans, 1987.

137. Pieter Willem van der Horst, ***Pious Long-Sleepers in Pagan, Jewish and Christian Antiquity***, Leiden: Brill, cop. 2014.

138. R. Laird Harris, Gleason L. Archer, Jr., Bruce K. Waltke, eds., ***Theological Wordbook of the Old Testament***, Chicago: Moody Publishers, 2003.

139. Ralph Smith, ***Micah-Malachi***, Zondervan Academic, 2018.

140. Ray Pritz, ***Nazarene Jewish Christianity: From the End of the New Testament Period Until Its Disappearance in the Fourth Century***, Jerusalem: Brill, 1988.

141. Raymond Brown, ***The Birth of the Messiah***, Garden City, N.Y.: Doubleday, 1933.

142. Raymond Brown, ***The Gospel according to John (I-XII): introduction, translation, and notes***, New York: Doubleday, 1966.

143. René Salm, ***The Myth of Nazareth: The invented town of Jesus***, Cranford, N.J.: American Atheist Press, 2008.

144. Reuven Chaim Klein, ***God versus Gods: Judaism in the Age of Idolatry***, Mosaica Press, 2018.

145. Reuven Firestone, ***Children of Abraham: An Introduction to Judaism for Muslims***, Hoboken, NJ: Ktav, 2001.

146. Reuven Hammer, ***The Torah Revolution: Fourteen Truths That Changed the World***, Readhowyouwant, 2014.

147. Richard A. Gabriel, ***The Great Armies of Antiquity***, Praeger, 2002, p.20

148. Richard Bauckham, ***The Christian World Around the New Testament***, Mohr Siebeck, 2017.

149. Richard Friedman, ***Who Wrote the Bible?***, London: Jonathan Cape, 1987.

150. Richard Hooper, ***The Crucifixion of Mary Magdalene: The Historical Tradition of the First Apostle and the Ancient Church's Compaign to Suppress it***, AZ: Sanctuary Publications, 2005.

151. Richard Patrick Crosland Hanson, ***The Search for the Christian Doctrine of God: The Arian Controversy 318-381 AD***, New York: A&C Black, 2005.

152. Robert Fame Hutchinson, ***Thoughts on the Book of Job***, Samuel Bagster, 1875.

153. Robert G. Hoyland, ***Seeing Islam as Others Saw It: A Survey and Evaluation of Christian, Jewish and Zoroastrian Writings on Early Islam***, Princeton, N.J.: Darwin Press, 1997.

154. Robert M Price, ***Holy fable, Volume 2***, Mindvendor, 2017.

155. Roland H. Worth, ***Alternative Lives of Jesus: noncanonical accounts through the early Middle Ages***, North Carolina: McFarland, 2003.

156. S.R. Driver, eds. ***The Minor Prophets***, Edinburgh, T.C. & E.C. Jack, 1906.

157. Scott Fitzgerald Johnson, ***The Oxford Handbook of Late Antiquity***, Oxford: Oxford University Press, 2015.

158. Sidney H. Griffith, ***The Bible in Arabic: The Scriptures of the "People of the Book" in the Language of Islam***, New Jersey: Princeton University Press, 2015.

159. Siegbert Uhlig, ed. ***Encyclopaedia Aethiopica: D-Ha***, Harrassowitz, 2003.

160. St. Tisdall, ***The Original Sources of the Qur'an***, *London: Society for The Promotion of Christian Knowledge*, 1911.

161. Stevan Davies, ***The Infancy Gospels of Jesus: apocryphal tales from the childhoods of Mary and Jesus***, Vermont: SkyLight Paths Publishing, 2009.

162. Steven Donald Norris, ***Unraveling the Family History of Jesus***, WestBow Press, 2016.

163. Stuart B. Schwartz, ***Implicit Understandings***, New York: Cambridge University Press, 1994.

164. Susan Niditch, ed. ***The Wiley Blackwell Companion to Ancient Israel***, John Wiley & Sons, 2016.

165. Susan T. Hollis, ***The Ancient Egyptian "tale of Two Brothers": A Mythological, Relgious, Literary, and Historico-political Study***, Bannerstone Press, 2008.

166. T. B. Dozeman, ***Commentary on Exodus***, Grand Rapids, MI; Cambridge, U.K.: William B. Eerdmans Publishing Company, 2009.

167. T. R. Hobbs, **2 *Kings***, Dallas: Word, Incorporated, 2002.

168. T.K. Cheyne, ed. ***Encyclopaedia Biblica***, London: Macmillan, 1902.

169. Tal Ilan, ***Mine and Yours are Hers: retrieving women's history from Rabbinic literature***, Leiden: Brill, 1997.

170. Thomas A. Nelson, ***Catholic Prayers***, North Carolina: TAN Books, 2006.

171. Thomas Hartwell Horne, ***An Introduction to the textual Criticism of the New Testament***, London: Longman, 1856.

172. Thomas Nelson, ***The Chronological Study Bible***, Thomas Nelson, 2008.

173. Tony Chartrand-Burke, ***The Infancy Gospel of Thomas: The Text, its Origins, and its Transmission***, Ph.D. thesis, University of Toronto, 2001.

174. Van der Toorn, *et al*., eds. ***Dictionary of deities and demons in the Bible***, Brill, 1999.

175. W. E. Vine, ***Vine's Expository Dictionary of New Testament Words***, Thomas Nelson, 2015.

176. W. F. Allbright, ***From the Stone Age to Christianity***, Baltimore: John Hopkins Press, 1940.

177. Walter A. Elwell, ed. ***Evangelical Dictionary of Theology***, Michigan: Baker Book House, 1984.

178. Walter Bauer, *et al*. ***A Greek-English Lexicon of the New Testament and Other Early Christian Literature***, Chicago: University of Chicago Press, 2021, 4th edition.

179. William Carr Thurman, ***Sealed Book of Daniel Opened***, Office of the World's Crisis, 1867.

180. William G. Dever, ***What Did the Biblical Writers Know and When Did They Know It?***, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 2001.

الكتب غير الإنجليزية

1. Andreas Dettwiler, Daniel Marguerat, **La Source des Paroles de Jésus (Q): aux origines du christianisme**, Labor et Fides, 2008.

2. Édouard-Marie Gallez, **Le Messie et son Prophète: aux origines de l'islam. Tome II, Du Muhammad des califes au Muhammad de l'histoire**, Versailles: Éditions de Paris, 2010.

3. François Bovon, **L'Evangile Selon Saint Luc. (1, 1-9, 50)**, Genève: Labor et Fides, 2007.

4. Frédéric Amsler, **L'Évangile Inconnu: la source des paroles de Jésus (Q)**, Labor et Fides, 2006.

5. Ioannis Caroli Thilo, **Codex Apocryphus Novi Testamenti**, Vogel, 1832.

6. Jean Baptiste Chabot, et al. **Corpus scriptorum christianorum orientalium**, 1958.

7. Mario E. Provera, **Il Vangelo arabo dell'Infanzia: secondo il ms. laurenziano orientale (n. 387)**, Gerusalemme: Franciscan Print, 1973.

8. Paul Barguet, **La stèle de la Famine, à Séhel**, Caire: Imprimerie de l'Institut français d'archéologie orientale, 1953.

المقالات

1. إبراهيم عوض، هل أخطأ القرآن في اسم والد مريم كما يزعم المتخرصون؟، نسخة إلكترونية.
2. حاكم عبيسان المطيري، أثر فيه نظر دراسة نقدية حديثية تفسيرية لحديث (إن يأجوج يحفرون السد)
3. صفوان سعيد، المبالغة والادّعاء في الحوليات الملكية الآشوري، دراسة موصلية، العدد العشرون، ربيع الثاني، 1429هـ/ أيار 2008.
4. عادل هاشم علي، آلهة قوم نوح في القرآن الكريم: قراءة في الأصل اللغوي في التاريخ السومري. نسخة إلكترونية.
5. عبد المنعم سيد، هل يشير نقش أبرهة الحبشي عند بئر مريغان إلى حملة الفيل، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 3، 1410 هـ-1999م.
6. Alfred Louis DE Prémare, "Il voulut détruire le temple". L'attaque de la Ka'ba par les rois yéménites avant l'islam. Akhbâr et Histoire", ***Journal Asiatique***, 2000, 288/2, 261-367
7. Laato, "Assyrian Propaganda and the Falsification of History in the Royal Inscriptions of. Sennacherib", in ***VT*** 45 (1995).
8. Alphonse Mingana, "Syriac Influence on the Style of the Kur'ān," in ***BJRL*** 2, 1927.
9. Daniel B. Wallace, The Synoptic Problem
10. Dave Armstrong , Mary the "Spouse of the Holy Spirit": Blasphemy or Biblical?, Mary the "Spouse of the Holy Spirit": Blasphemy or Biblical?'

11. David S. Margoliouth, '*Is Islam a Christian Heresy?*,' in ***The Moslem World***, 1933, V.23.
12. Donald J. Wiseman, "Jonah's Nineveh", in ***Tyndale Bulletin*** 30 (1979) 38-38.
13. Frank Hugh Foster, '*Reply to professor Margoliouth's Article, Jan, 1933*,' in ***The Moslem World***, April 1933, Volume 23.
14. G. M. Redslob, "Ueber Den "Zweihörnigen" Des Koran", in ***Zeitschrift Der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft***, 1855, Volume 9.
15. Gabriel Said Reynolds, "A Reflection on Two Qur□ānic Words (Iblīs and Jūdī), with Attention to the Theories of A. Mingana", in ***Journal of the American Oriental Society*** Vol. 124, No. 4 (Oct. - Dec., 2004).
16. Islamic Awareness, Crucifixion Or 'Crucifiction' In Ancient Egypt?, 23rd January 2009
17. Islamic Awareness, Dirham In the Time of Joseph?, 7th April 2006.
18. Islamic Awareness, The Queen of Sheba and Sun Worship, 10th March 2008
19. Islamic Awareness, The "Samaritan" Error in the Qur'an?, 24th February 2013
20. Jansen-Winkeln, "The Career of the Egyptian High Priest Bakenkhons," in ***Journal of Near Eastern Studies***, 52 1993.
21. Kenneth Kitchen, "The Patriarchal Age: Myth or History?" in ***Biblical Archaeology Review*** 21.2 (1995).
22. Lanny Bell, "In the Tombs of the High Priests of Amun", in ***Expedition Magazine***, Volume 15/ Issue 2/ January 1973.
23. Mary Dzon, "*Cecily Neville and the Apocryphal Infantia salvatoris* in *the Middle Ages*," in ***Mediaeval Studies*** 71 (2009).

24. Mounir Arbach, De la gravure rupestre aux traditions arabes et coranique, **ArchéOrient** - Le Blog, 4 octobre 2019.

25. P. Shen, T. Lavi, T. Kivisild, V. Chou, D. Sengun, Ḍ. Gefel, I. Shpirer, E. Woolf, J. Hillel, M. W. Feldman & P. J. Oefner, "Reconstruction of Patrilineages and Matrilineages of Samaritans and Other Israeli Populations From Y-Chromosome and Mitochondrial DNA Sequence Variation", ***Human Mutation***, 2004, Volume 24.

26. Paul Casanova , 'Idris et ' Ouzair' , ***Journal Asiatique*** , CCV (1924).

27. Samy Magdy, Egypt reveals 59 ancient coffins found near Saqqara pyramids, **Washington Post**, Oct. 3, 2020.

28. Stanley Porter, *"Did Jesus Ever Teach in Greek?"*, ***Tyndale Bulletin*** 44, no. 1. 1993.

29. W. Montgomery Watt, "Christianity Criticized in the Qur'ān," ***The Muslim World*** 57.3 (1967).